



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شَايِرُ الْإِقَامِي

فِي الرَّدِّ عَلَى النَّبَهَانِي

لِلْمَوْلَانَا الْعَلَمَاءِ الرَّبِيعِ الْبُخَارِيِّ الْهَرَوِيِّ الْكَلْبَلَوِيِّ

المولود عام ١٢٧٢ هـ والمتوفى عام ١٣٤٢ هـ غفر الله له

المجلد الثاني

اهتمو بطبعه

المحافظ عَبْدُ الْغَفُورِ مُحَمَّدِ إِسْمَاعِيلَ

الرئيس العام لجامعته العلوم الأثرية ٨ جلم باكستان

اهتم بطبعه :

الحافظ عبد الغفور محمد اسماعيل

الرئيس العام لجامعة العلوم الاثرية

بمدينة جهلم باكستان

طبع : المطبعة العربية ، لاهور

تاريخ : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لك اللهم مكان كل نعمة لك علينا ، وعلى جميع عبادك الماضين والباقيين ،  
عدد ما أحاط به علمك من جميع الاشياء ، ومكان كل واحدة منها عددها أضعافا  
مضاعفة أبدا سرمدا الى يوم القيامة ، حمدا لامنتهى لحده ، ولا حساب لعدده ،  
ولا مبلغ لغايته ، لتتوسل به الى طاعتك وعفوك ، وتتسبب به الى رضوانك ،  
وتتخذ ذريعة الى مغفرتك ، وطريقا الى جنتك ، وخفيرا من نقيمتك ، وأمنا من  
غضبك ، وظهيرا على طاعتك ، وحاجزا عن معصيتك ، وعونا على تأدية حقك •  
اللهم وأوصل صلة صلواتك ونوامي بركاتك الى من أرسلته رحمة للعالمين ،  
ونقمة على الزائغين ، حتى ظهر أمرك ، وعلت كلمتك ، ولو كره المشركون •  
اللهم وأوصل مثل ذلك الى آل الكرام والاصحاب ، والجند والاحزاب ،  
ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين •

( أما بعد ) فلما من الله تعالى بفضله وتوفيقه الى اكمال النصف الاول من  
كتاب ( غاية الاماني ) بادرننا - بعد الاستعانة به سبحانه - الى الشروع في النصف  
الثاني ، وهو الكلام على الباب الخامس فما بعده الى آخر الابواب التي ذكرها  
الخصم في كتابه ، ولم يراقب فيها موقفه يوم الحساب ، وقد سلطنا في هذا المقام  
نحو ما سلطناه أولا من الانصاف ، ولم نخرج - وله سبحانه الحمد - عن سواء  
السبيل حسبا عودنا عليه من اللطاف ، ومنه سبحانه الهداية •

( قال النبهاني ) في الباب الخامس من كتابه ، وهو الباب الذي عقده في الكلام  
على كتاب ( اغائة اللفهان ) لابن القيم ، و ( الصارم المنكي في الرد على السبكي ) و  
( جلاء العينين في المحاكمة بين الاحمدين ) وعقد للكلام على كل من هذه الثلاثة  
فصلا ، وقدم الكلام على ( اغائة اللفهان ) ونقل عبارته التي ذكرها في الزيارة  
المبتدعة ، وما يفعله القبوريون من الاعمال الشركية التي ما أنزل الله بها من سلطان ،  
وبعد ختام عبارته نقل عبارة القسطلاني المتعلقة بالاغراء على الزيارة المبتدعة ليستدل  
بها على غلوه ، وبعد أن نقلها - قال : هذا ما أردت نقله هنا من كلام هذا الامام ،  
قال : وذكر رحمه الله أحاديث وفوائد نفيسة تتعلق بزيارته صلى الله عليه وسلم

والاستغاثة به ، وفضل المدينة المنورة ، فليراجعها من شاءها .

ثم قال : فانظر رحمك الله الى هذا النور ، وهذا الهدى ، وهذا الحق الظاهر المشرق الجلي : تعلم شدة الظلام المستولى على أولئك المتدعين ، وأنت اذا قابلت بين كلام القسطلاني وكلام ابن القيم يظهر لك كمال الفرق بين الباطل والحق انخ .

( أقول في جوابه ) ان حاصل انتقاده هذا على كتاب ( اغاثة اللهفان ) أن مافيه من الكلام على الزيارة المبتدعة والمنع منها مخالف لما نقله عن القسطلاني . وكفى بذلك دليلا على الفساد ، وأنت تعلم مما قدمناه أن مدار الاستدلال انما هو على الكتاب والسنة لا بأقوال الغلاة ، وقد استوفينا الكلام على أقسام الزيارة فيما نقلناه سابقا عن أئمة أهل العلم والدين ، وأن النبهاني — لامتلاء قلبه من ظلمات البسوع والاهواء — لم يزل يكرر مايهواه ، كما هو شأن من أحب شيئا فإنه يلهج بذكره ، وعليه قول القائل :

أريد لانسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل طريق

ولما استولت على قلبه محبة الاشرار بالله تعالى والغلو بالصالحين تراه يسرح في أودية الضلال ، وكلما رأى مايوافق هواه بادر الى نقله ، أو رأى مايوافق الحق ويقتضيه الدين المين بادر الى شتم قائله وتضليله بل وتكفيره ، وعلى ذلك بنى بنيانه ، وأقام برهانه ، وألف كتابه ، وفصل خطابه ، وكلما وجهت اليه لوما ازداد يباطله غراما :

وذي سفه يواجهني بجهل  
يزيد سفاهة فأزيد حلما  
فاكره أن أكون له مجييا  
كعود زاده الاحراق طييا

وحاله هذا حال اخوانه وسلفه ، اذ حكى الله تعالى عنهم ما حكى في كتابه الكريم ، قال عز من قائل : ( وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ، وَلَئِنَّ آتِّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ )<sup>(١)</sup> ولنضرب عن كلامه هنا صفحا اكتفاء بما سبق منا .

(١) البقرة ١٢٠

( وكتاب اغاثة اللفغان ، في مصادد الشيطان ) هو كتاب مشهور من كتب السنة ، أودعه مؤلفه رحمه الله مهمات المطالب ، وأبطل به حائل الشيطان ومصادده ، ودسائسه ومكائده ، فلا بدع ان نفرت منه جنوده ، واضطرت منه أعوانه وأولياؤه والله لا يصلح عمل المفسدين .

( قال النبهاني ) في فصل ذكره بعد كلامه السابق : وليت ابن القيم زاد في كتابه المذكور فصلا قال فيه : ومن مصادده أنه يسول الى بعض العلماء الغلو في الدين ، ويحسن تضليل المسلمين بالاستغاثة والزيارة لقبور الانبياء والصالحين ، ويدخل عليهم بحيله الشيطانية ، أن في ذلك شركا برب العالمين ، والامر على خلاف ما أوحاه اليهم هذا اللعين ، فقد أضر بهم ضررا فاحشا في الدين ، الى آخر هذيانه .

جوابه أن يقال - من قبل من يوحد الله ولا يشرك بعبادته أحدا - إخصا ياعدو الله ان الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر والبغي ، والذي أضر بالمسلمين عبادتهم للقبور ، وتلاعبهم بما يعملون في المشاهد والزوايا من المنكرات ، واعراضهم عما استوجبه شريعتهم من اكتساب ما يستوجب السعادتين ، فيا أيها الداعي لعبادة غير الله تعالى كلامك هذا دل عليك أنك من جند ابليس ، بل قد ارتقى بك الحال حتى صار ابليس من جنده ، كما قيل في أخيك ومن يشابهك ويضاهيك :

وكان فتى من جند ابليس فارتقى به الحال حتى صار ابليس من جنده

فنحن بحمد الله لم نزل ممثلين لما ورد من الاوامر في الشريعة الغراء ، منتهين عما نهى الله عنه ورسوله وسائر الانبياء ، لاندعو غير الله ، ولانسأل في المهمات سواء (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١)

فنحن عند المهمات نقول اللهم يامن تحل به عقد المكاره ، ويامن يسكن به حد الشدائد ، ويامن يلتمس منه المخرج الى روح الفرج ، ذلت لقدرتك الصعاب ، وتسببت بلطفك الاسباب ، وجرى بقدرتك القضاء ، ومضت على ارادتك الاشياء ، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة ، وبارادتك دون نهيك منزجرة ، أنت المدعو للمهمات ، وأنت المفزع في الملمات ، لا يندفع منها الا مادفعت ، ولا ينكشف منها الا ما كشفت ، فلا مصدر لما أوردت ، ولا صارف لما وجهت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا مغلق لما فتحت ، ولا ميسر لما عسرت ، ولا ناصر لمن خذلت .

(١) آل عمران : ٨٥

وحيث أن مذكوره النهائي هو وحي شيطاني ، قال تعالى : (وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ  
إلى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) <sup>(١)</sup> وقال تعالى (شَاطِئِنَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى  
بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) <sup>(٢)</sup> "وجب أن نستعيد منه ، فإن شياطين الانس أشد  
ضرا من شياطين الجن ، فنقول : اللهم انا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم ومكائده ،  
ومن الثقة بأمانيه ومواعيده ، وغروره ومصائده ، وأن يطمع نفسه في اضلالنا عن  
طاعتك ، وامتهانتنا بمعصيتك ، وأن يحسن عندنا ما حسن لنا ، وأن يثقل علينا ما كره  
الينا ، اللهم اخسأه عنا بعبادتك ، واكتبه بجدنا في محبتك ، واجعل بيننا وبينه سترا  
لا يهتكه ، وردما مصمتا لا يفتقه ، اللهم أشغله عنا ببعض أعدائك ، واعصمنا منه  
بحسن رعايتك ، واكفنا خطره ، وولنا ظهره ، واقطع عنا أثره ، اللهم ومتعنا من  
الهدى بمثل ضلالته ، وزودنا من التقوى ضد غوايته ، واسلك بنا من التقى خلاف  
سبيله من الردى ، اللهم لاتجعل له في قلوبنا مدخلا ، ولا توطن له فيما لدينا منزلا ،  
اللهم وما سول لنا من باطل فعرّفناه ، واذا عرفتناه فقناه وبصرنا ما نكايده به ،  
وأهلبنا مانعه له ، وأيقظنا عن سنة الغفلة بالركون اليه ، وأحسن بتوفيقك عوننا  
عليه ، اللهم واشرب قلوبنا انكار علمه ، وألطف لنا في نقض حيله ، وحول سلطانه  
عنا ، واقطع رجاءه منا ، واذراه عن الولوع بنا ، واجعلنا منه في حرز حارز ، وحصن  
حافظ ، وكهف مانع ، وألبسنا منه جننا واقية ، وأعطنا عليه أسلحة ماضية ، اللهم  
واعم بذلك من شهد لك بالربوبية ، وأخلص لك بالوحدانية ، وعاداه لك بحقيقة  
العبودية ، واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربانية ، اللهم احلل ماعقد ، وافتق  
مارتق ، وافسخ مادبر ، وثبطه اذا عزم ، وانقض ما أبرم ، اللهم واهزم جنده ، وابطل  
كيد ، واهدم كهفه ، وأرغم أنفه ، اللهم اجعلنا في نظم أعدائه ، واعزلنا عن عداد  
أوليائه ، لانطيع له اذا استهوانا ، ولا نستجيب له اذا دعانا ، نأمر بمنائواته من أطاع  
أمرنا ، ونعظ بمنابعتة من اتبع زجرنا ، اللهم وأعدنا مما استعدنا منه ، وأجرنا مما  
استجرنا بك من خوفه ، واسمع لنا مادعونا به ، وأعطنا ما أغفلناه ، واحفظ لنا  
مانسيناه ، وصيرنا بذلك في درجات الصالحين ومراتب المؤمنين ، آمين يارب  
العالمين •

ثم ان مانسب الى الاولياء مما يحبه ويهواه من الباطل والضلال سنتكلم عليه  
ان شاء الله ، ونبطل دعواه فيه ، ولا سيما مانسب للشيخ عبد القادر ، وسنذكر من

(١) الانعام : ١٢١ . (٢) الانعام : ١١٣

كلامه ما يدل على أنه كان أحرص الناس على التوحيد ، وتمييره عن المسلمين - الذين أخلصوا وجوههم لله - باللقاب المستكرهة هو من خصال أهل الجاهلية من المشركين والكتابين ، فلقب أهل الهدى تارة بالوهابية ، وأخرى بالحشوية ، ومرة بالمجسة ، كما كان أسلافه يسون من خرج عن دينهم بالصابي ، وسما رسول الله صلى الله عليه وسلم صائبيا ، كما ورد ذلك في عدة أحاديث صحيحة تنفيرا للناس عن اتباع غير سبيلهم ، وهكذا تجد كثيرا من هذه الامة يطلقون على من خالفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء يكرهها الناس ، ويستشعها العوام ، وجميع ما ذكره النبهاني في هذا المقام مما يتعلق بالسفر الى الزيارة والاستغاثة بغير الله قد مر الكلام على ابطاله .

( قال النبهاني ) في الرد على ما منعه ابن القيم من ضرب المثل - بالملك وقضاء حاجات المستشفعين له بوزرائه وخواصه - لله تعالى في قضاء حاجات المستشفعين له بانيائه وعباده الصالحين ، وبعد نقل منعه قال النبهاني : ومنعه ممنوع ، لان ذلك من قبيل التشبيه ، وهو واقع في القرآن بقوله تعالى :

( مَثَلُ نُورٍ كَمِثْلِكَ فِيهَا مِصْبَاحٌ )<sup>(١)</sup>

الى أن قال : وانما حمل ابن القيم على منعه والاطالة في تهجينه كون ذلك يفيد جواز الاستغاثة بخواص عبيده المقربين ، من الانبياء والصالحين ، ثم نقل لابن القيم عبارة ذكرها في ( جلاء الافهام في الصلاة على خير الانام ) في الفائدة التاسعة والثلاثين من فوائده ، مما يفيد بزعمه تشبيه الخالق بالمخلوق ، ونقل عن القسطلاني والشعراني وعلي الخواص وغيرهم ما يفيد أيضا جواز قياس الخالق على المخلوق وتشبيهه بخلقه .

( جوابه ) أن النبهاني هذا قد لبس في هذه المسألة وحرف وأوهم ، فلزم نقل عبارة ابن القيم أولا وما يوافقها ، ثم الكلام على باطل النبهاني وجهله .

فنقول : قال الحافظ ابن القيم في كتابه ( اغاثة اللفهان ) في فصل الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين : أما زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء : ( أحدها ) تذكر الآخرة والاعتبار والاعتماظ ، وقد أشار النبي عليه السلام الى ذلك بقوله : ( زوروا القبور فانها تذكركم بالآخرة ) .

(١) سورة النور : ٣٥



(الثاني) الاحسان الى الميت ، وأن لا يطول عهده به فيحجره ويتناساه ، كما اذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه ، فاذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك ، فالميت أولى ، لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها اخوانهم وأهلهم ومعارفهم ، فاذا زاره وأهدى اليه هدية من دعاء أو صدقة أو اهداء قرينة ازداد بذلك سروره وفرحه كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له ، ولهذا شرع النبي صلى الله عليه وسلم للزائر أن يدعو لهم ، ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم •

(الثالث) احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ماشرعه الرسول عليه السلام ، فيحسن الى نفسه والى المزور •

(وأما الزيارة الشركية) فأصلها مأخوذ من عباد الاصنام ، قالوا : الميت المعظم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتيه الالطاف من الله تعالى ، ويفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له ، قالوا فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ، ويعكف بهمته عليه ، ويوجه قصده كله واقباله عليه ، بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره ، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب الى انتفاعه به ، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما ، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها ، وقالوا : اذا تعلق النفس الناطقة بالارواح العلوية فاض عليها منها النور ، وبهذا السر عبت الكواكب ، واتخذت لها الهياكل ، وصنفت لها الدعوات ، واتخذت الاصنام المجسدة لها •

وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا ، وتعليق الستور عليها ، وايقاد السرج عليها ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون في طريقه ، وناقضوه في فصده ، وكان صلى الله عليه وسلم في شق ، وهؤلاء في شق وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى •

قالوا : فان العبد اذا تعلق بروحه بوجه المقرب عند الله وتوجه بهمته اليه وعكف بقلبه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يحدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان ، فهو شديد

التعلق به ، فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به .

فهذا سر عبادة الاصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله ، وتكفير أصحابه ولعنهم ، وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم ، وأوجب لهم النار ، والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهائه وابطال مذهبهم ، ثم سرد عدة آيات ونصوص من ذلك ، وتبين منها أن المشركين انما عبدوا من عبدوا بسبب اتخاذ من سوى الله وسائط بينهم وبينه ، فاذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه فلنا منه أنه اذا قبل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب وما يجب له وما يتمتع عليه ، فان هذا ممنوع ، اذ كيف يقاس الرب تعالى على الملوك والكبراء، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج ، وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي ، والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق ، والرب والعبد ، والمالك والمملوك ، والغني والفقير ، والذي لا حاجة به الى أحد قط ، والمحتاج من كل وجه الى غيره ، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم ، فان قيام مصالحهم بهم ، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام الملوك والكبراء بهم ، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع ، لانهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتتقص طاعتهم لهم ويذهبون الى غيرهم ، فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضى ، فأما الغنى الذي غناه من لوازم ذاته وكل ماسواه فقير اليه بذاته ، كل من في السموات والارض عبيد له مقهورون بقهره مصرّفون بمشيئته لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة . ثم ذكر الدلائل القرآنية على ذلك مما يطول ذكره فراجع كتابه وهو بين الايدي .

فتبين مما نقلناه من عبارته ما لبس به النبهاني وحذف ليروج غرضه الفاسد ، وهو اتخاذ الوسائط بينه وبين الله بناء على ما جوزه من قياس الخالق على المخلوق ، وعلى كلامه الفاسد ينبغي أن تجوز كل عبادة لله أن تجعل لغيره ، ويقال أنه واسطة كما أن الوزير واسطة بين الناس وبين الملك .

وهذا الذي ذكره ابن القيم قد سبقه به شيخه ، وذكر مثله في مواضع ، منها ما قاله في رسالة الواسطة حيث نص فيها أن من أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في

جلب المنافع ودفع المضار - مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه - فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق ، قال تعالى :

( اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ) (١١)

وذكر نصوصا أخر الى أن قال : ومثل هذا كثير في القرآن ، ومن سوى الانبياء - من مشايخ العلم والدين - من أثبتهم وسائط بين الرسول وأمتة يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم ، فقد أصاب في ذلك ، وهؤلاء اذا أجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة ، وان تنازعوا في شيء رد الى الله والرسول ، اذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق ، بل كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ( العلماء ورثة الانبياء ، فإن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر ) . وان أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته - بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، فالله انما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يستلون الله ، كما أن الرسائل عند الملك يسألون الملك الحوائج للناس لقربهم منه ، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب من الطالب للحوائج - فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك ، يجب أن يستتاب فان تاب والا قتل .

وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق ، وجعلوا لله أندادا ، قال : وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى ، فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة .

اما لاخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه ، ومن قال ان الله تعالى لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بها بعض الملائكة أو الانبياء أو غيرهم فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، ولا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ، وهو

السميع البصير ، يسمع ضجيج الاصوات ، باختلاف اللغات على تفضن الحاجات ،  
لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلظه المسائل ، ولا يتبرم بالجاح الملحين •

والوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه الا بأعوان  
يعينونه ، فلا بد له من أنصار وأعوان لذلك وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير  
ولا ولي من الدل ، قال تعالى : ( قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ  
مَشْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ  
مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ  
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا )<sup>(٢)</sup>  
وكل ما في الوجود من الاسباب فهو خالقه وربّه ومليكه ، فهو الغني عن كل ماسواه ،  
وكل ماسواه فقير اليه ، بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم  
في الملك ، والله تعالى ليس له شريك في الملك ، بل لا اله الا الله وحده لا شريك له  
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير •

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والاحسان اليهم  
ورحمتهم الا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه ، أو من  
يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج  
رعيته ، اما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل له من  
الرغبة والرغبة من كلام المدل عليه ، والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه  
وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الاشياء انما تكون  
بمشيئته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو اذا أجرى نفع العباد  
بعضهم على بعض فجعل هذا يحسن الى هذا أو يدعوه له ويشفع فيه ونحو  
ذلك فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع  
من ارادة الدعاء والاحسان والشفاعة ، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه  
على خلاف مراده ، أو يعلمه مالم يكن يعلم ، أو من يرجوه الرب ويخافه ، ولهذا  
قال النبي صلى الله عليه وسلم ( لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم  
ارحمني ان شئت ولكن ليغزم المسألة فان الله لا مكره له ) ، والشفعاء الذين

(١) سبا : ٢٢ . (٢) سورة الاسراء : ١١١

يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه ، وذكر الآيات الدالة على ذلك الى أن قال : فيين أن كل من دعي من دونه ليس له نصيب ولا شرك في الملك ، ولا هو ظهير ، وان شفاعتهم لاتنفع الا لمن أذن له ، وهذا بخلاف الملوك ، فان الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكا لهم في الملك ، وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم ، وتارة لخوفه منهم ، وتارة لجزاء احسانهم اليه ومكافآتهم لايفائهم عليه ، حتى أنه يقبل شفاعة ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد ، حتى لو أنه أعرض عنه زوجته وولده لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة مملوكه فانه اذا لم يقبل شفاعته خاف أن لايطيعه أو أن يسعى في ضرره ، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحد شفاعة أحد الا لرغبته أو رهبته ، فالله تعالى لايرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج الى أحد ، بل هو الغني ، واستشهد بنصوص كثيرة على ذلك وأطبب في الكلام .

( فتين ) مما نقلناه أن قياس الخالق على المخلوق في غاية الفساد ، بل هو قياس مع الفارق من وجوه كثيرة ، ومنه يعلم سقوط كلام النبهي الغبي ، وأنه لايعلم من فن الاصول شيئا أصلا ، ولا عرف باب القياس ولا دراه .

( وأما قوله ) بعد ذكره منع ابن القيم ومنعه ممنوع الخ فهي عبارة تدل على أنه لم يمارس شيئا من العلوم ، ولا قرأ مايقروه المتدثون في طلب العلم وهو علم آداب البحث والمناظرة ، اذ لو شم رائحته لعلم أن المنع لاينفع ، اذ من قواعد أن منع المنع ومنع ما يؤيده لايفيد ، ولولا أن هذه القاعدة من أشهر مسائل هذا الفن لتكلمنا عليها بكلام أكثر من ذلك .

فالحمد لله الذي جعل أعداء الحق وخصماء السنة من أجهل الناس بما يوجب السعادة ، وأضلهم عن سواء السبيل .

( وأما ما نقله ) من الفائدة عن كتاب ( جلاء الافهام ) وزعم أنها تناقض ما ذكره ابن القيم في اغائته من الرد على من قاس الخالق على المخلوق ، فنقول : ليس الامر كما زعم ، ولا مخالفة بين العبارتين ، ومن نقل الفائدة بنصها يتبين ما قلناه من أن النبهي غلط في كلامه ، فقد قال ابن القيم في الكتاب المذكور بعد أن عد تسعا وثلاثين فائدة مانصه :

( الاربعون ) أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من العبد هي دعاء ، ودعاء

العبد وسؤاله من ربه نوعان : ( أحدهما ) سؤاله حوائجه ومهماتة وما ينوبه في الليل والنهار ، فهذا دعاء وسؤال واثار لمحبوب العبد ومطلوبه ( والثاني ) سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه ، ويزيد في تشريفه وتكريسه ، واشادة ذكره ورفعته ، ولأريب أن الله تعالى يجب ذلك ورسوله ، وآثر ذلك على طلبه حوائجه ومجابهة هو ، بل كان هذا المطلوب من أحب الامور اليه وآثرها عنده ، فقد آثر مايجبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على مايجبه هو ، فقد آثر الله ومجابهة على ما سواه ، والجزاء من جنس العمل ، فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره ، واعتبر هذا بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم اذا أرادوا التقرب اليهم والمنزلة عندهم ، فانهم يسألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحب رعيته اليه ، وكلما سألوه أن يزيد في حباثه واكرامه وتشريفه علت منزلتهم عنده وازداد قربهم منه وحظوتهم ، لانهم يعلمون منه ارادة الانعام والتشريف والتكريم لمحبوبه ، فأحبههم اليه أشدهم له سؤالا ورغبة أن يتم عليه انعامه واحسانه ، هذا أمر مشاهد بالحس ولا يكون منزلة هؤلاء ومنزلة من يسأل المطاع حوائجه هو وهو فارغ من سؤاله تشريف محبوبه والانعام عليه واحدة ، فكيف بأعظم محب وأجله لاكرم محبوب وأحقه بمحبة ربه له ؟ ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه الا هذا المطلوب وحده لكفى المؤمن به شرفا الخ .

( هذه هي عبارة جلاء الافهام ) وهي الفائدة الاربعون لا التاسعة والثلاثون كما وهم النبهاني ، وأنت تعلم أن ما أسقطه ولم ينقله شيء كثير ، والذي حذفه هو الذي يوضح المسألة ، وهكذا شأنه يحذف ما عليه وينقل ما لا فائدة له فيه ، وابن القيم رحمه الله أجل من أن يتكلم بما يخالف الكتاب والسنة وما كان عليه السلف ، وكلامه يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا ، فما ذكره في اغاثته من منع اتخاذ الوسائط في الالتجاء اليه تعالى والعبادة والتوكل والنذر وغير ذلك لم يتكلم بخلافه في كتاب من كتبه ، فلا يجوز أن يطلب الرزق من مخلوق ويقصد جعله واسطة في حصول رزقه ، ولا أن يطلب كشف الضر أو تحويله من ملك أو بشر بقصد أن يكونوا وسائط عند الله في هذا المرام كما يستشفع بالوسائط عند الملوك والاكابر ، لما سبق أن هذا قياس مع الفارق وأن اتخاذ الوسائط الى الله فيما لا يقدر عليه الا الله هو شرك المشركين ، وهو الذي أرسل الله لمحوه الانبياء والمرسلين ، وما ذكره في جلاء الافهام من أن سؤال الرب سبحانه أن يثني على رسوله ويشرفه ويتعطف

عليه هو آثر عنده من أن يطلب السائل شيئاً لنفسه .

ثم لتوضيح المسألة قال : واعتبر ذلك بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ، الخ ، أي قس سؤال الله أن يتفضل على خليله وحبيبه وأنه آثر من السؤال أن يتفضل على السائل بسؤال الرعايا للملك أن يتفضل بالطافه على من يعلمون أن الملك يحبه من أمير أو وزير أو أحد الرعايا ، إذ قسته تجد الأمر كما وصف من أن الملك يؤثر لديه هذا السؤال ، وكذلك يقال إذا كان لاب واحد عدة بنين ومنهم من هو أحب إليه من غيره ، فلا شك أن أحد الإبناء إذا سأل أباه أن يخص الابن الذي هو أحب أبنائه باحسان وعطية كان ذلك آثره لدى الاب من أن يسأله أحد الإبناء شيئاً لنفسه ، وهذا من باب ضرب المثل وتوضيح المسألة ، ومن أين هنا اتخاذ الوسائط والاتجاه الى غير الله ، وههنا القياس صحيح والجامع موجود ، فإن الله سبحانه يؤثر لديه سؤال العبد ما هو مرغوب له تعالى على سؤال العبد ما تعود مصلحته اليه كما أن المحسوس كذلك .

فانظر الى غباوة هذا الملحد الزائف حيث لم يفرق بين ما ذكر في ( الاغائة ) وبين ما ذكر في ( جلاء الافهام ) مع أن الفرق كما بين النور والظلام .

ثم ان مانقله عن الشيخ محيي الدين من أنه استعمل هذا القياس في الفتوحات المكية وهو قوله : لما كان الحق تعالى هو السلطان الاعظم ، ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات - مع أنه تعالى لا يقبل المكان - اقتضت المرتبة أن يخلق عرشاً ، ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلاً لعقولهم ، انتهى : لا يدل على مقصده بل على نقيضه ، فإن النبهياني قصد من صحة القياس اتخاذ الوسائط ليقربوه الى الله زلفى ، وهو عين معتقد أهل الشرك .

والشيخ محيي الدين بين سبب خلق العرش ، وأن الله استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج ، والفرق جلي بين المقامين ، ولا مناسبة بين الكلامين . وما نقله عن مسالك الحنفاء للقسطلاني مما يؤيد اتخاذ الوسائط قياساً على ملوك الدنيا مردود على قائله ، والقسطلاني أيضاً كان من الغلاة وكلامه ليس بحجة على المسلمين ، ومدار الاستدلال الكتاب والسنة ، ومفاسد سوء الفهم أكثر من أن تحصى .

( قال النبهياني ) ثم بعد كتابتي هذا رأيت عبارة للإمام أحمد هي من أقوى

الادلة المقنعة لابن القيم وغيره في جواز هذا التشبيه . وهي مذكورة في كتاب ( منهاج السنة ) وهي أن الامام أحمد قال قالت الجهمية - لما وصفنا الله تعالى بهذه الصفات - اذ زعتم أن الله ونوره والله وقدرته والله وعظته فقد قلتم بقول النصارى حين زعتم أن الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته ، قلنا : لأنقول أن الله لم يزل وقدرته ولم يزل ونوره ، ولكن نقول لم يزل الله بقدرته ونوره لامتى قدر ولا كيف قدر ، فقال : لا تكونون موحدين أبدا حتى تقولوا كان الله ولا شيء ، فقلنا : نحن نقول قد كان الله ولا شيء ، ولكن اذا قلنا أن الله لم يزل بصفاته كلها أليس انما نصف الها واحدا بجميع صفاته ؟ وضررنا لهم في ذلك مثلا ، فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها ؟ فكذلك الله تعالى وله المثل الاعلى بجميع صفاته اله واحد ، لا نقول انه قد كان في وقت من الاوقات لا يقدر حتى خلق قدرة والنبي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول قد كان في وقت من الاوقات لا يعلم حتى خلق لنفسه علما والذي لا يعلم هو جاهل ، ولكن نقول : لم يزل الله عالما قادرا مالكا لامتى ولا كيف ، وقد سمي الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال : ( ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا )<sup>(١)</sup> وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله وحيدا بجميع صفاته ، فكذلك الله تعالى - وله المثل الاعلى - هو بجميع صفاته اله واحد .

قال النبھاني : انتهى كلام الامام أحمد بحروفه ، فأنت تراه لم يجعل التشبيه الذي شبهه - بقوله فكذلك الله تعالى - بملك له وزراء ، وانما جعل ذلك التشبيه بجماد وهو النخلة وكافر وهو الوليد بن المغيرة ، فاذا جاز ضرب الجماد والكافر مثلا لله تعالى وصفاته العلية أفلا يجوز ضرب المثل لله تعالى وأنبيائه وعباده الصالحين بملوك الدنيا ووزرائهم وخواصهم ؟ ولعمري إن جواز ذلك أوضح من أن يتردد فيه مثل ابن القيم مع وفرة فهمه ودقة علمه ، ولكن هواه في نصرة تلك البدعة كان حجابا له عن ذلك الخ .

( أقول جوابه ) أن هذا النقل عن الامام صحيح ، وهو من كتابه في الرد على الجهمية ، وهم أصحاب جهم بن صفوان الذي كان يقول بنفي الصفات عن الله

(١) الدرر : ١١



تبارك وتعالى ، والامام أحمد رد عليه وعلى أصحابه برسالة مختصرة ، وهي متداولة بين الايدي ، وقد طبعت في الهند ، وليس فيما نقله النبهاني ما يمس مطلبه والاستدلال بمثل ذلك على جواز اتخاذ الوسائل بين العبد وبين الله في الالتجاء اليه والاستعانة به وغير ذلك ، ويكفي هذا الفهم دليلا على جهل النبهاني وغباوته وافلاسه من كل فضيلة ، ومن العجب أني رأيت كل من كان على هذا المسلك المعوج ذا غباوة وجهل وحجاب على بصيرته ، وذلك قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ )<sup>(١)</sup> وقوله سبحانه : ( وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ . فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ )<sup>(٢)</sup>

ان الامام أحمد قدس الله روحه كان من أجل مشايخ الموحدين ، كيف يقول بجواز اتخاذ الوسائل والوسائل وهو مذهب المشركين ؟ ولكنه تناظر مع الجهمية فيما خالفوا به أهل السنة ، ومن جملة ما ناظرهم به مسألة الصفات ، وقبل هذه العبارة التي نقلها النبهاني عن الشيخ عبارة أخرى ، وبها يتضح المراد .

قال الامام : وقلنا للجهمية من القائل يوم القيامة ( يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه )<sup>(٣)</sup> أليس الله هو القائل قالوا : يكون الله شيئا يعبر عن الله كما كون شيئا فعبير لموسى .

فقلنا : فمن القائل : ( فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ . فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعَلْمٍ وَما كُنَّا غَائِبِينَ )<sup>(٤)</sup> أليس الله هو الذي يسأل ؟ قالوا : هذا كله انما يكون شيئا يعبر عن الله .

فقلنا لهم : قد أعظمت على الله الفرية حين زعتم أنه لا يتكلم ، فشبهتموه بالاصنام التي تعبد من دون الله ، لأن الاصنام لا تتكلم ولا تنطق ولا تتحرك ولا تزول من مكان الى مكان ، فلما ظهرت عليهم الحجة قالوا ان الله قد تكلم لكن كلامه مخلوق .

(١) البقرة ٦ ، ٧ - (٢) الملك : ١٠ ، ١١ - (٣) سورة المائدة : ١١٦ - (٤) الاعراف : ٦ ، ٧

فقلنا وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق فشبهم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق ، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الاوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاما ، فجمعتهم بين كفر وتشبيه ، فتعالى الله عن هذه الصفة علوا كبيرا ، بل نقول : ان الله لم يزل متكلما اذا شاء ، ولا نقول إنه قد كان لا يتكلم حتى خلق كلاما ، ولا نقول انه قد كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم : ولا نقول انه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ، ولا نقول انه قد كان ولا نور حتى خلق لنفسه نورا ، ولا نقول انه قد كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة •

فقال الجهمية لنا لما وصفنا الله بهذه الصفات : ان زعمتم أن الله ونوره والله وعظمته والله وقدرته فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره الى آخر ما سبق نقله ، انتهى •

فالمقصود من كلام الامام أحمد من ضرب النخلة والوحيد مثلا : أن الذات المتصفة بصفات تنصف بالوحدانية ، لأن الصفات لا تستقل بنفسها ، ولا يمكن انفكاها عن الذات الا في الذهن ، واعتراض الجهمية والمعتزلة لا يرد على أهل السنة ، ومذهب النصارى لا يصلح نقضا ، فانهم أثبتوا الاقائيم الثلاثة وكل منها مستقل ، فالتعدد متحقق ، وأما المجتوبون للصفات فعندهم أن الذات لا تنفك عنها أصلا ، والتعدد منتف ، وتفصيل ذلك في كتب الكلام ، والامام مثل لصحة اطلاق الواحد على الذات المتصفة بالصفات بما هو أبلغ منه وهو اطلاق اسم النخلة على ما تركب من جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار ، وسمى الوليد بن المغيرة المخزومي وحيدا مع ماله من الاعضاء والاجزاء المحسوسة ، وهكذا الحائط ، والمركب ، والسرير ، والكتاب ، الى ما لا يحصى من الاشياء التي استحققت اطلاق لفظ الواحد مع تعدد ما تركبت منه ، فكيف لا يتحد ولا يطلق الواحد على المتصف بالصفات •

فالامام أحمد لم يشبه رب العالمين بالنخلة ولا بالوليد ولا بغيرهما من المخلوقات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، انما شبه اطلاق الواحد على الله باطلاقه على أشياء تركبت من أمور كثيرة كان ينبغي أن لا يطلق عليها ذلك ، فاطلاقه على الذات المتصفة بالصفات أولى بالجواز والصحة •

فانظر الى سوء فهم النبهاني كيف فهم من عبارة الامام مافهم ، وأوقعه جهله في مهواة من الضلال حتى زعم أن الامام شبه اله العالمين بالنخلة ونحوها ، كل ذلك

غراما منه باتخاذ الوساطة وعبادة غير الله تعالى ، قاتله الله ماأضله وأكفره .  
ثم ان من مزيد جهله جعل النخلة من الجماد ، ولا يصلح ذلك لغة ولا عرفا ،  
ولا حقيقة ولا مجازا ، بل النخلة هي من الشجر ، وبذلك ورد الحديث الصحيح  
حيث شبهها بالمؤمن ، والحمد لله الذي جعل أعداء السنة والحق من الذين لا يفرقون  
بين النبات والجماد ، وشبهوا الخالق بالمخلوق ، وخطبوا في أعمالهم وعقائدهم خبط  
عسواء .

والكلام على استدلال النبهاني بقوله تعالى : ( **مِثْلُ نُوْرِهِ كَمِثْكَأَةِ** )  
كالكلام على ماسبق ، على أن في المراد بالنور أقوالا ليس هذا موضع ذكرها .

( قال النبهاني ) وقد قال ابن القيم نفسه في كتابه ( طريق الهجرتين ) في فصل  
مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها : وهم ثمانى عشرة طبقة الطبقة الاولى  
وهي العليا على الاطلاق مرتبة الرسالة ، فأكرم الخلق على الله وأخصهم بانزلى  
لديه رسله ، وهم المصطفون من عباده ، الى أن قال : ويكفي في فضلهم وشرفهم أن  
الله سبحانه اختصهم لوحيه ، وجعلهم أمناء على رسالته ، وواسطة بينه وبين عباده  
وخصهم بأنواع كراماته ، فمنهم من اتخذه خليلا ، ومنهم من كلمه تكلما ، ومنهم من  
رفعه مكانا عليا على سائرهم درجات ، ولم يجعل لعباده وصولا الا من طريقهم ،  
ولا دخولا الى الجنة الا خلفهم ، ولم يكرم أحدا بكرامة الا على أيديهم ، فهم أقرب  
الى الخلق اليه وسيلة ، وأرفعهم عنده درجة ، وأحبهم اليه ، وأكرمهم عليه ، وبالجملة  
فخير الدنيا والآخرة انما ناله العباد على أيديهم ، وبهم عرف الله ، وبهم عبد وأطيع ،  
وبهم حصلت محابه تعالى في الارض ، وأعلاهم منزلة أولوا العزم منهم المذكورون في  
قوله تعالى : ( **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**  
**وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى** )<sup>(١)</sup> وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق ،  
وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها الى خاتمهم وأفضلهم .

( قال النبهاني ) انتهت عبارته رحمه الله ، فاذا كان هو بنفسه يصفهم بهذه  
الاصواف الجميلة التي هم أهلها ومحلها ، وقد صرح فيها بأنهم واسطة بينه تعالى  
وبين عباده ، وأنهم أقرب الخلق اليه تعالى وسيلة ، وأن خير الدنيا والآخرة انما

(١) الشورى : ١٣

ناله العباد على أيديهم ، فما الذي جرى له بعد ذلك حتى تبع شيخه ابن تيمية في منع الاستغانة بهم الى الله تعالى ، وجعلهم واسطة بين العباد وبينه عز وجل ، ووسيلة الى قضاء حوائجهم الدنيوية والاخرية ، أفلا يعد هذا من ابن القيم تناقضا ؟ انتهى •

( أقول في الجواب ) ان ابن القيم رحمه الله وكذلك شيخه ومن على مناهجهم من أكثر الناس حبا للانبياء والرسل عليهم السلام ، وكتبهم طائفة بيان ما يجب لهم من التوقير والاحترام ، وفي كتاب ( مفتاح دار السعادة ) بحث مفصل في بيان حاجة الناس اليهم وما يجب من العمل بهديهم ، حتى قال : ان العالم لو خلا من هديهم فسد وخرج عن نظامه الى آخر ما تكلم به ، ومن مزيد محبتهم له وتوقيرهم اياه حافظوا على هديهم وسنتهم وما جاؤا به من عند الله ، ومن هديهم تخصيص الله تعالى بالعبادة والاتجاه اليه ، والنذر له والتوكل عليه ، وندائه في المهمات ، والاستعانة به في طلب الحاجات ، الى غير ذلك من تخصيصه بخصائص الربوئية والالوهية •

وما نقله النبهاني عن ابن القيم هو معتقد كل مسلم حنيف يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فضلا عن شيخ الاسلام ، ومن كان على سننه من الائمة الاعلام - ولا شك أن رسل الله هم الوسائط العظمى بين الله وبين المكلفين من عباده في تبليغ شرائعه وما يريده سبحانه من عباده ، وبيان أسباب السعادة الدنيوية والاخرية ، لا أنهم وسائط بالمعنى الذي فهمه الغبي النبهاني ، حتى زعم أن ذلك مراد ابن القيم ، وأخذ يوبخه بقوله فما الذي جرى له بعد ذلك حتى تبع شيخه ابن تيمية في منع الاستغانة بهم الى الله الخ ، بل المراد بالوسائط في كلامه بالمعنى الذي ذكرناه ، وعليه أئمة الدين ، وأكابر الموحدين •

( قال شيخ الاسلام قدس الله روحه ) - في الجواب عن سؤال فيه أن رجلين تناظرا ، فقال أحدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لا نقدر أن نصل اليه بغير ذلك - الحمد لله رب العالمين ، ان أراد بذلك أنه لا يبد من واسطة يبلغنا أمر الله فهذا حق ، فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ، وما أمر به وما نهى عنه ، وما أعده لاوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحقه الله من أسمائه الحسنی وصفاته العلیا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى الى عباده ، فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة •  
وأما المخالفون للرسل فانهم ملعونون ، وهم عن ربهم ضالون محجوبون ، قال

الله تعالى : ( يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ  
 اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
 وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) (١) وقال تعالى :  
 (فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ  
 أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ  
 رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ آيَاتِنَا فَانصُرْهَا  
 وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَرُ ) (٢)

قال ابن عباس : تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في  
 الدنيا ولا يشقى في الآخرة .

وقال تعالى عن أهل النار : ( كَلِمًا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ  
 نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ  
 إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ) (٣) وقال تعالى : ( وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى  
 جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ  
 رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى  
 وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ) (٤)

وقال تعالى : ( وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ  
 وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ  
 الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ) (٥) وقال تعالى : ( إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى  
 نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

(١) الاعراف : ٢٥ ، ٢٦ - (٢) طه . ١٢٢ - ١٢٥ - (٣) الملك : ٦٨ - (٤) الزمر : ٧١ -

(٥) الانعام : ٤٨ ، ٤٩

والأسباط وعيسى وإثوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً  
ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلنا لم نتصصهم عليك وكلم الله  
موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومُنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة  
بعد الرسل (١) ومثل هذا في القرآن كثير .

وهذا مما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ، فانهم يشتون  
الوسائط بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله تعالى أمره وخبره .  
قال تعالى : ( اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ) (٢)  
ومن أنكروه هذه الوسائط فهو كافر باجماع أهل الملل .

والسور التي أنزلها الله تعالى بمكة - مثل الانعام والاعراف وذوات آسر .  
وحج وطس . ونحو ذلك هي - متضمنة لاصول الدين : كالايمان بالله ورسله واليوم  
الآخر ، وقد قص الله تعالى قصص الكفار الذين كذبوا الرسل ، وكيف أهلكهم  
ونصر رسله والذين آمنوا ، قال تعالى : ( وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ .  
إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ) (٣) وقال : ( إِنَّا لَنَنْصُرُ  
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ) (٤)

فهذه الوسائط تطاع وتبغ ويقتدى بها كما قال : ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ  
إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ) (٥) وقال تعالى : ( مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ  
اللَّهَ ) (٦) وقال تعالى ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) (٧)  
وقال : ( فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ  
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) (٨) وقال تعالى : ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ  
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ) (٩)

(١) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ - (٢) الحج : ٧٥ - (٣) الصفات : ١٧١ - ١٧٣ - (٤) غافر : ٥١ -

(٥) النساء : ٦٤ - (٦) النساء : ٨٠ - (٧) آل عمران : ٣١ - (٨) الاعراف : ١٥٧ -

(٩) الاحزاب : ٢١

( قال وان أراد بالواسطة ) انه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار - مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم ، يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه - ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء ، يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، الى آخر ما نقلناه سابقا من كلام شيخ الاسلام عليه الرحمة .

وبه علم أن النبهاني مخطيء فيما فهم من كلام ابن القيم ، ومعناه الصحيح ما ذكره شيخ الاسلام وجمهور أهل الايمان ، وان كان بعيدا عن فهم النبهاني وسائر الغلاة .

( قال النبهاني ) ومثل تناقضه هذا تناقضه الواقع في عبارته السابقة الشيعة المعبرة عن القبر المزار بالوثن وأوصاف الزائرين التي ذكرها هي أوصاف زواره صلى الله عليه وسلم ، وقد اتبع الحق بقصيدته التونية ، فذكر فيها أن الله تعالى قد استجاب دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم وهو قوله : ( اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد ) فاستجاب الله دعاءه ، وهذه آيات ابن القيم :

ولقد نهانا ان نصير قبره	عيدا حذار الشرك بالديان
ودعا بأن لايجعل القبر الذي	قد ضمه وثنا من الاوثان
فاجاب رب العالمين دعاءه	وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت ارجاؤه بدعائه	في عزة وحماية وصيان

وجميع الاوصاف الجميلة التي ذكرها في عبارته السابقة للانبياء عليهم السلام لاشك أنها تؤهلهم لمرتبة الاستغاثة بهم الى الله لقضاء حوائج المستغيثين الى آخر كلامه .

( أقول جوابه ) أن ما ذكره هذا المعترض من النقل والتصرف فيه مما هو من شأن القبوريين والغلاة كافة ، ويزيد عليهم هذا بما في كلامه وتصرفه في كلام غيره من الخطأ والتليس ، والقصور في الفهم ، والتقصير في النظر ، كفهمة من كلام العلماء مالم يريدوه ، ومخالفته لهم فيما قصدوه ، والزامه لهم مالم يعتقدوه ، وحكمه عليهم بالظن الكاذب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ) بل دأب هذا الضال - كأسلافه - التمسك بالامور المتشابهة الخفية ، والاعراض عن الاشياء المحكمة الواضحة ، كما أن عاداته الاعتماد على حديث ضعيف أو مكذوب ، أو خبر متشابه لا يدل على المطلوب ، وليس هذا طريق العلماء القاصدين

لايضاح الدين ، وارشاد المسلمين ، نعوذ بالله من اتباع الهوى .  
 ( زعم هنا النبهاني ) ان الشيخ ابن القيم تناقض كلامه في كتابين حيث ذكر  
 ( في اغاثته ) أن الاستغاثة بغير الله شرك ودعاء غير الله ضلال ، وبرهن على ذلك  
 بما هو معلوم لاهل العلم والنظر ، ففهم منه ان من استغاث بالنبي صلى الله عليه  
 وسلم عند قبره فقد عبده من دون الله ، فلزم أن يكون قبره وثنا . ( وفي التونية )  
 وهي منظومته المسماة بالكافية الشافية يقول مامعناه : ان النبي صلى الله عليه وسلم  
 دعا الله ان لايجعل قبره وثنا يعبد ، وان الله تعالى استجاب دعاءه ، ولم يجعل  
 قبره وثنا يعبد . ( ففهم ) من كلامه ان الله استجاب دعاءه . ان ما يفعله الزائرون  
 من الاستغاثة والتوسل وسائر الاعمال ليس كما يزعمه المانعون من انها شرك ، هذا  
 حاصل ماتوهمه النبهاني في كلام ابن القيم من التناقض والمخالفة .

وهذا هو اللائق بفهم النبهاني ومن ختم الله على قلبه وجعل علي سمعهم  
 وأبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ، وقد مر الجواب عما فهمه هذا الغبي فيما  
 نقلناه من كلام شيخ الاسلام المتعلق بزيارة القبور ، ومنه قوله : ان لفظ زيارة قبره  
 صلى الله عليه وسلم ليس المراد بها نظير المراد بزيارة قبر غيره يوصل اليه ويجلس  
 عنده ، ويتمكن الزائر مما يفعله الزائرون للقبور عندها من سنة وبدعة ، وأما هو  
 صلى الله عليه وسلم فلا سبيل لاحد أن يصل الا الى مسجده لا يدخل أحد بيته  
 ولا يصل الى قبره ، بل دفنوه في بيته بخلاف غيره فانهم دفنوه في الصحراء ، كما في  
 الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته : ( لعن الله  
 اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا . قالت عائشة :  
 ولولا ذلك لابرز قبره ، ولكن كره ان يتخذ مسجدا ) فدفن في بيته لئلا يتخذ قبره  
 مسجدا ولا وثنا ولا عيدا ، فان في سنن أبي داود من حديث أحمد بن صالح عن عبد  
 الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لاتجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبوري عيدا  
 وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم ) . وفي الموطأ وغيره عنه أنه قال : ( اللهم  
 لاتجعل قبوري وثنا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم  
 مساجد ) وفي صحيح مسلم عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : ( ان من كان قبلكم  
 كانوا يتخذون القبور مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أنهاكس  
 عن ذلك ) . فلما لعن من يتخذ القبور مساجد تحذيرا لامته من ذلك ونهاهم عن



ذلك ونهاهم أن يتخذوا قبره عيداً : دفن في حجرته لئلا يتمكن أحد من ذلك ، وكانت عائشة ساكنة فيها فلم يكن في حياتها أحد يدخل لذلك إنما يدخلون إليها هي ، ولما توفيت لم يبق بها أحد ، ثم لما أدخلت في المسجد سدت وبني الجدار البراني عليها ، فما بقي أحد يتمكن من زيارة قبره كالزيارة المعروفة عند قبر غيره سواء كانت سنوية أو بدعية ، بل إنما يصل الناس إلى مسجده ، ولم يكن السلف يطلقون على هذا زيارة لقبره ، ولا يعرف عن أحد من الصحابة لفظ زيارة قبره البتة ، ولم يتكلموا بذلك ، وكذلك عامة التابعين لا يعرف هذا في كلامهم ، فإن هذا المعنى ممتنع عندهم فلم يعبروا عن وجوده ، وقد نهى عن اتخاذ بيته وقبره عيداً ، وسأل الله تعالى أن لا يجعله وثناً ، ونهى عن اتخاذ القبور مساجد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ( اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ) ولهذا كره مالك وغيره أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان السلف ينطقون بهذا لم يكرهه مالك ، وقد باشر التابعين بالمدينة وهم أعلمهم الناس بمثل ذلك ، ولو كان في هذا حديث معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم لعرفه هؤلاء ، ولم يكره مالك وأمثاله من علماء المدينة الأخبار بلفظ تكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان رضي الله عنه يتحرى ألفاظ الرسول في الحديث فكيف يكره النطق بلفظه ، لكن طائفة من العلماء سمو هذا زيارة لقبره وهم لا يخالفون مالكاً ومن معه في المعنى ، بل الذي يستحبه أولئك من الصلاة والسلام وطلب الوسيلة ونحو ذلك في مسجده يستحبه هؤلاء ، لكن هؤلاء سمو هذا زيارة لقبره وأولئك كرهوا أن يسموا هذا زيارة لقبره ، وقد حدث من بعض المتأخرين في ذلك بدع لم يستحبه أحد من الأئمة الأربعة ، كسؤاله الاستغفار ، وزاد بعض الجهال ما هو محرم أو كفر باجماع المسلمين كالسجود للحجرة والطواف بها وأمثال ذلك مما نيس هذا موضعه : إلى آخر ما قدمناه من الكلام النفيس .

( وبما نقلناه ) يتبين أنه لا تناقض ولا مخالفة في كلام الشيخ ابن القيم ، وإن ماهدى البهائي به سقط من أصله ، وكان من أوضح الدلائل على ضلاله وجهله .  
( قال البهائي ) في فصله الثاني في الكلام على كتاب ( الصارم المنكي في الرد على السبكي ) للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحبلي المقدسي : ألقه في الرد على كتاب ( شفاء السقام في زيارة خير الأنام ) . منتصراً لشيخه ابن تيمية في بدعته ومنعه الاستغاثة والسفر لزيارته صلى الله عليه وسلم ، قال

و كنت حين ابتدأت بمطالعتة تعجبت من شدة جرأته على هذا الامام ، بل على سيد الانام عليه الصلاة والسلام ، اذ رأيتة قد بذل أقصى ما في وسعه ليثبت أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لامزية له بعد موته ، وانه مثل آحاد الناس ، وكل حديث أو أثر أو قول عالم ورد بعكس عقيدته يجتهد في تأويله ، أو اثبات أنه موضوع ، وكان السبكي أثبت بتلك الاحاديث والآثار مناقب أحد أعدائه ، فهو يبذل جهده في تزييفها ، ويتكلف في كثير منها بحيث يظهر لكل من طالع كتابه أنه شديد التكلف والتعصب والتعسف وأنه رجل متهور ، مراده المحاماة عن بدعة شيخه بحق أو باطل ، ومع ذلك لم يخطر لي أن أكتب شيئاً في هذا الشأن - مع ظهور اساءته في ذلك واحسان السبكي كل الاحسان - لأن التحكك بالبدعة يزيدا اشتهارا ، وذكرها ولو للرد عليها يزيدا انتشارا ، وقلت كفى المحسن احسانه والمسيء اساءته ، الى آخر ما قال .

( هذا نقد ) النبهاني على كتاب ( الصارم المنكي ) وهو لا يستحق الجواب عن كلامه هذا لفساد مبناه ومعناه ، وعبارته ركيكة جدا ليست بعبارة تصدر عن طلبة العلم فضلا عن يدعي دعواه ، وهذا الرجل كما بينا سابقا جهله عند بيان سقطاته وغلطاته عار عن كل فضيلة ، لا علم ولا أدب ، ولا فضل ولا حسب ، ولا حياء ولا ايمان ، ولا تقوى ولا عرفان ، ونحن نبين ذلك ان شاء الله كما بيناه سابقا بالبرهان .

( أما مصنف كتاب الصارم المنكي ) فهو الفقيه الحنبلي المقرئ المحدث الحافظ الناقد النحوي المتفنن الجليل الراسخ عليه الرحمة والرضوان ، قال المؤرخون - ومنهم صاحب الشذرات - ولد في رجب سنة أربع أو خمس أو ست وسبعمائة ، وتوفي سنة أربع وأربعين في جمادى الآخرة ، وعمره أربعون سنة أو أقل ، وسمع من خلق كثير ، منهم الحجار ، وعني بالحديث وفنونه ، وبرع في ذلك وأفنى ، ودرس ولازم شيخ الاسلام ابن تيمية مدة ، وأخذ عن الذهبي وغيره ، وقد ذكره في طبقات الحفاظ ، قال وصنف التصانيف الكثيرة بعضها كمل وبعضها لم يكمل لهجوم المنية عليه ، وله توسع في العلوم والفقه والاصلين ، وذهن سيال ، وعدة محفوظات ، وعدنه ابن رجب في طبقاته ما يزيد على سبعين مصنفا ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، انتهى ملخصا .

ومن أعدل الشواهد على فضله ، وكمال اطلاعه ومزيد انصافه كتاب ( الصارم

المنكى في الرد على السبكي ) • فقد أجاد فيه وأفاد ، وميز الحق من الالحاد ، ولو لم تكن له حسنة سوى هذا الكتاب لكفاه ثوابا يوم الحساب ، وبه ظهر زيف السبكي وما بهرج به من الباطل ، وتبين أنه كان من أجهل الناس بعلم الحديث ، مباريا معجبا برأيه متبعا لهواه ، ذاهبا في كثير مما يعتقدده الى الاقوال الشاذة والآراء الساقطة • ومن طالع كتاب الصارم - وكان من أهل الفضل والانصاف - علم أن ما قلناه هو غيظ من فيض ، وقطرة من بحر ، فالله تعالى المسئول ان يجزيه عن كتابه ( الصارم المنكى ) خير الجزاء ، وينفع به المسلمين في كافة الاقطار والانحاء • ولا بدع من النبهاني الضليل ، اذ صدر منه ما صدر في حق هذا الفاضل الجليل ، وما أحسن ما قيل :

وإذا أتتك بدمتني من ناقص فهي الشهادة لسي بأني كامل

وفي هذا المعنى قول الآخر :

لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امريء غير طائل  
واني شقي باللئام ولا أرى شقيا لهم الا كريم الثمائل  
وكل امريء الفى أباه مقصرا عدو لاهل المكرمات الافاضل

(وقال آخر ) :

اذا مانالت السفهاء عرضي ولم يخشوا من العقلاء لوما  
كسوت من السكوت فمي لثاما وقلت نذرت للرحمن صوما

ومما يحسن أن ينشد على لسان الفاضل صاحب الرد على السبكي من تناول مثل هذا المخذول :

لقد صبرت على المكروه أسمعته من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا  
وفيك داريت قوما لاخلاق لهم لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

( أيها النبهاني ) قد سمعت ما سمعت من خطابي وبياني :

ولقد أقول لمن تحرش باللهوى عرضت نفسك للبلا فاستهدف  
أما سمعت قول الامام الشافعي رضي الله عنه حيث قال :

اذا رمت أن تحيا سليما من الاذى وحظك موفور وعرضك صين  
لسانك لا تذكر به عورة امريء فكلك عورات وللناس السن  
وعينك ان أرتك يوما نقيصة لناس فقل يا عين للناس أعين  
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتتي هي أحسن

كان الاليق بحالك أن لاتسلك هذه المسالك ، فما أنت وهؤلاء القوم ، وهم المشهورون بالفضل من عصرهم الى اليوم •  
وللحروب رجال يعرفون بها وللدواوين حساب وكتاب  
أما سمعت قول القائل :

أضحى يسد فم الافعى باصبعه يكفيه ماذا يلاقي منه أصبعه  
لقد فات مافات، وهيئات تدارك ذلك وهيئات •  
إذا ما أراد الله ذل قبيلة رماها بتشتيت الهوى والتخاذل  
وأول خبث الماء خبث ترابه وأول لؤم القوم لؤم الجلائل

ثم ان النبھاني ذكر عبارة القسطلاني عن كتاب ( شفاء السقام ) للسبكي أن مصنفه شفى به صدور المؤمنين ، ونقل عن ابن حجر ما قاله في كتابه ( الجوهر المنظم ) من التلويح بدم ( الصارم المنكى ) •

فنقول له : ان هذا ليس بمستغرب ، فالكل عن مشرب واحد ، ولقد تشابهت قلوبهم ، وهذا بعض ما تكن صدورهم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، وقد حكى الله سبحانه عن اخوانهم ما هو من هذا القبيل ، قال سبحانه ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيءُ أَنْ يُضْرَبَ مِثْلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مِثْلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ) (١)

ثم ذكر حاصل ما اشتمل عليه الكتاب وان الاحاديث التي ضعفها كلها صحيحة، وانما فعل ذلك ترويجا لبدعة شيخه ابن تيمية •

فنقول : قد سبق الجواب عن كل ذلك ، وذكرنا معنى السنة والبدعة ، ومن الاحق ان يسمى مبتدعا من يوحد الله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ، أم من أعرض عن الله وعبادته ، والتجأ الى أهل القبور ، الذين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟! ••

( قال النبھاني ) وما مثل من رد على الامام السبكي لاسيما في مثل هذا المقام الا :

(١) البقرة : ٢٦

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل  
ومع ذلك فقد رأيت الصواب في مثله الاهمال ، وعدم التعرض له بحال من  
الاحوال ، الى أن قال : ثم رأيت له عبارة لا يجوز السكوت عليها لانتشار كتابه  
وطبعه قد رد بها على الامام السبكي في عبارة بين فيها وجوب تعظيم النبي صلى الله  
عليه وسلم ، فرأيت من اللازم ذكر العبارتين ، وبيان ما في عبارته من الخطأ والمين ،  
ثم انه أورد أولا عبارة السبكي فقال :

( عبارة الامام السبكي ) قال : والقرآن كله والاجماع المعلوم من الديسن  
بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف الصالحين على  
وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، والمبالغة في ذلك : ومن تأمل القرآن  
وما تضمنه من التصريح والاياء الى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والادب معه  
صلى الله عليه وسلم وما كان الصحابة يعاملونه به من ذلك امتلا قلبه ايمانا . ثم  
أورد النبهاني العبارة الاخرى فقال :

( عبارة ابن عبد الهادي ) وقوله - يعني السبكي - ان المبالغة في تعظيمه  
واجبة ، أيريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيما - حتى الحج الى قبره ،  
والسجود له ، والطواف به ، واعتقاد انه يعلم الغيب ، وانه يعطي ويمنع ، ويمسك  
لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع ، وانه يقضي حوائج السائلين ، ويفسح  
كربات المكروبين ، وانه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء - فدعوى وجوب  
المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين . انتهت عبارته .  
( ثم قال النبهاني معترضاً عليه ) انه قد كذب في بعض عبارته على أهل السنة  
وهو في بعضها من أقبح المكابرين ، أما ما كذب به فقله حتى الحج الى قبره والسجود  
له والطواف به ، فهذا من أشنع الكذب الظاهر ، والاختلاق الفاحش ، فانه لم  
يقبل احد بجواز شيء من ذلك من أهل السنة والجماعة القائلين بأن السفر لزيارته  
صلى الله عليه وسلم من أجل القربات ، وأعظم الطاعات ، فكيف جاز له التعبد بتلك  
العبارات ، ومعلوم بأن أجهل المسلمين يفرق بين حج البيت الحرام وزيارة خير الانام ،  
بأن الحج فرض والزيارة سنة . وكذلك لا يعتقد أحد مشروعية الطواف به  
كالطواف بالبيت الحرام . وكذلك السجود له لم يجوزه أحد ، ثم أطال الكلام .  
وحاصل ما ذكر انه صلى الله عليه وسلم قد أطلعه الله على غيوب كثيرة ، وذكر  
بعض أكاذيب : منها ان شيخه اخبره بالغيب ، الى أن قال : وأما كونه صلى الله عليه  
وسلم يعطي ويمنع ويقضي حوائج السائلين الخ . فهو لاشك فيه ، ولا يتسرد

بصحته ووقوعه الا كل من تراكم على قلبه الجهل والظلام ، قال : ومن يشك انه صلى الله عليه وسلم يعطي بالله ، ويمنع بالله ، ويقضي حوائج السائلين بالله ، ويفرج كربات المكروبين بالله ، ويشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء بتشفيع الله له فيهم ، ولم يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم أحد من المسلمين انه يفعل من ذلك شيئاً بنفسه ، ثم ذكر وقوع ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته . ونقل في ذلك عدة حكايات من كتاب (مصباح الظلام في المستغثين بخير الانام) لابي عبدالله محمد بن النعمان المغربي التلساني المالكي . وكتاب ( بغية الاحلام ) للشيخ نور الدين علي الحلبي صاحب السيرة . وأورد حديث ( حياتي خير لكم ) . وحديث الشفاعة الى آخر كلامه .

( ونحن نجيب ) بتوفيق الله تعالى واعانتة فنقول الجواب عما اعترض به من وجوه :

( أما أولاً ) فان السبكي جعل السفر لزيارة القبر وإعمال المطي لها والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم من باب تعظيمه وتوقيره ، وابن قدامة رحمه الله تعالى رد عليه وقال ما حاصله : أنه ليس كل تعظيم مشروعاً ، فالسجود فيه تعظيم مع أنه لغير الله تعالى كفر ، والطواف بالقبر تعظيم وهو أيضاً منهي عنه واعتقاد انه يعلم الغيب فيه تعظيم وهو من خواص الالهية وهكذا جميع ما هو من خواص الاله سبحانه فيها تعظيم وتوقير ولا يجوز اثباتها لغير الله تعالى ، لا لملك مقرب ولا لنبي ولا لرسول، وما ذكره السبكي من هذا القبيل ، وليس مراده أن القائلين به يفعلون هذه الامور المنكرة حتى يرد ما ذكره النبهاني أنه قد كذب على أهل السنة في بعض عبارته وهو في بعضها من أقبح المكابرين الخ .

• كم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

والحاصل أن مانهى الله عنه وزجر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم لا يجوز فعله وان كان من الافعال التعظيمية ، وامثال أمره صلى الله عليه وسلم والانتفاء عما نهى عنه هو تعظيمه ، وفيه توقيره ، وهو الموجب لسعادة الدارين ، والظفر بما يكون سبباً لقرة العين ، وأما الاعمال المضادة لما جاء صلى الله عليه وسلم به - وان قصد فاعلها التعظيم بها - فهي موجبة لغضب الرب والحرمان من محبة الرسول ، قال تعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ )

(وأما ثانياً) فإن الحافظ ابن قدامة لم ينسب ما ذكر من الاعمال المنكرة لأهل السنة ، بل لو نسبها لنسبها الى الغلاة الخارجين عن الدين ، المارقين عن سبيل المؤمنين ، فإن الدعاء مخ العبادة ، فمن دعا غير الله والتجأ اليه وتوكل عليه واستعاذ به واستعان به فيما لا يقدر عليه الا الله وغير ذلك فقد عبده ، ومن عبد غيره تعالى فليس هو من الدين في شيء . وأهل السنة في عرف النبهاني وأضرابه من الغلاة هم الذين على منواله وليس الامر كما زعم ، بل هم الذين يعملون بما ورد في الكتاب والسنة ، وكانوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم يغيروا ولم يبدلوا ، وقد ذكرنا ذلك غير مرة .

(وأما ثالثاً) فقول النبهاني : اما ما كذب به فقوله : حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به . فهذا من أشنع الكذب الظاهر : هو دعوى ليس عليها برهان بل يكذبها العيان .

وليس يصح في الاعيان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

هذه المشاهد المشهودة اليوم قد اتخذها الغلاة أعيادا للصلاة اليها ، والطواف بها ، وتقبيلها ، واستلامها ، وتعفير الخدود على ترابها ، وعبادة أصحابها ، والاستغاثة بهم ، وسؤالهم النصر ، والرزق ، والعافية ، وقضاء الديون ، وتفريج الكربات ، واغاثة اللهفات ، وغير ذلك من أنواع الطلبات ، التي كان عباد الاوثان يسألونها أوثانهم ، ومن لم يصدق ذلك فليحضر مشهدا من مشاهد العراق ، حتى يرى الغلاة وقد نزلوا عن الاكوار والدواب - اذا رأوها من مكان بعيد - فوضعوا لها الجباه ، وقبلوا الارض ، وكشفوا الرؤوس ، وارتفعت أصواتهم بالضجيج ، وتباكوا حتى تسمع لهم النسيج ، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج ، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ، ونادوا ولكن من مكان بعيد ، حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الاجر ولا أجر من صلى الى القبليتين ، فتراهم حول القبر ركعا سجدا يتغنون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملؤا أكفهم خيبة وخسرانا ، فلغير الله - بل للشيطان - ما يراق هناك من العبرات ، ويرتفع من الاصوات ، ويطلب من الميت من الحاجات ، ويسأل من تفريج الكربات ، واغناء ذوي الفاقات ، ومعافة أولي العاهات والبليات ، ثم انثوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام ، الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام رأيت الحجر الاسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم الله أنها لم تمفر كذلك بين يديه في السجود ، ثم

كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق ، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك  
الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق ، وقربوا لذلك الوثن القرابين ، وكانت  
صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين •

قال ابن القيم - بعد أن حكى ما ذكرناه - ولم تتجاوز فيما حكينا عنهم ،  
ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالهم ، اذ هي فوق ما يخطر بالبال أو يدور في  
الخيال •

قال أبو الوفاء ابن عقيل رحمه الله تعالى : لما صعبت التكاليف على الجهال  
والطعام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت  
عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، قال : وهم عندي كفار مثل تعظيم القبور  
والزامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليقها ، وخطاب الموتى  
بالحوائج ، وكتب الرقاع فيها يامولاي افعل بي كذا وكذا ، وأخذ ترتتها تبركاً ،  
واقاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها ، والقاء الخرق على الشجر اقتناء بمن  
عبد اللات والعزى ، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ، ولم يتمسح بأجرة  
مسجد الملموسة يوم الاربعاء ، ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق أبو بكر أو  
محمد وعلي ، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجا بالجص والآجر ، ولم يخشق ثيابه الى  
الذيل ، ولم يرق ماء الورد على القبر ، انتهى •

والنبهاني ذكر في فصل مالا ينبغي فعله للزائر ما نقله عن المرزوقي مما هو من  
قبيل هذه البدع بل أقطع ، فكيف يقول : إن ابن عبد الهادي كذب في ذلك ، وقد  
صان الله أهل الحديث وحفاظ السنة من الكذب والحمد لله ، نعم ان المتصوفة  
والمتشيخين هم بيت الكذب ومعدنه ، ونقل النبهاني عن ابن حجر أنه قال ويكره  
أيضا الانحناء للقبر الشريف ، وأقبح منه تقبيل الارض ذكره ابن جماعة ، ولفظه :  
قال بعض العلماء ان ذلك من البدع أي القبيحة ، ويظن من لاعلم له أنه من شعار  
التعظيم ، وأقبح منه تقبيل الارض له صلى الله عليه وسلم لانه لم يفعله السلف  
الصالح والخير كله في أتباعهم ، ومن خطر بياله أن تقبيل الارض أبلغ في البركة  
فهو من جهالته وغفلته ، لأن البركة انما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف  
وعملهم ، وليس عجبى ممن جهل ذلك فارتكبه ، بل عجبى ممن أفتي بتحسينه مع  
علمه بقبحه ومخالفته لعمل السلف واستشهد لذلك بالشعر ، قال السيد السهمودي :





من المدارك ، ولا من التصورات ، ولا من الافعال البدنية كلاما أو حركة ، ولا بأمر من الامور ، ويعطي التقسيم العقلي أن ههنا صنفا آخر من البشر ناقصا عن رتبة هذا الصنف نقصان الضد عن ضده الكامل ، وهو صنف من البشر منطور على أن تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند مايتبعها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه ، فيتشبث لاعمال الحيلة بأمر جزئية محسوسة أو متخيلة ، كالأجسام الشفافة ، وعظام الحيوان ، وسجع الكلام ، وماسح من طير أو حيوان ، ويديم ذلك الاحساس والتخيل مستعينا به في ذلك الانسلاخ الذي يفصده ويكون كالمشييع له ، وهذه القوة التي هي مبدأ في هذا الصنف لذلك الادراك هي الكهانة ، ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها الجزئيات أكثر من ادراكها الكليات ، وتكون مشتغلة بها غافلة عن الكليات ، ولذلك كثيرا ما تكون المتخيلة فيهم في غاية القوة ، وتكون الجزئيات عندها حاضرة عتيدة ، وهي لها كالمرات تنظر فيها دائما ، ولا يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لأن نقصانه فطري ووحيه شيطاني ، وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشغل به عن الحواس ، ويقوى في الجملة على ذلك الانسلاخ الناقص ، فيهجس في قلبه من تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبي مايقذف على لسانه ، وربما صدق ووافق الحق ، وربما كذب لانه يتم أمر نقصه بأجنبي عن ذات المدارك ومباين لها غير ملائم ، فيعرض له الصدق والكذب جميعا ، ويكون غير موثوق به وربما يفرغ الى الظنون والتخمينات حرصا على النظر بالادراك بزعمه ، وتوحيها على شيطاني ، وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ولا استعانة بأجنبي كان صادقا في جميع ما يأتي به ، وكان الصدق من خواص النبوة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن الصياد - حين سأله كاشفا عن حاله بقوله : كيف يأتيك هذا الامر ؟ فقال : يأتيني صادق وكاذب - خلط عليك الامر يريد نفي النبوة عنه بالاشارة الى أنها مما لايعتبر فيه الكذب بحال .

وانما قيل : أرفع أحوال هذا الصنف السجع لأن معين السجع أخف من سائر المعينات من المرئيات والمسموعات ، وتدل خفة المعين على قرب ذلك الانسلاخ والاتصال ، والبعد فيه عن العجز في الجملة ، ولا انحصار لعلوم الكهان فيما يكون من الشياطين ، بل كما تكون من الشياطين تكون من أنفسهم بانسلاخها انسلاخا غير تام ، واتصالها في الجملة بواسطة بعض الاسباب بعالم لاتحجب عنه الحوادث

المستقبله وغيرها ، فانقطاع خبر السماء بعد البعثه عن الشياطين بالرجم ان سلم لا يدل على انقطاع الكفانه . ثم ان هؤلاء الكهان اذا عاصروا زمن النبوه فانهم عارفون بصدق النبي ودلاله معجزته ، لان لهم بعض الوجدان من أمر النبوه ، ولا يصددهم عن الايمان ويدعوهم الى العناد الا وسواس المطامع بحصول النبوه لهم ، كما وقع لامية ابن أبي الصلت . فانه كان يضع أن يكون نبيا ، وكذا وقع لابن الصياد ومسيلمة وغيرها ، وربما تنقطع تلك الاماني فيؤمنون أحسن ايمان ، كما وقع لطليحه الاسدي وسواد بن قارب ، وكان لهما في الفتوحات الاسلاميه من الآثار ما يشهد بحسن الايمان .

وذكر في بيان استعداد بعض الاشخاص - أعم من أن يكونوا كهانا أو غيرهم - للاخبار بالامور الغيبية قبل ظهورها كلاما طويلا حاصله : أن النفس الانسانية ذات روحانية ، ولها بذاتها الادراك من غير واسطة ، لكنها محجوبه عنه بالانغماس في البدن والحواس وشواغلها ، لان الحواس أبدا جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه من الادراك الجسماني ، وربما تنغمس عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة ، اما بالخاصة التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم ، أو بالخاصة الموجودة في بعض الاشخاص ، كالكهنة أهل السجع ، وأهل الطرق بالحصى والنوى ، والناظرين في الاجسام الشفافة ، من المرايا والمياه وقلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها ، وقد يلحق بهم المجانين ، أو بالرياضة الدينية مثل أهل الكشف من الصوفية ، أو السحرية مثل أهل الكشف من الجوكية ، فتلقت حينئذ الى الذوات التي فوقها من الملأ الاعلى ، لما بين أفقها وأفقهم من الاتصال في الوجود ، وتلك الذوات ادراك محض وعقول بالفعل ، وفيها صور الموجودات وحقائقها كما قرر في محله ، فيتجلى فيها شيء من تلك الصور وتقتبس منها علما ، وربما وقعت تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفها في القبول المعتادة ، ثم تراجع الحس بما أدركت اما مجردا أو في قوالبه فتخبر به انتهى ، ولا يخفى أن فيه ذهابا الى مايقوله الفلاسفة في الملأ الاعلى ، وكثيرا ما يسمونه عالم المجردات ، وقد يسمونه عالم العقول ، وهي محصورة في المشهور عنهم في عشرة ، ولا دليل لهم على هذا الحصر ، ولذا قال بعض متأخريهم بأنها لا تكاد تحصى ، وللمتكلمين والمحققين من السلف في ذلك كلام لا يتسع هذا الموضع لذكره .

(وبالجملة) علم الغيب لله سبحانه فلا يقال لغيره عالم الغيب ، ومن اطلع على

شيء منه بواسطة وحى أو غيره يقال أظلمه الله ، وما من أحد من المسلمين الا ويعرف غيوبا كثيرة - كالاخبار التي وردت في أحوال البرزخ والحساب والجنة والنار - ولا يقال لاحد منهم عالم الغيب ، وكثير من المتصوفة يدعون أن مشائخهم يعلمون الغيب ، وهذا تعبير شنيع ، وربما قالوا بالكشف ، وكل ذلك مما لا أصل له ، فان صح منه شيء فلعله بمثل ما ذكره ابن خلدون أو بواسطة قرينة من الترائن ، والا فالكشف مما لا أصل له .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( وما أذري ما يُفعلُ بي ولا بكم )<sup>(١)</sup> وما أخبر به من الغيوب فبوحى من الله ( وما ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى )<sup>(٢)</sup> وهكذا الانبياء والرسل . هذا نوح لما ألهمه الله تعالى أن يصنع الفلك لم يعلم السبب في صنعها ، وموسى لم يدر قبل لقي فرعون ماذا يكون من أمره حتى قال ( ولهم عليّ ذنبٌ فاخافُ أن يقتُلون )<sup>(٣)</sup> وابراهيم أعلمه الله وأوحى اليه أن يذبح اسمعيل فبادر الى ذلك ، فلم يعلم هو ولا اسمعيل أن الله ينسخ هذا الحكم ، ويعقوب بقي يبكي على ولده يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن ولم يعلم بحال يوسف ، وداود لم يعلم بحقيقة من تسوروا المحراب ، وقالوا ( خصمان بغى بعضنا على بعض ) القصة ، وما حكم به في مسألة الحرث ، وتفهم سليمان لها دونه ، وما كان من ضيف لوط وقومه ولم يعلم بحقيقتهم حتى قال هؤلاء ضيفي فلا تخزون ، وما كان من قصة يونس حين ذهب مغاضبا ، فكان من أمره ما كان ، ولو كان له اطلاع على العاقبة وكشف على الحقيقة لما ذهب حتى ألقى في البحر ، وساهم وكان من المدحضين ، ولو استوعبنا ذلك لطال الكلام ، انظر الى القرآن الكريم وما أخبر فيه سبحانه عن أنبيائه ورسله تجد الامر واضحا ، قال تعالى : ( عفا اللهُ عنك لم اذنت لهم )<sup>(٤)</sup> ( يا أيها النبي لم تحرم ما أحلَّ اللهُ لك تبغني مرضاة أزواجك ) ( ما كان لني أن يكونَ له أسرى حتى يُنخَن في الأرض )<sup>(٥)</sup> الى غير ذلك من الآيات الناصة على عدم علم الانبياء بما لم يعلمهم الله به .

(١) الاحقاف : ٩ - (٢) النجم : ٣ ، ٤ - (٣) - الشعراء : ١٤ - (٤) - التوبة : ٤٣ - (٥) الانفال : ٦٧

وفي كتاب الحيوان للجاحظ ، قال الله عز وجل : ( وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ )<sup>(١)</sup> ثم قال : ( فَكَيْفَ غَيْرَ بَعِيدٍ )<sup>(٢)</sup> يعني الهدهد ، فقال سليمان المتوعد له بالذبح عقوبة له ، والعقوبة لا تكون الا على المعصية لبشري آدمي لم تكن عقوبته الذبح ، فدل ذلك على أن المعصية انما كانت له ولا تكون المعصية لله الا ممن يعرف الله ، او ممن كان يمكنه أن يعرف الله تعالى فترك ما يجب عليه من المعرفة ، وفي قوله لسليمان : ( أَحَطُّتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ )<sup>(٣)</sup> ثم قال بعد أن عرف فضل ما بين الملوك والسوقة ، وما بين النساء والرجال ، وعرف عظيم عرشها وكثرة ما أوتيت في ملكها ، قال :

( وَجَدْتُهُمْ وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ )<sup>(٤)</sup> فعرف السجود للشمس وأنكر المعاصي ، ثم قال : ( أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ )<sup>(٥)</sup> ويتعجب من سجودهم لغير الله ، ثم علم أن الله يعلم غيب السموات والارض ، ويعلم السر والعلانية ، ثم قال : ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ )<sup>(٦)</sup> وهذا يدل على أنه أعلم من ناس كثير من المميزين المستدلين الناظرين ، قال سليمان : ( سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ )<sup>(٧)</sup> ثم قال : ( إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَرْيَمَ )<sup>(٨)</sup> (فأما جاء

(١) النمل : ٢١ ، ٢٢ - (٢) النمل : ٢٢ ، ٢٣ - (٣) النمل : ٢٤ - (٤) النمل : ٢٥ - (٥) النمل : ٢٦ -

(٦) النمل : ٢٧ - (٧) النمل : ٢٨

سُلَيْمَانَ قَالَ ائْتِدُونِي بِمَالٍ قَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ  
تَفْرَحُونَ<sup>(١)</sup> وذلك انها : (قالت إن الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها  
وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون . وإني مرسله اليهم بهديّة فناظرة  
بهم يرجع المرسلون<sup>(٢)</sup> ) . قال سليمان للهدد : ( ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود  
لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون . قال يا ايها الملا ايككم  
يا تيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين . قال عفريت من الجن انا اتيك  
به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين . قال الذي عنده  
علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ، فلما رآه  
مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني اأشكر أم أكفر ومن  
شكرا فإنا يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم<sup>(٣)</sup> )

وأطال الجاحظ الكلام على هذه الآيات الى أن قال : ثم طعن في ملك سليمان ناس  
من الدهرية ، وقال : زعمتم أن سليمان سأل ربه ( رب هب لي ملكا لاينبغي لأحد  
من بعدي ) (٤) وأن الله تعالى أعطاه ذلك ، فملكه على الجن فضلا عن الانس ، وعلمه  
منطق الطير ، وسخر له الريح ، فكانت الجن له خيولا ، والرياح له مسخرة ، ثم  
زعمتم - وهو اما بالشام واما بسواد العراق - انه لايعرف باليمن ملكة هذه صفتها ،  
وملوكتها اليوم دون سليمان في القدرة لا يخفى عليهم صاحب الخزر ، ولا صاحب  
الروم ، ولا صاحب الترك ، ولا صاحب النوبة ، وكيف يجهل سليمان موضع هذه  
الملكة مع قرب دارها ، واتصال بلادها ، وليس دونها بحار ولا أوعار ، والطريق نهج  
الخف والحافر والقدم ، فكيف والجن والانس طوع يمينه ، ولو كان حين أخبره  
الهدد بمكانها أضرب عنها صفحا لكان لقائل أن يقول ما أتاه الهدد الا بأمر  
يعرفه ، فهذا وما أشبهه دليل على فساد أخباركم .

( فأجاب الجاحظ بقوله ) قلنا ان الدنيا اذا خلاها الله وتدير أهلها ومجاري

(١) النمل : ٣٦ - (٢) النمل : ٣٤ ، ٣٥ - (٣) النمل : ٣٧ - ٤٠ - (٤) ص : ٣٥

أمورها وعاداتها كان لعمرى كما تقولون ، ونحن نزعهم أن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم كان أئبه أهل زمانه لأنه نبي ابن نبي ، وكان يوسف وزير ملك مصر ومن النباهة بالموضع الذي لا يندفع وله البرد واليه يرجع جواب الاخبار ، ثم لم يعرف يعقوب مكان يوسف ولا يوسف مكان يعقوب دهرا من الدهور مع النباهة والقدرة واتصال الدار ، وكذلك القول في موسى بن عمران ومن كان معه في التيه ، فقد كانوا أمة من الامم يكسعون أربعين عاما في مقدار فراسخ يسيرة ، ولا يهتدون الى المخرج وما كانت بلاد التيه الا من ملاعبهم ومنتزعاتهم ، ولا يعدم مثل العسكر الادلاء والجنالين والمكارين والفيوح والرسل والتجار ، ولكن الله صرف أيهامهم ورفع ذلك القصد من صدورهم ، وكذلك القول في الشياطين الذين يسترقون السمع في كل ليلة فتقول انهم لو كان كلما أراد مرید منهم أن يصعد ذكر أنه قد رجم أو رجم صاحبه ، وانه كذلك منذ كان لم يصل معه أحد الى استراق السمع كان محالا أن يروم ذلك أحد منهم مع الذكر والعيان الى آخر ما قال .

( والكلام ) في هذه المسائل طويل الذيل ، وما ذكرناه كاف في المرام ، وما نقله عن مشايخه من الكشف لا أصل له ، نعم ورد ( اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ) وما عدا ذلك فوسواس الشياطين ولجاهلية العرب في هذا الباب أخبار ممتعة مبسوطة في غير هذا الموضع .

( وأما خامسا ) فما ذكره في بيان كونه صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي ويمنع ويقضي حوائج السائلين الخ فهو مردود ، وذلك لأن الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية قد وردت بخلافه ، قال تعالى : ( قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا )<sup>(١)</sup> وَقَالَ تَعَالَى : ( قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَالُهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا

(١) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧

لِمَنْ أذِنَ لَهُ (١)

وقال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فيبين الله تعالى لهم أن الانبياء والملائكة لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً ، وأنهم ينتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه . وقال تعالى : ( مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ) (٢)

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر ، فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار - مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات - فهو كافر باجماع المسلمين .

وقال تعالى : ( مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ) (٣) وقال : ( قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ) (٤) وقال تعالى : ( قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضِراً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) (٥) وقال تعالى : ( وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ) (٦)

(١) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ - (٢) آل عمران : ٧٩ ، ٨٠ - (٣) فاطر : ٢ - (٤) الزمر : ٢٨ - (٥) الاعراف : ١٨٨ - (٦) يونس : ١٠٧



الى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه يعطي ويمنع ، ويقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين ، وأنه الذي يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء وكذلك الاحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى كحديث ابن عباس الذي فيه : (واعلم أن الامة لو اجتمعت أن يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ) ، وكذلك النفع ، وحديث البخاري الذي فيه ( يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً ) وغير ذلك •

فآيات والاحاديث وأقوال السلف تدل على أن الله تعالى هو المتفرد بملك الضر والنفع ، والنبهاني يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، وهكذا الانبياء والرسل ، وهكذا صالحوا أممهم ، واستدل على ذلك بمنامات وخرافات ، وبأقوال أمثاله من الغلاة ، فبقي الخلاف بين الله وبين النبهاني ، أن الله تعالى يقول لا يملك الضر والنفع غيره سواء كان ملكاً أو نبياً أو رسولا أو صفياً ، والنبهاني قاتله الله يقول لا ليس الامر كما قاله الله ورسوله ، بل ان النبي أو الولي يستغاث به ويرجى ويطلب منه كل ما يطلب من الله ، وها نحن نحيل المحاكمة بين النبهاني وبين الله تعالى الى ذوي الانصاف والفهم ، ولا شك أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم •

(وأما) أقوال النبهاني ، وآراء كل مبتدع شيطاني ، فمردودة عليه ، وملقاة بين يديه ، والكلام في الاستغاثة مر مفصلاً وسيأتي له تنمة ان شاء الله •  
(قال النبهاني) ذكر في بعض النسخ أن (الصارم المنكي) هو بالميم والنون وهو غير صحيح ، لان أنكى الرباعي غير وارد ولا وجود له في كتب اللغة ، والوارد هو نكا الثلاثي بالهمز والتسهيل ، يقال : نكا العدو ونكاه نكاية أصاب منه ، قال : اذا علمت ذلك تعلم أن اشتهار الكتاب بلفظ المنكى هو خطأ لأن المؤلف من أكابر العلماء الذين لا يخفى عليهم مثل هذه اللفظة ، فلا يحمل الخطأ عليه بل على النساخ ، واسم الكتاب الذي سماه به مؤلفه هو (المبكى) بالبهاء كما ذكره في (كشف الظنون) •

ولتأمل أن يقول أنه لا مانع من أن يكون ابن عبد الهادي مع تبخره في علم الحديث ضعيفا في علم العربية فجاز عليه الخطأ بهذا اللفظ ، لاسيما والتعبير بالنكاية هو الذي يناسب رده على عدوه ، أو أنه يكون ماهرا في علم العربية أيضا ولكن الله تعالى قد طمس على بصيرته في تسمية هذا الكتاب كما طمس على بصيرته في مسماه

ليحصل الخطأ في الاسم والمسمى جميعا ، والدليل على جواز هذا الاحتمال أن خطاه في المسمى وهو نفس الكتاب أفحش وأظهر من خطئه في الاسم ، ولكنني تبعت بتسميته بالمبكي ( كشف الظنون ) وهو الصواب والله أعلم •

( هذا كله كلام النبهاني ) وسبحان من أنطقه بكل باطل ، وأظهر حاله للعالمين وأنه من كل خير عاقل ، وكشف حقيقته لأولي الفضائل ، وأبان افلاسه من كل العلوم فلم يبق في جهله قول لقائل ، صغار الطلبة يعلمون ماخفي على هذا الجاهل ، والمتدثون في العربية لم يخف عليهم ماخفي على النبهاني العاقل ، ولا بد من الكلام على هديانه والتنبيه على خطئه فنقول :

( الجواب ) عن اعتراضه من وجوه :

( الوجه الاول ) أن العلم كما حققه علماء الوضع من قسم الموضوع بالوضع الخاص لموضوع له كذلك والمقصود من الوضع تعيين المسمى بحيث لا يشاركه غيره في هذا الوضع ، فلا ترد الاعلام المشتركة لأن كلا منها لا يشاركه آخر في الوضع له ، فاذا كان الغرض تعيين المسمى وتمييزه عما عداه حصل بكل لفظ طابق الاصول أم لا ، فاذا سمي شخص باسم ليس له في اللغة العربية نظير ولا معنى جاز ، وتعليه انقسام العلم الى قسمين : منقول : ومرتجل ، كما في الخلاصة :

ومنه منقول كفضل وأسد وذو ارتجال كسعاد وادد

فما هذى به النبهاني ساقط من أصله ، ولا يحتاج بيان خطئه الى جواب آخر، ولكننا نزيد المقام وضوحا تميما للفائدة •

( الوجه الثاني ) أن العلم المنقول لا يبقى منه المعنى الاصيلي بعد وضعه علما ، ولذلك جعلوا عبد الله علما مفردا ، وهو مالا يدل جزؤه على جزء معناه ، ولو بقي على معناه الاصيلي لعد مركبا اضافيا ، فان جزء اللفظ يدل على جزء المعنى الاضافي ، وما نحن فيه من هذا القبيل فانه بعد وضعه اسما للكتاب خرج عن كونه مركبا تقييدا وصار من قسم المفردات ، فلا يلاحظ في الجزء منه دلالة على المعنى حال العليسية ، ولم يقصد المعنى الاصيلي الا لاجل الكناية كما ذكروه في أبي جهل وأبي لهب على ما فصل في كتب المعاني ، وكذلك الالتقاء المشعرة بمدح أو ذم ، وهكذا الاسماء المنقولة عن صفات وأفعال لا يراد منها بعد العلمية معانيها الاصلية ، نعم قد تدخل اللام على بعض الاعلام المنقولة عن المشتقات للمح الصفة كالفضل والحارث والنعمان ونحو ذلك ، فبطل كلام المعترض •

( الوجه الثالث ) وهو من أحسن الاجوبة أنى وجدت لذلك فائدة في كتاب الضرائر و ميسوغ للناظم دون الناثر ، قلت : المسألة العاشرة ما يلحق بالضرائر الشعرية ، ثم قلت : اعلم أن الائمة أحقوا بالضرائر الشعرية ما في معناها وهو الحاجة الى تحسين النثر بالازدواج ، فلا يقاس على ماورد منه لذلك في السعة ، كما لا يقاس على الضرائر الشعرية في متسع الكلام ، ونقلت ما يناسب المقام عن درة الغواص للحريري ، فقلت : ويقولون قد حدث أمر ، فيضمون الدال من حدث مقايسة على ضمها في قولهم أخذه ما حدث وما قدم ، فيحرفون بنية الكلمة المنقولة ويخطئون في المقايسة المعقولة ، لأن أصل بنية هذه الكلمة حدث على وزن فعل بفتح العين ، كما أنشدني بعض أدباء خراسان لأبي الفتح البستي رحمه الله :

جزعت من أمر فطيع قد حدث أبو تميم هو شيخ لحدث

قد حبس الاصلع في بيت الحدث

وانما ضمت الدال من حدث حين قرن بقدم لأجل المجاورة والمحافظة على الموازنة ، فاذا أفردت لفظة حدث زال السبب الذي أوجب ضم دالها في الازدواج ، فوجب أن ترد الى أصل حركتها وأولية صيغتها .

ثم قال الحريري : وقد نطقت العرب بعدة ألفاظ غيرت مبانيها لأجل الازدواج واغادتها الى أصولها عند الانفراد فقالوا : الغدايا والعشايا اذا قنوا بينهما ، فان أفردوا الغدايا ردوها الى أصلها فقالوا الغدوات ، وقالوا : هنأني الشيء ومرأني ، فان أفردوا مرأني قالوا أمرأني ، وقالوا : فعلت به ماساءه وناءه ، فان أفردوا قالوا أناءه ، وقالوا أيضا : هو رجس نجس ، فان أفردوا لفظة نجس ردوها الى أصلها وقالوا نجس ، كما قال تعالى : ( إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ )<sup>(١)</sup> وكذلك قالوا للشجاع الذي لايزايل مكانه : أهيس أليس ، والاصل في الاهيس الاهوس لاشتقاقه من هاس يهوس اذا دق ، فعدلوا به الى الياء ليوافق لفظة أليس .

وقد نقل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ألفاظ راعى فيها حكم الموازنة ، وتعديل المقارنة فروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للنساء المتبرزات في العيد : ( ارجعن مأزورات غير مأجورات ) وقال في عودته للحسن والحسين عليهما السلام : ( أعيدكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ، ومن كل شيطان وهامة ) ، والاصل في مأزورات موزورات لاشتقاقها من الوزر ، كما أن الاصل في لامة ملمة لأنها فاعل

(١) التوبة : ٢٨

من المت ، الا أنه عليه الصلاة والسلام قصد أن يعادل بلفظ مأزورات لفظ مأجورات، وأن يوازن بلفظ لامة لفظتي تامة وهامة ، ومثله قوله عليه الصلاة والسلام : ( من حفنا أو رفنا فليقتصر ) أي من خدمنا أو أطعمنا ، وكان الاصل أتحننا ، فاتبع حفنا رفنا • ويروى في قضايا علي أنه قضى في القارصة والقامصة والواقصة بالدية اثلاثا وتفسيره أن ثلاث جوار ركبت احدها في الاخرى فقرصت الثالثة المركوبة فقصمت فسقطت الراكبة ووقصت فقضى للتي وقصت أي اندق عنقها بثلثي الدية على صاحبتيها ، وأسقط الثلث باشتراك فعلها فيما أفضى الي وقصها ، والواقصة هنا بمعنى الموقوصة ، وأنشد الفراء في هذا النوع :

هتاك أخيبة ولاج أبوبة يخلط بالجد منه البر والليننا  
فجمع الباب على أبوبة ليزوج لفظة أخيبة ، انتهى ما نقل عن الحريري •  
( وفي الخلاصة )

وفي اضطرار وتناسب صرف ذو المنع والمصرف قد لا ينصرف  
( وفي الكافية )

ولا اضطرار وتناسب صرف ما يستحق حكم غير المنصرف  
ورأى أهل الكوفة الاخفش في اجازة العكس اضطرارا يقتضي  
وبعضهم أجازه اختيارا وليس بدعا فدع الانكسارا  
ومثل الشراح للمصرف للتناسب سلاسلا وأغلالا وسعيرا ، قواريرا قواريرا ،  
على قراءة نافع والكسائي ، ولا يغوثا ويعوقا ونسرا على قراءة الاعمش وابن مهران،  
وقسموا التناسب الى قسمين : تناسب لكلمات منصرفة انضم اليها غير منصرف نحو  
سلاسلا وأغلالا ، وتناسب لرؤوس الآي كقوارير الاول فانه رأس آية ، فنون  
ليناسب بقية رؤوس الآي في التنوين أو بدله وهو الالف في الوقف ، واما قوارير  
الثاني فنون ليشاكل قوارير الاول ، والفرق في ذلك بين الضرورة والتناسب ان  
الصرف واجب في الضرورة وجائز في التناسب ، وقد علمت أن التناسب غير التشاكل  
للزدواج ، هذا ما كتبه من مسائل كتاب الضرائر ، وبه علم أن اسم ( الصارم المنكي  
في الرد على السبكي ) بعد الميم نون كما هو المتواتر عن المصنف وهو الصواب ، غير  
أن النبهاني قد تعود على التحريف والتبديل ، فاراد أن يحرف الاسماء كما حرف  
نصوص القرآن والسنة الفراء ، وقد فضحه الله تعالى بالجهل في سائر الاقطار  
والانحاء ، والحمد لله الذي نصرنا على الاعداء •

( الوجه الرابع ) أن التسمية بانصارم المبكي بباء بعد الميم تسمية لامعنى لها

إذا لمحا إلى الاصل المنقول عنه ، فإن الصارم إنما يوصف في كلام العرب بالنكائية  
 لا بأنه يبكي ، فإن العصا أيضا تبكي المضروب بها ، بخلاف الصارم فإنه إذا ضرب  
 به أحد هلك وفني وهي النهاية في النكائية ، ولكن النبهاني مقصوده تسويد  
 القرطيس ، كما سود الله وجهه باتباعه لوساوس ابليس •  
 ( وبالجملة ) فكل ما اعترض به على كتاب ( الصارم المنكي ) فهو اعتراض  
 مردود عليه ، وكل ما انتقده فهو مدفوع عنه ، وكان ما اعترض به عليه من شواهد  
 جهله وآيات حرمانه •

تعييرنا ألبانها ولحومها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها  
 فكتاب ( الصارم المنكي ) للامام الذي لا يجاذب رداء فضله ، ولا تدور العين  
 بين أصحابه على مثله ، علامة المعقول والمنقول ، وفهامة الفروع والاصول ، البحر  
 الزاخر ، وفخر الاوائل والاواخر ، قدوة الفضلاء ، وخاتمة الاجلاء ، شيخ الاسلام ،  
 ومن اتفق على جلالة النخاص والعام ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد  
 الهادي المقدسي الحنبلي ، طيب الله تعالى ثراه ، وجعل في أعلى عليين مقره ومثواه ،  
 كتاب تشد إليه الرواحل ، وتطوى دون لقياء المنازل ، ليس في بابه ما يدانيه ،  
 ولا ما يماثله ويضاهيه ، جمع فأوعى ، وأوجز فأعجز ، وما ترك لساع من مسعى ،  
 بلغ الغاية في حسن الجمعية وكمال الاختصار ، وأدرك النهاية في قلة المؤنة ولياقة  
 الحفظ والتكرار •

كلم كان الشهد من ألفاظها جار وان الطيب منها سائر  
 قد أرى السبكي قدره ، وأدى إليه الكيل صاعا بصاع ولم يهمله بالمرّة ، حتى  
 أرغم الله به أنوف المعتدين ، وشفى به صدور قوم مؤمنين ، وما كان من ذم بعض  
 الغلاة والانتقاد عليه ، فلما أصابهم منه من الويل والثبور ، ولم يقدرُوا أن يتقابلوه  
 ولا يقفوا بين يديه ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، حيث ذب عن الدين المبين  
 ما كاده به الخصوم والاعداء •

( قال النبهاني ) الفصل الثالث في الكلام على ( جلاء العينين في محاكمة  
 الاحمدين ) وبيان أن مؤلفه حكم لابن تيمية بالليل ، وعلى ابن حجر بالين ، وقد  
 جاوز به الحد في تعصبه الشديد ضد جماعة من أئمة الاسلام ، وافراد العلماء  
 الاعلام ، لاسيما ابن حجر الهيتمي ، والتقي السبكي وابنه تاج الدين ، مؤيدا ماشذ  
 به ابن تيمية في مسائله التي خالف بها الامة المحمدية ، وكانت أصلا لمؤهب الوهابية ،  
 ومقته لأجلها جمهور أئمة الدين من أهل المذاهب الاربعة السنية ، قال : وهذا الكتاب

من أضر الكتب على من اطلع عليه من عوام المسلمين ، والطلبة القاصرين ، فيجب عليهم أن يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذاهبهم ، المتكدرية لمشاربهم ، بالاعراض النام عنه ، وعدم مطالعة شيء منه ، لتلا تضر شكوكه بيقينهم ، ويوقع الخلل في أمور دينهم ، أما العلماء فلا يخشى عليهم منه ذلك الضرر ، لتمييزهم بين خطأ ابن تيمية وطائفة الوهابية وصواب السبكي وابن حجر وجهور الامة المحضية ، وتفرقتهم بين ماخلط فيه مؤلفه من الحق والباطل ، والمحلى والعاطل ، فلا يخذعون بما جمعه فيه من زخارف الكلام ، وبهارج الاوهام ، التي زعم بها ان زلات ابن تيمية هي ماكان عليه السلف الصالح من أئمة الاسلام ، ومع ذلك فالاولى بل الصواب للعلماء أيضا الاعراض عنه ، وعدم مطالعة شيء منه الا للرد عليه ، وبيان ماحواه من الخطأ الفاحش والتعصب الشديد ضد العلماء العاملين ، هداة الامة ، ومصايح الملة ، كالأئمة الثلاثة : ابن حجر ، والسبكي ، وابنه تاج الدين ، وترجيحه لكثير مما يخالف عقائد جمهور المسلمين ، كسألة الاستغاثة والزيارة ، والقول بالجهة ، وغير ذلك مما خلط فيه ، ولا يقدر على تمييزه الا العلماء الاعلام ، ويخشى من مطالعته وقوع الخلل في عقائد الطلبة القاصرين والعوام .

( قال ) وأنا والله في حيرة من أمره ، ان قلت ان ذلك اعتقاده يعارضني اني أعرفه أنه حنفي المذهب : من عائلة علم وسيادة في بغداد ، كلهم من أهل السنة والجماعة ، وان مااعتمده في هذا الكتاب - مما أيد به زلات ابن تيمية - هو مذهب الوهابية لامذهب الحنفية ، ولا مذهب آبائه وأجداده السادات الشافعية ، وان قلت ان ذلك ليس اعتقاده الحقيقي وانما تظاهر به خدمة لصديق حسن خان الوهابي - الشهير ملك بهو بال في الهند صاحب التأليف المشهورة - فهذا لايليق بمثله ، وان كان هو الظاهر من محرراته ومراسلاته ، ألا ترى أن كتابه المسمى ( بغالية المواعظ ) لما ألفه بعد ( جلاء العينين ) تجده قد زينه بالنقل عن كتب العسامة ابن حجر ( كالزواج ، والصواعق ) ونحوهما ، ولم ينقل الا نادرا عن ابن تيمية ، والله أعلم بحاله في هذا الكتاب من القصد والنية ، ولست اعترض عليه باجابه عنه ان بعض الاقوال التي نقلها ابن حجر واعترض عليها لم تصح نسبتها اليه واستشهد على ذلك بعبارات صحيحة أو غير صحيحة ، فهذا لا مانع منه وهو حسن ، ولكنه لم يقتصر على ذلك بل شنع على ابن حجر بألفاظ لا يحسن استعمالها في حق بعض طلبة العلم فضلا من امام كبير من أئمة الدين ، وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع - من قبيح التشنيع

والتفريع - الامام تقي الدين السبكي ، حتى انه لم يعبر عنه بلفظ الامام ولا بلفظ شيخ الاسلام ، بل اما أن يقول قال السبكي أو القاضي السبكي ، وهو في الحقيقة المستحق للقب شيخ الاسلام ، لأنه كان قاضي قضاة الشام - مع كونه من أئمة العلماء الاعلام - ولقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضي القضاة ، فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لا يستحق لقب شيخ الاسلام وان كان من أكابر شيوخ المسلمين وأئمة العلماء الاعلام ، وهو رجل مطعون في عقيدته باعتقاد الجهة فضلا عن بدعته المتعلقة بالزيارة والاستغاثة ، والسبكي هو بالاتفاق من أئمة أهل السنة والجماعة ومن أفضل أئمة الاسلام ، وابنه تاج الدين هو الامام ابن الامام باتفاق العلماء الاعلام ، فما الذي حمل مصنف ( جلاء العينين ) على معاملتهما أسوأ المعاملة والميل كل الميل مع ابن تيمية ، وذلك دليل على أنه من أهل البدعة لا من أهل السنة ، والارواح جنود مجندة فروحه هي من أجناد روح ابن تيمية ، فلا تأتلف مع أرواح هؤلاء الأئمة الاعلام ، ولذلك كان منه في حقهم ما كان مع كونهم في جانب تعظيم جده الاعظم صلى الله عليه وسلم وامامه ابن تيمية بعكس ذلك ، ولكن الشرف والحسب لا يغني عن العلم والادب ، الى أن قال : ومصنف ( جلاء العينين ) لم يحكم لابن تيمية فقط بل حكم لجميع الوهابية ، وليس حكمة على ابن حجر فقط والسبكي وابنه بل على جميع أهل السنة والجماعة من الشافعية ، والحنفية ، والمالكية ، وجمهور الحنابلة أيضا ، ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا أنه أخطأ فيه أفحش الخطأ في حق نفسه وأبيه والمسلمين عموما وسيد المرسلين خصوصا ، وانه لوث نفسه بأقذار البدع الوهابية التي لا يغسلها عنه بحار الدنيا الى يوم القيامة ، وكما آذى نفسه بذلك أشد الأذى آذى كل من اطلع على كتابه من المسلمين من أهل المذاهب الاربعة - حتى المنصفين من الحنابلة - بدمهم اياه وخوضهم في عرضه ما بقيت الدنيا وبقي فيها هذا الكتاب .

ثم إنه هذى بما هذى ، ثم قال : وياليت شعري كيف اختار لنفسه ولايه بمقتضى ما نقل عن تفسيره روح المعاني - مناقدة جمهور الامة المحمدية ، وما اتفق عليه أئمتها وعلمائها في جميع هذه الاعصار المتطاولة ، من أمر الزيارة والاستغاثة ، حتى صار من الامور المعلومة بالضرورة ، مع كونه هو الذي يليق بما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم من التعظيم والتوقير ، ولا عبرة بما قاله ابن تيمية وطائفته الوهابية . ومن شاكلهم من شذاذ المذاهب من منع ذلك ، لما توهموه وتخلوه من المحاذير التي لاتخطر

عند الزيارة والاستغاثة ببال أجهل الجاهلين فضلا عما فوقه من اعتقاد الالوهية فيمن يزورونه أو يستغيثون به ، مع أن بدعة هؤلاء فيها من سوء الادب في جانبه صلى الله عليه وسلم مالا يخفى على من في قلبه أدنى نور ، هذا لعمرى مما لا يختارده عاقل لأخيه فضلا عن نفسه وأبيه ، وقد لعمرى آذى أباه وعقه بتلك القول التي كان الناس عنها في غفلة ، لانها مفرقة في تفسيره فجعلها في هذه المسائل في كتابه هذا مفتخرا بها ، ومثبا عند السيد صديق حسن خان وطائفته أن أباه كان أيضا على مذهبه ومشر بهم في ذلك .

وقد سمعت بسبب هذا من بعض علماء مكة المشرفة كلاما فظيحا في حته وحق أبيه ، ولما كان قد أظهر تحامله في كتابه هذا على أهل السنة ومذهبهم - ولاسيما الامام السبكي وابنه وابن حجر - وبالغ في التعصب بمدح ابن تيمية ومذهبه وكل من كان على شاكلته : رأيت أن أذكر هنا الفرق بين ابن تيمية وابن حجر ، ليظهر لكل أحد أنه حكم لابن تيمية بالباطل ، انتهى كلام النبهاني فيما قاله في شأن ( جلاء العينين ) وقد نقلته كله - وان كان في نقله تضييع للقرئاس والمداد - لأن القصد مناقشته في جميع كلماته ، وبيان ما اشتمل عليه من عواره وغلطاته .

( اعلم ) ان جميع ما ذكره النبهاني في هذا الفصل قد تكرر غير مرة ، غير أنه لما كان خاليا عن الفهم فارغا عن العلم والفضل : أراد أن يتطفل على المؤلفين بتأليف كتاب ، وكان مبلغ علمه ومنتهى كمالاته المباحث المتعلقة بزيارة القبور ، والشعر المشتمل على الغلو والاتجاه الى غير الله مما يحفظه العوام الذين هم كالانعام ، ولا يدرون ما فيه مما يصادم دين الاسلام ، وينشده المنشدون في المجامع ، وقراءة مولد خير الانام ، وكان عنوان ما يعتقده ويدين الله به أن الاستغاثة بغير الله هي ركن الدين ، ومدار توحيد المسلمين ، وشم ابن تيمية وتبديعه وتضليله ، وتضليل من قال بقوله ومن اتصر له ، ومن تعرض للرد على أقوال السبكي وابن حجر وسائر الفلاة .

وقد حشا كتابه من أوله الى آخره بمثل هذا الهديان ، والزور والبهتان ، وأبدى وأعاد في ذلك ليعظم حجم كتابه ، وتطول مندرجات فصوله وأبوابه ، ليتبجح به على أمثاله من العوام ، ويفتخر على الجهلة الطغام ، وقد تبين لي حاله من كتابه هذا وأنه رجل ممار عنود معجب بنفسه ، منطو على حب البدع ، مصر على تقليد الآراء الفاسدة ، والاقوال الكاسدة ، وانه لا يفيد فيه كل كلام ، ولا تؤثر فيه سهام



الملام ، وأرقام الافلام ، وان جهله جهل مركب مع رعونة ونقصان عقل ودين ، وقلة  
ايمان وعدم حياء ، فهو لا ينتهي عن غيه ، ولا يرتدع عن بغيه ، ولا ينتهي عن جهله ،  
ولسان حاله يقول :

لأنتهي لا أنتهي لا أرعوي مادمت في قيد الحياة ولا اذا

ومن اليقين عندي أن الكلام معه سدى ، والرد عليه يغريه على سلوك جادة  
الردى ، والميل الى الصد عن الهدى ، ورأيته - مع ما هو عليه من العجب ومزيد الجهل  
والعباوة - مملوء الالهاب من الحسد من فرقه الى قدمه ، وهكذا كان شأن اليهود  
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كفروا به حسدا من عند أنفسهم ،  
والضالون قد تشابهت قلوبهم ، ولولا حسده وجهله لم يتناول على ( جلاء العينين )  
ومصنفه ذلك التناول الشنيع ، ويهذي بما هذى به من الكلام الفظيع ، والا فما  
الباعث لكلامه هذا على مصنف ( جلاء العينين ) ووالده ، وعلى الشيخ ابن تيمية  
وأصحابه ، ومن اليقين أنه لم يتهور هذا التهور على من طوى بساط الاسلام ، وهد  
ركن الدين ، وهدم بنيان قواعد المسلمين ، بل أبدى له العذر وحصل ذلك على  
المقاصد الحسنة الخيرية •

وكل أحد يعلم أن المسائل العلمية لم تزل معترك أنظار العلماء ، ومثار فرسان  
الفضلاء ، ولو كان هذا الزائف من أهل الفطنة والعرفان ، ومن فرسان رجال ذلك  
الميدان : لاورد المسائل التي في ( جلاء العينين ) واحدة بعد أخرى ، وأورد عليها  
مايراه واردا بحسب نظره الفاسد ، وفهمه الكاسد ، وسلك مسلك المتناظرين لأجل  
اظهار الصواب ، كما هو شأن الخلافين الذين اتصروا لمذاهبهم ، كما وقع من ذلك  
بين أصحاب المذاهب الاربعة وأتباعهم أولي الباب •

( ثم ان ما ذكره ) في مقالته هذه في شأن جلاء العينين ومصنفه وما أورده فيها  
قد سبق الكلام عليه مرارا ، وأبطلنا أقواله الكاسدة بحمد الله جهارا ، وتكرر معه  
الكلام في غير هذا المقام ، ولكن الامر كما قال القائل وهو المتنبى :  
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

وها أنا مع ذلك أذكر مايرد عليها من المؤاخذات ، وبيان ما فيها من الخطأ  
والغلطات ، ليظهر جهله وفساد أقواله للناظرين ، ولا عدوان الا على الظالمين •  
( فأقول ) من أقواله - التي هي مواقع للنظر وهدف لرمي سهام الفكر ومحل  
للإيراد وموقع للفساد - قوله إن مؤلف جلاء العينين حكم لابن تيمية بالميل ، وعلى

ابن حجر بالمين الخ •

(جوابه) أن الامر ليس كما قال ، بل ان مصنف (جلاء العينين) أورد فيه أولا تراجم الشيخ وبعض أسلافه الكرام ، ثم ذكر بعض من ابتلى وأوذى من العلماء ، ثم ذكر ماقاله ابن حجر في الفتاوى الحديثة مما زوره على الشيخ واقتراه ، ثم ذكر تراجم بعض المنكرين عليه من خصومه وحسدته ، ثم أفرد مقصدا في تراجم بعض المثنين عليه من تلامذته وغيرهم ، ثم ذكر تراجم من قال ابن حجر عن الشيخ أنه تتبعهم من المتصوفة ، ثم أورد فصلا في الكلام على ما نقله الشيخ ابن حجر من عبارة شيخ الاسلام وأورد عدة تراجم لأصحاب الأقوال ، ثم ذكر اختيارات الشيخ وما لها وما عليها ، وفصل الكلام في تحقيق الكلام النفسي وما ذهب اليه الحنابلة والاشاعرة وأظن في مباحث الصفات وما ذهب اليه السلف ، ثم ذكر ما اختاره من التوسط بين القولين ، ثم ذكر الاستغاثة والتوسل ، وعقد فصلا لأدلة المجوزين ، وفصلا آخر في المانعين ، ثم ذكر الاجوبة عما نقله ابن رجب من اختيارات الشيخ ، وبها ختم الكتاب واليه المرجع والمآب •

هذا ما كان في جلاء العينين ، وأحال الحكم وترجيح الحق من الباطل الى القارئ من أهل الفضل والانصاف ، لامن أهل الجور والاعتساف ، على أنه لو كان الامر كما زعم وأنه حكم بما حكم فماذا عليه بعد أن راعى في حكمه ما أدى اليه الدليل ، اليس الله تعالى قال : (وَإِذَا خَذَا اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) وفي الحديث الصحيح (من علمه الله علما فكتمه ألجمه الله بلجام من نار) وقد سبق ما أوردنا من كلام الامام الشافعي في تفسير سورة العصر ، وأن من جملة مراتب الكمال الاربع التي اشتملت عليها السورة التواصي بالحق ، بأن يعلم بعض الناس بعضا حقائق الامور وما هي عليه في نفس الامر ، وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مما استوجب خيرية الامة المحمدية على كل أمة أخرجت للناس ، وابن حجر ومن كان على منهاجه كلهم ظلموا الشيخ ابن تيمية ، ولم يقصدوا في تهورهم عليه وجه الله ، بل لم يكن منهم ما كان الا تشفيا به ، وقضاء لحق أهوائهم ، والا فمن المعلوم ما كان من الروافض والنواصب والخوارج والمعتزلة والزيدية وغيرهم من الفرق الاسلامية ، ومن كان قبل الاسلام ، ومع ذلك فلم يلتزم ابن حجر ما التزمه في ابن تيمية ، وهكذا السبكي قبله ، وهكذا الغلاة في كل عصر •

(١) آل عمران : ١٨٧

ما ذكره ابن حجر المكي في فتاواه عن الشيخ : منه ما هو كذب وزور وبهتان منه عليه ، كنسبة القول بالجسمية والجهة ، وعدم تحريف التوراة والانجيل ونحو ذلك ، وكتب الشيخ المثبوتة في العلم كلها تصرح بصد ذلك ، وجميع كتبه مصرحة بنفي الجهة والجسمية ، وشطر من كتابه ( الجواب الصحيح ) في اثبات تحريف الكتابيين لكتبهم ، فأبي ذر دين وانصاف لم يكذب ابن حجر في قوله ويحكم عليه بأنه من الكاذبين ، وان الشيخ كان من المحققين ، والمسائل الاخرى التي ادعى ابن حجر على الشيخ انه خرق بها الاجماع كلها مما قال به السلف ، وقام عليها الدليل الصحيح ، وألف في اختياراته كتب مفصلة ، فأبي زور أكبر من هذا ؟ وأي بهتان فوق هذا البهتان؟ أليق بمن يدعي العلم أن يسلك هذا المسلك الذي لو سلكه عامي من العوام لعيب به ؟ فكيف بسوغ للمنصف أن لا يحكم للشيخ بالميل وعلى ابن حجر بالمين ؟ وهل بقي في مين ابن حجر شك لذي نظر ؟

( ومنها أنه قال ) وقد جاوز به الحد في تمصبه الشديد ضد جماعة من أئمة الاسلام ، وأفراد العلماء الاعلام ، لاسيما ابن حجر الهيثمي ، والتقي السبكي وابنه ، مويدا ماشذ به ابن تيمية في مسألته المعلومة الخ .

( فيقال له ) هذا هو الكلام السابق بعينه ، والرد على ذلك رد على هذا ، ومن يتبع الدليل ويجري على مقتضى البرهان لا يقال فيه انه قد تجاوز الحد ، بل ان من ينحرف عن الشريعة هو الذي تجاوز الحد ، والحق أحق بالقبول ، والاذعان له عين الانصاف ، والميل عن الجور والاعتساف ، والمخالف في ذلك مكابر ، بل ليس من ذوي الالباب والبصائر ، وكل منصف ذي فهم يعلم ان مقاله ابن حجر والسبكي وأضرابهما هو محض اتباع هوى ومكابرة وعناء ، واذا كان ما اختاره الشيخ أيده الدليل والبرهان وان أقواله هي قول الله ورسوله وسلف الامة وآكابر الائمة كما أسلفنا جميع ذلك فكيف يقال ان تلك الاقوال ما شذ به ابن تيمية ؟ وهل هذا الكلام الا من الغباوة والمكابرة ؟ وانكار للضرورة وتقليد للاراء .

ثم ان علماء المذاهب الاربعة ممن يعتد بعلمه لم يمتقوا الشيخ ، وكتب المنصفين منهم طافحة بالثناء عليه ، الا ما كان من بعض خصومه وحسدته ، كالسبكي وأضرابه ، ومن قلدهم في غيهم وضلاتهم من الغلاة ، كما سنذكر تفصيل ذلك في الكلام على مناقبه ان شاء الله .

( ومنها أنه قال ) وهذا الكتاب من أضر الكتب على من اطلع عليه من عمسوام

المسلمين والطلبة القاصرين ، فيجب ان يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذاهبهم  
المكدره لمشاربهم الخ .

( فيقال له ) هذا كلام فاسد ، قد بعثه عليه حسده وحبه لهواه وضلاله وغيه ،  
فان كتاب جلاء العينين جلاء عيون الموحدين ، وبهجة قلوب المؤمنين ، كم من مشد  
وجد به ضالته ، وكم من حيران أنس به هدايته ، وكم من مسلم قد انتفع به ، وكم  
من منصف عرف الحق بسببه ، فهو الكتاب الذي راق لفظه ومعناه ، وفاق ما سواه  
بمفهومه وفحواه ، اذا أمعن ناقد النظر فيه شاهد منه حديقة يانعة تفوح فوائح ثراها  
كالمسك الاذفر ، كأنها جونة عطار ، وتخيله روضة رائقة تتأرجح بروائح الند والعنبر ،  
كأنها لطائم تجار ، فاجتنتى من بدائع معانيه زهر المروج وأنوار الربيع ، واجتلسى  
من روائع مبانيه زهر البروج وازهار المربيع ، رائق ألفاظه أرق بل وأروق من  
مروقات السلاف ، ورواشق تعبيراته تروح الأرواح وتهز الأعطاف ، كالشهد ريقه ،  
والنسيم رقه ، والल्प على الحقيقة .

رق لفظا فليل خمر حرام راق معنى فليل سحر حلال

فجزى الله مؤلفه أحسن الجزاء ، مما أعده لأهل طاعته المتبعين لشريعته من  
الاصفياء ، حيث لم يأل جهدا في تأليف هذا الكتاب ، المشتغل على فصول الخطاب  
لدى ذوي الالباب ، ولم يقصر نصحا في ترصيف أبواب تبهر المتقدم والمتأخر من  
ذوي الكمالات والآداب ، وأودعه نكتا لطيفة تفوق بسناما على بدر التمام ، وورعه  
بفرائد تزهر في الاتساق وتروق في الانتظام .

في بطن قرطاس رخيص ضمنت أحشاؤه درر الكلام الغالي

فله در مؤلفه من عالم أبدع ، وفاضل أعلن بالحق وصدع ، وهذب فذهب ،  
وبوب فرتب ، أخذه ذهباً فعدا يتوقد لها ، وتناوله قيسا فتجلى في طور البلاغة  
شهباً ، وزاد في حسن سبكه فهزت أعطاف ناظريه طرباً ، الى آخر ما وصفه به بعض  
الافاضل حين قرظه أكابر الامائل .

وقد أثنى على كتاب جلاء العينين وقرظه جماعة من أعيان المذاهب الاربعه  
المعاصرين للمصنف رحمهم الله تعالى ، ولا بأس أن نذكر من كلام بعضهم نبذا يتحلى  
بها وينفأس دررها جيد هذا الكتاب ، فأقول ومن الله أستمد التوفيق والاعانة :  
من أثنى على كتاب جلاء العينين علامة المنقول والمعقول ، وفهامة الفسروع  
والاصول ، خاتمة الادباء ، وتذكرة فحول الشعراء ، فريد عصره ، ووحيد دهره ،

الذي طار صيت مجده في الآفاق ، وأشرقت شمس فضله في الحجاز والعراق ، أحمد  
باشا الفاروقي الموصلية ، طيب الله تعالى ثراه بعطر رضوانه الجلي ، وقد قرظ جلاء  
العينين بتقريظ هو لدى الأدياء قرّة عين ، وهو تقريظ نفيس ، يفعل بالالباب ولافعل  
الخنديس ، وذلك قوله لازال في بجوحة الجنان مسكنه ومحلّه :

وأجلت الافكار في الاحمدين  
نص هذا الكتاب من غير مين  
فترأت أوراقه من لجين  
رونق الحسن جامع الضدين  
وجلا عن عيونه كل غين  
بين من يدعى الضلال وبينى  
ثابت الاصل محكم الطرفين  
في سماء العلوم كالنيرين  
ه ونفى الظنون عن هذين  
لبستها مناكب الشيخين  
وشى صنعا يحوكها باليدين  
وسواه قضى الديون بدين  
سبقت مثل قصة الحكمين  
كشف الحرب عن قناع حنين  
صار بالفضل مجمع البعيرين  
ولصدر الاسلام قرّة عين  
أشرقت في مطالع المشرقين  
طلعت من منازل القمرين  
سلفى الطراز في الاثنسين  
هاشمي الآباء والجسدين  
من علي وجعفر وحسين  
فاح منه الشذى لدى المشعرين  
اس طرا في حالة النشأتين

بجلاء العينين كحلت عيني  
فرايت الصواب ماقد حكاه  
قد حوى في اصدافه خير در  
وكذاك الاشياء يظهر فيها  
أوضح الحق لدى كل راء  
وخصوصا قدباعد البحث منه  
فلنا بالنعمان خير اتباع  
كم جلا الشك عن جليلين كانا  
خدمة ساقها لأجل رضى الل  
نسج الفكر منه حسن ثياب  
حاكها بالافكار علما فليست  
بنقود النصوص وفي حقوقا  
ذكرتني ومانست قضايا  
عرفت جده الاحابيش لما  
عن أبيه تورث العلم حتى  
فهو للدين ساعد وعماد  
كم له من فضائل كشموس  
وبدور من التأليف غر  
أشعري المقام علما وحكما  
علوى نجاره من قريش  
كالانائب بعضها فوق بعض  
نسب في الحطيم قدضاع مسكا  
فهم قدوة الورى وملاذ الن

( ترجمة هذا الفاضل )

هو من قوم كرام ، وأماجد أعلام ، ينتهي نسبه الى سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه ، ونسبه معلوم مشهور ، وفي كتب الانساب مذكور ، وهؤلاء القوم كما قال قائلهم فيهم :

بنو فاروق تيجان المفارق  
فكم من برجهم طلعت بدور  
وكم من عيلم في العلم منهم  
مآثرهم نجوم سما معال  
فلو مدوا الى العيوق باعا  
مجابرهم بحسور زاخرات  
فما هم والمعالي منذ كانوا  
وهم فحوى حقيقة كل شيء  
وهم خلعوا على أم المعالي  
وهم سنوا المعالي بالعوالي  
وهم من تعرف البطحا أباهم  
وهم من مهدوا للدين طرقا  
وهم أسد لهم يعلو زئير  
وان خفقت لهم رايات بطش  
تحدثهم فراستهم بما قد  
وهل من قائل يوما سواهم  
يسوقون الكماة الى المنايا

وأعيان المغارب والمشارق  
وكم من أفتهم قد ذر شارق  
يطم اذا طمى شم الشواهق  
لها عقدوا ميسارهم مناطق  
لجاوزه وليس هناك عائق  
سل الاقلام عنها والمهارق  
وكانت غير معشوق وعاشق  
وهم عنوان ديوان الحقائق  
وهم في المهد من مجد قراطق  
وبيض الهند والخيال السوابق  
وتعرف جدهم للحق فارق  
يداس بها على قمم الطرائق  
اذا هدرت بيوم وعى شقاشق  
فؤاد الخافقين تراه خافق  
طواه بين جنبيه المنافق  
ليوم تفاخر في المجد لائق  
وليس لهم سوى الاقدام سائق

قال المترجم رحمه الله في كتابه ( العقود الجوهريّة ) بعد أن ذكر نسبه من الابوين :  
وأما ولادتي فكانت في الموصل أواخر سنة أربع وأربعين ومائتين وألف من الهجرة  
النبوية على صاحبها أفضل التحية ، قال ولما بلغت من العمر أربع سنين ابتدأت بقراءة  
القرآن الكريم ، وختمته سنة سبع من عمري ، وحفظت طرفا منه ، ورويت قراءة  
حفص على أستاذي في الدعو الملا عبد الرزاق الجبوري ، وفي سنة أربع وخمسين  
طلبني عمي الشهير بالفضل ، عبد الباقي الفاروقي ، وكان اذ ذلك ساكنا بعداد ،

وبقيت عنده نحو ستة أشهر ، وقد أكملت شرح الالفية للسيوطي على الشيخ أسعد أفندي الموصللي المدرس في مدرسة جامع الآصفية ، ثم عدت الى الموصل فقرأت أصول الفقه وعلم الحساب وطرفا من علم الوضع على العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن الكلاك ، وجمعت الجمع الصغير والجمع الكبير في القراءات السبع على ولده الشيخ عبد اللطيف ، وقرأت بعض المتون المنطقية على العابد الزاهد والعالم الفاضل الشيخ محمد أمين بن الملا عبيده ، وقرأت علم البديع وطرفا من علم المعاني والبيان على رئيس العلماء المشهود له بالعلم والورع الشيخ عبد الله الفاروقي قدس الله روحه ، ثم ان عمي رحمه الله طلبني سنة احدى وستين ومائتين وألف من والدي مرة ثانية لأجل الاقامة عنده ، فتوجهت الى بغداد وكانت اذ ذلك غاصة بالفضلاء والعلماء والادباء - فتخرجت عليه في فنون الشعر وعلم الادب ، وطورت بجناح فضله ، واستسقيت من هطال وبله ، وفي غضون ذلك قرأت - تبركا - شرح الشمسية للقطب ابن عقيل ، على خاتمة المفسرين وعلامة العلماء المحققين أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود الالوسي ، مفتي الزوراء ، ومرجع الفضلاء - قدس الله روحه، وتعمده برحمته ورضوانه - وقرأت أيضا كتاب تشريح الافلاك على الفاضل الشيخ أحمد السنندجي نزيل بغداد ، وأتقنت اللغة الفارسية على ولده الفاضل الشيخ طه أفندي ، ولم أزل عند العم في بغداد الى السنة التاسعة والستين بعد المائتين والالف ، وفيها دخلت مسلك خدمة الدولة العلية العثمانية ، ولم أزل متقلبا في البلاد بمناصب مختلفة ، حتى أصعدني أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين - السلطان عبد الحميد خان - الى رتبة مير ميران ، وها أنا اليوم في الآستانة ضيف حظيره ، ونزيل سدته ، داعيا له بالدوام ، على مدى الايام ، انتهى كلامه .

وقلت في كتاب بدائع الانشاء - فيما كان من مكاتباتي مع مشاهير الادباء ، من كلام في ترجمة هذا الاديب الفاضل - وفي شهر رمضان سنة بعد الثلاثمائة والالف من الهجرة النبوية : نعاه لنا الناعي من اسلامبول دار السلطنة العثمانية ، وان روحه الشريفة انتقلت الى الجنان ، ودار الرحمة والرضوان ، في أواسط ذلك الشهر مهبط الغفران ، وأرخ وفاته بعض الادباء بقوله من أبيات : أدخلوه الجنان أحمد عزت ، فهناك لوت ساعد عزمي يد نيران اللف ، وفلأركان صبري ما قاسيته من الأسى والاسف ، ونفذ من قضاء الله تعالى فيه ، مأمض قلبي ، وأرض لبي ، وقطع نياط فؤادي ، وطرده لذيذ رقادي ، وأحدث لي حزنا ملازما ، وهما مداوما ، الى أن قلت :

وقد كان المشار اليه لازالت سحب الرحمة والمغفرة منهلة عليه ، رجل الدنيا ، وواحدها ،  
وعضدها وساعدها وسيدها وماجدها :

وما كان أبهى منه في الناس منظرا	ولا كان أذكى منه في الناس مخبرا
تفقدت منه وابل القطر مطرا	وفارقت منه طلعة البدر نيرا
لئن غيبوه في التراب وأظلمت	معالم كانت تفضح الصبح مسفرا
فما أغمدوا في التراب الا مهندا	ولاحملوا في النعش الا غضنفا

ثم ذكرت كلاما طويلا في الثناء عليه وعقبته بقولي : وقد كان رحمه الله تعالى  
حسنة الزمان ، وعين الاعيان ، وركن الادب العالي على الاركان ، كمالاته كثيرة ،  
وفضائله شهيرة ، له ديوان شعر رائع ومقالات من النثر الفائق :

له الكلمات الجامعات تخالها	نجوما بأفاق البلاغة طلعا
وان كتبت أقلامه فجمائم	تبث الى السمع الكلام المسجما
وكتب لدين الله أضحت مطالعا	كما كانت الافلاك للشمس مطالعا
اذا ضلت الافهام عن فهم مشكل	هدى وعليه في الحقيقة أطلعا
وان قال قولا فهو لاشك فاعل	قؤول من الامجاد ان قال أبدا
كلام ترى الاقلام في الطرس سجدا	له وترى أهل الفصاحة ركعا
يحير أرباب الرجال كأنسا	أتانا باعجاز من القول مصقعا

وكان عليه الرحمة حنفي المذهب ، سلفي العتيقة ، أفعاله وأعماله كلها سديدة ،  
وبقي كلام طويل ، وثناء جميل ، أعرضنا عن نقله ، وتركناه لأهله .  
( ومن قرظ الكتاب وأثنى عليه ) خاتمة بني الآداب ، ومن أنقذ - برشاء  
تقريراته من جب العويصات - هلكى الطلاب ، تذكرة الاصمعي وابن دريد ،  
وسيوييه الثاني وأبو عبيد ، المفتي في المذهب الحنفي في البصرة ، أحمد بك الشاوي  
الشافعي الحويري تغمده الله تعالى برحمته ، وأسكنه بجزوة جنته ، وذلك قوله دام  
فضله :

قل لقوم بزعمهم خطئوا الشيا	خ بلا حجة ولا برهان
واستدلوا بما رواه فلان	عنه من غير صحة عن فلان
ثم قووا ورجحوا واهن القو	ل بلا قوة ولا رجحان
غير ما قد تقولوه عليه	شططا من وساوس الشيطان



بها ذو الجلال من سلطان  
 مثلما ينبغي لذي عرفان  
 وجه كالشمس في وضوح البيان  
 ن سبي ابن ثابت النعمان  
 مل فيما به رضا الرحمن  
 ل دجى الاختلاف والامتحان  
 منه سرا بما رأى الاحمدان  
 كان انسان عين هذا الزمان  
 آلفت بين نافرات معاني  
 لم يكن حام حولها الشعراني  
 علمه أن يميل بالميزان  
 بجلاء العينين للالذهان  
 عين أهل التوحيد والايمان  
 وأودى بالالفك والبهتان  
 ث على شرط ماروى الشيخان  
 مفردا ماله اذا عدّ ثان  
 تقتفوا اثره بدون توان  
 ودليل الى بلوغ الاماني

من أقاويل لم يكن أنزل الله  
 ان أردتم أن تعرفوا الحق حقا  
 وتروا منهج الهدى مستتير ال  
 فعليكم بما روى الثبت نعمنا  
 الفقيه النبيه والعالم العا  
 والمجلى فيصل الحكم بالعد  
 لو رأى الاحمدان ماقد رأينا  
 ولو أن الزمان صور شخصا  
 كم له من مؤلفات علوم  
 أوقفنا على مشاعر علم  
 وحرى اذا العلوم استخفت  
 قد جلا من غياهب الشك عينا  
 ياله من مصنف فيه قررت  
 دمع الباطل المزخرف بالحق  
 وحوى من معنعات أحادي  
 فهو ان عدت التصانيف أضحى  
 فاجهدوا! ياهداكم الله في أن  
 إنه ما علمتم خير هاد

### ( ترجمة هذا الفاضل )

قد أفردت له ترجمة في كتاب ( بدائع الانشاء ) فيما جرى من المكاتبة بيني وبين  
 المعاصرين من الادباء ، وذكرت له فيها كثيرا من شعره الفصيح ، وكلامه البليغ  
 الرجيع ، وها أنا أذكر ملخص ذلك في هذا المقام ، والله ولي التوفيق والانعام ،  
 فمن ذلك أني قلت هو أحمد بك بن عبد الحميد بك بن سليمان بك ، وينتهي نسبه  
 الى تبع الاكبر أحد من كان في اليمن من تبابعة حمير ، وهو من سلالة قوم من  
 الاخيار ، وأناس سمو بعلو همهم الى أوج الفخار .

وجد عريق سيذا بعد سيد  
 فكانوا اذا ما بين نسر وفرقد

هم القوم يروون المكارم عن أب  
 تسودهم نفس هناك أبيّة

وهزتهم يوم الندى أريحية  
 تطربهم سجع الصوارم والقنا  
 اذا وعدوا الطاغين بالباس أزهوا  
 كرام اذا استمطرت وبل أكفهم  
 يقال لمن يروي أحاديث فضلهم  
 كأن شربوا من كأس صهباء صرخد  
 بيوم الوغى لا ماترى أم معبد  
 وان احسنوا الحسنى فعن غير موعد  
 أراقته وبلا من لجين وعسجد  
 أعد واستعد ذكر الكرام وردد

ولد رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين ومائتين وألف من هجرة من لم تبلغ كعب  
 علاه بردة كل مدح ووصف ، وقد ذكر لي ذلك عند سؤالي له عما هنالك ، ولم يزل  
 يحتسي در الفضائل ، ويشتغل على علماء عصره الامثال ، حتى أزه به روض الادب  
 بعد ييسه ، وأقمر به فلك الفضل بعد أفول شمسه ، وأثمرت به أغصان دوحة حديقة  
 العرفان ، وأبهرت أنوار حقائق دقائق النطق والبيان ، وشدت به ابكار الافكار  
 نطاقها ، ومدت عليه أسرار أنظار خرائد المعاني رواقها ، يروي من الحديث أتقنه ، ومن  
 الشعر أرصنه ، ومن كل علم أحسنه ، ومن كل أدب أزينه ، كان اذا تكلم يود السامع  
 لو أن كله السن ، ولا يبقى فيه جارحة الا تمت أنها أذن ، صحبته كريمة ، وعشرته  
 جميلة ، ودعابته لطيفة ، ومحاضراته شريفة ، وفريخته سديدة ، وعارضته شديدة ،  
 ومعانيه رقيقة ، ومبانيه وثيقة ، يتناثر الدر من فلق فيه ، وكان هذه الابيات قد  
 أنشدت فيه :

حكم على أهل العقول يثها  
 ويريك في ألفاظه وكلامه  
 كسم أعربت ألفاظه عن حاله  
 أو كأنه هو المقول فيه حيث كان رحمه الله يشبهه ويضاهيه :

أحاديثه مثل زهر الرياض  
 لطيف رقيق حواشي الطباع  
 فهل كان اذ ذاك روضا جميما  
 فلو جسمت لاستحالت نسима

ومما قلت أيضا في ترجمته : مع قوة حافظة وفصاحة لهجة ، تظنه لولا ما هو عليه  
 من الفضل والادب أنه قد ربي في البوادي مع خلص العرب ، يخفظ من نوادر  
 الجاهليين وما كان لهم من الايام والاخبار ما لو جمع في سفر لكان من أعظم الاسفار .  
 وأما معرفته باللغة وغريبها وفصيح تراكيبها وأساليبها فذاك الذي اعترف له به  
 المكابر ، وأذعن له الاصاغر والاكابر ، هذا مع تواضع ولين جانب ، للأقارب الأذنين  
 والاجانب ، وقد ضم مع ذلك من الاخلاق أكرمها وألطفها ، ومن الاوصاف أفضلها  
 وأشرفها .

ورضيت كان الحلم رجع جوابه  
وسطا يكون العفو مر عقابه  
الفاظه وسكسرت من آدابه  
وبسمعه ولعله أدري به  
فاقت شمائله على أترابه

من لي بانسان اذا أغضبتيه  
واذا أصر على الذنوب جليسه  
واذا ظمئت الى الشراب رويت من  
وتراه يصفى للحديث بقلبه  
واذا تفاخرت الرجال بماجد

ولم يزل يتقلب في المناصب ، ويتنقل في منازل المراتب ، حتى أدت به خاتمة المطاف ، وفاتحة النعم والالطاف ، الى أن تقلد افتاء البصرة الفيحاء ، ونشر الاحكام الشرعية في هاتيك الانحاء ، الى أن قلت : وقد عاقته العوائق ، ومنعته الشواغل والعلائق ، أن يتصدى لتأليف كتاب أو تصنيف فصل أو باب ، نعم ان له من الشعر الرائق ، والنثر اللطيف الفائق ، ما لو جمعا لكان كل منهما أعظم ديوان ، وفاق مانسب لحسان ونابعة بني ذبيان ، وكم جرت بيني وبينه مكاتبات هي لعمرى أرق من مدامع صب صبها على مافات ، وهي مذكورة في ترجمته من كتاب بدائع الانشاء ، فليراجعها من شاء ، ولم يزل يصدع بالحق ويفتي بأصح الاقوال ، حتى انتقل الى رحمة الله المتعال ، وذلك سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف من الهجرة ، وقد أسف على فقده من كان عارفا بقدره ، ودفن بجوار الزبير رضي الله عنه ، وقد رثاه صاحبه وخلفه في الافتاء الشيخ طه أفندي الشهير بأل الشواف ، منحه الله تعالى بالنعم والالطاف ، فقال :

بعدت عني فروى تريك المطر  
من بعد شخصك يدري منه ما الخبر  
فسوف ترثيك مني أعين غزر

لا تبعدن أبا عبد الحميد وقد  
اذا رثيتك بالشعر البديع فمن  
فاذهب عليك سلام الله في دعة

وكان رحمه الله تعالى شافعي المذهب ، لا يميل الى غير مذهبه ولا يذهب ، غير أنه لا يستحسن رأي الغلاة من الشافعية ، وكان يختار كامامه الآراء السلفية ، والله يتولى الصالحين .

( ومنهم شبل ذلك الاسد ) والفاضل الذي لم يطاوله في الفضل من أقرانه أحد ، تذكرة أهل الادب ، ومجمع فضائل العرب ، عبد الحميد بك الشاوي البغدادي تعمدته الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فرايس الجنان ، وذلك قوله :

أبا ثابت يهنيك أنك ثابت  
على الحق اذلت عن الحق أرجل  
جلوت العمى والشك عن كل مؤمن  
بقول يميظ الهزل حقا ويفصل

فهذا جلا العينين يمجز آخرا  
فيطالب الاخرى ويامتغي الهدى  
مداه ولم يبلغه قبلك أول  
ليسعد عند الله في يوم يسأل  
عليك به ان الابطيل تسفل  
لعمرى لهذا الحق يعلو مناره

( ترجمة هذا الاديب الاريب )

قد كتبت لهذا الفاضل ترجمة مفصلة في كتاب بدائع الانشاء ، حيث أنه ممن جرت بيني وبينه مكاتبة من الادباء ، ومجمل ماقلت فيها : ان هذا الاديب كان على جانب عظيم من علو الهمة ، وشرف النفس ، ولين الجانب ، ومعرفة الادب ، ورقة النثر ، وجزالة الشعر ، وذكاء الطبع ، وسخاء الغريزة ، وسرعة الفهم ، وسرعة الذهن ، وبعد النظر ، وغور الفكر •

متيقظ الافكار يدرك رأيه  
من أسرة رغمو الانوف وأصبحوا  
ما لم يكن بالظن والتخمين  
من أنف هذا المجد كالعرنين  
قوم يسان من الخطوب نزيلهم  
واللابسون من الفخار ملابسا  
ونوالهم بالبر غير مصنون  
ومن الوقار سكينه بسكون

له خلق أرق من النسيم ، وأعذب من التسنيم ، لطيف المؤانسة ، طيب المفاكهة ، لايمله جليسه ، ولا يرغب عنه أنيسه •

ورأيت من أخلاقه بوجوده  
ولكم تجلى بالمسرة فانجلى  
صدأ الهموم بقلبي المحزون  
تبدو بطلعة وجهه الميمون  
حيث السعادة والرياسة والعلی

وكانت له اليد الطولى باللغة العربية ، كما كان سباق غايات بين فرسان اللغة التركية •

أقلامه افتخرت على سمر القنا  
خط يسر الناظرين ولم يزل  
فرايت كل الفخر للاقلام  
في العين أحسن من عذار غلام  
وكأننا نظم النجوم قلائدا  
في الكتب مشرقة لدى الايام

وله من الشعر نظم كثير ، وبحر غزير ، ومن شعره الرائق ، ونظمه الفائق ، هذه القصيدة الغراء ، بل الغادة الحوراء ، قالها متحمسا بحسه ، وشرف نسبه وأدبه ، ذاكرة غدر أعيان وطنه به ، وذلك قبيل وفاته بعدة أيام ، وهي نفثة مصدور ، وأنة

مقهور ، قد أضربه السقام ، ولم يرو من غليله الاوام •

وليس لليل المعنى غمد  
كأنني بها ساهرا أرصد  
تشب ضراما فما تخمد  
تسح دراكا فما تجمد  
وتوهي الاضالع لاتنفد  
وخلف نار جوى توقد  
وأعقبه زمن أنكمد  
وأعرق بي البين اذا أنجدوا  
وعيش بساحتهم أرغد  
جليسي به الرشا الاغيد  
ويعنو له الاشوس الاصيد  
وفوق الحسام الجراز اليد  
وكنت بصحبتهم أسعد  
ولم يك في الدهر ماينكد  
من العمر لو أنها عود  
وهيهات مثلهم يوجد  
واني من بعدهم مفرد  
ومالي خل ولا مسغد  
وقدمني الاهل والمعود  
فما العيش من بعدهم يحمد  
لقلت وان كنت لا أقصد  
وطالها الطالع الاسعد  
وان لسح بي ظمما مورد  
لهم طارف المجد والاتلد  
وان ذكر الاصل والمحتد  
ه خناصر أهل النهى تعقد  
على ما بها من وجي تسند

أرقت وهل يهجع المقصد  
وبت أراقب سير النجوم  
بقلب قريح له لوعة  
وعين كمين تفيض الدموع  
ولي زفرات تذيب الحشا  
لذكر زمان هوى قد مضى  
وعهد صبا سلبته الخطوب  
واظعان حي حدتها النسوى  
وقد كان لي فيهم مألّف  
وكم لي هنالك من مجلس  
غرير يصيد أسود الشرى  
أسامره بغرامي به  
واخوان ضراء فارقتهم  
قضيت بهم والتمني غضة  
ليالي أفدي لها جانبنا  
نأوا فظلت كئيبا لهم  
لقد كان شملي بهم جامعنا  
غريب أقاسي العنا والاسى  
مقيم أعانى ضروب الضنا  
فسقيا لعيش بهم مكان لي  
فلولا عواد عدت جمه  
سقى الله بغداد صوب الحيا  
وان لم يكن لي في شطها  
ولكن تركت بها معشرا  
هم الناس ان عد أهل العلى  
وما منهم غير قرم عليهم  
فياراكبا زعلبا جسرة

ففيها لأهل الهوى معهد  
 وقلب أضيع فما ينشد  
 يدوب له الحجر الجلمد  
 ولا أنا مكتب مكمد  
 مدى همة شأوها أبعد  
 ت تفاقم صمصم لا يفسد  
 ت عظمن الى أيها أعمد  
 وشادوا من المجد ما يخلد  
 دنى دونها النجم والفرقد  
 بنوا الدهر أجدادهم عددوا  
 ت وكان لأهل العلى مشهد  
 قد وان أبي المجتبي أحمد  
 عن الخير والمجد لا يرقد  
 وللشانيء الأرقم العربد  
 وأكبر أعدائه الامجد  
 اذا شئت قلت فمن يجحد  
 صدق النجابة والسؤدد  
 وهل يخفض السؤدد الحسد  
 وهمته عنهم تفقد  
 وموضعه الفائط الأوهد  
 دراهم في كفه تنقد  
 فليس الى غيرها يخلد  
 لكان له عندنا موعد  
 بما فيه أفعاله تشهد

اذا جئت بغداد فاحبس بها  
 وفي الكرخ لي كبد غودرت  
 لقيت من الدهر ما بعضه  
 ولست لاحدائه ضارعا  
 ولكنني أنا جار على  
 ولي سيف عزم اذا النائبا  
 ولست أبالي اذا الحادثا  
 وقومي الالى الصيدسادوا الورى  
 سموا في سماء العلى رتبة  
 على أن فخري بنفسي اذا  
 وحسي فخرا اذا ما فخر  
 مقالني أني عبد الحميد  
 همام اذا رقد الغافلون  
 هو الحلو طعما لاجبابه  
 فتعسا لدهر أخوه اللئيم  
 أنا العلم الفرد في ربتسي  
 تكنفسي من كلا جانبي  
 على رغم كلب عوى حاسدا  
 عجت لنذل يناوي الكرام  
 يسامي رعان جبال سمت  
 يرى الفخر والفضل من جهله  
 يخال السفاهة رأس العلى  
 فلو لا الترفع عن مثله  
 على أنه حسبته خزيه

وقد عرض في هذه الابيات الاخيرة بنقيب بغداد ، فانه عدو لأهل الكمالات  
 والامجاد ، وكان رحمه الله له مشاركة في كثير من العلوم ، واشتغل مدة مديدة في  
 المنطوق منها والمفهوم ، وله محبة ومزيد ميل الى آثار السلف ، ولم يزل يسخف رأي  
 الغلاة الذين هم بس الخلف ، ولم يبلغ من العمر الا نحو خمس وأربعين سنة الا

واخترته المنية ، ووجد عليه والده أعظم وجد حتى لحقه بعد مدة جزئية ، وقد كنت كتبت له أعزبه بهذه الفاجعة المؤلمة ، وهذه الحادثة الملمة ، فأجابني بقوله :

بالله المستعان وعليه التكلان ، وبه أستعين ، وهو في كل شدة نعم المعين ، لاملجأ الا اليه ، ولا معول الا عليه ، وله الحمد على كل حال ، واليه المرجع والمآل ، لقد صرت للحوادث غرضا منصوبا ، وللنوائب جملا ركوبا ، تتصل في ماضيات نصالها ، وتحمل عليّ مثقلات أحمالها ، فله قلبي مأصبره وأقساه ، وجسمي مأصلبه وأقواه ، فلو كان قلبي حديدا لذاب ، أو كان وجودي صخرا لتصدع من عظم المصاب ، ولعمري لقد فل المنون شباتي ، وأفسد علي حياتي ، وأتكلني لذاتي ، فما هو الا قصص الصبر أندرعها ، وغصص الموت أتجرعها ، وتأبى زفرات الحزن الا تصعدا ، وجمرات الوجد الا توقدا ، ولكن ما الحيلة وقد حل البلاء ، وفرض العزاء ، وكتب الرضاء والتسليم ، عند حلول الامر الجسيم ، فلا تسخط لقدر الله وهو عدل ، ولا تكره لقضائه وهو فصل ، فانا لله وانا اليه راجعون ، تسليما لما أمضاه ، ورضى بما قضاه ، ولقد تشرفت بكتابكم الشريف ، فتناولته بكف التكريم ، وأنامل التبجيل والتعظيم ، وفضضته من خط تسكب منه العبرات ، ولفظ تتجاذب من خلاله الحشرات يشهد بمشاركة مولاي أطال الله تعالى بقاءه في هذه المصيبة مشاركة من لا يميز عنه في محنه ولا منحه وسروره وحزنه ، فأبناك الله للعلم تعمر مدارسه ، وتجدد دارسه ، وللأخوان تكون لهم عونا في حوادث الزمان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، في (٥) ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة ، الداعي مفتي البصرة أحمد ابن عبد الحميد الشاوي .

وقد توفي أيضا في البصرة ودفن في مقبرة الزبير رضي الله عنه .

وقد بقي أفاضل كثيرون ممن قرظ ( جلاء العينين ) وأثنى عليه بما هو مطبوع مع الكتاب وبما ورد بعد الطبع ، ولو استقصينا جميع ذلك مع تراجم المقرظين لاحتمل أن يكون سفرا كبيرا ، وما ذكرناه كاف في المقصود ، وهو ابطال قول التبهاني المخذول في شأن كتاب ( جلاء العينين ) وتبين أنه كذب وافتري فيما ذكره في كتابه ، وأما قوله : فيجب أن يعاملوه معاملة الكذب المخالفة لمذهبهم الخ ، فقد ذكرنا سابقا ان ما اشتمل عليه ( جلاء العينين ) هو عين مذهب الأئمة سواء كان في الاصول أم في الفروع ، وقد ذكرنا نصوصهم في مسألة العلو وغير ذلك بما لا مزيد عليه ، وأما قوله : وترجيحه كثيرا مما يخالف عقائد جمهور المسلمين أهل السنة والجماعة الخ فهذا دليل

على جهله ، حيث لم يفرق بين الايمان والشرك ، وأقوال أهل الحق من أهل الباطل ، وظن أن أهل السنة والجماعة هم الذين على مسلكه وعلى باطله وضلاله ، وقد ذكرنا غير مرة حقيقة حالهم وأن الفرقة الناجية هم التابعون لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام .

وأما القول بالجهة فقد قلنا ان كتب الشيخ كلها ناطقة بخلاف ذلك ، ومسألة العلو والاستواء قد سبق الكلام عليها ، وذكرنا أقوال من قال بها من الأئمة وغيرهم .  
(ومنها أنه قال ) وأنا والله في حيرة من أمره ، ان قلت ان ذلك اعتقاده يعارضني أني أعرفه حنفي المذهب ، من عائلة علم وسيادة ، كلهم من أهل السنة والجماعة ، وان مااعتمده في هذا الكتاب - مما أيد به زلات ابن تيمية - هو مذهب الوهابية لامذهب الحنفية الخ .

( فيقال لهذا المخذول ) لم تتحير في أمرك وأنت لست بمسئول عن غيرك ، وكل امريء بما كسب رهين ، وبما عمل مجازى بيقين ، هلا نظرت الى نفسك قبل حلول رمسك ، قد قضيت عمرك بالضلال وفساد الاعمال ، والحكم بالطاغوت والاعراض عما شرعه ذو الجلال ، تارة تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل زمان وفي كل مكان ، وأخرى تدعي أن كل من لم يدع المخلوق ولا استغاث به فهو من المبتدعين ، وأن الاسلام هو دعاء غير الله والغلو في الصالحين ، وأخرى تقول بالحلول والاتحاد ، وتعتقد مايعتقده أهل الالحاد ، ومع ذلك لم تتحير في أمرك بل تحيرت في أمر غيرك ، وما دخولك بين العلماء وأنت من أضل الجهلاء !؟

اقرأ كتابك واعتبره قريبا	وكفى بنفسك لي عليك حسيبا
ومن الفصح كلام اخوان الصفا	ان خاطبوا جملوا الخطاب خطوبا
ما كان عذرك لو أتيت بمثله	أو كنت فيما تشتهي مجيبا

( وما أحسن مايقول القائل )

مناضلة النبي مع الاديب	بلا داع من المعجب العجيب
أيامر بالمكارم من بعيد	ويجنح للندية من قريب
وينهى عن طباع السوء صبطا	ويأتي بالاساءة في الغروب
يعلم غيره طرق المعال	وتجذبه النقيصة للميسوب
وان يأتي الفتى ماعنه	فذاك النهى وعظ من كذوب



وصون العرض يقضي بالوجوب  
يقوم بنصرة الطبع الغضوب  
تطير بهن عاصفة الهبوب

سكوت الجرحم عن سفاه  
وماذا النفع في إتعاب فكر  
لثلم العرض في كلمات سوء

( وما أليق ما يقول القائل بحال النبهاني أيضا )

بلا حق من السفه العجيب  
حصى أن يعد من النعيب  
سخيف ليس بالرأي المصيب  
محاورة الاديب مع الاديب  
متى كانت تعد من الذنوب  
رويدك جئت بالامر الغريب  
من العلماء بالوعظ الكذوب  
بما علموه من حسب حسيب  
اذا عرضوا على فطن لبيب  
ذكا والفضل تبصرة القلوب  
اذا لم يبد من شهيم نجيب  
به يمتاز ذو الباع الرحيب  
يقون العرض من ذم مرب  
قدما أو حديثا من نقيب  
ولم نعهده بالربع الخصيب  
لأمر فيه اغضاب الرقيب  
وهل غير الاساءة للنجيب  
بروعك صولة الاسد المهيب  
بشفرة مقبول منه ذريب

معارضة الغريب الى القريب  
وازرء الغيبي على ذكي  
فهلا أيها الناهي برأي  
اتحسب لاحسبت بأن شتما  
مساجلة الكرام بكل فن  
وتنقص كاملا وتذم شهما  
وأنت فما دخولك بين قوم  
وان تجادل العلماء يوما  
ليعرف كامل الفضلاء منهم  
وتلك لحلة فيها لأهل  
فأي تطاول فيه افتخار  
الا إن التطاول في كمال  
متى كانت بنهان كرام  
وأبي نقيية لهم استبان  
فربح كما لهم قدما جديب  
أيجتب الكريمة طبع حر  
فهل غير المسرة للقريب  
فكف اللوم ياذا اللوم واحذر  
وحاذر أن يصيبك ذو كمال

ثم ما الموجب لهذه الحيرة وقد صرح الصبح لذي عينين ، وقد قلنا ان جميع  
مااشتمل عليه ( جلاء العينين ) هو مذهب الأئمة ، وأساطين الأمة ، لاسيما مذهب  
الامام أبي حنيفة عليه الرحمة والرضوان ، فكتب مذهبه طافحة برد بدع الغلاة ، ومثل  
ذلك كتب الشافعية ، والمالكية وغيرهم ، ومن مشهور مذهب أهل المدينة سد الذرائع

والبدع ، وقد ذكر علماء السادة الحنفية في مسألة الاقسام على الله بسخوق ماتقربه عين الموحد ، فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه ، وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك ، فقال أبو الحسين القدوري في شرح كتاب الكرخي : قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، قال وأكره أن يقول بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام ، وأكره أن يقول أسألك بمعقد العز من عرشك ، قال أبو الحسن : أما المسألة بغير الله فمنكرة في قولهم ، لأنه لاحق لغير الله عليه ، وانما الحق لله على خلقه ، وأما قوله بمعقد العز من عرشك فكرهه أبو حنيفة ورخص فيه أبو يوسف ، قال : وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بذلك ، قال ولأن معقد العز من العرش انما يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمتها فكأنه سأله بأوصافه .

وقال ابن بلدي في شرح المختار : ويكره أن يدعو الله تعالى الا به ، فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك ونحو ذلك ، لأنه لاحق للمخلوق على خالقه ، أو يقول في دعائه أسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن أبي يوسف جوازه ، وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه أكره كذا هو عند محمد حرام ، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو الى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب .

وفي فتاوى أبي محمد ابن عبد السلام أنه لا يجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم ، وتوقف في نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا اعتقاده أن ذلك جاء في حديث وأنه لم يعرف صحة الحديث .

فاذا قرر الشيطان عنده أن الاقسام على الله به والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجع في قضاء حاجته نقله درجة أخرى الى دعائه نفسه من دون الله ، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى الى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه ، ويوقد عليه القنديل ، ويلق عليه الستور ، ويبني عليه المسجد ، ويعبده بالسجود له والطواف به ، وتقيله واستلامه ، والحج اليه والذبح عنده ، ثم ينقله درجة أخرى الى دعاء الناس الى عبادته ، واتخاذهم عيدا ومنسكا ، وان ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم .

وأبعد المراتب المتبدعة - عند القبور - عن الشرع أن يسأل الميت حاجة ويستغيث به فيها ، كما يفعل كثير من الناس ، وهم من جنس عبدة الاصنام ، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان كما يتمثل لعباد الاصنام ، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب ، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحيانا ، وقد يخاطبهم

ببعض الامور الغائبة : وكذا السجود للقبر والتمسح به .  
 وفي كتاب ( الطريقة المحمدية ) للامام محمد البركوي - وكان من اكابر علماء  
 الحنفية الاثرالك - شيء كثير من هذا القبيل ، وكذلك فيما ذكره في رسالته المؤلفة في  
 زيارة القبور ، فانها تشفى العليل وتروي الغليل ، وتحق الحق وتبطل الاباطيل .  
 وفي كتاب ( الفتاوى البرازية ) - وهو من اجل كتب الحنفية قدس الله  
 ارواحهم الزكية - من قال أن ارواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر .

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي - في كتاب الرد على من ادعى أن الاولياء  
 تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة - هذا وأنه قد ظهر الآن فيما بين  
 المسلمين جماعات يدعون أن للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم  
 في الشدائد والبيات ، وبهمهم تكشف المهفات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء  
 الحاجات ، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات ، وقالوا منهم ابدال ونقباء ، وأوتاد  
 ونجباء ، وسبعون وسبعة ، وأربعون وأربعة ، والقطب هو الفوئ للناس ، وعليه  
 المدار بلا التباس ، وجوزوا لهم الذبائح والنذور ، وأثبتوا لهم فيهما الاجور ، قال :  
 وهذا الكلام فيه تفريط وافراط ، بل فيه الهلاك الابدي ، والعذاب السرمدي ، لما  
 فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لعقائد  
 الأئمة وما أجمعت عليه الامة ، وفي التنزيل : ( وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ  
 لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا )<sup>(١)</sup>  
 ثم قال : فاما قولهم ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم فيرده قوله تعالى :  
 ( اِلٰهٌ مَّعَ اللّٰهِ )<sup>(٢)</sup> ( اَلَا لِهٖ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ )<sup>(٣)</sup> ( لِّلّٰهِ الْمَلِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ )<sup>(٤)</sup>  
 ونحو ذلك من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق والتدبير ، والتصرف والتقدير ،  
 ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه ، فالكل تحت ملكه وقهره ، تصرفا وملكا  
 واحياء واماته وخلقاً ، وقد تمدح الرب تعالى بملكه في آيات من كتابه ، كقوله تعالى :  
 ( هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ )<sup>(٥)</sup> ( وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ )<sup>(٥)</sup>

وذكر آيات كثيرة في هذا المعنى ، ثم قال : فقوله في الآيات كلها ( من دونه ) أي من  
 غيره فانه عام يدخل فيه من اعتقده من ولي وشيطان يستمده ، فان لم يقدر على نصر

(١) النساء : ١١٥ - (٢) النمل : ٦٠ - ٦٤ - (٣) الاعراف : ٥٤ - (٤) المائدة : ١٢٠ - (٥) فاطر : ٣ ، ١٣

نفسه كيف يمد غيره ، الى أن قال : ان هذا القول وخيم وشرك عظيم ، الى أن قال :  
وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة ،  
قال جل ذكره : ( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ) <sup>(١)</sup> وقوله : ( اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ  
حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ  
الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) <sup>(٢)</sup> وقوله : ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ) <sup>(٣)</sup> و ( كُلُّ  
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ) <sup>(٤)</sup>

وفي الحديث : ( اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ) الحديث ، وجميع  
ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت ، وأن ارواحهم مسكوة ،  
وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان ، فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته  
فضلا عن غيره ، فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره ، فانه سبحانه يخبر  
أن الارواح عنده ، وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة ( قل  
أأنتم أعلم أم الله )

قال : وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات من الكرامات فهو من أعظم المغالطة لأن  
الكرامات شيء من الله تعالى يكرم بها أوليائه وأهل طاعته ، لا قصد لهم فيه ولا تحدي  
ولا قدرة ولا علم ، كما في قصة مريم ابنة عمران ، وأسيد بن حضير ، وأبي مسلم  
الخولاني •

قال : وأما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد : فهذا أقبح مما قبله وأبدع  
لمصادمة قوله : ( أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَائِفَ  
الْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ ) <sup>(٥)</sup> ( قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) <sup>(٦)</sup>  
وذكر الآيات في هذا المعنى ، ثم قال : فانه جل ذكره كرر أنه الكاشف للضرر  
لاغيره ، وانه المنفرد باجابة المضطر ، وانه المستغاث به لذلك كله ، وانه القادر على  
رفع الضرر القادر على ايصال الخير فهو المنفرد بذلك ، فاذا تعين هو جل ذكره خرج  
غيره من ملك ونبي وولي •

قال : والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية فيقتال  
أو ادراك عدو أو سبع ونحوه ، كقولهم : يا يزيد ، يا للمسلمين ، بحسب الافعال

(١) الزمر : ٢٠ ، ٤٢ ، (٢) آل عمران : ١٨٥ - (٣) المدثر : ٣٨ - (٤) النمل : ٦٢ - (٥) الانعام : ٦٣

الظاهرة بالفعل ، وأما الاستغاثة بالقوة أو التأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف العرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله تعالى لا يطلب فيها غيره .

قال : وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجاهل وينادونهم ويستجدون بهم فهذا من المنكرات ، فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيراً فقد وقع في وادي جهل خطي ، فهو على شفا جرف من السعير .

وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن يكون أولياء الله تعالى بهذه المثابة فهذا ظن أهل الاوثان كما أخبر الرحمن ( وَيَقُولُونَ هُوَ لَأَمْشُرُونَ هُوَ لَأَمْشُرُونَ هُوَ لَأَمْشُرُونَ ) (عند الله) (١) ( وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ) (٢) ( أَمْ تَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُون ) (٣) فان ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي أو ولي أو غيره على وجه الامداد منهم شرك مع الله تعالى ، اذ لا قادر على الدفع غيره ، ولا خير الا خيره . قال : وأما ما قالوه أن منهم أبدالاً ونقباء ، وأوتادا ونجباء ، وسبعين وسبعة ، وأربعين وأربعة ، والقطب هو الفوث للناس : فهذا من موضوعات إفكهم ، كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين ، وابن الجوزي وابن تيمية انتهى باختصار ، ومثل ذلك كثير في كتب الحنفية وغيرهم من المذاهب ، فرحم الله علماء السنة فلقد كفونا مؤونة كشف ما أورده الخصوم من شبهات المبطلين ، فله الحمد والمنة على عظيم النعمة .

( فانظر أيها النبهاي ) ما نقلناه اليك من أقوال الحنفية وغيرهم فهل خالفت ما اشتمل عليه ( جلاء العينين ) وما ذهب اليه المحققون من الفريقين فلم أخذتك الحيرة واعترتك الوسوس الكثيرة !؟

وأعجب من ذلك قولك : وان ما اعتمده في هذا الكتاب - مما أيد به زلات ابن تيمية - هو مذهب الوهاية لامذهب الحنفية ولا مذهب آباءه وأجداده السادة الشافعية ، حيث لم يعرف النبهاي المسكين النجل ولا المذاهب ، فبقي يخط خط

(١) يونس (٢) الزمر (٣) ييس : ٢٣

عشواء ، ويبيدي ويعيد ، ويكرر قوله البعيد ، حتى زعم أن ماذهب اليه ابن تيمية وموافقوه ليس مذهب أهل السنة بل هو مذهب المتبدعين ، وبيننا خطأه سابقا أوضح بيان ، وأقمنا على ماقلناه الحجة والبرهان ، وأن مذهب أهل السنة هو ما عليه أهل الحديث ، وذكرنا سابقا أن ما عليه أهل نجد ليس مخالفا لما عليه الأئمة الاربعة، بل ما هم عليه هو الذي جاء به الدين المبين ، واطلاق الخصوم عليهم اسم الوهابية مع كونه غلطا هو من باب التنازع بالالقب ، وبيننا أن مثل ذلك من المشركين في شأن المسلمين اذ كانوا يسمونهم صابئة : (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) (١)

(وأهل نجد) مذهبهم على ما كان عليه الامام أحمد بن حنبل نظر الله وجهه ، وقد رأيت رسالة مختصرة يحفظها صبيانهم وشبانهم في العقائد من تصانيف أبي عبد الله العلامة الشيخ محمد رحمه الله ، وليس فيها ما يصادم الكتاب والسنة وما عليه أئمة الاسلام ، وهي هذه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) اعلم رحمك الله أن طلب العلم فريضة ، وأنه شفاء القلوب المريضة ، وهو من أهم ماوجب عليك ، والعمل به سبب لدخول الجنة ، والجهل به واضاعته سبب لدخول النار ، وأنه يجب عليك أربع مسائل •

(الاولى) معرفة الله تعالى ، ومعرفة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومعرفة دين الاسلام بالادلة (الثانية) العمل به (الثالثة) الدعوة اليه (الرابعة) الصبر على الاذى فيه ، والدليل قوله تعالى : ( وَالْعَصْرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ) قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى لو لم ينزل الله على خلقه حجة الا هذه السورة لكفتهم قال الامام البخاري : باب العلم قبل القول والعمل ، والدليل قوله تعالى :

( فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ ) (الآية (٣))

واعلم رحمك الله أن الله أوجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل

الثلاث والعمل بهن :

(١) الفتح : ٢٣ - (٢) محمد : ١٩

( الأولى ) ان الله خلقنا لعبادته ولم يتركنا هملاً ، وأرسل إلينا رسولا فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ، والدليل قوله تعالى : ( إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ) الآيه (١)

( الثانية ) ان الله لا يرضى أن يشرك في عبادته أحدا لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، والدليل قوله تعالى : ( وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) (٢)  
( الثالثة ) أن من أطاع الرسول ووجد الله فلا يجوز له موالاته من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، والدليل قوله تعالى : ( لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) (٣)

( واعلم أرشدك الله لطاعته ) أن الحيفية ملة ابراهيم عليه السلام أن تعبد الله مخلصا له الدين ، كما قال الله تعالى : ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ) (٤)  
ومعنى يعبدون يوحدون ، وأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو افراد الله تعالى بالعبودية ، وأعظم مانهى عنه الشرك وهو دعاء غير الله تعالى معه ، والدليل قوله تعالى : ( وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) الآيه (٥)  
فاذا قيل لك : ما الاصول الثلاثة التي يجب على الانسان معرفتها ؟ فقل الاصل الاول معرفة العبد ربه ، ودينه ، ونبيه صلى الله تعالى عليه وسلم .  
فاذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني بنعمته وربى جميع العالمين ، وهو معبودي ليس لي معبود سواه ، والدليل قوله تعالى : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )

وكل ماسوى الله عالم ، وأنا واحد من ذلك العالم .  
واذا قيل لك بهم عرفت ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته ، فمن آياته الليل والنهار ، والشمس والقمر ، ومن مخلوقاته السموات السبع ومن فيهن وما بينهما ، والارضون السبع ومن فيهن وما بينهما ، والدليل قوله تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ) (٦) الآيه ، وقوله تعالى : ( إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(١) المزمل : ١٥ - (٢) الجن : ١٨ - (٣) المجادلة : ٢٢ - (٤) الداريات : ٥٦ - (٥) النساء : ٣٦ (٦) :  
نصت : ٣٧ .

والارضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (١١) الآية ، والرب هو المعبود ،  
والدليل قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (١٢) الآيتين .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : الخالق لهذه الاشياء هو المستحق للعبادة •  
وأنواع العبادة التي أمر الله تعالى بها : مثل الاسلام ، والايمان ، والاحسان ،  
ومنها الدعاء ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والخشوع ،  
والخشية ، والاناة ، والاستعانة ، والاستغاثة ، والاستعاذة ، والذبح ، والنذر ، وغير  
ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى ، والدليل قوله تعالى :  
( وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) فمن صرف شيئاً من هذه لغير  
وجه الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله تعالى : ( وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ) (١٣)  
ولحديث ( الدعاء مخ العبادة ) والدليل على الدعاء قوله تعالى : ( وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي  
أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) (١٤) الآية ، ودليل الخوف قوله تعالى : ( فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا  
إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) (١٥) ودليل الرجاء قوله تعالى : ( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ) (١٦)  
ودليل الخشية قوله تعالى : ( فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ) (١٧)  
ودليل الانابة قوله تعالى : ( وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْأَلُواهُ ) (١٨) الآية ،  
ودليل الاستعانة قوله تعالى : ( إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ) وفي الحديث :  
( إذا استمنت فاستعن بالله ) •

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : ( إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ) (١٩) الآية

(١) الاعراف : ٥٤ - (٢) البقرة : ٢١ ، ٢٢ - (٣) المؤمنون : ١١٧ - (٤) غافر : ٦٠ - (٥) آل عمران :  
١٧٥ - (٦) الزمر : ٥٣ - (٧) البقرة : ١٥٠ - (٨) الزمر : ٥٦ - (٩) الانفال : ٩ •



ودليل الذبح قوله تعالى : ( قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ )<sup>(١)</sup> (والدليل من السنة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : ( لعن الله من ذبح لغير الله ) ودليل النذر قوله تعالى : ( يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا )<sup>(٢)</sup>

( الاصل الثاني ) معرفة دين الاسلام بالادلة ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك والبراءة من الشرك وأهله ، وهو ثلاث مراتب : الاسلام ، والايمان ، والاحسان ، وكل مرتبة لها أركان .

( أما أركان الاسلام فخمسة ) ( والدليل ) من السنة حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام ) .

فدليل الشهادة قوله تعالى : ( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )<sup>(٣)</sup>

ومعناه : لامعبود بحق في الوجود الا الله وحده لا شريك له . ( النفي ) : نافية جميع ما يعبد من دون الله ، ( الا الله ) : مثبتة العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه لا شريك له في ملكه ، وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي )<sup>(٤)</sup> الآية . ودليل أن محمداً رسول الله قوله تعالى : ( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ )<sup>(٥)</sup> الآية . وقوله تعالى : ( مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ )<sup>(٦)</sup>

(١) الاسماء : ١٦٢ ، ١٦٣ - (٢) الدهر : ٧ - (٣) آل عمران ١٧ - (٤) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧ - (٥) الفتح : ٢٩ - (٦) الاحزاب : ٤٠

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى : ( وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ) .

ودليل الصيام قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (١)

ودليل الحج قوله تعالى : ( وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ) (٢)

(المرتبة الثانية) الايمان ، وهو سبع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا اله الا الله ، وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان .

( وأركانها ستة ) : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله .

والدليل قوله تعالى : ( آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ) (٣)  
ودليل الركن السادس قوله تعالى : ( إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ) (٤)

(المرتبة الثالثة) الاحسان ركن واحد وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، والدليل قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ) (٥)

( والدليل من السنة ) حديث جبريل عليه السلام المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : ( بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام ؟ قال : أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ،

(١) البقرة : ١٨٢ - (٢) آل عمران : ٩٦ - (٣) (٤) القمر : ٤٩ - (٥) النحل : ١٢٨

وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ، قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : أخبرني عن الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر قال : صدقت قال : أخبرني عن الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك قال : صدقت قال : أخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال أخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الامة ربتها ، وأن ترى الحفاة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، فمضى ، فلبث مليا ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . ( )

( الاصل الثالث ) معرفة نبيكم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو محمد ابن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ، توفي وله من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبيا رسولا نبيء باقرا ، وأرسل بالمدثر ، وبلده مكة ، بعثه الله بالانذار عن الشرك والدعوة الى التوحيد .  
والدليل قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ) .

ومعنى قم فأندذر : يعني أنذر عن الشرك وادع الى التوحيد ، وربك فكبر عظمه بالتوحيد ، وثيابك فطهر أي طهر أعمالك من الشرك ، والرجز فاهجر ، الرجز الاصنام ، وهجرها تركها ، والبراءة منها وأهلها ، وفراقها وأهلها ، وعداوتها وأهلها ، أخذ على هذا عشر سنين ، وبعد العشر عرج به الى السماء ، وفرض عليه الصلوات الخمس ، وبقي بمكة ثلاث سنين ، وبعدها أمر بالهجرة ، والهجرة الانتقال من بلد الشرك ، وهي باقية الى أن تقوم الساعة ، والدليل قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لِمَ تُكْنِ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا ) إلى ( وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا )<sup>(١)</sup> وقوله : ( يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ )<sup>(٢)</sup> الآية .

(١) النساء : ٩٧ - ٩٩ - (٢) النكبات : ٥٦

والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : ( لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها )  
 فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الاسلام ، مثل الزكاة ، والصيام ، والحج ،  
 والجهاد ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أخذ على ذلك عشر سنين •  
 وتوفي صلوات الله وسلامه عليه ودينه باق ، وهذا دينه لاخير الا دل الامة  
 عليه ، ولا شر الا حذرهما عنه ، والخير الذي دل عليه التوحيد وما يحبه الله ويرضاه ،  
 والشر الذي حذر عنه ، الشرك وما يكرهه الله ويأباه ، بعثه الله الى الناس كافة ،  
 وافترض طاعته على جميع الخلق : الجن والانس ، والدليل قوله تعالى : ( قُلْ يَا أَيُّهَا  
 النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا )<sup>(١)</sup> وأكمل الله له الدين ، والدليل قوله تعالى :  
 ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا )<sup>(٢)</sup>  
 والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ  
 مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ )<sup>(٣)</sup> والناس اذا ماتوا يعيشون ،  
 والدليل قوله تعالى : ( مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى )<sup>(٤)</sup>  
 وقوله تعالى : ( وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ  
 أُخْرَاجًا )<sup>(٥)</sup>

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله تعالى : ( لِيَجْزِيَ  
 الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمَلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى )<sup>(٦)</sup>  
 ومن كذب بالبعث كفر ، والدليل قوله تعالى : ( زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ  
 يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمَلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ )<sup>(٧)</sup>  
 ( وأرسل الله جميع الرسل ) مبشرين ومنذرين ، والدليل قوله تعالى : ( رُسُلًا  
 مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ )<sup>(٨)</sup>  
 وأولهم نوح عليه السلام ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم

(١) الاعراف : ١٥٨ - (٢) المائدة : ٣ - (٣) الزمر : ٢١ ، ٢٠ - (٤) طه : ٥٥ - (٥) نوح : ١٧ ، ١٨ -  
 (٦) النجم : ٣١ - (٧) التغابن : ٧ - (٨) النساء : ١٦٥

النبيين ، لاني بعدة .

والدليل على أن نوحا أول الرسل قوله تعالى : ( إنا اوحينا اليك كما اوحينا

إلى نوح والنبيين من بعده ) (١) الآية .

وكل أمة بعث الله اليها رسولا من نوح الى محمد عليهما السلام ، يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، وينهاهم عن عبادة الطاغوت ، والدليل قوله تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) (٢)

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والايان بالله ، قال ابن القيم رحمه الله : معنى الطاغوت ماتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

والطاغوت كثيرة ورؤوسهم خمسة : ابليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن ادعى شيئا من علم الغيب ، ومن دعا الى عبادة نفسه ، ومن حكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى : ( لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ) (٣) وهذا معنى لا اله الا الله ، وفي الحديث :

( رأس الامر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ) والله أعلم .

( هذا آخر رسالة الشيخ أبي عبد الله في العقائد ) فانظر أيها النبهاني اليها واقراها من أولها الى آخرها ، فهل الذي يعتقد هذا الاعتقاد يعد من المتبدعين السالكين غير سبيل الرشاد ؟ أم المتبدع هو الذي غير وبدل ، وحرف وأول ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، وليس عليه دليل في دين المسلمين ، كما ابتدعت أيها الزائغ من الغلو العظيم في حق النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ، ثم عملت بغير شريعته ، وسلكت غير سنن سننه .

فيا أيها النبهاني ، والشيخ الشيطاني ، من الاحق أن يكون من المتبدعين ؟ أنت ومن على شاكلتك من الغواة الضالين ؟ أم حزب الرسول الذين سمعت عقيدتهم في الدين المبين !؟

وأقسم بالله العلي الشأن : أن النبهاني ليس له معرفة بدينه كمعرفة أولئك

(١) النساء : ١٦٣ - (٢) النحل : ٣٦ (٣) البقرة : ٢٥٦

الصيان ، وليته جدد ايمانه على يد واحد من حزب الرسول ، وقرأ عنده تلك العقائد من الاصول ، ليخرج عن جادة ضلاله ذلك الزائف الجهول •

(وأما قول النبهاني) وان قلت : ان ذلك ليس اعتقاده الحقيقي الخ •

( فيقال له ) ان هذا من بعض الظن الذي قال الله تعالى فيه : ( يا أيها الذين

آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ) (١)

على ما بينه المفسرون وأظنوا فيه ، فان مصنف ( جلاء العينين ) انما صنفه قبل أن تكون بينه وبين السيد صديق حسن نواب بهوبال معارفة ومكاتبة ، ومصنف ( جلاء العينين ) لما سافر الى مكة المكرمة شرفها الله تعالى سنة (٢) وتسعين ومائتين وألف من الهجرة : اجتمع ببعض أصحاب ذلك الامام الهمام ، بل ملك العلماء الاعلام ، فذكر له عن أحواله وبيان منزلته من معرفة الحديث وسائر علوم الدين ، فوسطه في أخذ اجازة منه بما صح لديه ، وبعد عود الهندي الى الهند اجتمع بالنواب ، وذكر له عن مصنف ( جلاء العينين ) ماشاهده من فضله ، وطلب منه أن يرسل اليه الاجازة ، فكتب اليه اجازة مفصلة وأرسلها اليه بعد عوده الى وطنه ، وطلب منه أن يرسل اليه نسخة من ( جلاء العينين ) فأرسلها اليه ، والتبس منه طبع الكتاب ان كان قد وقع لديه موقع القبول ، فبهه حسن وضعه ، ولطافة ترتيبه ، وما استودعه فيه من المطالب العالية ، فأرسله الى مصر وطبعه ، والنواب رحمه الله لم يكن له حاجة لمعاونة أحد ولاخدمته ، وفضله أشهر من أن ينه عليه ، ولم يكن على مذهب الوهابية فانه ليس للوهابية مذهب يخصهم بل هم حنابلة كما سبق ، والنواب رحمه الله كان من المحدثين ، فكان يتبع ماصح لديه من الحديث ، كما هو شأن أهل الحديث والائسر واتباع سيد البشر ، ومثله كثيرون في البلاد الهندية قبل عصره وبعده •

( ومنها أنه قال ) ولست أعترض عليه بجوابه عن ابن تيمية ان بعض أقوال ابن

تيمية التي نقلها ابن حجر واعترض عليها لم تصح نسبتها اليه الى قوله منذ مئات من السنين •

( جوابه ) أن مصنف ( جلاء العينين ) أحسن العبارة في ابن حجر كل الاحسان،

ونوه به في ترجمته حيث قال : هو واحد العصر ، ثاني القطر ، علامة المنقول ، فهامة المعقول ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر — نسبة على ما قيل الى جد

(١) الحجرات : ١٢ (٢) بياض بالامل قدر كلمة •

من أجداده كان ملازماً للصمت تشبيهاً له بالحجر - الهيثمي السعدي الانصاري الشافعي ، وذكر مولده ووفاته وتصانيفه ومن أخذ عنه ، فلم يترك من فضائله شيئاً الا وذكرها ، ومن حق المترجم أن يذكر لترجمته ماله وما عليه ، ولم يبين ما ذكره أهل العلم فيه من تعصبه في مذهبه والخط على المخالفين ، واقترائه على أئمة المسلمين ، واضطرابه في أقواله ، وعدم ثباته على قول ، ومن يراجع أقواله في ( الزواجر والقواطع ) ثم يوازن بينها وبين أقواله في ( الجوهر المنظم ) و ( الفتاوى الحديثية ) يجد ما قيل فيه واضحاً صريحاً ولم يذكر أيضاً جهله بالحديث الصحيح وعدم خبرته بفنه حتى شحن كتاب ( الصواعق ) وكتاب ( تطهير الجنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان ) وغيرهما بالأحاديث الموضوعية والخرافات المكذوبة ، ولا ذكر أيضاً اتحاله لكتب آخرين فنسبها لنفسه ، ولا عجب بنفسه ورأيه ، كل ذلك قد أهمله مصنف ( جلاء العينين ) عفا الله عنه ، ولم نعلم سبب ذلك ، فهل تاقى غلاة الشافعية ، أم لم يقف على ما ذكرناه مع شهرته ، نعم سمعت أنه كتب رداً على كتاب ( تطهير الجنان ) وبين ما اشتمل عليه من مواقع النظر ، وسمى ما كتبه ( بصادق الفجرين في الجواب عن سؤال أهل البحرين ) وبلغني أن هذا الكتاب متداول في الانحاء العراقية ، وأما ( الصواعق ) فقد رد عليها غير واحد .

والمقصود : أن كلام النبهاني هذا لا ورود له أصلاً ، بل هو محض عدوان اقتضاه منه عدم الايمان ، وأما ما أورده في تضاعيف كتابه من عدم تصحيح بعض نقوله فهو من مقتضيات قوانين المناظرة ، كما لا يخفى على الخبير بها ، العالم بأقسامها وضروبها .

( ومنها قوله ) وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع - من قبيح التشنيع والتقريع - الامام تقي الدين السبكي ، حتى أنه لم يعبر عنه بلفظ الامام ولا بلفظ شيخ الاسلام ، بل اما أن يقول قال السبكي أو القاضي السبكي ، وهو في الحقيقة المستحق للفظ شيخ الاسلام ، لأنه كان قاضي قضاة الشام ، مع كونه من أئمة العلماء الاعلام ، ولقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضي القضاة ، فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لا يستحق لقب شيخ الاسلام ، وان كان من أكابر شيوخ المسلمين وأئمة العلماء الاعلام .

( فيقال له أما أولاً ) فهذا الكلام مخالف للحقيقة ، فان مصنف ( جلاء العينين ) قال - لما ذكر ترجمته - وهو - على ما في كتاب الشذرات وغيره - الامام العلامة

شيخ الاسلام علم الاعلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي الاصولي اللغوي البياني الجدلي الخلافي النظار ، ثم نقل عن الامام السيوطي تاريخ مولده ومن قرأ عليه ، وقوله وتخرج به خلق في أنواع العلوم ، وأقر له الفضلاء ، وولى قضاء الشام بعد الجلال القزويني ، وصنف الكتب المطولة والمختصرة ، ونقل بعض الايات من شعره ، وذكر تاريخ وفاته ، وسؤاله أن يولى القضاء مكانه ولده تاج الدين وأنه أجيب الى ذلك وترجم عليهما ، فماذا يقول بعد ذلك القول ؟ فلم يبق الا أن يقول وكان يوحى اليه ، أو أن ملائكة السماء كانت تقرأ عليه وتأخذ عنه العلوم ، أو أن الخضر كان يتلقى عنه العلم اللدني ، كما ادعى ذلك لغيره ، ونحو ذلك من القول الباطل ، والهذيان العاطل ، والغلو الذي اعتاده من لا خلاق له ، حتى يرضي الشيخ النبھاني ، والهيكل الصمداني ، حيث لم يكتف بهذه المبالغات ، واستقل تلك العبارات في السبكي وابن حجر ، حتى قال عنها هناك انه شنع على ابن حجر بالفاظ لا يحسن استعمالها في حق بعض طلبة العلم ، وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع الخ مع احسانه العبارة في الاثني ، ومعاملته لهما بما لا يستحقانه عند الفريقين ، فأي عبارة استعمالها وهي لاتليق بهما ، مع أن الله تعالى قال في كتابه الكريم : ( لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ )<sup>(١)</sup> فليراجع تفسير هذه الآية .

( وأما ثانيا ) فيقال له : انا لو سلمنا أنه لم يكن مبجلا لهما كما يجب النبھاني في عباراته ولا أعطاهما حقهما في تعبيراته فهو ليس بلام على ذلك ، لأنه بصدد مؤاخذتهما فيما افترياه على الشيخ ، ورد ما اعترضنا عليه ، وان كلامهما فيه مما لا يقبل ، لأنهما كانا من ألد خصمائه ، فليس المقام مقام مدحهما ، والاطراء عليهما ، كما لا يخفى على من له أدنى المام بفن البلاغة .

( وأما ثالثا ) فيقال ان عدم تعبيره مرة أو مرتين بشيخ الاسلام في السبكي لا يستوجب سجود السهو ، لا عند الحنفية ، ولا عند الشافعية ، ولا المالكية ، ولا الحنابلة ، ولا الظاهرية ، ولا ، ولا ، بل ولا أظن أن عليه شيئا في قانون الجزاء الذي حكم بمواده - شطرا من عمره في بيت الله المقدس - النبھاني الخبيث ، بل ليس ذلك من الواجبات الدينية ، ولا المشروعات الاسلامية ، بل لو قال قائل : قال أبو

(١) آل عمران : ١٨٧



بكر ، أو قال عمر ، أو قال عثمان ، أو قال علي ، أو روى أبو هريرة ، أو حدثنا شعبة ، وهكذا جميع الصحابة ، أو قال : روي عن أبي حنيفة ، أو مالك ، أو الازاعي ، أو غيرهم من المجتهدين ، أو ذكر نحو هؤلاء من الأئمة فقط ولم يزد لفظ شيخ الاسلام ، فماذا يجب عليه من اللوم ؟ نعم قال بعضهم : من المستحسن الترضي عند ذكر أحد من الصحابة ، والترحم على العلماء وصلحاء الامة ونحو ذلك على ماقرره الشهاب في شرحه على الشفاء ، ونسأل الشيخ النبهاني هل ورد شيء في الكتاب أو السنة في وجوب التعبير عن السبكي بنحو الامام أو شيخ الاسلام فان تركهما أحد وجب تعزيره بل لا بد أن يكون أحدهما جزءاً من هذا العلم ؟ أما يستحي النبهاني من التكلم بمثل هذا الكلام ، أما يخجل أن يهذي بهذا الهذيان بين الانام ، نعم ورد في الحديث الصحيح : ( ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى : اذا لم تستح فاصنع ما شئت ) فعياداً بك اللهم من عدم الحياء .

( وأما رابعاً ) فليت شعري بأي فضيلة استحق السبكي أن يعبر عنه بشيخ الاسلام ، هل باغرائه العوام على عبادة غير الله والمعالاة في الدين ، أو بنيابته في الشام بعد أن تقلدها بالرشوة حتى حرص عليها وعض عليها بالنواجذ وطلب أن تكون لولده من بعده ، أو بثتمه خيار عباد الله ، أو بجهله بما ورد في الكتاب والسنة كما نبه عليه ابن عبد الهادي الحافظ الشهير على ماسبق ، وهو في كل ذلك لا يستحق هذا التعبير ، فلا أرى اللائق به الا أن يلقب بشيخ الغلاة ، ومصنف ( جلاء العينين ) عفا الله عنه لم يعط خصوم الشيخ وأعداء الحق حقهم من سوء التعبير اللائق بضلالهم ، ففي الحديث ( اذا مدح الفاسق غضب الرب ) .

(١) ومن العجيب قول هذا الزائف العنيد ، النبهاني البليد ، ان لقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبونه به قاضي القضاة ، فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لا يستحق لقب شيخ الاسلام الخ ، فانه قد ذم امامه من حيث لا يشعر ، حيث كان هذا اللفظ فارغاً من المعنى ، وادعى اسماً بلا مسمى ، كما هو شأنه اليوم في أمثاله ، فأنا نسمع أن لهذا العصر مشايخ للاسلام كثيرين ولا مسمى لهم ، ونراهم يقولون : فلان صاحب الفضيلة ، وفلان صاحب السماحة ، وفلان صاحب السعادة ، وفلان صاحب العزة ، وهلم جرا ، ولا فضيلة ولا سماحة ولا سعادة ولا عزة لمن قيل له

(١) ابتدأت بتأليف هذا الكتاب اوائل رمضان ، يعني اليوم الاول منه ، وانتهيت الى هنا في آخر ليلة منه ، وهي ليلة الخميس ، وهي ليلة العيد جعله الله تعالى مباركا على المسلمين منه . هذا التعليق موجود في الاصل فجزى ابتغاه كما هو ، المصحح .

ذلك ، كما هو معلوم لدى كل ذي فهم ، ويتخرجون من اطلاق تلك الالفاظ على من اتصف بتلك المعاني حقيقة ، حيث يصدهم عنه اصطلاح العصر ، وهذا كما اصطلاح أهل اللغة في عرفهم على تسمية الفلاة مفازة ، والأعمى بصيرا ، والدينغ سليما ، ونحو ذلك مما هو مذكور في موضعه •

وذكر العلامة ابن خلدون في الفصل الثاني والثلاثين من مقدمته - في بيان التلقب بأمر المؤمنين وأنه من سمات الخلافة وأنه محدث من عهد الخلفاء - قال : فأما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم بألقاب تشريفية ، حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم ، مثل شرف الدولة ، وعضد الدولة ، وركن الدولة ، ومعز الدولة ، ونصير الدولة ، ونظام الملك ، وبهاء الدولة ، وذخيرة الملك ، وأمثال هذه ، وكان العبيديون أيضا يخصون بها أمراء صنهجة ، فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه الألقاب ، وتجافوا عن ألقاب الخلافة أدا معها ، وعدولا عن سماتها المختصة بها ، شأن المتغلبين المستبدين ، ونزع المتأخرون أعاجم المشرق - حين قوي استبداهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلّت بالجملة - الى اتتحال الألقاب الخاصة بالملك ، مثل الناصر ، والمنصور وزيادة على ألقاب يخصون بها قبل هذا الاتتحال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاء والاصطناع بما أضافوها الى الدين فقط ، فيقولون : صلاح الدين ، أسد الدين ، نور الدين ، قال : وأما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا ألقاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبداهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر ، والمنصور ، والمعتمد ، والمظفر ، وأمثالها ، كما قال ابن أبي شرف ينعي عليهم :

مما يزهدني في أرض أندلس

أسماء معتمد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها

كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

ثم أطال في الكلام ابن خلدون •

فالشيخ النبهاني قصد هذا المعنى وجعل امامه - اطلاق هذا اللقب عليه اصطلاحا - كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد ، فله دره ما أدق فكره ، وأبعد نظره؟! ونقول له اذا كان الامر كما ذكر فنحن لانلقب ابن تيمية بشيخ الاسلام اصطلاحا فارغا عن معناه ، بل نطلقه عليه لغة وشرعا لا اصطلاحا ، وهو بحمد الله في

غنى عن التعبيرات الاصطلاحية الفارغة عن المعاني ، على أن آثار ابن تيمية وفضائله التي أقر بها المخالف والموافق تغنيه عن اطلاق مثل هذه الالفاظ ، وفي كتاب ( الرد الوافر ) الذي ألفه العلامة الحافظ الامام ناصر الدين الشافعي في بيان من أثنى على الشيخ ابن تيمية من أكابر الأئمة وأطلق عليه شيخ الاسلام ما يرغم أنف هذا المخذول . ( ومنها ما قاله ) في شأن الشيخ ابن تيمية وهو رجل مطعون في عقيدته السخ ، وقد مر الكلام على مثل هذا الكلام مرارا فلا تتعب الاسماع باعادة الجواب عنه .  
ولله در من قال - وهو الشيخ أبو العلاء المعري في قصيدته المشهورة - :

وقال السهى للشمس ضوءك حائل

وطاولت الارض السماء سفاهة      وعير قسا بالفهاهة بأثقل

( ويقول ابن سند )

وما على العنبر الفواح من حرج      ان مات من شمه الزبال والجعل

أو هل على الاسد الكرار من ضرر

ان ينهق العير مربوطا أو البغل

أو هل على الانجم الخضراء منقصه

ان عابها من حصى الخضراء منجسدل

( ومنها أنه قال ) : فما الذي حمل صاحب ( جلاء العينين ) على معاملتهما أسوء

المعاملة ، والميل كل الميل مع ابن تيمية ، وهو يدعي أنه من أهل السنة والجماعة ، لا والله بل هو من أهل البدعة ، والارواح جنود مجندة ، فروحه هي من أجناد روح ابن تيمية ، فلا تأتلف مع هؤلاء الأئمة الاعلام ، ولذلك كان منه في حقهم ما كان الى قوله بل حكم لجميع الوهايبه .

جوابه من وجوه : ( الوجه الاول ) يقال للنهباني الزائع : نسألك ما حمل ابن

حجر والسبكي وكل منهما كان منه ما كان في حق الشيخ ابن تيمية وأصحابه وجماعة من حفاظ الحديث ، من شتمهم أقبح شتم ، وسبهم ولعنهم بما هو مشهور في كتبهم ، حتى أن ابن حجر لم يكتف بذلك في كتاب واحد من كتبه ، بل ذكر ذلك في تحفته ، وفي فتاواه الفقيهية ، وفي فتاواه الحديثية ، وفي غيرها ، حتى قال في كتابه ( الجوهر المنظم ، في زيارة القبر المعظم ) من جملة كلام : ان ابن تيمية عبد أضله الله وأغواه ، وألبسه رداء الخزي وأرداه ، وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما عقبه الهوان ، وأوجب له الحرمان ، ثم قال : ولقد تصدى شيخ الاسلام ، وعالم الانام ، المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وامامته : التقي السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه -

الرد في تصنيف مستقل ، أفاد فيه وأجاد وأصاب ، وأوضح بياهر حججه طريق الصواب ، ف شكر الله مسعاه ، وأدام عليه شآبيب رحمته ورضاه ، قال : ومن عجائب الوجود ما تجاسر عليه بعض السذجى من الحنابلة فغير في وجوه مخدراته الحسان ، التي لم يطمئن انس من قبله ولا جان ، وأتى بما دل على جهله ، وأظهر عوار غباوته وعدم فضله ، فليتة اذ جهل اسنجيا من ربه ، وعساه اذا فرط رجع الى لبه ، ولكن اذا غلبت الشقاوة استحكمت الغباوة ، فعياذا بك اللهم من ذلك ، وضراعة اليك أن تديم لنا سلوكك أوضح المسالك ، هدا ما وقع من ابن تيمية مما ذكر - وان كان عثرة لا تقال أبدا ، ومصيبة يستمر عليه شؤمها دواما وسرمدًا - ليس بعجب ، فانه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب ، وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعائب ، اذ خالف اجماعهم في مسائل كثيرة ، وتدارك على أئمتهم - سيما الخلفاء الراشدين - باعتراضات سخيفة شهيرة ، وأتى من نحو هذه الخرافات بما تمججه الاسماع ، وتفر عنه الطباع ، حتى تجاوز الى الجناب الاقدس ، المنزه عن كل نقص والمستحق لكل كمال أنفس ، فنسب اليه العظائم والكائر ، وخرق سياج عظمته وكبرياء جلالته بما أظهر للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم ، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين ، حتى قام عليه علماء عصره وألزموا السلطان بقتله ، أو بحبسه وقهره ، فحبسه الى أن مات ، فخدمت تلك البدع ، وزالت تلك الظلمات ، ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأسا ، ولم يظهر لهم جاها ولا بأسا ، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباؤا بغضب من الله ، وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

( انتهى كلام ابن حجر ) ومثل ذلك كثير في كتبه ، وقد أدينا له حقه فيما كتبناه عليه صاعا بصاع ، وبيننا ما زوره وافتراه ، وأقمنا عليه الحجج والبراهين في هدم ما بنىه .

( والمقصود ) أن يقال للنبهاني : ما حمل ابن حجر أن يتهور ذلك التهور والغل الذي أبداه للذين آمنوا ومن سبقه بالايمان ؟ فبأي جواب يجيب عن ابن حجر أجنبناه عن مصنف ( جلاء العينين ) بمثله ، مع علمه أنه لم يلعن ابن حجر ولم يشتمه ، ولم يقل فيه وفي أضرابه من الغلاة ما قاله الله في اليهود ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ، مع أن ابن تيمية وأصحابه دعوا الى الله وعملوا صالحا ، وذوبوا عن دينه ، وجاهدوا في الله ، وعظموا رسوله صلى الله عليه وسلم كمال

التعظيم ، وهدموا أركان البدع والضلال والكفر ، وهذه كتبهم التي تتداولها الايدي تشهد بذلك ، وتكذب ابن حجر ، وتسود وجهه بسواد لايبيض ، أهكذا جزاء الاحسان ؟ أهكذا يقال في حفظة السنة والقرآن ؟ •

( والنبهاني ) ان كان يحسن قراءة العبارة يعلم أن مصنف ( جلاء العينين ) لم يقصر في حسن التعبير والتبجيل الذي ذكره في ابن حجر ، مع أن كل منصف يعلم أنه ليس أهلا لذلك •

( الوجه الثاني ) يقال للنبهاني : ان صدر من مصنف ( جلاء العينين ) شيء من ذلك فالذي حمله عليه انصافه ومزيد اطلاعه على أقوال الأئمة ، وما ورد في الكتاب والسنة ، والامثال لقوله تعالى : ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ )<sup>(١١)</sup> وماورد في الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( من علمه الله علما فكنمه ألجمه الله بلجام من نار ) وهو لم يمل الا الى الحق كما هو شأن أهل السنة ، فانهم يتبعون ماورد ولا يصفون النصوص الى ماتهواه أنفسهم ، بل يردون المتشابه الى المحكم منها ، وهذا من علائم أهل الحق الناجين يوم القيامة ، وقد سبق بيان معنى السنة والبدعة : وذكرنا هناك من الأحق بالاتباع ومن المستحق أن يكون من أهل الابتداع ، ومصنف ( جلاء العينين ) كان ممن يعتقد أن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لا يغيره الابد ، ليس له والد ولا ولد ، وأنه سميع بصير ، بديع قدير ، حكيم خبير ، علي كبير ، ولي نصير ، قوي مجير ، ليس له شبه ولا نظير ، ولا عون ولا ظهير ، ولا شريك ولا وزير ، ولاند ولا مشير ، سبق الأشياء فهو قديم بقدمها ، وعلم كون وجودها في نهاية عدمها ، لم تملكه الخواطر فتكيفه ، ولم تدركه الابصار فتصفه ، ولم يخل من علمه مكان فيقع به التاين ، ولم يعدمه زمان فينطلق عليه التاوين ، ولم يتقدمه دهر ولا حين ، ولا كان قبله كون ولا تكوين ، ولا تجري ماهيته في مقال ، ولا تخطر كلفيته ببال ، ولا يدخل في الامثال والاشكال ، صفاته كذاته ، ليس بجسم في صفاته ، جل أن يشبه بمبتدعاته ، أو يضاف الى مصنوعاته ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ )<sup>(١٢)</sup> أراد ما العالم فاعلوه ، ولو عصمهم لما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لاطاعوه ، خلق الخلائق وأفعالهم ،

(١١) آل عمران : ١٠٦ - (٢) الشورى : ١١

وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لاسمي له في أرضه وسماواته ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وعلمه محيط بالاشياء ، والقرآن كلام الله تعالى ، وصفة من صفات ذاته غير محدث ولا مخلوق ، كلام رب العالمين ، في صدور الحافظين ، وعلى ألسن الناطقين ، وفي أسماع السامعين ، وباكف الكاتبين ، وبملاحظة الناظرين ، برهانه ظاهر ، وحكمه قاهر ومعجزه باهر ، وأن الله تعالى كلم موسى تكليسا ، وتجلى للجبل فجعله دكا هشيما ، وأنه خلق النفوس وسواها ، وألهمها فجورها وتقواها ، والايان بالقدر خيره وشره ، وحلوه ومره ، وان مع كل عبد رقيقا وعتيدا ، وحفيظا وشهيدا ، يكتبان حسناته ، ويحصيان سيئاته ، وان كل مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، يعاين عمله عند حضور منيته ، ويعلم مصيره قبل ميته ، وأن منكرا ونكيرا الى كل أحد ينزلان سوى النبيين ، فيسألان ويمتحانان ، عما يعتقدونه العبد من الايمان ، وأن المؤمن يجبر في قبره بالنعيم ، والكافر يعذب بالعذاب الاليم ، وانه لامحيص لمخلوق من القدر المقدور ، ولن يتجاوز ماخط في اللوح المسطور ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله جل اسمه يعيد خلقه كما بداهم ، ويحشرهم كما ابتداهم ، من صفايح القبور وبطن الحيتان في تخوم البحور ، وأجواف السباع وحواصل الطيور ، وأن الله تعالى يتجلى في القيامة لعباده الابرار ، فيرونه بالعيون والابصار ، وأنه يخرج أقواما من النار فيسكنهم دار القرار ، وأنه يقبل شفاعة محمد المختار ، في أهل الكبائر والاوزار ، وأن الصراط حق تجوزه الابرار ، وأن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم حق يرده المؤمنون ويذاد عنه الكفار ، وان الايمان هو قول باللسان ، واخلاص بالجنان ، وعمل بالاركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالاوزار ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وأفضل المرسلين ، وأتمته خير الأمم أجمعين ، وأفضلهم القرن الذين شاهدوه ، وآمنوا به وصدقوه ، وأفضل القرن الذين صحبوه أربع عشرة مائة بيعة الرضوان بايموه ، وأفضلهم أهل بدر نصره ، وأفضلهم أربعون في الدار كنفوه ، وأفضلهم عشرة عزروه ووقروه ، شهد لهم بالجنة ، وقبض وهو عنهم راض ، وأفضل هؤلاء العشرة الابرار ، الخلفاء الراشدون المهديون الاربعة الاخيار ، وأفضل الاربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي عليهم الرضوان ، وأفضل القرون بعدهم القرن الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يتبعونهم ، وأن نوالي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأسرهم ، ولا نبحت عن اختلافهم في أمرهم ، ونمسك عن الخوض في فكرهم الا بأحسن الذكر لهم ،

ولا ندخل فيما شجر بينهم ، اتباعا لقوله تعالى : ( وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ )<sup>(١)</sup> ثبتنا الله تعالى على ذلك ، وأدامنا على السلوك في أقوم المسالك .

هذا مما كان يعتقدده مصنف ( جلاء العينين ) منذ ميز بين اليمين والشمال ، وعرف الحرام من الحلال ، الى أن وضع في لحدده ، وهي بعض من عقيدة صنفها والده صاحب التفسير الشهير رحمه الله تعالى ، فما الذي سوغ للنهائي وأحل له أن يجعل من يعتقد هذه العقيدة من المبتدعة ، ثم ما كفاه ذلك حتى حلف يميننا ، وقال : ان صاحب ( جلاء العينين ) ليس من أهل السنة بل هو والله من أهل البدعة بسبب انتصاره لابن تيمية وعدم تجويزه الاستغناء بغير الله ودعاء المخلوقين ، وقد حث في يمينه ووجب عليه الكفارة ان كان من أهل الايمان والأيمان ، مع أن ما هو عليه من الضلال البعيد ، والغي الذي ليس عليه من مزيد ، وما دل عليه شعره من غلوه والحاده ، ومسلكه الذي هو سالك فيه مدة حياته وعليه يموت ، ينادي كل ذلك بأفصح لسان ، على أنه قد خرج عن رتبة الايمان ، ومع ما هو عليه قد فتح فاه في ثلب أهل التوحيد ، كالكلب عند الثأوب وشتم خيار عباد الله ، فسبحان اله الخلق ما أحلمه ، وما أجل شأنه وأعظمه .

( الوجه الثالث ) ان من سلف من اخوانه كانوا يقولون مثل مقالته ، ويعتقدون أن ما هم عليه هو الحق ، قال تعالى : ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ )<sup>(٢)</sup> الآية ، وقال : ( وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ )<sup>(٣)</sup> أخبر سبحانه في الآية الاولى أن كلا من اليهود والنصارى يزعمون أنهم على الحق دون غيرهم من غير دليل ولا تحكيم للعقل تقليدا لاسلافهم ،

(١) الحشر : ١٠ - (٢) البقرة : ١١٣ - (٣) البقرة : ١٢٠

وهم يتلون الكتاب ، وفيه أن الحق ما قام عليه الدليل واقتضاه البرهان ، لا أنه بالدعاوي الكاذبة ، وهكذا النهائي وأضرابه من الغلاة يعتقدون أن الحق ماتلقوه عن أسلافهم ، وما ورثوه عن مشايخهم وإن قام الدليل على خلافه - والآية الأخرى دلت على أن اليهود والنصارى لا يرضون عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن آمن به ، حتى يتبعون ضلالهم وغيهم الذي قامت الحجة على فساده ، ودل البرهان على بطلانه ، وهم لا ينظرون إلى ما يدل عليه الدليل ، بل قلدوا فيما هم عليه آباءهم فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أنه إن اتبع أهواءهم بعد ما حصل له من العلم واليقين - بأن ما هو عليه هو الحق وما عليه المخالفون هو الباطل - لم يكن له معين ولا ناصر ، ولا ملجأ ولا وزير يدفع عنه ما يستحقه المعرضون عن الحق والزائفون عن الصراط المستقيم ، وهكذا النهائي لا يرضى عن كل من خالف باطله وضلاله ، واتبع الحق الصريح الذي دل عليه كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ، حتى يتبع الحادة وزيفه الذي دل على فساده ما يزيد على ألف دليل ، مع أن الحق أحق بالاتباع ، ورضى الله ورسوله مقدم على رضى أعدائه وخصوم دينه ، فلا بدع إذا شتم النهائي أهل الحق وعبر عنهم بالعبارات القبيحة ، فإن له سلفاً بذلك ، ولله در من قال :

إذا رضيت عني كرام عشيرتي      فلا زال غضباناً عليّ لئامها

(الوجه الرابع) أنه قال : والارواح جنود مجنّدة فروحه هي من أجناد روح ابن تيمية فلا تأتلف مع أرواح هؤلاء الأئمة الاعلام ، ولذلك كان منه في حقهم ما كان مع كونهم في جانب تعظيم جده الاعظم صلى الله عليه وسلم ، وامامه ابن تيمية بعكس ذلك ، ولكن الشرف والحسب لا يعني عن العلم والادب ، إلى آخر عبارته التي لا يتكلم بمثلاً صغار الطلبة .

( فنقول ) ان ما ذكره في هذا المقام كلمة حق أريد بها باطل ، وذلك أن الله تعالى قال : ( وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ) (١) .

ومعنى الآية على ما في التفسير : ومن يطع الله بالانقياد لأمره ونهيه ، والرسول



المبلغ ما أوحى إليه منه باتباع شريعته والرضا بحكمه ( فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ) بما تقصر العبارة عن تفصيله وبيانه ( من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ) وفي الحديث : ( جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لأحب إلي من نفسي ، وانك لأحب إلي من ولدي ، واني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فانظر اليك ، واذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، واني اذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزل جبريل بهذه الآية ) ومعنى الصدّيق والشهيد والصالح مفصل في التفسير ، وفي الآية فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق إليها بيان أن تبيحتها أقصى ما تنتهي إليه همم الامم ، وأرفع ما تمتد إليه أعناق أمانهم ، وتشرّب إليه أعين عزائمهم ، من مجاورة أعظم الخلائق مقدارا ، وأرفعهم منارا ، وليس المراد بالمعية اتحاد الدرجة ، ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة ، بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وان بعدت المسافة بينهما ، ومنهم من قال لا مانع من أن يرفع الأدنى إلى منزلة الأعلى متى شاء تكرمه له ثم يعود ولا يرى أنه أرغد منه عيشا ، ولا أكمل لذة ، ائلا يكون ذلك حسرة في قلبه ، وكذا لا مانع من أن ينحدر الأعلى إلى منزلة الأدنى تم يعود من غير أن يرى ذلك نقصا في ملكه أو حطا من قدره . وقد ثبت في غير ما حديث أن أهل الجنة يتزاورون .

والشيخ ابن تيمية - قدس الله روحه - من أكثر الناس طاعة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كما دلت عليه كتبه ، ككتاب ( الصارم المسلول ) وغيره ، حتى أنه كابد ما كابد من خصومه في الله سبحانه ، هذا مع ما كان عليه من التقوى والزهد والورع الذي شهد له به خصومه ، وهكذا أصحابه وتلامذته رضي الله تعالى عنهم ، وقد شهد له كبراء الامة أنه كان من أكابر المجتهدين ، ومن أئمة الدين ، ومن أختيار المسلمين ، وخواص المؤمنين على ما سذكر ذلك في مناقبه ، وفي الحديث ( أتسم شهداء الله في أرضه ) فمن المرجو من لطف الله تعالى وفضله أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم ، وكذلك حديث الجنّازة التي مرت فأثنوا عليها خيرا فقال صلى الله عليه وسلم : ( وجبت ) يؤكد هذا الرجاء ، فمصنف ( جلاء العينين ) يرجي له أن تكون روحه مع روح هذا الرجل الذي أطاع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فانه أيضا كان ممن أطاع الله ودب عن دينه ، وعن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واودى

حيا وميتا من أعداء الدين وخصوم الموحدين ، ومنهم هذا النبهاني عدو الله  
ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه القويم •

والحديث الذي ذكره رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها  
قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ( الارواح جنود مجندة ، فما تعارف  
منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ) ، قال الخطابي في بيان معنى هذا الحديث - على  
ما ذكر في فتح الباري - يحتمل أن يكون اشارة الى معنى التشاكل في الخير والشر  
والصلاح والفساد ، وان الخير من الناس يحن الى شكله ، والشرير نظير ذلك يسيل  
الى نظيره ، فتعارف الارواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليهما من خير وشر ، فاذا  
اتفقت تعارفت ، واذا اختلفت تناكرت ، قال : ويحتمل أن يراد الاخبار عن بدء الخلق  
في حال الغيب على ما جاء أن الارواح خلقت قبل الاجسام ، وكانت تلتقي فتتسام ،  
فلما حلت بالاجسام تعارفت بالامر الاول فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من  
العهد المتقدم ، قلت : القول بتقدم خلق الارواح على الاجساد غير مرضي عند  
السلفيين فلا التفات لهذا الاحتمال ، وقال غيره المراد أن الارواح أول ما خلقت خلقت  
على قسمين ، ومعنى تقابلها أن الاجساد التي فيها الارواح اذا التقت في الدنيا ائتلفت  
أو اختلفت حسبما خلقت عليه الارواح في الدنيا ، قال الحافظ العسقلاني : ولا يعكر  
عليه أن بعض المتنافرين ربما ائتلفا لأنه محمول على مبدأ التلاقي فانه يتعلق بأصل  
الخلقة بغير سبب ، وأما في ثاني الحال فيكون مكتسبا لتجدد وصف يقتضي الالفه  
بعد النفرة كإيمان الكافر واحسان المسيء ، وقوله ( جنود مجندة ) أي أجناس  
مجنسة ، أو جموع مجمعة •

قال ابن الجوزي : ويستفاد من هذا الحديث أن الانسان اذا وجد من نفسه  
نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضى لذلك ليسعى في ازالته  
حتى يتخلص من الوصف المذموم ، وكذلك القول في عكسه •

( وقال القرطبي ) الارواح وان اتفقت في كونها ارواحا لكنها تتمايز بأمر  
مختلفة تتنوع بها فتتشاكل أشخاص النوع الواحد ، وتتناسب بسبب ما اجتمعت فيه  
من المعنى الخاص لذلك النوع للمناسبة ، ولذلك تشهد أشخاص كل نوع تألف  
نوعها وتنفر من مخالفتها ، ثم انا نجد بعض أشخاص النوع الواحد يتألف وبعضها  
يتنافر ، وذلك بحسب الامور التي يحصل الاتفاق والانفراد بسببها ، انتهى •  
( فتبين ) مما ذكر في معنى الحديث : أن روح النبهاني الخبيث ، لم تعارف مع

أرواح أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وحفاظ الحديث ، المتبعين للسنن المعادين للبدع والاهواء ، المعرضين عن الدنيا وزخرفها ، الطالبين وجه الله ورضاه ، وهم أهل الارواح الطيبة الطاهرة ، فكانت مما تناكر ، فذلك خالفهم وعاداهم وشحن كتابه بثلهم وسبهم ، وكيف تتعارف روحه الخبيثة مع تلك الارواح الطيبة وقد صرف عمره في الاحكام الطاغوتية ، وترويج الامور الشيطانية ، والميل الى الظلمة والمجرمين ، ومعاداة المسلمين ، والله تعالى يقول حكاية عن بعض أصفياه •

( رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ )<sup>(١)</sup>

وقد قال بعض أهل الفضل والتقوى : على العالم أن يتصف بالحلم والزهد والقناعة بالقليل وترك الدنيا ، لأن ذلك سيرة الانبياء ، وهو اللائق بحال العلماء ، فان كثيرا من النصوص مشتملة على ذم الدنيا وطلبها ، فطلبها للعالم زيادة على الكفاية جمع بين المتنافيين ، واغراء للعامة على الانهماك فيها ، وأن يقتصر في حاجته على قاضي الحوائج ، المعطي على التحقيق ، الذي بيده مقاليد السموات والارض ، كيف وقد تكفل بالرزق قال تعالى : ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ )<sup>(٣)</sup>

وأن يكون بعيدا من ولاة الامور داعيا لهم بالنصر والتأييد والعدل والتوفيق ، وبعيدا من الظلمة لأن قرب العالم منهم والتردد اليهم لأجل السحت وتحسينه لهم ماهم عليه فتنة له ولهم ولغيره ، ولما خالط الزهري ولاة الامور كتب اليه صديق له من العلماء يقول : عافانا الله واياك من الفتن ، ونجانا واياك من المحن ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه ، وعلمك من سنة نبيه ، واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت ، أنك آنست وحشة الظالم ، وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ، ولم يترك باطلا ، حتى قربك وأدناك ، وأكرمك وواساك ، اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم ، وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم ، وسلما يتوصلون بك الى ضلالتهم ، يدخلون الشك بك على العلماء ، ويصطادون بك قلوب الجهلاء فما

(١) القصص : ١٧ - (٢) هود : ٦ - (٣) الطلاق : ٢ ، ٣

أيسر ماعمروا منك في جنب ماخربوا عليك ، وما أدنى ما أصلحوا منسك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك ، فما يشك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم : ( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ )<sup>(١)</sup> فانك تعامل من لا يهمل ، ويحفظ عليك من لا يغفل ، فداو دينك فقد دخله سقم شديد ، وهي ، زادك فقد حضر السفر البعيد ، ولا يخفى على الله من شيء وهو الحفيظ المجيد ، انتهى •

والنهباني الضليل ليس من أولئك القبيل ، بل خسته مشهورة ، ودناءته مذكورة ، مع ماضم الى ذلك الضلال من العقائد الفاسدة في الاله عزاسمه ، حيث أنه ممن قلد القائلين بالحلول والاتحاد ، والعلو في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اعتقد فيه أنه موجود في كل زمان ومكان ، والاغراء على دعاء غير الله والاتجاء الى ما سواه ، وكل ذلك من منفرعات القول بوحدة الوجود ، فان القائلين بها لم يخطئوا عبدة الأصنام في عبادتها ، وكل كلام الله تعالى ينطبق على كلام غيره ، فعندهم أن ما تكلم به الانسان نظما أو نثرا فهو كلامه ، وعليه قول الشيخ محيي الدين :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

فلا شك أن روح النهباني الخبيثة من جنود هذه الارواح ، وقد تعارفت مع أرواح الغلاة فأتلقت وتناكرت مع أرواح الاصفياء الطاهرة المقدسة فاختلفت ، فالحديث كما يصدق على خصمه فهو صادق عليه •

أفلا يستحي من هذا حاله ، ووصفه واعتقاده ، وجهله وضلاله ، أن يخاصم أهل الحق ، وفرسان العلم ، وأئمة الاسلام ، وبحور الفضل ، وورثة الانبياء ، وهو ليس من قبيل هؤلاء الرجال ، بل ولا ممن يعد في صف النعال ، وقد حمله شيطانه على القاء نفسه في هذه المهالك ، وقاده الى هذه المعارك ، وما أحسن ما قال القائل :  
ولقد أقول لمن تحرش بالهوى عرضت نفسك للبلا فاستهدف

(وقال آخر) :

أقول لحرز لما التقينا تكب لا يقترك الزحام

(ثم ان قوله) مع كونهم في جانب تعظيم جده الخ •

(جوابه) أن تعظيم جده انما يكون بالذب عن شريعته ، والمحافظة على سنته ،

لا بمخالفته فيما أمر به ونهى عنه ، فهذا هو العصيان وعدم المحبة ، قال الله تعالى :

(١) مريم : ٥٩

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (١١)

وتعظيمه وتوقيره انما يكون بالاتباع لا بالابتداع ، ولا بسخاثة ماجاء به هو وغيره من الانبياء والرسل عليهم السلام من المحافظة على التوحيد وعدم اثبات خصائص الألوهية لغير الله ، ألا ترى أن الفاطميين من العبيدين كانوا يزعمون أنهم من العترة فلما أحدثوا ما أحدثوا وابتدعوا ما ابتدعوا خرجوا عن دينه وصاروا من أعدائه بسبب الاعراض عن شريعته ، على أن الحق يقبل من أي شخص كان ، فالنظر الى مقاله القائل لا الى القائل ، ومما ينسب الى الامام علي كرم الله وجهه لانتظر الى من قال وانظر الى مقال ، والله عز اسمه يقول : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) (١١)

فالبيت الذي أورده هو صادق عليه لا على مصنف ( جلاء العينين ) فقد كان رحمه الله هاشميا علما وعملا وقولا وفعلا .

وباهلة من قيس عيلان ، وهو في الاصل اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده اليها ، وقولهم باهلة بن أعصر ، انما هو كقولهم تميم بنت مر ، فالتذكير للحي ، والتأنيث للقبيلة سواء كان الاسم في الاصل لرجل أو لامرأة .

وفي كتب الحنفية : وقريش بعضهم أكفاء بعض ، ولا تفاضل فيما بينهم من الهاشمي والنوفلي والتميمي والعدوي وغيرهم وبقية العرب بعضهم أكفاء بعض ، فالباهلي كفو للتميمية والطائية والقيسية وغير ذلك .

فالنهباني المخدول ان كان منتسبا لنبهان بن جرم بن عمر بن الفوث ، وبنو نبهان بطن من طي ، فليس لقبيلته فضل على بني باهلة ، بل هم سواء في نظر الشرع والعقل ، هذا ان سلم له دعوى هذا النسب ، وان قلنا أنه نبطي من أنباط الشام ، أو من الجرامقة - كما هو الظاهر - وان النسبة الى نبهان جبل مشرف على حق عبد الله بن عامر بن كريز ويتصل به جبل رنقاء الى حائط عوف ، فلا خفاء في كونه حينئذ أحسن بني آدم ، فضلا عن أن يكون أحسن العرب .

والمقصود أن النهباني على كلا النسبتين لارجحان لقومه على بني باهلة ، ومن

جعل بني باهلة أخس العرب ، وأنهم ليسوا كقوا للعرب ، فهو غالط فإن النص الذي ورد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاتفصيل فيه ، مع أنه صلى الله عليه وسلم كان أعلم بقبائل العرب وأخلاقهم ، وقد أطلق وما رموا به ان صح عنهم ، فليس بعيب شرعي ، كما أن التعبير بشرب ألبان الابل وأكل لحومها كذلك كما قال شاعرهم •

تعيرونا ألبانها ولحومها      وذلك عار يا ابن ربيعة زائل  
وكما كانت تعير قريش بالسخينة ، وهو طعام كانوا يتخذونه أيام الجذب ، وكل ذلك بسبب ما كانوا عليه من الجاهلية ، والا فالعيب هو الذي يجعله الشرع عيبا ، كالعيوب التي كانت في بني نبهان منها عبادتهم للفلس ، وهو صنم لهم كان بنجد قريبا من فيد ، وكان سدنته بني بولان ، وهم وبنو نبهان أبناء عم ، وكانوا يعبدونه ويهدون اليه ويعترون عنده عتائهم ، ولا يأتيه خائف الا أمن ، ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت ، ولم تخفر حويته ، وبولان ابن عم نبهان هو الذي بدا بعبادته ، فلم يزل الفلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فبعث اليه علي بن أبي طالب فهدمه ، وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان قلده اياهما ، يقال لهما مخذم ورسوب ، وهما اللذان ذكرهما علقمة ابن عبدة ، فقدم بهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقتل أحدهما ثم دفعه الى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فهو سيفه الذي كان ينقلده •

ولهم أصنام أخرى ليس هذا المقام موضع ذكرها •  
والمقصود أن بني نبهان وبني باهلة كانوا على منهج واحد ، فما يذم به أحدهما يذم به الآخر ، بل ربما كان في بني باهلة رجال أكابر ، تعقد عند ذكرهم الخناصر ، في العلم والدين والشجاعة والقروسية وغير ذلك من الشيم والسخاء والكرم ، ولم يكونوا في الجاهلية جميعا معروفون بالخساسة ، بل فيهم الاجواد ربيعوا العماد ، وكون فصيلة منهم أو بطن صعاليك فعلوا ذلك لايسري في حق الكل ، فتعبير التمييلة بعيب صدر عن واحد منهم من خصال الجاهلية ، كما عيروا بني فزارة بما فعل واحد منهم فعلا منكرا فقال قائلهم :

لاتأمنن فزاريا خلوت به      على قلوصك واربطها باسيار  
هذا كله ان قلنا بصحة النسب الى نبهان الطائي ، وصدقنا دعواه الكاذبة ، وان قلنا انه نبطي منسوب الى ذلك فبنو باهلة أفضل منه وأشرف في الحسب والنسب ، بل في الدين والادب •

( ومنها ماقاله ) في صاحب ( جلاء العينين ) أيضا وليس حكمه على ابن حجر فقط والسبكي وابنه بل على جميع أهل السنة والجماعة ، من الشافعية ، والحنفية ، والمالكية ، وجمهور الحنابلة أيضا ، ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا أنه أخطأ فيه حق نفسه وحق أبيه وحق المسلمين عموما وسيد المرسلين خصوصا ، وأنه لو ث نفسه بأقذار البدع الوهابية التي لا يغسلها عنه بحار الدنيا الى يوم القيامة ، وكما آذى نفسه بذلك أشد الأذى آذى كل من اطلع على كتابه من المسلمين أهل المذاهب الاربعة - حتى المنصفين من الحنابلة - بدمهم اياه ، وخوضهم في عرضه ما بقيت الدنيا وبقي فيها هذا الكتاب ، نعم قد استعاض عن ذلك برضا صديق حسن عنه وطائفته الوهابية فهذا هو ربحه من تليسه على المسلمين بهذا الكتاب ، وتوهمهم أن ما عليه ابن تيمية وطائفته من البدعة الشنيعة في مسألة الزيارة والاستغاثة وغيرهما مما خالفوا به أهل السنة هو الحق ، وتطاوله على أئمة المسلمين مثل السبكي وابنه وابن حجر ، الى قوله هذا لعمرى مما لا يختاره عاقل لآخيه فضلا عن نفسه وأبيه •

( فيقال للنبهاني ) هذا مبلغ علمك ، دأبك تكرير هذيالك ، وقد أجبنا عن ذلك كله في غير موضع من هذا الكتاب ، مع كونه صرير باب ، أو طنين ذباب ، بل انه أشبه شيء بنبح الكلاب وقلنا : انه لم يحكم على من ذكرهم بحكم ، بل نقل ما كان بين الفريقين وما ذكره أهل العلم الاكابر وأئمة المسلمين في المسائل التي تنازعوا فيها ، ولو لم يصنف صاحب ( جلاء العينين ) كتابه هل كانت تبقى تلك المسائل مجهولة لأهل العلم والأفاضل المدققين ، ألم تكن هذه المسائل مفصلة في الكتب ومذكورة فيها على أتم وجه ؟ هذا كتاب ( القول الجلي ) الذي صنفه السيد صفى الدين قبل أن يخلق صاحب ( جلاء العينين ) بمدة من السنين قد اشتمل على جميع ما اشتمل عليه جلاء العينين اجمالا ، وكذلك ( الدرة المضية ) وكذلك ( الرد الوافر ) للحافظ ابن ناصر الدين الشافعي ، وكذلك ( افاضة العلام ) من مصنفات الشيخ ابراهيم الكوراني ( ومسلك السداد ) له ، الى غير ذلك من الكتب المصنفة في هذا الباب قديما وحديثا ، فلم لم يذكر النبھاني تلك الكتب ومصنفيها ، وما الذي حمله أن يتخذ ( جلاء العينين ) ومصنفه سبابة المتندم وأكثر عليه الهياط والمياط ، حتى يتخيل للناظر في كلامه هذا أن السماء انفطرت ، وأن الكواكب قد انتشرت ، وان القبور بعثت ، وان الوحوش حشرت ، فما هذه المسائل التي ذكرها مصنف ( جلاء

العينين ) وقد قامت على النبھاني منها قيامته الكبرى ؟ وما أهمية زيارة القبور والاستغاثة بالموتى حتى يقام لها ويتعد ، ويھاج ويبريد ؟ وما أرى ذلك الا من مزيد الحسد ، ولله در الحسد ما أعدله بدأبصاحبه فقتله ، ومن الحري أن يشد على لسان صاحب جلاء العينين :

ان يحسدوني فاني غير لائمهم      قلبي من الناس أهل الفضل قد حسدوا  
فدام لي ولهم ما بي وما بهم      ومات أكثرنا غيظا بما يجسد

ثم ان قوله ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا أنه أخطأ فيه الخ : مردود ، فقد طالعه كثير من أهل الفضل المنصفين فاستصوبوه ، وأثنوا عليه ، وعرفوا الحق الذي فيه ، وحسبوا ظنهم بأئمة المسلمين وخيار المؤمنين ، ودعوا له ولوالديه ولمن نثر كتابه ، واستفادوا الفوائد التي لم يكونوا عارفين بها ولا واقفين عليها ، وعدوا ذلك خدمة للمسلمين عموما ولسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم خصوصا ، حيث ذب عن دينه وشريعته الغراء ما كدر صفوها ، وأماط الأذى عنها ، وقالوا كما قال الامام أحمد نضر الله وجهه : الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ، ويصبرون منهم على الاذى ، يحيون بكتاب الله عز وجل الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعود بالله من فتن المضلين ، انتهى •

فانظر أيها المنصف الى وصف الجاهلين الذي في هذه الخطبة ، وطبقه على مايقوله النبھاني تجد الامام نضر الله وجهه كأنه قد عناه وقصده بلفظه ومعناه ، وفي الحديث ( اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ) واني قد لالعت كثيرا من كتب هؤلاء الغلاة الجهلة ولم أر فيها كالهذيان الذي هدى به هذا الزائغ ، ومع ذلك رددتها بتوفيق الله ، وشفيت منها صدور المؤمنين ، وكلام هذا الزائغ ظلمات بعضها فوق بعض ، فكل ماكتبته عليه من الرد أراني قد أتيت بقليل من كثير ما استوجب ، فالله المستعان عليه •



( وقد تذكرت ) عند وصولي الى هذا المقام ما كان يقوله سلف النبياني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحبت ذكره هنا ، وادراجه في الكتاب ، ليعلم الناظر البصير أن أعداء الحق في كل عصر على وتيرة واحدة ، وقلوبهم متشابهة فيما يرد عليها من الخواطر والشؤون .

ألا إنما الايام أبناء واحد وهذي الليالي كلها أخوات فلا تطلبن من عند يوم ولا غند خلاف الذي مرت به السنوات

روى الامام أحمد من حديث محمد بن اسحق قال حدثني يحيى بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال قلت له : ( ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ، قال : حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، قد سفه أحلامنا ، وشتهم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا ، فبينما هم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما أن مر بهم عمزوه ببعض ما يقول ، قال نعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى فلما مر الثانية عمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى فمر بهم الثالثة فعمزوه بمثلها ، فقال تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح ، فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه باحسن ما يجد من القول ، حتى انه ليقول انصرف انصرف يا أبا القاسم انصرف راشدا فوالله ما كنت جهولا ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به ، يقولون له : أنت الذي يقول كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم ؟ قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذي أقول ذلك ، قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه وقام أبو بكر الصديق دونه يقول - وهو يبكي - أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه ) .

وعن الربيع بن أنس رضي الله تعالى عنه قال : ( أراد صاحب اليمن أن يؤوي

النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه الوليد فزعم أن محمدا ساحر ، وأتاه العاص بن وائل فأخبره أن محمدا تعلم اساطير الاولين ، وأتاه آخر فزعم أنه كاهن ، وآخر أنه شاعر ، وآخر زعم أنه مجنون ، فأهلكهم الله ، كل منهم أصابه عذاب سوى عذاب صاحبه ) وذكر تفصيل عذابهم •

والكلام على ما كابد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم من مشركي العرب المذكور في غير هذا الموضع ، وقد نصره الله عليهم ، وانتقم منهم كما ينتقم من أعداء ورثته والعاملين بسنته ويهلك خصومهم ، كالنهباني وغيره من الغلاة الذين هم على طريقة أسلافهم عبدة الاصنام ، وعلى مسلكهم المذموم ، وفي كتب السير قد بين ما أصاب أعداء الرسول من البلاء اللين ، قال الشيخ في كتابه ( الجواب الصحيح ) ويدخل في هذا الباب ما لم يزل الناس يرونه ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبه ويذمه ويذم دينه بأنواع من العقوبات ، وفي ذلك من القصص الكثيرة ما يضيّق هذا الموضع عن بسطه ، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة ، التي تبين كلاءة الله لعرضه ، وقيامه بنصره وتعظيمه لقدره ، ورفع لذكوره ، وما من طائفة من الناس الا وعندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لأولي الالباب ، قال : ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام اذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن ويطول الحصار الى أن يسب العدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو ، فانه يكون ذلك قريبا ، كما قد جربه المسلمون غير مرة ، تحقيقا لقوله تعالى : ( إِنَّ شَأْنَكُمْ هُوَ الْأَبْتَرُ ) ولما مزق كسرى كتابه مزق الله ملك الأكاسرة كل ممزق ،

ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي لهم ملكهم ، انتهى •  
فها نحن ننتظر انتقام الله تعالى من النهباني واضرا به الغلاة ، فقد عادوا أهل الحق وورثة نبيهم صلى الله عليه وسلم وحفاظ دينه ، وان يعاملهم بعدله ، فقد أساءوا القول فيهم ، وافتروا عليهم ، ورموهم بالعظائم ، ولا باعث لذلك سوى الدعوة الى الله وتوحيده وافراده بالعبادة ، والنهباني منهم يقول ان كل ذلك ليس من خصائص الاله مع كونه من أعداء الله ورسوله ، حيث خالف الشريعة الفراء ، وصرف شطرا من عمره في حكمه بالقوانين المخالفة لما شرعه الله تعالى ، مع ما اتصف به من المساوي والمنكرات •

( ومنها أنه قال ) وقد لعمرى آذى أباه وعقه بتلك النقول التي كان الناس عنها في غفلة ، لأنها مفرقة في تفسيره فجمعها في كتابه مفتخرا بها ، ومثبتا عند صديق حسن وطائفة ان أباه هو أيضا على مذهبهم ومشر بهم في ذلك ، وقد سمعت بسبب هذا - من بعض علماء مكة - كلاما فظيحا في حقه وحق أبيه ، الى آخر مقالته في هذا الباب .

( فيقال له ) ان ما ذكر في ( روح المعاني ) من المسائل التي خالف فيها الغلاة أهل الحق - كمسألة دعاء غير الله ، والاتجاء الى ماسواه ، والحلف بغيره ، والنذر لغيره ، ونحو ذلك ما هو من خصائص الاله المعبود - هي مذكورة صريحا في القرآن العظيم ، وكتب الحديث الصحيحة ، ومصنفات الأئمة طافحة بها ، وكذلك مسألة الكلام والعلو وسائر ماورد من الصفات فيها كتب كثيرة ، ومصنفات شهيرة - على ما سبق بيانه ، ومضى دليله وبرهانه - فصاحب ( جلاء العينين ) ذكر منها نبذة يسيرة ، والمسائل التي فاتته منها كثيرة ، و ( روح المعاني ) ليس منفردا بذكر ما قام على صحته الحجج القطعية ، والبراهين العقلية والنقلية ، ومن طالع البيضاوي ، والكشاف ، وتفسير ابن جرير ، وغير ذلك : يجد الامر واضحا كفلق الصباح ، ولولا أن يطول الكتاب لنقلنا كل ذلك ، غير أن هذه التفاسير تتداولها الايدي ، والمنصفون من أهل البصائر يعلمون ذلك ، فمصنف ( جلاء العينين ) لم يعق والده ، بل نشر فضله وسعى في انتفاع الناس به ، وانه سلك مسلكه في حب انتفاع اخوانه المسلمين ونصيحتهم .

بابه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابهه أبه فما ظلم وقد كان صاحب ( روح المعاني ) رحمه الله تعالى سلفي الاعتقاد ، مشارا اليه بالبنان في العلم والعمل من بين علماء الاقطار والبلاد ، وقد رأيت له رسالة بخطه ألفها في بيان عقيدته ومذهبه ، وكيفية اشتغاله واجازاته في العلوم العقلية والنقلية ، وتراجم من أخذ عنهم العلم ، وترجمة أئمة مذهب الامام الشافعي والامام الاشعري رحمهما الله تعالى ، وبين فيها - بعد أن ذكر عقيدته التي تلقاها من الكتاب والسنة وادعى انها عين اعتقاد الامام الاشعري - ان اعتقاد الامام الاشعري لا يخالف ما عليه الامام أحمد رحمه الله ، ونص عبارته :

( فان قلت ) ليس جميع ما ذكرته مذهب الامام الاشعري كما يفصح بذلك تتبع الكتب ، بل هو مذهب الامام أحمد بن حنبل ( قلت ) مذهب الامام الاشعري عند

المحققين والعلماء المنصفين هو مذهب الامام ، كما يبين ذلك كتابه ( الابانة في اصول الديانة ) وهو آخر كتاب صنفه وعليه تعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه . قال فيه ( فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة ) فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون .

قيل له : قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتمسون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل - نصر الله وجهه ورفع درجته - قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان الله تعالى به الحق ، ورفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين ، وزيف الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله تعالى عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفخم .

وجملة قولنا : أنا نقر بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاء من عند الله تعالى ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لانرد من ذلك شيئاً ، وأنه واحد لا اله الا هو ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وان محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله مستو على عرشه كما قال : ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) <sup>(١)</sup> وان له وجهاً كما قال : ( وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ) <sup>(٢)</sup> وان له يدين بلا كيف كما قال : ( بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ) <sup>(٣)</sup> وان له عينين بلا كيف كما قال : ( تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ) <sup>(٤)</sup> وأن من زعم أن أسماء الله تعالى غيره كان ضالاً ، وندين بأن الله تعالى يقرب القلوب ، وأن القلب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، وأنه يضع السموات على أصبع ، والارضين على أصبع ، كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلاً عن عدل ، ونصدق بجميع الروايات التي رواها وأثبتها أهل النقل من النزول

(١) طه : ٥ - (٢) الرحمن: ٢٧ - (٣) المائدة : ٦٤ - (٤) القمر ١٤

الى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : ( هل من سائل ؟ هل من مستفسر )  
وسائر ما نقلوه واثبتوه خلافا لأهل الزيغ والتضليل ، ونقول أن الله تعالى يجيء يوم  
القيامة كما قال : ( وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا )<sup>(١)</sup> وان الله تعالى يقرب  
من عباده كيف شاء كما قال : ( وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ )<sup>(٢)</sup>  
وكما قال : ( ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى )<sup>(٣)</sup> انتهى ملخصاً .

( قال صاحب تفسير روح المعاني ) رحمه الله وقد ذكر ابن عساكر في كتابه  
تبيين كذب المفتري ، فيما نسب للإمام الأشعري ) . ما يقرب من ذلك وإن لم يكن  
بلفظه ، ثم قال عقبه : هذا ما عليه امامنا الأشعري ومتقدموا أصحابه ، لكن كثرت  
المقالة بين متأخري الأشاعرة والحنابلة حتى أدى ذلك الى تضليل كل من الفريقين  
صاحبه ، وذلك في مسائل تمسكت فيها الحنابلة بظواهر الكتاب والسنة كالاستواء  
والنزول والقدم والوجه والعينين وغير ذلك من أحاديث الصفات ، قال : ولقد  
أجاد ولي الله بلا نزاع ، وحامل لواء الشريعة والحقيقة بلا دفاع : الملا ابراهيم  
ابن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهراني الشهر زوري الكردي نزيل المدينة  
الشافعي بالفحص عن كل ما ينسب الى الحنابلة ، فجمع رسائل عديدة وكتب مفيدة  
وطالعتها ودقق النظر فيها ، ثم ألف رسالة في ذلك ، وقال فيها : لما أمعنت النظر في  
رسائل القوم ومصنفاتهم وجدتهم برآء من كثير مما رمتهم أصحابنا الشافعية من  
التجسيم والتشبيه ، وانما القوم متمسكون بذهب كبار المحدثين ، كما هو المعروف  
من حال امامهم رضي الله تعالى عنه من ابقاء الآيات والاحاديث على ظواهرها ،  
والايمان بها كذلك ، مفوضون فيما أشكل معناه ، وهذا لا يذمه أحد من الأشعرية ،  
بيد أن الحنابلة مشددون في رد التأويل في كل ذلك ، مجهلون من يذهب اليه ،  
فيقولون : الله تعالى ورسوله وسلف الامة ادري بمعاني الآيات والاحاديث من  
هؤلاء المؤولين ، وما ورد عنهم انهم أولوا شيئا من ذلك ، فاما أن يكون ذلك لان  
معناه خفي عليهم فكيف ظهر لهؤلاء ماخفي على اولئك ، واما لأنها على ما يظهر  
من معناها لأن الشرع جاء بلغة العرب فمراد الله تعالى بهذه اللفاظ هو المعاني  
التي تريدها منها العرب في لغتهم ، وتطلق بحسب ما يليق به ، فالمراد بالاستواء  
والفوق والنزول معانيها المقصودة في كلام العرب ، فاذا قلت زيد فوق السريسر

(١) الفجر : ٢٢ - (٢) ق ، ١٦ - (٣) النجم : ٨ ، ٩

فمعناه مستقر عليه متمكن منه مستعمل ، ولما علمنا أن زيدا جرم من الاجرام والسرير كذلك تحقق لنا أن الفوقية في حقه واستقراره فوق السرير يوجب مماسته له ، وتحيزه في جهة من جهاته ، وغير ذلك من الاوصاف التي توجب استقرار جرم على جرم ، واما المولى جل جلاله فماهية ذاته غير مدركة لاحد من الخلق فكيف يقال بأن استقراره فوق العرش يوجب مماسته له وتحيزه في جهة لان ذلك استقرار الجسم ، واما استقرار من ليس بجسم فلا نحكم بأنه يوجب كذا وكذا حتى نعلم ماهيته والماهية غير معلومة ، فنثبت له استقرارا حقيقيا فوق كل عرشه ، لانه أثبت له نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه يليق بذاته ، ويقتضيه كمال صفاته ، وكذلك يقولون في النزول ونظائره .

( قال ) وقد بالغ ابن القيم عفى الله تعالى عنه ورحمه في الرد على أئمتنا الاشعرية في مثل هذا وأتى بعبارة سوء ، حتى قال : لام الاشعرية كنون اليهودية ، ولقد أساء سامحه الله تعالى في الخطاب ، وتنكب بمحض العصبية عن الصواب ، لأن الاشعرية لم يجحدوا استوى ، بل به يقرؤون والى الله عز وجل يتقربون ، ولكن بعضهم أول المعنى لما رأى الظاهر منه محالا على الله تعالى ، فقال معنى استوى استولى لورود اللفظين معا في لغة العرب ، وأمثال هذه التعصبات الفاسدة هي التي أوقعت الفرقين فيما وقعوا فيه ، والا فالكل على هدى ان شاء الله تعالى ، لأن المفوض مسلم لمراد الله تعالى تارك لما لم يكلف بعلمه ، والمتأول متبع لما علم صحته وثبوتها من الكتاب والسنة حامل عليه ما لم ينتضح معناه حتى تكون العقيدة كلها على نسق واحد ، ولا يسوغ الى فهم القاصر معنى لا يليق بالرب فيثبته له ، فالتأويل لاجل هذا حسن حراسة عن اعتقاد مالا يجوز اعتقاده ، فاذا سمع قاصر الفهم استوى لم يتبادر الى فهمه الا المعنى المستحيل ، فاذا سمع قول العالم معناه استولى عليه بالقهر والغلبة زالت تلك الشبهة من قلبه ، وهذا الذي أولنا به الاستواء وان لم يكن هو مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو لاشك معنى ثابت لله متصف به لا ينافي ماهو معناه عند الله تعالى ، فلا كبير ضرر في ذلك ولا تحكم ، اذ لم نقل ليس له معنى الا هذا ، بل نقول يحتمل أن يكون معناه هذا وهذا صدق ، لأنه محتمل كما لا يخفى .

( وقال أيضا ) ولقد اطلعت على رسالة للشيخ ابن تيمية وهي معتبرة عند الحنابلة وطالعتها كلها فلم أر فيها شيئا مما ينبذ ويرمى به في العقائد سوى ما ذكرنا من تشديده في رد التأويل ، وتمسكه بالظواهر مع التفويض والمبالغة في التنزيه

مبالغة يقطع معها بأنه لا يعتقد تجسيما ولا تشبيها ، بل يصرح بذلك تصريحاً  
 لاخفاء فيه ، والمعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم ويأخذ بلازم  
 قوله الذي لايقول به ولا يسلم لزومه ، وعلى كل حال فهو كما قال كثير من المشائخ  
 في الشيخ محيي الدين ، قال سيدنا العلامة الشيخ عبد الله بن محمد العياشي وكثيرا  
 ما كنت أسمع من شيخنا العلامة سيدي عبد القادر رضي الله تعالى عنه يقول محكم  
 كلامه يقضي على متشابهه ، ومطلقه يرد الى مقيده ، ومجمله الى مبينه ، ومبهمه  
 الى صريحه ، كما هو شأن كل كلام ظهرت عدالة صاحبه .

فالحنبلة مبرؤن مما نسب اليهم، وكذا الاشعرية أيضا منزهون مما يرمون  
 به من التعطيل والتحريف لكلام الله تعالى عن مواضعه ، والكل على هدى يدينون  
 دين الحق ، والمخالفون شذمة قليلة لايعبأ بهم ، كما قال الشيخ تاج الدين السبكي  
 في كتابه ( معيد النعم ، ومبيد النقم ) . ثم نقل كلامه الى آخره ، انتهى كلام  
 الكوراني .

وقال بعد أن فرغ من نقله : وأقول من أراد أن يشرح صدره ، ويتبين له تبينا  
 لامراء فيه صحة مذهب الاشعرية ، وانه مذهب أهل السنة والجماعة : فليطالع كتاب  
 الامام أبي القاسم ابن عساكر المسمى ( بتبيين كذب المفتري ، فيما نسب الى أبي  
 الحسن الاشعري ) فقد أتى فيه من أدلة الكتاب والسنة وأقاويل السلف والخلف  
 ما لا يمتري معه عاقل خال من التعصب انه امام السنة ورئيس الجماعة المضمون  
 لها العصمة من الله تعالى .

ثم نقل صاحب (روح المعاني) في رسالته كلام الكوراني في الثناء على عقائد الاشعري  
 وانه على ما عليه السلف ، واطال الكلام في ذلك الى أن قال : ولولا خوف السامة  
 وحذر الملامة لاتييت في هذا المقام بما يبريء الكلام ، ويروي الاوام ، ولكن ما كل  
 ما يعلم يقال ، ولكل زمان دولة ورجال ، بل لعمرى فيما ذكرنا كفاية للمسترشدين ،  
 وهداية للمستهددين ، وأما الذين هووا في مهاوي الجهل ، وعقلوا بعقال الحسد  
 والتعصب عن التمسك بزمام العقل ، واشتغلوا بالاغراض واغتروا بالاغراض ، فلا  
 ينفعهم اختصار ولا اطناب ، ، ولا كتاب ولا خطاب ، فليس لدائهم من دواء الا  
 السيف والدعاء .

الحسد لله هذي العين لا الاثر      فما الذي باتباع الحق ينتظر  
 وقت يفوت واشغال معوقة      وضعف عزم ودار شأنها الفير

والناس ركضى الى مهوى مصارعهم  
تسمى بها خادعات من سلامتهم  
والجهل أصل، فساد الناس كلهم  
وانما العلم عن ذي الرشد يطرحه  
وأصعب الداء داء لا يحس به  
وانما لم تحس النفس موبقها  
وليس عندهم من ركضهم خبر  
فيبلغون الى المهوى وما شعروا  
والجهل أصل عليه يخلق البشر  
كما عن الطفل يوما تطرح السرر  
كالدق يضعف حسا وهو يستعر  
لأن أجزاءه قد عمه الضرر

( هذا ماتقلناه ) من رسالة صاحب تفسير ( روح المعاني ) • وبه يرغم أنف  
الزائغ النبھاني ، حيث تبين به ان الامام الاشعري على ما عليه السلف ، وان من خالفه  
من المنتسبين اليه قد غير وحرف ، فمصنف ( جلاء العينين ) ان وافق والده في تلك  
العقيدة السالمة من وصمة البدع فقد وافق الحق الحقيق بالقبول واتبع ، غير أن  
النبھاني لجهله وافلاسه من كل فضل يرى أن الحق لم يعده وان ما هو عليه هو  
الفصل والعدل •

( وأما قوله ) وقد سمعت بسبب هذا من بعض علماء مكة كلاما فظيحا في  
حقه الخ •

( فيقال له ) عنه وعن والده هذا الكلام مردود من وجوه :  
( الوجه الأول ) أنا نستفسر من النبھاني هذا ونسأله على فرض صدق كلامه  
وصحة نقله ونقول له من سلم من لسان الوري ، ومن أمن معرفة كلام الناس ، ومن  
الذي اتفق على محبته وموالاته جميع الأنام ؟ هذا إله العالمين وخالق السموات  
والارضين قد حكى في كتابه الكريم عن أعدائه وماتقولوا به في شأنه مالا يخفى على  
من له بصيرة • من ذلك ما كان من اليهود مما هو مذكور في توراتهم ، وما هو مذكور  
في القرآن من افتراءهم على الله تعالى ، وعلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد  
جعلوا داود النبي ولد زنا ، كما جعلوا المسيح ولد زنا ، ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا  
ذلك الى التوراة ، كما جعلوا ولدي لوط ولدي زنا ، ثم نسبوا داود وغيره من أنبيائهم  
الى ذينك الولدين ، وقالوا ان الله استراح في اليوم السابع من خلق السموات  
والأرض ، فأنزل الله تعالى على رسوله تكذيبهم بقوله : ( وما مسنا من لغوب )<sup>(١)</sup>  
أي تعب وقالوا ان الله فقير وقد حكاه سبحانه عنهم في كتابه الكريم بقوله : ( لقد

(١) ق : ٢٨ •



سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاهُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ  
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ  
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١) أنزل الله تعالى هذه الآية لما قالوا ما بنا الى الله  
تعالى من فقر ، وانه الينا الفقير ، وما تتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه لأغنياء ،  
ولو كان غنيا عنا ما استقرض منا ، ولما كان هذا القول منهم في غاية العظم والهول قال  
( سنكتب ما قالوا ) الخ أي لن يفوتنا أبدا تدوينه واثباته •

وقالوا : ان الله بخيل ليس بجواد ولا كريم ، قال تعالى : ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ  
اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ) فرد عليهم بقوله : ( غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا . بَلْ يَدَا  
مُبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ) (٢) وقالوا ان العزيز كان ابن الله ، وأنهم أبناء  
الله وأحباؤه ، قال تعالى : ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى  
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ) (٣) وقال تعالى : ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ  
وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ) (٤) وقالوا ( إِنَّ  
اللَّهَ عَهْدَ الْيَنَّا أَنْ لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقَرَبَانِ تَأْكُلُ النَّارُ ) فرد عليهم  
بقوله ( قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) (٥) وقالوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً (٦)  
وقالوا ان الله تعالى بكى على الطوفان حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة ، وقالوا  
ان الله ندم على خلق بني آدم ، وأدخلوا هذه الفرية في التوراة ، وقالوا عن لوط انه  
وطيء ابنتيه ، وأولدهما ولدين نسبوا اليهما جماعة من الأنبياء ، وقالوا في بعض  
دعاء صلاتهم : اتبه كم تمام يارب استيقظ من رقدتك فتجرؤا على رب العالمين بهذه  
المناجاة القبيحة ، كأنهم ينخونه بذلك لينتخي لهم ويحتمي كأنهم يخبرونه أنه قد  
اختار الخمول لنفسه وأحباؤه ، فيهزونه بهذا الخطاب للنباة واشتهار الصيت ، وما  
كان منهم مع موسى عليه السلام فأمر مشهور •

(١) آل عمران : ١٨١ ، ١٨٢ - (٢) المائدة : ٦٤ - (٣) التوبة : ٣٠ - (٤) المائدة : ١٨ -

(٥) آل عمران : ١٨٣ (٦) البقرة : ٨٠

وبالجملة فافتراؤهم على الله ورسله وأنبياؤه ورميهم لرب العالمين ورسله بالعظائم كثير جدا ، وقد ذكر نبذة منه العلامة ابن حزم في كتابه ( الملل والنحل ) ، والحافظ ابن القيم في كتابه ( هداية الحيارى ) .

( وأما ما كان من النصارى ) فهو أنهم اعتقدوا أن رب السموات والأرض تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمته وعرشه ، ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط ، فالتحم ببطنها ، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو وبول ودم وطمث ، ثم خرج الى القباط والسرير ، كلما بكى ألقمته أمه ثديها ، ثم انتقل الى المكتب بين الصبيان ، ثم آل أمره الى لطم اليهود خديه ، وصفعهم قفاه ، وبصقهم في وجهه ، ووضعهم تاجا من الشوك على رأسه ، والقصة في يده ، استخفافا به وانتهاكا لحرمة ، ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه فشدوه عليه وربطوه بالجبال وسمروا يديه ورجليه ، وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب ، هذا وهو بزعمهم الذي خلق السموات والارض ، وقسم الأرزاق والآجال ، ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن مكن أعداءه من نفسه ، لينسالوا منه ما نالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسحن في الجحيم ، ويفدي أنبياءه ورسله وأوليائه بنفسه فيخرجهم من سجن ابليس ، فان روح آدم و ابراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت في سجن ابليس في النار حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه .

فهذا بعض كفرهم وشركهم برب العالمين ومسبتهم له ، ولهذا قيل انهم سبوا الله ورسوله مسبة ماسبه اياها أحد من البشر ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في الحديث الصحيح أنه قال : ( شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وكذبني ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، أما شتمه اياي فقلوه اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحدا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفوا أحد ، وأما تكذيبه اياي فقلوه لن يعيدني كما بدأني ، وليس ذلك بأهون عليّ من اعادته ) .

وقال تعالى : ( أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) (١)

وقال : ( لقد كفر الَّذِينَ قالوا إنَّ اللهَ هُوَ المسيحُ ابنُ مريمَ ) (٢) الى غير ذلك من الآيات المشتبهة على سوء اعتقادهم في الله .

وأما ما كان من مشركي العرب فقد قال تعالى عنهم : ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ

(١) الصافات : ٥١ ، ٥٢ - (٢) المائدة : ٧٢

الجنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ  
بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ  
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١) ” وَقَالَ ( وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ  
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ ) ” وَقَالَ :  
( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . الَّذِي لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ  
شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ) (٢) ” ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ  
مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا  
خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنَ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ . وَمَنْ يَقُلْ  
مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ) ” وَقَالَ :  
( وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارِهِبُونَ . وَلَهُ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ) إِلَى قَوْلِهِ : ( وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ  
الْبَنَاتِ سُبحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ) (٣) ” وَقَالَ : ( وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ  
فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا . أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ  
الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ  
لِيذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا . قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا  
إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ) (٤) ” وَقَالَ : ( فَاسْتَفْتِهِمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ .  
أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ .  
وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ

(١) الانعام : ١٠٠ ، ١٠١ - (٢) الاسراء : ١١١ - (٣) الفرقان : ١ ، ٢ - (٤) الانبياء : ٢٦ - ٢٩ -

(٥) النحل : ٥١ - ٥٧ (٦) الاسراء : ٢٩ - ٤٢

تَحْكُمُونَ . أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ . فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمَحْضُرُونَ . سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ . فَأَنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ<sup>(١)</sup> وَقَالَ ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ . إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ) إِلَى قَوْلِهِ : ( إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ )<sup>(٢)</sup> وَقَالَ تَعَالَى : ( وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْمًا )<sup>(٣)</sup> أَي نَصِيبًا وَبَعْضًا ، أَوْ جَعَلُوا لِلَّهِ نَصِيبًا مِنَ الْوَلَدِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْوَلَدَ جِزءٌ مِنَ الْوَالِدِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي )

وَقَوْلِهِ : ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) قَالَ الْكَلْبِيُّ نَزَلَتْ فِي الزَّنَادِقَةِ ، قَالُوا : إِنْ اللَّهُ وَابْلِيسُ شَرِيكَانِ ، فَاللَّهُ خَالِقُ النَّوْرِ وَالنَّاسِ وَالذُّوَابِ وَالْإِنْعَامِ ، وَابْلِيسُ خَالِقُ الظُّلْمَةِ وَالسَّبَاعِ وَالْحَيَاتِ وَالْعِقَارِبِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ : ( وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا ) فَقِيلَ هُوَ قَوْلُهُمُ الْمَلَائِكَةَ

بَنَاتِ اللَّهِ ، وَسُمِّيَ الْمَلَائِكَةُ جِنًّا لِاجْتِنَانِهِمْ عَنِ الْإِبْصَارِ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ حَيٌّ مِنْ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ - وَمِنْهُمْ ابْلِيسُ - وَهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : قَالُوا - لَعَنَهُمُ اللَّهُ - بَلْ بِذُورٍ تَخْرُجُ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ ، وَقَوْلُهُ : ( وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) قَالَ الثُّعْلَبِيُّ : هُمْ كُفَّارُ الْعَرَبِ قَالُوا الْمَلَائِكَةَ وَالْإِنْعَامَ بَنَاتِ اللَّهِ ، وَالْيَهُودُ قَالُوا عَزِيرُ بْنُ اللَّهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ الَّتِي سَبَّوْا بِهَا فَاطِمَةَ السَّمَوَاتِ ، وَلَنَا كِتَابٌ سَمِيئًا ( آرَاءُ بَنِي آدَمَ فِي إِلَهِ الْعَالَمِ ) لَمْ يَكْمَلْ بَعْدَ ، وَفِيهِ تَرَى مَا تَكَلَّمُ بِهِ النَّاسُ فِي الْهَمِّ وَمَعْبُودِهِمْ عَزَّ اسْمُهُ .

(١) الصلوات : ١٤٩ - ١٦٢ - (٢) النجم : ١٩ - ٢٧ (٣) الزخرف : ١٥

واما ما كان من الامم مع أنبيائهم وما صدر منهم في شأنهم من الاذى والشتيم والسخرية وغير ذلك مما حكاه الله في كتابه فذلك لا يستوعبه المقام ، وما كان من العرب الجاهليين - ولا سيما قريش - في حق خاتهم صلى الله عليه وسلم مما تشيب منه لم المداد ، قد فصل في كتب السير والتواريخ .

وقد ذكر شيخ الاسلام في كتابه ( الصارم المسلول ) فصولا مهمة في ذلك ، فذكر قصة الاعشى الذي قتل أم ولد له كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصة كعب بن الاشرف اليهودي ، وقصة قتل العصماء بنت مروان من بني خزيمة التي هجت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصة قتل أبي عفك اليهودي لهجائه أيضا ، وقصة ابن أبي سرح وقصة ابن زعيم الديلمي لهجائه أيضا ، وحديث القيتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه ، وحكاية قتل ابن خطل ، والامر بقتل من كان يهجوهم ويؤذيه من شعراء قريش ، وقصة قتل أبي رافع اليهودي لأجل أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصة هلاك المستهزئين ، وحديث الاعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم عند تقسيه المغانم ما أحسنت ولا أجملت ، وغير ذلك مما آذوه به صلى الله عليه وسلم مما حكى في القرآن ، كرميه تارة بأنه شاعر ، وأخرى بأنه كاهن ، ومرة بأنه مجنون ، ونحوها مما مر بيانه ، فانتقم الله تعالى منهم ، وشفى الله بهم صدور المؤمنين .

وفي كتاب ( أعلام النبوة ) للماوردي : فان قيل مجيء الانبياء موضوع لمصالح العالم وهم مأمورون بالرأفة والرحمة ومحمد جاء بالسيف وسفك الدماء وقتل النفوس فصار منافيا لما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام فزال عن حكمهما في النبوة لمخالفتها في السيرة ، قال : فالجواب أن السيف اذا كان لطلب الحق كان خيرا ، واللفظ اذا كان مع اقرار الباطل كان شرا ، لأن الشرع موضوع لاقرار الفضائل الالهية ، والحقوق الدينية ، ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ليستقر به الخير ، وينتفي به الشر ، لأن النفوس الاشارة لا يكفها الا الرهبة ، فكان القهر لها أبلغ في انقيادها من الرغبة ، وكانت العرب أكثر الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم وقوة شجاعتهم فلذلك كان السيف فيهم أعظم من اللطف وأنفع منه .

ويجاب أيضا : أنه لم يكن في جهاده بدعا من الرسل ، فقبله ابراهيم عليه السلام جاهد الملوك الاربعة الذين ساروا الى بلاد الجزيرة للغارة على أهلها ، وحاربهم حتى هزمهم بأحزابه وأتباعه ، وهذا يوشع بن نون قتل نيفا وثلاثين ملكا من ملوك

الشام ، وأباد من مدنها ما لم يبق له أثر ، ولا من أهله صافر ، من غير أن يدعوهم الى دين أو يطلب منهم اتاوة ، : وساق الغنائم ، وغزا داود من بلاد الشام ما لم يدع فيها رجلا ولا امرأة الا قتلهم وهو موجود في كتبهم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم بدأ بالاستدعاء وحارب بعد الابعاء ، ثم تكلم بكلام يتعلق بهذا المعنى الى أن قال : وانما تطلبت الملحدة بمثل هذا الاعتراض القدح في النبوات ، فانهم لم يعفوا نبيا من القدح في معجزته والظعن على سيرته ، حتى قال منهم في عصرنا ما ظعن به على موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم بشعر نظمه فقال :

وفائق البحر لم يفلق جوانبه  
 ومذع يدعى الاشياء خلقتسه  
 وآخر يدعى بالسيف حجتسه  
 اذ ضاع فيه ضياع الحر في السفل  
 ما باله زال والاشياء لم تنزل  
 هل حجة السيف الا حجة البطل

قال فحضرت حين وردت هذه الآيات الى بعض أهل العلم فأجاب عنها بقوله  
 قل للذي جاء بالتكذيب للرسول  
 وقال في ذلك أبياتا مزخرفة  
 ضياع موسى دليل من أدلتسه  
 ليعلم الناس أن الله فالقسسه  
 ومعجز الخلق في فلق المياه له  
 وابن البتول فان الله نزهه  
 ما كان منه سوى طير يقدره  
 وقال اني باذن الله فاعلته  
 وصاحب السيف كان السيف حجتته  
 وجاء مبتدئا بالنصح مجتهدا  
 منها كتاب مبين نظمه عجب  
 فافخم الشعراء المفلقين به  
 وأنبع الماء عذبا من أنامله  
 وشارف القوم وافاه وكلمه  
 والذئب قد أخبر الراعي بمبعثه  
 والجذع حن اليه حين فارقه  
 وأخبر الناس عما في ضمائرهم  
 ورد معجزهم بالزنج والدغسل  
 ليوقع الناس في شك من الملل  
 من بعد ما صار فرق البحر كالجيل  
 وأن موسى ضعيف تاه في السبل  
 وجعله البر ما يحتاط بالحيثل  
 عما ذكرت من الدعوى على الجمل  
 طينا وربى أحياء ولم يزل  
 واذن ربي يحيى الخلق لاعملي  
 بعد البيان عن الاعجاز والمثل  
 بمعجزات لما حارت أولو النحل  
 فيه من الغيب ما أوحى الى الرسل  
 لما تحداهم بالرفق في مهل  
 من غير ما صخرة كانت ولا وشل  
 وقال اني من قتلي على وجمل  
 فجاء يشهد بالاسلام في عجل  
 حين ذات جوار ساعة الهبل  
 مفصلا بجواب غير محتمل

ونبأ الروم عن نصر يكون لها  
والفرس أخيرها عن قتل صاحبها  
وان تقصيت ماجاء النبي به  
من بعد سبعة أعوام على جدل  
بروز اذ جاءه فيروز في شغل  
طال التشيد ولم آمن من الملل

اتهى ما ذكره الامام الماوردي ، وقصص الانبياء عليهم السلام فيما كابدوه من  
أمهم مذكورة في كتب التواريخ والتفاسير والسير بما لا مزيد عليه •  
فنقول للنبهاني : ألم يكن لصاحب ( جلاء العينين ) ووالده في ذلك أسوة حسنة  
وهل ينقصهم بغض الخصوم شيئاً مما هم عليه من الشرف ؟ كلا •  
من كان فوق محل الشمس رتبته فليس يرفعه شيء ولا يضعه  
وقد علمت أيها النبھاني ما كان من عاقبة أعداء الله وخصوم رسوله صلى الله  
عليه وسلم كيف فرق جمعهم ، وشتت شملهم ، ومحا ذكرهم ، وأذل قدرهم ، فإذا  
كان الله ورسله عليهم السلام كما ذكرنا فليس من الغريب أن يصادف ورثة رسله  
ما صادفوا ، وما أحسن قول القائل :

قيل ان الاله ذو ولد  
قيل ان الرسول قد كهنا  
مانجأ الله والرسول معاً  
من لسان الورى فكيف أنا  
( ويقال للنبهاني أيضا ) أما سمعت ما قال الروافض في أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وما طعنوا به فيهم هل لحق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم  
أجمعين مما قالوه وافتروه نقص ؟ كلا ، بل رفع الله تعالى درجاتهم بسبب بغض  
الروافض لهم وطعنهم عليهم ، وزاد الروافض بذلك بعدا عن الله ومقتا ، وبأوا بغضب  
منه ، وهكذا أعداء أهل الحق في كل عصر •

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت آتاحت لها لسان حسود  
واعلم ان ما ينقله الروافض عن الصحابة من المثالب نوعان :  
( أحدهما ) ما هو كذب ، اما كذب كله واما محرف قد دخله من الزيادة  
والنقصان ما أخرجه الى الذم والطعن ، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا  
الباب يرويها الكذابون المعروفون بالكذب ، مثل أبي مخنف لوط بن يحيى ، ومثل  
هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، وأمثالهما من الكذابين •

( النوع الثاني ) ما هو صدق ، وأكثر هذه الامور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن  
تكون ذنوبا ، وتجعلها من موارد الاجتهاد التي ان أصاب المجتهد فيها فله أجران وان  
أخطأ فله أجر ، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب ، وما قدر

من هذه الامور ذنبا محققا فان ذلك لا يقدر فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة ، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة ، ذكر ذلك الشيخ ( في المنهاج ) وبين الاسباب المزيلة للذنوب ، وذكر أصولا جامعة نافعة في هذا الباب ، وما ذكره صادق على أعداء علماء الدين وحفاظ الموحدين ، فان النبهاني وأضرابه الغلاة لم يزالوا يتكلمون بكلام موافق لكلام الروافض ، وهكذا الكلام في النواصب والخوارج وما كان منهم من التجاوز على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، ولم ينتقص به من قدر الامير شيء ، ولا لحقه وهن من ذلك ، وما تكلم به النبهاني وأضرابه في شأن خصومهم بالنسبة الى ماتكلم به أعداء الصحابة وخصومهم كغلبة من داماء ، وجرعة من بحر ماء ، فهو لا يورث طعنا الا لجاهل منقوص ، ولا يؤثر في البنيان المرصوص .

( الوجه الثاني ) أن يقال للنبهاني : ان ما كان من الطعن والبغض لمصنف (جلاء العينين) ووالده فهو لاشك من القبورين الغلاة ، بسبب ما لحقهم من هدم بنيانهم وابطال برهانهم ، لا لذنب صدر ولا لجناية لا تغفر ، بل اذا كان الذنب متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله ، فيجب على الانسان أن يكون في هذا الباب قاصدا لوجه الله متبعا لرسوله ، ليكون عمله خالصا صوابا ، قال تعالى : ( وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) (١) وقال تعالى : ( وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ) (٢) .

قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية : أخلص دينه وعمله لله ، وهو محسن في عمله ، وقال الفراء في قوله تعالى ( فقل أسلمت وجهي لله ) أخلصت عملي ، وهذا المعنى يدور عليه القرآن ، فان الله تعالى أمر أن لا يعبد الا اياه ، وعبادته فعل مأمور وترك ما حظر ( والاول ) هو اخلاص الدين والعمل لله ( والثاني ) هو الاحسان وهو العمل الصالح ، ولهذا كان عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا ، واجعله

(١) البقرة : ١١١ ، ١١٢ - (٢) النساء : ١٢٥



لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا ، وهذا هو الخالص الصواب ، كما قال  
الفضيل بن عياض في قوله ( لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) قال أخلصه وأصوبه قالوا: يا  
أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا  
كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص أن يكون  
لله ، والصواب أن يكون على السنة ، والأمر بالسنة والنهي عن البدعة هما أمر  
بمعروف ونهي عن منكر ، وهو من أفضل الاعمال الصالحة ، فيجب أن يتنقى به وجه  
الله ، وأن يكون مطابقا للأمر ، وفي الحديث : ( من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر  
فينبغي أن يكون عالما بما يأمر به ، عالما بما ينهى عنه ، رفيقا فيما يأمر به ، رفيقا فيما ينهى  
عنه ، حليما فيما يأمر به ، حليما فيما ينهى عنه ) فالعلم قبل الأمر ، والرفق مع الأمر ،  
والحلم مع الأمر ، فان لم يكن عالما لم يكن له أن يقفو ما ليس له به علم ، وان كان  
عالما ولم يكن رفيقا كان كالطبيب الذي لارفق فيه فيغلظ على المريض فلا يقبل منه ،  
وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد ، وقد قال تعالى لموسى وهرون : ( فَتَوَلَّآ  
لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى )<sup>(١)</sup> ثم اذا أمر ونهى فلا بد أن يؤذى في  
العادة ، فعليه أن يصبر ويحلم ، كما قال تعالى : ( وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ )<sup>(٢)</sup>  
وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع ، وهو امام الأميرين  
بالمعروف الناهين عن المنكر ، فان الانسان عليه أولا أن يكون أمره لله ، وقصده  
طاعة الله فيما أمر به ، وهو يجب صلاح المأمور أو اقامة الحجة عليه ، فان فعل ذلك  
لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك خطيئة لا يقبله الله ، وكذلك  
اذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطا ، ثم اذا رد عليه ذلك أو أُوذِيَ  
أو نسب الى أنه مخطيء وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه ، وأتاه الشيطان  
فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه ، وربما اعتدى  
على ذلك المؤذي ، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة اذا كان كل منهم يعتقد  
أن الحق معه وأنه على السنة ، فان أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جادهم  
أو رياستهم وما نسب اليهم ، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن يكون

(١) طه : ٤٤ - (٢) لقمان : ١٧

الدين كله لله ، بل يعضبون على من خالفهم وان كان مجتهدا معذورا لا يفضب الله عليه ، ويرضون عن من كان يوافقهم وان كان جاهلا سيء القصد ليس له علم ولا حسن قصد ، فيفضي هذا الى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ، ويدموا من لم يذمه الله ورسوله ، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله ، وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون الا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا ، لا ينظرون الى موالاته الله ورسوله ومعاداته الله ورسوله ، ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس ، قال الله تعالى : ( وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ )<sup>(١)</sup> فاذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة ، اذا عرفت ذلك كله عرفت منشأ الذم والبغضاء من الغلاة لخصومهم في كل عصر ، فحينئذ يسقط كل ما ذكره النبهاني في هذا الباب .

( الوجه الثالث ) - وهو موضح للوجه الذي قبله وتتمة له - أن أصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله ، والموالاته لله ، والعبادة لله ، والمعاداة لله ، والاستعانة بالله ، والخوف من الله ، والرجاء لله ، والاعطاء لله ، والمنع لله ، وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ، ونهيه نهي الله ، ومعاداته معاداة الله ، وطاعته طاعة الله ، ومعصيته معصية الله ، وصاحب الهوى يعنيه الهوى ويصمه فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ، ولا يرضى لرضي الله ورسوله ، ولا يفضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى اذا حصل ما يرضاه بهواه ، ويفضب اذا حصل ما يفضب له بهواه ، ويكون - مع ذلك - معه شبهة دين أن الذي يرضى له ويفضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين ، فاذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الاسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا بل قصد الحمية لنفسه وطائفته ، أو الرياء ليعظم هو ويشئى عليه ، أو فعل ذلك شجاعة وطبعا أو لغرض من الدنيا : لم يكن لله ولم يكن مجاهدا في سبيل الله ، فكيف اذا كان الذي يدعى الحق والسنة هو كظيره معه حق وباطل ، وسنة وبدعة ، ومع خصمه حق وباطل ، وسنة وبدعة ، وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، وكفر بعضهم بعضا ، وفسق بعضهم بعضا ، ولهذا قال الله تعالى فيهم : ( وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ . وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا

(١) الانفال : ٣٩

اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حَنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ<sup>(١)</sup> وقال تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)<sup>(٢)</sup> يعني فاختلَفوا كما في

سورة يونس ، وكذلك في قراءة بعض الصحابة ، وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين أنهم كانوا على دين الاسلام ، وفي تفسير عطية عن ابن عباس أنهم كانوا على الكفر ، وهذا ليس بشيء ، وتفسير عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس ، بل قد ثبت عنه أنه قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ، وقد قال في سورة يونس: (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا)<sup>(٣)</sup>

فدمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فعلم أنه كان حقا .  
والاختلاف في كتاب الله على وجهين ، ( أحدهما ) أن يكون كله مذموما

كقوله : ( وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ )<sup>(٤)</sup> ( والثاني )

أذ ، يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل ، كقوله : ( تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى

ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ

بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَهُمْ مِنْ آمَنٍ وَمِنْهُمْ

مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ )<sup>(٥)</sup>

لكن اذا اطلق الاختلاف فالجميع مذموم ، كقوله : ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ

رَحْمَةِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ )<sup>(٦)</sup> .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم

على أنبيائهم ) ولهذا فسروا الاختلاف في هذا الموضع بأنه كله مذموم ، قال الفراء :

في اختلافهم وجهان : ( أحدهما ) كفر بعضهم بكتاب بعض ( والثاني ) تبديل ما بدلوا

وهو كما قال ، فان المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع

الآخر ويصدق بالباطل الذي معه ، وهو تبديل ما بدل ، فالاختلاف لا يبد أن يجمع

(١) البينة : ٤ ، ٥ - (٢) البقرة : ٢١٣ - (٣) يونس : ١٩ - (٤) البقرة : ١٧٦ ، ٢٥٣ - (٥) هود : ١١٨ ، ١١٩

## التوعين •

ولهذا ذكر كل من السلف أنواعا من هذا : (أحدها) الاختلاف في اليوم الذي يكون فيه الاجتماع ، فاليوم الذي أمروا به يوم الجمعة فعدلت عنه الطائفتان ، فهذه أخذت السبت ، وهذه أخذت الأحد ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له ، الناس لنا فيه تبع اليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى ) وهذا الحديث يطابق قوله تعالى : (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختلفوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِأُذُنِهِ) <sup>(١)</sup> وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلي يقول : ( اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك أنت تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ) •

والحديث الاول يبين أن الله تعالى هدى المؤمنين لغير ما كان فيه المختلفون ، فلا كانوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، وهو مما يبين أن الاختلاف كله مذموم • ( والنوع الثاني القبلة ) فمنهم من يصلي الى المشرق ، ومنهم من يصلي الى المغرب ، وكلاهما مذموم لم يشرعه الله تعالى •

( والثالث ابراهيم ) قالت اليهود كان يهوديا ، وقالت النصارى كان نصرانيا ، وكلاهما كان من الاختلاف المذموم : ( مَا كَانَ اِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) <sup>(٢)</sup>

( والرابع عيسى ) جعلته اليهود لعبة ، وجعلته النصارى إلها ، تعالى الله عن افكهم علوا كبيرا •

( والخامس الكتب المنزلة ) آمن هؤلاء ببعض ، وهؤلاء ببعض •  
( والسادس الدين ) أخذ هؤلاء بدين وهؤلاء بدين •

( ومن هذا الباب ) قوله تعالى : ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَنُنصِبَنَّكَ عَلَى شَيْءٍ ) ، وقالت النصارى لَنُنصِبَنَّكَ عَلَى شَيْءٍ <sup>(٣)</sup> وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه

(١) البقرة : ٢١٢ - (٢) آل عمران : ٦٦ - (٣) البقرة : ١١٢

قال : ( اختصت يهود المدينة ونصارى نجران عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، ولا يدخل الجنة الا من كان يهوديا ، وكفروا بالانجيل وعيسى ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وكفروا بالتوراة وموسى فأنزله الله تعالى هذه الآية والتي قبلها ) .

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط ، فالخارجي يقول ليس الشيعي على شيء ، والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء ، والقدري النافي يقول ليس المثبت على شيء ، والقدري الجبري المثبت يقول ليس النافي على شيء ، والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء ، والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء ، بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الاصولية والفروعية المنتسبين الى السنة ، فالكلابي يقول ليس الكرامي على شيء ، والكرامي يقول ليس الكلابي على شيء ، والاشعري يقول ليس السالمي على شيء ، والسالمي يقول ليس الاشعري على شيء ، وصنف السالمي كأبي علي الأهوازي كتابا في مثالب الاشعري ، وصنف الاشعري كآبن عساكر كتابا يناقض ذلك من كل وجه وذكر فيه مثالب السالمية ، وكذلك أهل المذاهب الاربعية وغيرها ، لاسيما وكثير منهم قد تلبس ببعض المقالات الاصولية وخلط هذا بهذا ، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب الشافعي ومالك وأحمد شيئا من أصول الاشعرية والسالمية وغير ذلك ويضيفه الى مذهب مالك والشافعي وأحمد ، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئا من أصول المعتزلة والكرامية والكلابية ويضيفه الى مذهب أبي حنيفة ، وهذا من جنس الرفض والتشيع ، لكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والعلماء لالتشيع في تفضيل بعض الصحابة .

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يدور معه على ذلك ويتبعه أين وجدته ، ذكر ذلك كله الشيخ ، ثم انه أطلال الكلام وأتى بما تلتذ به السامع والافهام .

فما ذكره النبهاني ونقله عن دعواه من بعض المكين هو من هذا القبيل ، فان كل أحد يتعصب لما تمذهب به ويتشيع لأقوال أئمتة ومتبوعيه فلا شك أن الغلاة القبوريين هم أعدى الناس لمن تصدى لابطال أقوالهم ورد مذهبهم ، ومن المعلوم أن مصنف ( جلاء العينين ) وسلفه داروا على الحق وتبعوه ، حيث قصدتهم توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يلتفتوا الى

ماخاض به الخصوم ، قال تعالى : ( قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ) (١١)

ومن ظن ممن يلاقي الحروب أن لا يصاب فقد ظن عجرا  
ومن كان قصده رضى الله عنه والفوز بثوابه والخلود بنعيمه لم يلتفت الى أقوال  
الناس ، فقد سبق لك ما كان من الفرق الاسلامية وغير الاسلامية، بل وأتباع المذاهب  
بعضهم مع بعض ، ولولا ضيق المقام لذكرنا بعض أقاويلهم في مخالفتهم ، وما أحسن  
قول القائل :

فيا ليت ما بيني وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب  
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب  
( الوجه الرابع ) أن التبهاني لم يصرح بما سمعه من الطعن والقدح حتى تتكلم  
عليه ، والظاهر أن ذلك ما يقوله بعض غلاة العراقيين كابن جرجيس وأتباعه من أنه  
كان على طريقة الوهابيين ، وسبب ذلك أن ابن جرجيس هذا كان من غلاة  
الشافعية فاعترض على عبارة في كتاب ( الطراز المذهب ) لوالد مصنف جلاء العينين ،  
وأفرد للاعتراض رسالة هذى فيها بما تمجده الاسماع مما يتعلق بالاستغاثة والاستعانة  
ودعاء غير الله ، فرآها صاحب جلاء العينين بعد وفاة والده - وهو اذ ذاك شاب -  
فكتب على تلك الرسالة ردا ألقمه به حجر السكوت ، وسماه ( شقائق النعمان ،  
على شقائق ابن سليمان ) يعني به داود بن جرجيس بن سليمان العاني ، وكان  
من الجهل على جانب عظيم ، ومن التجاسر على التحريف والتدليس ، ما يعجز عن  
مثله ابليس ، وقد فضحه الله تعالى بهذا الرد ، وقد قرظ عليه العلماء ، منهم الفاروقي  
شاعر عصره بقوله :

شقائق ابن سليمان أصخت لها سمعا فاسمعني تعبيرها القججيا  
ومن شقائق نعمان عليه بها مامنه أظهر عن افصاحه البججيا

( وقال أيضا )

مزامير داود النبي لنا بها غنى عن سماع في شقائق داود  
فدع عنك يا نعمان رد اعتراضه ولا ترمه اذ جاء يعوي بجلمود

( وقال أيضا )

شقائق لابن سليمان قد حكمت غداة الطعن يوم الكفاح  
كئيبه خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

وداود هذا هو الذي قال في كتابه صلح الاخوال أو غيره - بعد أن ذكر عدة شبه من شبهه على جواز التوسل بسائر الحيوانات واثبات الجاد الكثير لجملة من الجمادات - وأعظم من ذلك وأوضح دلالة ما ذكره الفقهاء في باب الاستسقاء للتوسل بها الى الله تعالى ، وقال أيضا : لا يخفى عليك مما قدمنا أن التوسل بالجمادات والحيوانات قد وقع في الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة عن الصحابة والتابعين ، والسلف الصالحين ، مما يضيق عنه نطاق الحصر ، انتهى •

وكان لم يزل يهذي بمثل هذا الهديان الى أن أهلكه الله ، ومصنف جلاء العينين كان سيما في عنقه ، كم قد بحث معه فألقمه حجر السكوت ، فكان هذا الزائف وشيعته لم يزالوا يذكرونه باللقاب المنكرة ، فيقولون أنه وهابي ومنكر ونحو ذلك . وكان من المنهين عليه الحاسدين له من أهل بلده آل جميل ، وهم كلهم جهلة لا يميزون بين يمينهم وشمالهم ، لا دين لهم ، ولا يصلون ، ولا يصومون ، ولا يزكون ، ولا يؤدون فحشا من فرائض الله ، وكان دأبهم السعي على المسلمين ، والتزوير والافتراء والدعاوى الكاذبة ، ومع ذلك كانوا يتزيون بزي العلماء ، وهم أجهل الناس ، وكانوا من أعظم الخصوم لمصنف جلاء العينين ، وأشد الناس عداوة للذين آمنوا ، ولم يزالوا يسعون به الى الحكومة ، ويفترون عليه أمورا لم تخطر ببال أحد ، حتى ابدهم الله وأهلكهم ، ولم يبق منهم اليوم على ما أعلم الا بعض أطفال وسفهاء أحلام ، ولا شك أن الله تعالى ينتقم من أعداء رسله وورثة أنبيائه ، ولولا ضيق المقام لبسطنا الكلام في أحوال هذه العائلة الخبيثة ، فاني قد بلغني مفصل أحوالهم وما قال فيهم شعراء بلدهم ، وهم أيضا من أهل عانات ، ثم سكنوا بغداد ، وقبل سنين ادعوا النسب القادري فكذبهم أهل بغداد في مجلس انعقد في حضور والي البلد ، ورأوا يومئذ من الخزي ما هم أهل له ، ومن جملة من شهد عليهم بذلك مصنف جلاء العينين وغيره من أكابر البلد وعلمائها ، فعادوا كل من شهد عليهم •

والحاصل : أن أعداء أهل الحق كثيرون ، وأزهد الناس بالعالم جيرانه وأهل بيته ، كما ورد في ذلك الخبر الصحيح ، ولعل المكى الذي تكلم بما تكلم في شأن مصنف جلاء العينين ووالده كان ابن دحلان أو بعض شيعته ، فقد كان أيضا من أعظم الناس غلوا في دعاء المخلوقين ، وقد تكلم في كتابه على والد مصنف جلاء العينين في نقله عن القدوري في مسألة سؤال الله بأحد من خلقه وكذب نقله حسدا من عنده أو جهلا منه ، والا فمن له أدنى المام بالعلم يعرف صحة ذلك النقل ، وهو المذكور

في كتابه بعبارة صحيحة على ما سبق ، والعالم الجليل لا يخلو من حاسد وخبيل ، بل ترى كثيرا من الناس أخلاء ، وهم في الحقيقة خلاء ، وأجلاء وهم عند التأمل لاخلاء ولا ملاء ، يظهرون الصلاح والوداد ويخفون - أخفاهم الله تعالى - العداوة والفساد ، فلا فرج الله عنهم هما ، ولا حمد لهم بين الأنام اسما ، ولا حسن لهم حالا ولا أصلح لهم مآلا .

كل خليل كنت خاللته لاترك الله له واضحة  
كلهم أروغ من ثعلب ماأشبه الليلة بالبارحة  
حسدوا فذموا ، ومن يعب عن أبصارهم غابوا ونموا ، ولا بدع فالكريم اذا  
غاب غيب ، واذا هاب هيب ، على أن في ذمهم شهادة بالكمال ، واثباتا لمزيد الفضل  
والافضال ، فزادهم الله تعالى حسدا ، وأماتهم كدرا ونكدا ، وماأحسن ماقال  
القائل :

أيها الحاسد المعد لذمي ذم ماشئت رب ذم كحمـد  
لافقدت الحسود مدة عمري ان فقدت الحسود أخبت فقد  
كيف لا أوثر الحسود بشكري وهو عنوان نعمة الله عندي

هذا وشرح الكلام لايسعه أمثال هذا المقام .  
وبالجملة : ان من ذمه الله ورسوله فهو المذموم ، ومن رضيا عنه فهو المرضي ،  
ومن حكما بعدالته فهو العدل .

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى في أثناء كلام له : ان الكفر والفسق أحكام  
شرعية ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل ، فالكافر من جعله الله ورسوله  
كافرا ، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقا ، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله  
ورسوله مؤمنا ومسلما ، والعدل من جعله الله ورسوله عدلا ، والمعصوم الدم من  
جعله الله ورسوله معصوم الدم ، والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه  
سعيد في الآخرة ، والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها ، والواجب  
من الصلاة والصيام والصدقة والحج ماأوجبه الله ورسوله ، والمستحقون لميراث الميت  
من جعلهم الله ورسوله وارثين ، والذي يقتل حدا أو قصاصا من جعله الله ورسوله  
مباح الدم بذلك ، والمستحق للفيء والخمس من جعله الله ورسوله مستحقا لذلك ،  
والمستحق للموالة والمعادة من جعله الله ورسوله مستحقا للموالة والمعادة ،  
والحلال ماأحله الله ورسوله ، والحرام ماحرمه الله ورسوله ، والدين ماشرعه الله



ورسوله ، فهذه الأمور كلها ثابتة بالشرع ، انتهى •

فما قاله النبهاني ان صدق فيه فهو مما لا يلتفت اليه ، وقد ذكرنا ما كان عليه مصنف جلاء العينين ووالده من صحة العقيدة ، وصدق النية ، واتباع السنن ، والعمل بما شرعه الله من الاحكام والسيرة السلفية ، والذب عن الدين ومخاصمة أعدائه ، والرد على خصومه ، وكل ذلك مما جعله الله ورسوله من أدلة النجاة وقبول العمل. والتزكية لديه ، والعدالة المرضية عنده ، وأقوى برهان على الرضوان والقصور بالجنان والنجاة من النيران ، ثم بعد هذا يقال وقد راعى القائل مقتضى الحال :

قل للذي يذكرني                      بين الملا من البشر  
من قال خيرا يلقه                      ومن يقل شرا فشر

نعم ان النبهاني أبهم جرحه وأخفى قدحه ليهول به على السامعين ويمظمه عنى المطالعين ، ومن شدة الظهور الخفاء كما هو شأن الشمس في وسط السماء ، وقد قيل لا بد للود والبغضاء من سبب كما هو المعلوم لذوي الأدب ، وذلك هو الذي لم يزل يكرره في كلامه ألا وهو الانتصار لابن تيمية في اختياراته وفي مسألة منعه من اعمال المطي لزيارة القبور الذي دل عليه الحديث الصحيح ، وهذا هو الذنب الذي لا يغفر ، والعيب الذي لا يستر عند النبهاني وأضرابه ، والقائل به مجروح ، والمنتصر له مقدوح ، ومن المعلوم لدى المنصفين الواقفين على مقاصد الشرع الميين : أن ذلك لا يستوجب الكلام الفظيع ، والقدح الشنيع ، بعد أن تبين أن هذه المسائل هي أعلى مقاصد الدين ، وأنها ثابتة بالنصوص القرآنية وسنة سيد المرسلين ، وقد علمت أن مدار المدح والقدح على الشريعة الغراء ، فنسأله سبحانه الرضوان والعفو يوم الجزاء . ( الوجه الخامس ) قد صح في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( أتم شهداء الله في الأرض ) وقال : ( يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار ، قالوا : بم يارسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن والثناء السيء ) فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار ، وكان أبو ثور يقول : أشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة ويحتج بهذا ، وهذا على قول من يقول يشهد بالجنة لمن شهد له المؤمنون ، ولكل مؤمن جاء فيه نص ، ومنهم من لا يشهد بالجنة لأحد الا للأنبياء ، وهذا قول محمد بن الحنفية والاوزاعي ، ومنهم من يقول يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص ، وهذا قول كثير من أهل الحديث ، فهذه ثلاثة أقوال لهم في الشهادة بالجنة ، والكلام عليها مفصل في غير هذا الموضوع ، والقول الاول هو المشهور ، وعليه قول

جماعة من الجمهور ، فإذا كان الثناء أنحسن والحمد والمدح مما يعلم به عدالة من أثني عليه وحسد ومدح وأن ذلك دليل على القبول عند الله والقوز برضوان الله تعالى والقوز بجناته علمنا بذلك أن مصنف ( جلاء العينين ) ووالده كانا ولله الحمد من خيار عباد الله الصالحين ، والعلماء العاملين ، فقد رأيت كتابا بمجلدين ضخمين ألقه بعض فقهاء شافعية بغداد في مناقب العلامة المفسر الشهير صاحب تفسير روح المعاني قدس الله روحه ، سماه مؤلفه ( حديقة الورد في مدائح أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود ) ذكر فيه مؤلفه نسب المترجم وما حصله من الفنون والعلوم ، وما جرى له من المباحث والمناظرات مع علماء عصره ، وما وردته من دقائق المسائل ، وما أجاب به عنها ، وما ورد له من الكتب والرسائل من الاقطار والبلاد ، وما قالته الشعراء فيه من المدائح ، وما صادفه مدة عمره من التبجيل والاحترام من أهل السنة ومشاهير اتباع المذاهب ، وما رثاه به العلماء والادباء والشعراء المطلقون نظما ونثرا مما لم يصادف مثله في هذه العصور ، وذكر مشائخه ومن أخذ عنهم من المشائخ ومن أخذ عنه ، وما له من المصنفات وبدائع المحررات ، وما كان عليه من التقوى والورع والجد في العبادة والمجاهدة في الدين والذب عنه ، وغير ذلك مما يدل دلالة صريحة على أنه كان من أكابر العلماء العاملين ، وعباد الله الصالحين ، رحمه الله تعالى ورضي عنه وعن كافة علماء المسلمين .

وقد قرظ هذا الكتاب - أعني حديقة الورد - جمع من أدباء العصر ، ومشاهير الشعراء ، منهم الشاعر الشهير ، ومن عزله النظير ، الأديب الفاروقي عليه الرحمة بقوله :

وغادة قد أكسبت عادة	مهما تقل فانها صادقة
وانها مثل حزام بما	تقوله أولو النهى واثقة
فصيحة مستعذب لفظها	أشعارها جزيلة رائقة
أبو الثنا مفتي الوري كفوها	ليست لجر غيره لائقة
وكم له من شيمه أصبحت	شمس السنا لحسنا عاشقة
وفيك يا محمود قد أرخوا	ترجمة أحب بها فائقة

وقد أرخها أيضا الأديب الأريب الشيخ عبد الحميد الأطرقي أحد شعراء العراق بقوله :

حديقة قد صدحت أطيأرها باسم الشريف السيد محمود

ومن يدها سفحت أنهارها  
ومن نذاه لفتحت أشجارها  
ومن شذاه نفتحت أزهارها  
ومن سناء لمحت أقمارها  
أبنتها مفتي الورى حتى غدت  
واقتبست من طبعه فارخوا  
اذ هي قاموس الندى والجود  
وأثمرت باللؤلؤ المنضود  
طيبا كأنفاس أريج العود  
نورا سرى في سائر الوجود  
بالحسن تحكي جنة الخلود  
طبعا زهت حديقة الورد

وأرخها أيضا واحد الشعراء الاديب الفاضل السيد شهاب الموصلي عليه الرحمة

بقوله :

١	طلعت في أوج مجد طلعة	فارتني الشمس منها مغرمة
٢	فتنتني والذي صورها	من جمال منه روجي هائمة
٣	عللتني بكلام لسين	ينعش ويحيى رممه
٤	وأشارت وسناها ساطع	في شهاب الدين أسنى ترجمه
٥	هي أم للاغاني صيرت	زهوة الدنيا لديها كالأمة
٦	روضة غناء يزهرها	من معان في علاه عائمة
٧	لربيع الفضل فيها بهجة	تشرح الصدر وتبري سقمه
٨	أبنتت من كل مدح رائق	قد سقاه بالعطايا الدائمة
٩	حاتمي الجود وكفا كفه	راح يروي عن عطاء عكرمة
١٠	حيدر والسده أن ينتمي	أمة الزهراء حقا فاطمة
١١	خصه الله بمعنى جاذب	لقلوب الناس جبا ألزمه
١٢	خف روحا ورجيح فضله	لايوازي الشعر قدرا قيمه
١٣	وافق الغيب سدادا رأيه	يحسم الخطب ويمحو ظلمه
١٤	والفتاوى وجدت أحكامها	منذ شدت في عراه المحكمه
١٥	قد أعز الدين علما وتقى	وأذل الجهل حتى أعدمه
١٦	عالم الدنيا اليه يلتجى	كل علم حيث أضحى علمه
١٧	والصدور العلما قد أرخوا	أصدر المحمود نعم الترجمة

الى غير ذلك من تقاريط أكابر العلماء وأفاضل العصر مما لو جمع لكان سفرا

كبيراً .

ولما كان كتاب ( حديقة الورد ) مطبياً مفصلاً جداً : لخصه أجل تلامذة المترجم،

وأحد العلماء الاعلام ، شيخ الكل في الكل . الشيخ عبد السلام ، أحد أكابر الشافعية في بغداد ، درس نحو خمسين سنة في المدرسة القادرية ، وكان جنيد زمانه سلاحاً وعفة وديانة ، وعمر ما يزيد على ثمانين سنة ، وله التصانيف المفيدة ، وسمى رحمه الله تعالى ما لخصه ( أريج الند والعود ، في ترجمة شيخنا العلامة أبي عبد الله شهاب الدين السيد محمود ) ، وهذه خطبة كتبه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله المحمود بكل لسان ، الموصوف جل شأنه بفضون المحامد وصفوف الاحسان ، والصلاة والسلام على أكمل الخليقة ، ومن غدا شريف مدحه مجازا للوصول الى عين الحقيقة ، وعلى آله وأصحابه المترجمين باللسنة سيوفهم عن الحق المبين والمتأدين بأدابه .

( أما بعد ) فيقول العبد المفتقر الى خفي الالطاف ، مدرس الحضرة القادرية عبد السلام المنتسبي الى الشواف ، ان كتاب ( حديقة الورد ، في ترجمة حضرة شيخنا العلامة أبي الثناء شهاب الدين محمود ) وان تضمن من أزهار مدائحه قدست روحه كل منقبة عالية ، وتكفل من نشر أريج فضائله بكل فضيلة عالية ، قد انتظمت في سلكه الدراري والدرر ، وأزهرت في رياضه ورود البلاغة ولا زهر الخمائل غب المطر ، من نظم رق وراق ، ونثر سما وفاق ، قد اعتصر من عناقيد الابداع ، فلم يتفق مثله في عصر ومصر من حقائق الاختراع ، فانتشى به عقل الدهر ، غير أنه لطوله لا يقف الناظر فيه على مجمل خصال المدوح ، ولا يتضح للواقف انموذج شمائل المترجم كمال الوضوح ، فأحببت أن أحرر شريف ترجمته على سياق التراجم المعتادة في كتب التواريخ على سبيل الاجمال ، وأكتب في هذه الأوراق ملخص فضائله على طرز بيان فضائل الفضلاء بموجز من المقال ، ولعمري أني لأقدر أن أوذي ما يليق بشأنه ، والحري بعلو قدره وعرفانه .

ولو أن ثوبا حيك من نسج تسعة وعشرين حرفا في علاه قصير

فنظمت هذه العقود ، وقلت غير مكترث بحسود ، متوكلا على ذي الكسرم .  
والجود : ان شيخنا - طيب الله ثراه ، وجعل الفردوس الاعلى مستقره ومثواه - هو المولى الحبر ، ذو الفضل الممدود ، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود ، نجل الفاضل النقي ، والزاهد التقي ، الحلیم الاواه ، مولانا السيد الحاج عبد الله ، نجل الطيبين الطاهرين بلا اشتباه ، حتى تنتهي سلسلة نسبه الشريف الى حضرة جده الاعلى سيد العالمين ، صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين الى يوم الدين ، وقد كان عليه الرحمة آية من آيات الله في جميع العلوم ، وأعجوبة من عجائب الدهر

في المنطوق منها والمفهوم ، علامة دهره في المعقول والمنقول ، وفهامة عصره في الفروع والاصول ، الى آخر مقال من العبارات المزرية بعقود اللآلىء ، وهي رسالة مشيدة ، حوت على اختصارها المسائل الفريدة ، وقد ترجمه كثير من الفضلاء ، وأثنوا عليه بأحسن الثناء .

(وأما ولده مصنف جلاء العينين ) رحمه الله تعالى ففضله مشهور ، وعلمه على كاهل الاعلام منشور ، وفي الاقطار والبلاد المذكور ، ومن المعلوم لدى كل أحد أن ماء الورد من الورد ، والشبل في المخبر مثل الاسد ، وقد ترجمه كثير من الافاضل والادباء وأثنوا عليه خيرا ، وبلغني أنه قد جمع ماورده من المدائح الشعرية والمقالات النثرية وما كان من ثناء أفاضل عصره من أهل مصره وغير مصره في مجموع مفرد ، ليس له ثان في العدد ، ولو كنت ظفرت به لنقلت منه ماتحلى به السامع والافواه ، وتلتذ بذكره الالسنه والشفاه ، وذلك ما عدا ما قرظوا به كتبه ، كتقاريط الشقائق ، وجلاء العينين ، وغالية المواعظ ، والقول الفسيح في الرد على عبد المسيح مجلدين ضخمين في الرد على النصارى ، وغير ذلك من المآثر الحميدة ، والمناقب السديدة ، مما يضيق عنه نطاق البيان ، وتكل من نقله البنان .

وبالجملة : فما كان من ثناء العدول الثقة على مصنف جلاء العينين ووالده أوضح دليل على أنهما كانا من المقبولين عند الله تعالى ، وأنهما من العدول الاخيار وقد نفع الله بكتبهم الامة وانتشرت في جميع بلاد المسلمين ، كما هو مشاهد ومحسوس لدى كل منصف ، مع أنا في عصر ركبت فيه ريح الفضل ، وانصرفت أفكار كثير من الناس عن الفضائل الدينية ، والكلمات الايمانية ، بل ان من أنصف اعترف أن ليس في العراق من يبوء تات العلم غير بيتهم ، فابناء هذا البيت اليوم قد قام على مآثرهم فسطاط الدين في العراق ، كما يدل على ذلك ما انتشر من مصنفاتهم وآثارهم الجيدة ، نعم نرى في العراق كثيرا من أهل العمائم غير أنهم أعظم بلاء على الدين المبين ، وما أحسن ما قال القائل من أفاضل الامائل :

لا تغرنك اللحى ولا الصور      تسعة أعشار من ترى بقر

في شجر السرو منهم شبه      له رواء وما له ثمر

وليس في بلدهم من يطاولهم في فن من الفنون ، وكلهم مكبون على تحصيل العلم ونشره ، معرضون عن الدنيا وزخارفها ، ليسوا بمنهمكين عليها كغيرهم من المتسبين الى العلم .

( والحاصل ) أنهم وأسلافهم ممن يفتخر بثلمهم أهل الانصاف من فضلاء

المسلمين .

( قال الفاروقي ) رحمه الله تعالى في كتابه ( العقود الجوهريّة ) بعد أن ذكر

ترجمة بعض أفاضلهم : اعلم أن هذا البيت لا تجري فيه سفن لو أن وعسى وليت .

بيت من المجد شادوه على كرم  
وبالمجرة منه على طنّب

أما والده - يعني المفسر الشهير صاحب روح المعاني رحمه الله - فكان في

الزوراء واسطة عقد الفضلاء والبلغاء ، وناديه مجتمع العلباء والادباء ، حيث كانت

له صلابة في الدين ، وحزم في لين ، وإيمان في يقين ، وحرص في علم ، وعمل في حلم ،

وقصد في غنى ، وخشوع في عبادة ، وتجل في فهم ، وصبر في شدة ، وطلب في حلال

ونشاط في هدى ، وتخرج عن طمع ، قرأت عليه بعضا من المنطق والنحو وغير ذلك

ومدحته بعمّة قصائد ، هي لجيد الزمان قلائد ، وكاتبني وكاتبته لما كان في بلدة فروق

مكاتبة الشائق الى المشوق ، وذكر جملة ذلك في رحلته ( نشوة الشمول ، في السفر

الى اسلامبول ) وكتاب ( نزهة الالباب ، في الذهاب والاقامة والاياب ) وذكرها الغير

في كتاب ( حديقة الورود ، في مناقب أبي الشاء شهاب الدين محمود ) فكم قطفت

من شقائق نعمانها ، ما يفوق من الرياض على ريحانها ، وأما أبنائه فرحم الله الماضي

منهم ووفق الباقيين الى ما فيه صلاح الدنيا والدين ، فانهم بحمد الله كالحلقة المفرغة

لا يدري أين طرفاها ، وكفز الى السماء لاتميز منها فاماها .

أيا لقيت تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

واني كنت معهم في حياة والدهم رحمه الله وبعد وفاته خلا ويا ، وحببنا صفا ،

آنس بهم كما يأنسون بي ، وأستر بقربهم مثل ما يترون بقربي ، أستششق من

محدثهم ريح الكمال ، وأقرط آذاني (١) بما تنشر أقلامهم من الدراري وشفاهم

من الاقوال ، ولا زلت أجمع بهم في بغداد ، وأفرج برويتهم غمتي في ذلك الناد ،

كما أن المترجم اليوم في القسطنطينية تهزه لعلو المقام هاتيك الأريحية ولا برحت هنا

أيضا أنزه ناظري بتلك الطلعة الزكية ، والغرة الهاشمية ، لازال قطبا تدور عليه رحي

أفاضل العصر وآكابر كل مصر ، انتهى .

فهل سمعت أيها الشيخ النبھاني ماتلونه عليك ، وقدمناه بين يديك ، فأين بقي

قولك الباطل ، وكلامك العاطل ، فما أنت والعلماء الاخيار ، وما أنت والسادة الابرار ،

(١) - القرط هو الشنف ونحوه يجعل في الاذن ، اي أجعل ذلك عالقا في اذني كالقرط .

أما بلغك ما قيل رحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ؟ أما سمعت من حملة العلوم أن لحم العلماء مسموم ؟ فما جوابك اذا قال قائلهم :

الى حكم أشكو ظلامة معتد هو العدل كم أردى ظلوما وجندلا  
ثم ان الذي أوجب تطاول النبهاني انحطاط العالم الاسلامي - والامر لله تعالى - الى ماتراه العيون ، مما كنا نظن أن لا يكون ، فتنة بعد فتنة بعد أخرى وبلاء بمثله مقرون ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى : ( قُلْ هُوَ

الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ) (١) ان المراد (بفوقكم) أي الامراء السوء ،

وبقوله ( أو من تحت أرجلكم ) أي من قبل سنلتكم فتطاول السفلة والسفهاء على أخيار العلماء هو من علامات غضب الله على عباده ، فلهذا كان من النبهاني ما كان ، مع ماهو عليه من الفرور والجهل ، وظنه أنه قد خلا له الجو .

واذا ماخلا الجبان بارض طلب الطعن وحده والنزالا  
وقد جرت عادة الله تعالى بمثل معاداة النبهاني وأضرابه لأهل الحق ، ولذلك

أنزل الله تعالى في تسلية رسوله صلى الله عليه وسلم قوله عز اسمه : ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ) (١)

وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عداوة قريش وما بنوا عليه من الاقاويل والافاعيل ماهو مذكور في غير هذا الموضع ، وزخرف القول هو المزوق من الكلام الباطل ، والعدو بمعنى أعداء كما في قوله :

اذا أنا لم أنفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم بغضي  
وتمام الكلام على الآية في موضعه .

وقد فرغنا من الكلام على مقاله النبهاني في كتب الشيخ ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن عبد الهادي ، وجلاء العينين ، وما انتقد به عليها ، وبقي كلام طويل أعرضنا عن

ذكره في هذا المقام طلبا لاختصار الكلام .

ولو كان هذا موضع القول لاشتفى غليلي ولكن المقال مواضع

( ذكر من ألف في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية )

اعلم أن ما كان من النهائي وغيره - من هو على شاكلته - من القسح والاعتراض على أولئك العلماء الأجلة - بسبب انتصارهم لشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ، وتوجيههم لكلامه ، ورد اعتراضات الخصوم والذب عنه - ظنا منهم أن المنتصرين للحق وأهله هم الذين عرفوهم من أناس معدودين ، وليس الأمر كما زعموا ، بل إن في كل عصر أناسا يعرفون الحق وبه يعدلون ، تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم : ( لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ) . وهؤلاء هم حفظة الدين ، وخصوم المبتدعين ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجعسون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين .

( ثم إن ) المنصفين من أهل العلم في كل عصر لا يحيط بهم نطاق الحصر ، ونحن نذكر منهم بعض من وقفنا على قوله في شيخ الاسلام ، وما رآه فيه من الأحكام ، ليعلم المنصف أن مصنف جلاء العينين ليس بدعا فيما صنفه حتى صار غرضا لسهام ملام النهائي وأمثاله من الغلاة ، وفتحوا عليه أفواها كأفواه الكلاب عند الثأوب ، بل كم قد سبقه من امام همام ، وعلماء أعلام ، وهانحن ذاكرون بحوله تعالى منهم بعض الاكابر ، الذين تعقد عند ذكرهم الخناصر ، ليتحلى عاطل جيد هذا الكتاب بدرر مالهم من المناقب والمآثر ، وغرر ما كانوا عليه من المفاخر ، فنقول : ( منهم قاضي القضاة نور الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي رحمه الله ) وهو الامام العالم العلامة الحافظ المتقن شيخ العصر ، أستاذ الدهر ، محدث زمانه ، المتفرد بالرواية والدراية ، حجة الله على المعاندين ، وآيته الكبرى على المبتدعين ، شرح صحيح الامام البخاري بشرح لم يسبق له نظير في شروحه ، مع ما كان له من المصنفات المفيدة ، والآثار السديدة ، تولى القضاء في مصر ، وبني مدرسة عظيمة بالقرب من جامع الازهر ، وأنشأ فيها خزانة كتب وضع فيها كتب نفيسة في فنون مختلفة ، وكان مشغولا بالتأليف والتدريس ، وكانت وفاته سنة اثنتين وستين وسبعمائة للهجرة ، وله



غير شرح البخاري شروح على بعض المتون المشهورة ، وله كتاب الطبقات في علماء الحنفية ، وهو كتاب جامع لآحوالهم وتراجمهم ، واختصر تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ، وله أيضا تاريخ مفيد .

(وبالجملة) كان رحمه الله من مشاهير عصره علما وزهدا وورعا ، ومن له اليد الطولى في الفقه والحديث ، وقد أسف المسلمون على فقده ، وهو الحري بقول القائل :

واني لمعذور اذا ما بكيته	بأكثر من قطر الغمام وأغزر
ولي عبرة لم ترق عند ادكاره	كسالي فيه عبرة المتفكر
وقد كان لم يحجب سناه بحاجب	ولم تستر أضواؤه بمستر
فوا أسفي ان كان يعني تأسفي	وواحذري ان كان يعني تحذري
وكت أراني في النوائب صابرا	فاعدمني صبري فأين تصبري
واني لمقبول المعاذير في الأسي	ومن يعتذر مثلي اني الصبريعذر

وكان رحمه الله تعالى محبا لعلماء الحديث وحفاظ السنة النبوية ، لاسيما لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، فقد أثنى عليه الثناء الجميل ، وذكر له مناقب جليلة ، وذبح عنه ، وخاصم من بغى عليه واعتدى ، وله تفرير بديع على كتاب ( الرد الوافر ) أثنى فيه على الشيخ بما يليق بجلالة قدره ، ويكفي دليلا على جلالة قدر الشيخ ، وأنه من أكابر أئمة أهل السنة : شهادة مثل هذا الامام ونظرائه من حفاظ الانام رحمة الله عليهم أجمعين ، وقد أثنى على الشيخ ابن تيمية ثناء لا مزيد عليه ونوه بشأنه وأطرب في بيان مناقبه ، ومن ذلك ما كتبه على كتاب ( الرد الوافر ) في مناقب الشيخ أيضا ، وهذا نصه :

( بسم الله الرحمن الرحيم ) ان أضوع زهر تفتق عنه أكمام ألسن الانام وأبدع ذكر يعبق منه طيب الافهام حمد من أجرى ماء التبيان في عود اللسان لحمل ثمار المعاني والبيان ، وكشف ضياء الاوهام بشمس الحقائق ، وأبان ما في القلوب بأقمار الدقائق ، وأشرع أسنة الخواطر والأفكار ، بأيدي أنوار البصائر والأبصار ، الى ثغر العلوم والاخبار ، وأقلع عنا بنسائم أطفاه عجاجة الظنون والشكوك ووقع لنا مناشير الصدق في السلوك وأراحنا في ركوب أعناق الكلام من العثرات والملام ، وأراحنا عن الوقوع في تيار العبرات انه ولي الانعام ، وعصمنا من سلوك مسالك لا يؤمن فيها العثار ، ومحالات تستحيل فيها الاعذار ، والصلاة والسلام على من

ختمت به النبوة والرسالة ، المخلوق من طينة الفصاحة والبسالة ، الذي أصعدته ذروة الملكوت وأعطته الكتاب ، وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب ، محمد المصطفى المستأثر بالشفاعة يوم الحساب ، وعلى آله الذين استأسدوا في رياض نبوته وأصحابه الذين تقلدوا بسيوف النصر في دعوته ، وعلى علماء الامة الذين استظهروا على صدمات الدهر وصولته ، بنزع ألسنتهم من تفويق سهام الطعن الى أغراض العصية ، واقلاع أسنة خوضهم في أعراض الانفس الابية ، فذلك صاروا أنجبا للاهتداء ، وبدورا للاقتداء ، فأجدر بهم أن يفوه لهم بمشايع الاسلام ، وأنصار شرائع خير الانام .

وبعد ، فان مؤلف كتاب ( الرد الوافر ) قد جد في هذا التصنيف البديع الزاهر ، وجلا بمنطقه السحار الرد على من تفوه بالكفار على علماء الاسلام ، والأئمة الأساطين الأعلام ، الذين تبوؤوا الدار في رياض النعيم ، واستنشقوا رياح الرحمة من رب كريم ، فمن طعن في واحد منهم أو نقل نقلا غير صحيح قيل عنهم فكأنما نفخ في الرماد ، أو اجتنى من خرط القتاد ، وكيف يحل لمن يتسم بالاسلام أو ينتسم نسمة من علم أو فهم أو افهام : أن يكفر من قلبه عن ذلك سليم بهيج ، واعتقاده لا يكاد الى ذلك بهيج ، ولكن من لم يوازنه طبعه في القريض لم يزل يجد العذب مرا كالمريض ، والعائب لجهله شيئا ييدي صفحة معاداته ، ويتخبط خبط العشواء في محاوراته ، وليس هو الا كالجعل باشتام الورد يموت خفق أنفه ، وكالخفاش يتأذى بهور سنى الضوء لسوء بصره وضعفه ، وليس لهم سجية نقادة ، ولا روية وقادة ، وماهم الا صلقع بلقع سلقع ، والمكفر منهم صلعة بن قلمعة ، وهيان بن بيان ، وهي ابن بي ، وضل بن ضل ، وضلال بن التلال ، ومن الشائع المستفيض أن الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية من شم عرائن الأفاضل ، ومن جم براهين الامائل ، الذي كان له من الادب ماآدب تغذي الارواح ، ومن نخب الكلام له سلافة تهز الاعطاف المراح ، ومن يانع ثمار أفكار ذوي اليراعة طبعه المعلق في الصناعة الخالية عن وصمة الفجاجة والبشاعة ، وهو الكاشف عن وجوه مخدرات المعاني حجاب نقابها ، والمفتزع عرائس المباني بكشف جلبابها ، وهو الذاب عن الدين ظن الزنادقة والملحدين ، والناقد للمرويات عن النبي سيد المرسلين ، وللمأثورات عن الصحابة والتابعين ، فمن قال هو كافر فهو كافر حقيق ، ومن نسه الى الزندقة فهو زنديق ، وكيف يكون ذلك وقد سارت تصانيفه الى الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على

الزيغ والشقاق ، ولم يكن بحثه فيما صدر عنه في مسألة الزيارة والطلاق الا عن اجتهاد سائغ بالاتفاق ، والمجتهد في الحالين مأجور مثاب ، وليس فيه شيء مما يلام أو يعاب ، ولكن حملهم على ذلك حسدهم الظاهر ، وكيدهم الباهر ، وكفى للحاسد ذما آخر سورة الفلق ، في احتراقاته بالقلق ، ومن طعن في واحد ممن قضى نجه منهم أو نقل غير ما صدر عنهم فكأنما أتى بالمحال ، واستحق به سوء النكال ، وهو الامام الفاضل البارع التقى النقي الورع الفارس في علمي الحديث والتفسير والفقه والاصولين بالتقرير والتحرير ، والسيف الصارم على المبتدعين ، والحبر القائم بأمر الدين ، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، ذو همة وشجاعة واقدام فيما يروع ويزجر ، كثير الذكر والصوم والصلاة والعبادة ، خشن العيش ذو القناعة من دون طلب الزيادة ، وكانت له المواعيد الحسنة السنية ، والاوقات الطيبة البهية ، مع كفه عن حطام الدنيا الدنية ، وله المصنفات المشهورة المقبولة ، والفتاوى القاطعة غير المعلولة ، وقد كتب على بعض مصنفاته قاضي القضاة كمال الدين ابن الزملكاني رحمه الله تعالى .

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر

ثم ذكر ترجمة ابن الزملكاني ، ثم قال : أفلا تكفي شهادة هذا الحبر لهذا الامام ، حيث أطلق عليه حجة الله في الاسلام ، ودعواه أن صفاته الحيدة لا يمكن حصرها ويعجز الواصفون عن عدّها وزبرها ، فاذا كان كذلك فكيف لا يجوز اطلاق شيخ الاسلام عليه ، أو التوجه بذكره اليه ، وكيف يسوغ انكار المعاند الماكر الحاسد ، وليت شعري ما متمسك هذا المكابر المجازف الجاهل المجاهر وقد علم أن لفظة الشيخ لها معنيان لغوي واصطلاحي فمعناه اللغوي أن الشيخ من استبان فيه الكبر ، ومعناه الاصطلاحي من يصلح أن يتلمذ له ، وكلا المعنيين موجود في الامام المذكور ، ولا ريب أنه كان شيخا لجماعة من علماء الاسلام ، ولتلامذة من فقهاء الانام فاذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الاسلام ، لأن من كان شيخ المسلمين يكون شيخا للاسلام ، وقد صرح باطلاق ذلك قضاة القضاة الاعلام ، والعلماء الافاضل أركان الاسلام ، وهم الذين ذكرهم مؤلف هذا الكتاب الرد الوافر في رسالته التي أبدع فيها بالوجه الظاهر ، وقد استغنينا بذكره عن اعادته ، فالواقف عليه يتأمله ، والناظر فيه يتقبله ، وأما ماجريات (١) هذا الامام فكثيرة في مجالس عديدة ، فلم

(١) هكذا عبارة الاصل

يظهر في ذلك لمعانيه فيما ادعوا به عليه برهان غير تنكيدات رسخت في القلوب من ثمرات الشنآن ، وقصارى ذلك أنه حبس و قيد ، وقد حبس الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ومات في الحبس ، فهل قال أحد من العلماء أنه حبس حقاً ، وحبس الامام أحمد رضي الله عنه و قيد لما قال قولاً صدقاً ، والامام مالك رضي الله عنه ضرب ضرباً شديداً مؤلماً بالسياط ، والامام الشافعي رضي الله عنه حمل من اليمن الى بغداد بالقيد والاحتياط ، وليس بيدع أن يجري على هذا الامام ماجرى على هؤلاء الأئمة الأعلام ، وكان آخر حبسه بقلعة دمشق ، وتوفي فيها في الثلث الأخير من ليلة الاثنين المسفر صباحها عن عشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، وكان مرضه سبعة عشر يوماً ، وصلى عليه بباب القلعة الشيخ محمد بن تمام ، ثم صلوا عليه في الجامع الاموي ، ثم دفن في مقابر الصوفية الى جنب أخيه الشيخ شرف الدين ، ومولده في عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمائة بجران ، وقدم مع والده الى دمشق ، وقد امتلأ الجامع وقت الصلاة عليه أكثر من يوم الجمعة ، وحضر الامراء والحجاب ، وحملوه على رؤوسهم ، وخرجوا به من باب الفرج ، وامتد الخلق الى مقابر الصوفية وختموا على قبره ختمات ، وبات أصحابه على قبره ليالي عديدة ، ثم ذكر شعر بعض من رثاه ، ونبذة من شعر بعض من مدحه وأثنى عليه ، كالامام زين الدين عمر بن الوردي ، وأثير الدين أبي حيان ، وذكر ترجمة ابن الوردي ، وبعد أن أورد شعر أبي حيان قال :

ومثل الامام أبي حيان اذا شهد له بأنه ناصر الشريعة ، ومظهر الحق ، ومخمد الشر ، وأنه الامام الذي كانوا ينتظرون مجيئه : فكفاه مدحا وتزكية ، فاذا كان هذا الامام بهذا الوصف بشهادة هذا الامام وبشهادة غيره من العلماء الكبار فماذا يترتب على من يطلق عليه الكفر ، أو ينزهه بالزندقة ، ولا يصدر هذا الا عن جاهل ، أو مجنون كامل ، فالاول يعزر بغاية التعزير ، ويشهر في المجالس بغاية التشهير ، بل يؤبد في الحبس الى أن يحدث التوبة ، أو يرجع عن ذلك بأن يحسن الأوبة ، والثاني يداوى بالسلاسل والأصفاد ، والضرب الشديد بلا أعداد ، وهذا كله من فساد هذا الزمان ، وتوانى ولاية الامور عن اظهار العدل والاحسان ، وقطع دابر المفسدين ، واستئصال شأفة المدبرين ، حيث يتعدى جاهل يزعم أنه عالم يثلب أعراض المسلمين ، ولا سيما الذين مضوا الى الحق بالحق وبه كانوا عاملين ، وهذا الامام مع جلالة قدره في العلوم نقلت عنه على لسان جم غفير من الناس كرامات ظهرت منه بلا التباس ،

وأجوبة قاطعة عند السؤال منه من العضلات ، من غير توقف منه بحالة من الحالات (ومن جملة) ماسئل عنه - وهو على كرسية يعظ الناس ، والمجلس غصاص بأهله : مارأيكم في رجل يقول ليس الا الله ، ويقول الله في كل مكان ، هل هو كفر أم ايمان ؟

(فأجاب على الفور) من قال ان الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين ، بل هو مخالف للملل الثلاث ، بل الخالق سبحانه وتعالى بائن من المخلوقات ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، بل هو الغني عنها البائن بنفسه منها ، وقد اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الاربعة وسائر أئمة الدين أن قوله تعالى : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ أَنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) <sup>(١)</sup> ليس معناه أنه مختلط بالمخلوقات وحال فيها ، ولا أنه بذاته في كل مكان ، بل هو سبحانه وتعالى مع العبد أينما كان ، يسمع كلامه ويرى أفعاله ، ويعلم سره وخفاه ، رقيب عليهم ، مهيمن عليهم ، بل السموات والارض وما بينهما كل ذلك مخلوق لله ليس الله بحال في شيء منه سبحانه ، (ليس كمثل شيء فهو السميع البصير) <sup>(٢)</sup> لاني ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، بل يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل ، فلا تمثل صفاته بصفات خلقه ، ومذهب السلف اثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل ، وقد سئل الامام مالك رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) <sup>(٣)</sup> فقال الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

فهذا الامام كما رأيت عقيدته وكاشفت سريرته ، فمن كان على هذه العقيدة كيف ينسب الى الحلول والاتحاد والتجسيم ، أو ما يذهب اليه أهل الالحاد ، أعاذنا الله واياكم من الزيغ والضلال والفساد ، وهدانا الى سبيل الخير والرشاد ، انه على ذلك قدير ، وبالاجابة جدير ، حرره منمقا فقير رحمة ربه العلي الغني ، أبو محمد محمود بن أحمد العيني عامله الله بلطفه الخفي والجلي ، بتاريخ الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة المحروسة .  
ومنهم الامام الحافظ محمد ابن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي

(١) الحديد : ٤ - (٢) الشورى : ١١ - (٣) طه : ٥

رحمه الله ، وكان رحمه الله تعالى من أعلم العلماء العاملين ، والحفاظ المتقنين ، قد بلغ بشامخ فضله غنان السماء ، وأفاد المستفيدين فوائد جلت عن الاحصاء ، وكان ذا رسوخ وتمكين ، واعتقاد رصين ، ذا أخلاق سنية ، وصفات مرضية ، وكان له ذهن وقاد ، وفطنة أدرك بها مرتبة الاجتهاد ، وعلم ماخفي على غيره من العباد ، اليه تنتهي الحقائق ، وعنه تروى الدقائق ، له التصانيف المفيدة ، والكتب الفريدة ، وكان ذا تواضع وانصاف ، وديانة وعفاف ، يجب الانتصار للحق وأهله ، ويدعن لما يدل عليه البرهان من غير قدحه ولا تعليه ، وقد أثنوا عليه بما يليق بمقامه الرفيع ، وترجمه جماعة من الافاضل واتفق على فضله الجميع ، ومن ترجمه العلامة الحافظ قطب الدين الخضيرى دمشقي عليه الرحمة في كتابه الذي ألفه في طبقات الشافعية ، وذكر نبذة من أوصافه الحميدة ، ومزاياه المرضية ، وكان من الموالين لشيخ الاسلام ، والعارفين بقدر ذلك الامام ، لم يزل يجادل عنه خصومه ، ويذب عنه اعتراضاتهم الموهومة ، وقد ألف بعض الزائعين السالكين مسلك السبكي من غلاة الشافعية الناكبين عن المحجة البيضاء والسنة النبوية كتابا ذكر فيه تكفير من يطلق على ابن تيمية شيخ الاسلام بسبب منعه الاستغاثة بغير الله ، وقوله بما اختاره من الاحكام ، فرد عليه الحافظ الدمشقي هذا ردا شفى به صدور المؤمنين ، وذكر في رده من مناقب الشيخ وعلومه ومن أثنى عليه من أكابر الأئمة ماتقر به عيون المسلمين ، وسمى كتابه هذا ( الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية شيخ الاسلام كافر ) والكتاب مفصل ، وفيه مسائل مهمة ، قرظه مشاهير علماء عصر مصنفه ، وأكابر أئمة المذاهب الاربعة ، كالحافظ ابن حجر العسقلاني ، وقاضي القضاة الامام نور الدين العيني ، وقد سبق ذكر ماقاله ، والامام البلقيني الشافعي ، والامام قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي ، والامام شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي وغيرهم ، وسنذكر تقاريفهم ان شاء الله ، والكتاب نادر الوجود ، ومنه نسخة جيدة في خزانة كتب ولي الدين في جامع السلطان بايزيد في دار السلطنة العثمانية المحروسة موسومة بعدد تسع وأربعين وأربعمائة وألف ، نسأله تعالى أن يوفق نشر هذا الكتاب وينعم على المسلمين بمعرفة فوائده .

ماقاله الامام العلامة قاضي القضاة شيخ الاسلام صالح بن عمر البلقيني الشافعي عليه الرحمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، اللهم صل

على سيدنا محمد سيد السادات . من أهل الارضين والسموات ، وعلى آله وأصحابه  
وأتباعه ، ويسر والطف وأختم بخير آمين •

وبعد ، فقد وقت على هذا التصنيف الجامع ، والمنتقى البديع المطرب للمسامع ،  
وعملت بشروط الواقفين من استيفاء النظر ، فوجدته عقدا منظما بالدرر ، يفوق عقود  
الجمان ، ويزري بقلائد العقيان ، ويضوع مسك الثناء على جامعه مدى الزمان ، وقال  
لسان الحال في حقه ليس الخبر كالعيان ، وكيف لا وهو مشتمل على مناقب عالم  
زمانه ، والفائق على أقرانه ، والذاب عن شريعة المصطفى باللسان والقلم ، والمناضل  
عن الدين الخيفي وكم أبدى الحكم ، صاحب المصنفات المشهورة ، والمؤلفات  
المأثورة الناطقة بالرد على أهل البدع والالحاد ، القائلين بالحلول والاتحاد ، ومن  
هذا شأنه كيف لا يلقب بشيخ الاسلام ، وينوه بذكره بين العلماء الاعلام ، ولا عبرة  
بمن يرميه بما ليس فيه ، أو ينسبه بسجرد الأهواء لقول غير وجيه ، فلم يضره قول  
الحاسد ، والباغي والطاعن والجاحد •

وما ضر نور الشمس ان كان ناظرا إليها عيون لم تزل دهرها غمضا  
غير أن الحسد يحمل صاحبه على اتباع هواه ، وان يتكلم فيمن يحسده بما  
يلقاه ، لله در الحسد ما عدله ، بدأ بصاحبه فقتله ، وما أحق هذا العالم بقول القائل :  
حسدوا الفتى اذ لم ينالوا علمه فالقوم أعداء له وخصوم  
وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : ( اياكم والحسد فان الحسد يأكل  
الحسنات كما تأكل النار الحطب ، أو قال العشب ) أعاذنا الله من حسد يسد باب  
الانصاف ، ويصد عن جميل الاوصاف ، وكيف يجوز أن يكفر من لقب هذا العالم  
بشيخ الاسلام ومذهبا أن من كفر أخاه المسلم بغير تأويل فقد كفر ، لأنه سمي الاسلام  
كفرا •

ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي في ترجمة أبيه الشيخ تقي الدين  
السبكي في ثناء الأئمة عليه بأن الحافظ المزي لم يكتب بخطه لفظة شيخ الاسلام الا  
لابيه وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس الدين ابن أبي عمر ، فلولا أن ابن  
تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ما قرن ابن السبكي أباه معه في هذه المنقبة التي نقلها  
ولو كان ابن تيمية مبتدعا أو زنديقا مارضي أن يكون أباه قرينا له •  
نعم نسب الشيخ تقي الدين الى أشياء أنكرها عليه ماصروه ، واتصب للرد  
عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألتي الزيارة والطلاق ، وأفرد كلا منهما

بتصنيف ، وليس في ذلك ما يقتضي كفره ولا زندقته أصلاً ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، والسعيد من عدت غلطاته ، وانحصرت سقطاته ، ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين أنه لم يصدر منه ذلك تهورا وعدوانا ، حاش لله ، بل لعله لرأى رآه وأقام عليه برهانا ، ولم نقف الى الآن بعد الفحص والتتبع على شيء من كلامه يقتضي كفره ولا زندقته ، وانما نقف على رده على أهل البدع والاهواء وغير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلو مرتبته في العلم والدين ، وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين ، قال الله تعالى :

( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ) (١)

وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا ) وفي رواية ( حق كبيرنا ) وكيف يجوز أن يقدم على رمي عالم بالفسق أو الكفر ولم يكن فيه ذلك ، وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لا يرمي رجل رجلا بالفسق أو الكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك ) ، ثم كيف يجوز الاقدام على سب الاموات بغير حق وهو محرم ، فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لاتسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا ) وكيف يجوز أذى المؤمن بغير حق والله تعالى يقول :

( وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ) (٢) وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه )

فالواجب على من أقدم على رمي هذا العالم بما ليس فيه الرجوع الى الله تعالى ، والاقلاع عما صدر منه ، ليحوز الاجر الجزيل بالقصد الجميل ، وان اطلع على أمر يحتمل التأويل فلا يقطع بما يخالف ذلك التأويل بغير دليل ، وان صح عنده أمر جازم عنه يقتضي انكاره فينكره قاصدا للنصيحة ، ولا يهضم مقام الرجل مع شهرته بالعلم والفضل والتصانيف والفتاوى التي سارت بها الركبان ، والله تعالى يحفظنا من الخطأ والخطل ، ويحمينا من الزيغ والزلل ، والحمد لله رب العالمين ، وكتب في اليوم الموافق ليوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ٨٣٥ هـ .

(١) الزمر : ٩ - (٢) الاحزاب : ٥٨



ومنهم الامام العلامة قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي عليه الرحمة ، كان علامة عصره ، وفهامة مصره ، أتقن علوم الدين ، وعلم حقائق اليقين ، حتى كان تذكرة الامام ، وعليه مدار أصحاب مذهبه في الاحكام ، له التصانيف التي لم يسبقه اليها غيره من الافاضل ، والفوائد التي هي واسطة عقد الفضائل ، وكان على منهج السلف الصالح ، ويعد مخالفتهم من أفضح الفضائح ، ولم يزل يثني على المحدثين ، ويصوب آراءهم في عقائد الدين ، وأفرد المصنفون له تراجم مفصلة ، وأثنوا عليه بعباراتهم المطولة ، وذكروا أنه كتب في مناقب شيخ الاسلام ما يليق بشأنه من الكلام ، وقد قرظ كتاب الرد الوافر ، وذكر من مناقبه نحو ما ذكره الاكابر ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي جعل قلوب العلماء كنوز لطائف الحكم ، وأسنتهم مكفوفة عما فيه نقص أو جرح أو ألم ، وأسماهم عن سماع قول الفحش في صمم ، وخصهم بين الانام بجلائل النعم ، وجعلهم محفوظين عن الخوض في الاعراض ، متجانبين عما يؤدي الى ظهور الاعراض ، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث للعرب والعجم ، وعلى آله وأصحابه ذوي الكرم والهمم .  
(وبعد) فان صاحب هذا التأليف قد أمعن النظر وأجاد ، وبين وأتقن وأفاد فيما هو المقصود والمراد ، من الرد على من أكفر علماء الاسلام ، وهم الأئمة الاعلام ، بنسبتهم الشيخ العالم الناسك تقي الدين ابن تيمية الى كونه شيخ الاسلام .

فنقول وبالله التوفيق : ان الشيخ تقي الدين ابن تيمية كان على ما نقل الينا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذة الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية الذي سارت تصانيفه في الآفاق كان عالماً متقناً متفنناً ، متقللاً من الدنيا معرضاً عنها ، متمكناً من اقامة الدليل على الخصوم ، حافظاً للسنة عارفاً بطريقها ، عالماً بالأصلين أصول الدين وأصول الفقه ، قادراً على الاستنباط لاستخراج المعاني ، لا يلويه في الحق لومة لائم ، قائم على أهل البدع المجسمة ، والحلولية والمعتزلة ، والروافض وغيرهم ، والانسان اذا لم يخالط ولم يعاشر يستدل على أحواله وأوصافه بآثاره ، الا أن ما تصف به تلميذه ابن القيم من العلم يكفي ذلك دليلاً على ما قلناه ، وما نقل الينا مما اجتمع في جنازته من الخلائق التي لاتحصى حتى شبهت جنازته بجنازة الامام أحمد رضي الله عنه عبرة لمن اعتبر ، وما نقل الينا من تسلطه على الجان المردة عبرة أيضاً .

قال تلميذه ابن قيم الجوزية - عند كلامه على الصرع في ( الطب النبوي )

واختياره أن الصرع على قسمين : صرع يتعلق بالاخلاط ، وصرع يتعلق بالارواح الخبيثة - كان شيخنا ابن تيمية يأتي الى المصروع ويتكلم في أذنه بكلمات فيخرج ولا يعود اليه بعد ذلك ، وحكايته مع الذي اختطفت زوجته معروفة ، ومع الذي كان يرتفع الى السقف معروفة أيضا ، فمن كان متصفا بهذه الأوصاف كيف لا يلقب بشيخ الاسلام بأي معنى أريد منه ، وكيف يحل أن ينسب مثل هذا الشيخ أو واحد من المشايخ المذكورين في هذا التأليف أو واحد من المتصنفين بالاسلام - ولو في الظاهر - الى الكفر ، مع ما عليه أهل السنة والجماعة من أن مقترف الكبيرة عمدا لا يخرج من الايمان ، ولا يدخل في الكفر ، وأنه ان مات ولم يتب كان في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بقدر ذنبه وان شاء غفر له وعفا عنه ، وأنه لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة ، وذلك أعم من أن يكون سنيا أو بدعيا أو معتزليا أو شيعيا أو من الخوارج ، وهو المروي عن أبي حنيفة ، فانه سئل عن طائفة من الخوارج معينين ، فقال : هم أخطب الخوارج ، فقيل هل تكفرهم ؟ فقال لا ، وهكذا المروي عن الشافعي والاشعري وأبي بكر الرازي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وهذه المسألة مشهورة في موضعها .

ومما يدل على هذا ما قاله الفقهاء حيث قالوا وتقبل شهادة أهل الاهواء الا الخطابية ، وانما تقبل شهادتهم لاسلامهم ، واستثنوا الخطابية لأنهم يعتقدون جواز الكذب في الشهادة ، فاذا كان الحكم فيما ذكرناه هكذا فكيف بمسلم متصف بالاوصاف الحسنة المتقدمة .

وقد أخبرني من حضر مجلس هذا المكفر فقال ان ابن تيمية كافر مجوسي ، النصراني واليهود خير منه ، فان النصراني واليهود لهم كتاب وابن تيمية لا كتاب له . فعوذ بالله من هذه النزعة الشيطانية المفضعة القيحة ، مع أنه لم ينقل عن ابن تيمية كلام يقتضي كفرا ولا فسقا ولا ما يشينه في دينه ، وقد كتبت في زمنه محاضر لجماعة من العلماء العدول اطلعنا عليها بأنه لم يقع منه شيء مما يشينه في دينه ، ووصفوه في تلك المحاضر بأعظم مما قلناه من أوصافه المتقدمة ، وانما قام عليه بعض العلماء في مسألتي الزيارة والطلاق ، وقضية من قام عليه مشهورة ، والمسألتيان المذكورتان ليستا من أصول الاديان ، وانما هما من أصول الشريعة التي أجمع العلماء على أن المخطيء فيها مجتهد مثاب لا يكفر ولا يفسق ، والشيخ كان يتكلم في المسألتيين بطريق الاجتهاد ، وقد ناظر من أنكر عليه فيهما مناظرة مشهورة بادلة يحتاج

من عارضه فيها الى التأويل ، وهذا ليس بعيب ، فان المجتهد تارة يخطيء ، وتارة يصيب ، وهو مثاب على اجتهاده وان كان مخطئا ، ولو اشتغل هذا المكفر بالله ، وبما يجب عليه من طاعته ، وصان لسانه ومنع نفسه من الاشتغال بما لا يعنيه ، وحمل أحوال المسلمين على الصلاح ، واقتدى بقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ( وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم ) وبقول عيسى عليه السلام حين عارضه خنزير في بعض الطرق ، فقال : ( اذهب يا مبارك ، فقيل له في ذلك فقال اني أعود لساني الخير ) وبقول عمر رضي الله عنه : لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها من الخير محملا .<sup>(١)</sup>

واعلم أنه اذا نقل الينا كلام أحد وثبت أنه كلامه بالطريق الصحيح الشرعي ونظرنا في ذلك الكلام فلم نجد له وجه صحة وانما وجدناه مصادما للشرعة من كل وجه : فان كان المنقول عنه ذلك الكلام ميتا ولم يثبت عندنا رجوعه نسبناه الى ما يقتضي كلامه ، وان كان حيا قمنا عليه ، فان تاب والا رتبنا عليه ما تقتضي الشرعة المحمدية - لما أكفر واحدا من أهل القبلة كما في هذه القضية ، وكما وقع له مثل ذلك في حق شخص ممن اجتمع الناس على علمه وخيره ودينه وتبحره في العلوم ، وهو الشيخ شمس الدين البساطي قاضي قضاة المالكية ، في الديار المصرية ، فنسأل الله تعالى أن يتوب عليه ، وأن يصون لسانه عن الزلل ، وأن يجعل مانحن فيه خالصا لله تعالى ، وأن يدخلنا الجنة بمنه وكرمه ، قال ذلك عبد الرحمن التفهني عامله الله بلفظه الخفي في رابع عشر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة .

( ومنهم الامام العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي عليه الرحمة ) وكان من أكابر رجال المالكية وفقائهم ، وأجل مشايخهم وعلمائهم ، أخذ العلم عن أئمة لهم لسان صدق في الأمة ، وأخذ عنه جماعة من علماء عصره وأجله مصره ، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم ، وهو في جميع شؤونه بصير حازم ، مع تواضع ولين جانب ، وفكاهة هي من أعجب العجائب ، وله مصنفات في فنون مختلفة ، هي فريدة في بابها من بين الكتب المصنفة ، وقد حسده أيضا جماعة من أهل عصره ، ورموه بالعظائم كما فعلوه مع أهل الفضل غيره ، وكان ممن عرف قدر شيخ الاسلام ، وكتب في مناقبه ما تلذبه السامع والافهام ، وقد عثرنا على تقرير له على كتاب ( الرد الوافر ) ومنه يعلم ما كان عليه من الفضائل والمآثر ، وهو قوله :

(١) يظهر أن جواب لو هو قوله الاتي : لما أكفر الخ وان قوله : واعلم متمحفة عن وعلم عطفنا على اشتغل وصان الخ ..

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على سيد المرسلين ، محمد وآله وصحبه أجمعين .

(وبعد) فقد نظرت في هذا الكتاب الدال على أن مصنفه من الحفاظ المطلعين ، وأنه قد وفى بما قصد إليه اما صراحة واما اشارة ، مع أن الامامة المشيخ تقي الدين ابن تيمية في العلم مما لا يحتاج الى الاستدلال عليه لحصول العلم الضروري عن الأخبار المتواترة بذلك ، وأما قول من قال انه كافر وانه من قال في حقه انه شيخ الاسلام فهو كافر ، فهذه مقالة تقشعر منها الجلود ، وتدوب لسماها القلوب ، ويضحك ابليس اللعين عجباً بها ويشمت ، وتشرح أفئدة المخالفين وتثبت ، ثم يقال له : لو فرضنا أنك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقه فما مستدك في الكلام الثاني ، وكيف تصح لك هذه الكلية المتناولة لمن سبقك ولمن هو آت بعدك انى يوم القيامة ، وهل يمكنك أن تدعي أن الكل اطلعوا على ما اطلعت عليه ، وهل هذا الا استخفاف بالاحكام ، وعدم مبالاة ببني الأيام ، والواجب أن يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك ؟ فان أتى بوجه يخرج به شرعا من العهدة فيها ، والا برح تبريحاً يردع أمثاله عن الاقدام على أعراض المسلمين ، وكتبه محمد بن أحمد البساطي المالكي عفا الله عنه ، والحمد لله وحده ، وذلك سنة خمس وثلاثين وثمانمائة من الهجرة .

ومنهم الامام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي البزار عليه الرحمة ، وهو أحد الأئمة الذين تبوأ قمة الجوزاء ، وبلغت شهرتهم في علو الدرجة الى السماء ، فضله السلسيل ، والبحر الطويل ، والاصيل ابن الاصيل ، الذي ترك عبد الحميد في أبيجاد ، والحريري في حومة الأولاد ، وابن العميد ساقط العماد ، الجامع بين الرقة واللطافة ، والنزاهة والظرافة ، وبدائع الافكار ، ودقائق الانظار ، والمعاني الرائقة ، والنكات الفائقة ، مع فصاحة تخرس لها الألسن طوع القلم ، وسبح طويل ببحر القرطاس تقف بساحله الامم ، وبلاغة يتحلى بها جيد الدهر ، ويتمنطق بها خصر العصر ، وكان له من المصنفات ما تجاوز العد ، وقد جمعت حسن السبك ، وسهولة العبارة ، والفوائد العجيبة ، وهي في فنون مختلفة ، ومنها كتاب أفرده في مناقب شيخ الاسلام ، وعلم الاعلام ، أبي العباس تقي الدين ابن تيمية ، أودع فيه من مناقب ذلك الامام ومزاياه ومآثره ما لم يجتمع في كتاب ، وأتى فيه بالعجب العجائب بل بفصل الخطاب ، وذلك من آيات انصافه واذعانه للحق ، وقلما يتفق ذلك لأهل العلم وغالبهم من تحمله عصبية رجال مذهبه على الميل عن الحق والاضراب عنه ، كما كان من

السبكي وابنه وابن حجر ، غير أن الله سبحانه وتعالى خص هذه الامة بخصائص ،  
منها أنها لا تجتمع على ضلالة ، وذلك مما استوجبت به أن تكون خير أمة أخرجت  
للناس ، وقد لخص بعض أبواب هذا الكتاب الشيخ مرعي الحنبلي في كتاب مناقب  
شيخ الاسلام ، وسنذكره ان شاء الله تعالى .

ومنهم أوجد الأدباء وشيخ الفضلاء شهاب الدين أحمد العمري الشافعي عليه  
الرحمة ، كان فائقا في عصره على الاقران ، بما حواه من الادب والعرفان ، بل هو  
ملك انس تكونت ذاته من نور ، وفلك فضل على قطب الكمال يدور ، تألفت في  
سما المعالي كواكبه ، وزاحمت العيوق من غير عائق مناكبه ، وتناولت عنقود الثريا  
سواعده ، وتأسست فوق المجرة قواعده ، فرفع من العلوم منارها ، وقدم زند فكره  
بصوانة البلاغة فأورى نارها ، وبزغ قمر كماله من فلك الفصاحة ، ونبغ غصن نجابته  
من دوحة الكرم والسماحة ، ودأب في طلب العلوم فأحرز منها ما أحرز ، ووشى  
حواشي مطول فضله بمعاني بديع بيانه وطرز ، وغاص فكره بقاموس العلوم فاستخرج  
من عباب المنطوق والمفهوم أصداق فوائد ملئت بصحاح الجواهر ، وقلدها في نحور  
الطالبين فافحم بمعجز البراهين كل مباحث ومناظر ، هو تحفة للناظرين ، وروضة  
للطالبين ، وغنية للمبتدئين ، وهو الفقيه الذي ليس له أشباه ولا نظائر ، والبلغ  
الذي يشهد المسامر انه الزاخر ، تقر له بالاعجاز الصدور والاعجاز ، فتحريره الروض  
الرائق ، وفكره كنز الدقائق ، وتقريره الدر المختار ، وتعبيره تنوير الابصار ،  
وحكاياته ربيع الأبرار ، والمحدث الذي ألحق الأحفاد بالأجداد ، وأتى من فنون  
الاسناد ما سلسل به الرواية فملا بروايته الورد ، قام على أقدم التحقيق ، وأبرز  
عرائس المخدرات من خدور التدقيق .

بدا والعلم ليس له عيون      فأجراها ونورها أناسي  
وأبدع في مباحثه فنونا      رايهاهن واضحة القياس

فهو الذي رفا خرقه ، وأشع في سحابه برقه ، وأصدح على أفنائه ورقه ، فمنار  
الايان بهدياته في ايضاح ، ومشكاة الرواية في رأيه ذات مصباح ، وليالي المحابر  
مشرقة من شمس معارفه بصباح ، وأعناق المشكلات بصوارم ذهنه مجزومة ، وكتائب  
المعضلات بسم أقلام كتبه مهزومة ، ورياض العلوم به زاهرة ، وأفلاك الفهوم على  
تقريره دائرة ، ونجب التوجيه بأمثال نوادره سائرة ، وخدود الطروس عن غرر ابداعه  
سافرة ، ووجوه البيان كاشفة النقاب عن محاسن تحبير جده الحالي بها هذا الكتاب ،

وهو من بيت فضل ومجد ودراية ، وسلفنا أهل علم وعمل ورواية ، نسبة بابن الخطاب متصل ، وحسبه من كل جرثومة مجد منفصل .

قوم لهم بين الانسام مناقب كالشمس في العلياعلى التحقيق  
ما فيهم الا نجيب كامل ذاعت فضائله بكل طريق  
ناهيك من شرف ترى أنسابهم موصولة في حضرة الفاروق

وكان هذا الفاضل مقتنيا أثر سننهم ، وآخذا بفروضهم وسننهم ، يلوح من فرقه سيما جده الامام الفاروقي ، ويرشح من قلبه السليم بعقارب الاقارب رشحات الترياق الفاروقي ، وهو منذ أميطة عنه التمام ولاحت له من أثر أسلافه العلائم اشتغل بقراءة الفقه والحديث والتفسير والأصول ، وشرع في طلب العلوم من المعقول والمنقول ، الى أن صار العلم المفرد ، ولم يسبقه من أهل عصره أحد .

وفي تاريخ أبي الفدا مانصه : في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبعمائة بلغنا وفاة القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري بدمشق بالطاعون ، ومنزلته في الانشاء معروفة ، وفضيلته في النظم والمنثر موصوفة ، كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد أبيه محي الدين ، ثم عزل بأخيه القاضي علاء الدين وكتب السر بدمشق ، ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف ، حتى مات عن نعمة وافرة ، قال أبو الفدا : دخل رحمه الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان فنزل في المدرسة التي أنشأها ففرح لي بها ، وأنشد فيها بيتين أرسلهما لي بخطه ، وهما :

وفي بلد المعرة دار علمم بنى الوردي منها كل مجد  
هي الوردية الحلواء حسنا حمدت الله اذ بك تم مجدي  
( فأجبتة بقولي )

أمولانا شهاب الدين اني حمدت الله اذ بك تم مجدي  
جميع الناس عندكم نزول وأنت جبرتي ونزلت عندي  
اتهى ماقاله :

وله مصنفات كثيرة ليس هذا موضع استيفائها ، ومن أجلها قدرا كتابه المسمى ( بمسالك الابصار ، في الممالك والامصار ) وهو كتاب مفصل لم يؤلف نظيره في بابيه في بضع وعشرين مجلدا ، أودعه أحوال البلاد والدول بتحقيق وتدقيق وتفصيل لم يشتمل عليها غيره ، ومن ذلك تراجم أفاضل عصره ، وأفرد فصلا طويلا في مناقب شيخ الاسلام ، وأثنى عليه بما يليق به من الثناء الجميل ، وذكر ما كان له من المزايا

والفضائل ومنزلته في العلم والاجتهاد ، ولو اطلع عليها الزائع النبهاني وأضرا به الغلاة  
عدة غير الله لغصوا بريقهم ، وقد ذكر منها نبذا مفيدة العلامة الشيخ مرعي الحنبلي  
فيما ألفه من مناقب الشيخ على ماسنذكره .

ومنهم الحافظ الامام شمس الدين صاحب الصارم المنكي عليه الرحمة ، وقد  
سبق بيان نبذة من أحواله وفضائله عند الرد على كلامه على كتاب ( الصارم المنكي )  
وقد ترجمه جميع من صنف من المترجمين المنصفين ، وله ذكر جميل في طبقات ابن  
رجب والشذرات ، وهو من أجل تلامذة شيخ الاسلام ، وصنف كتابا كبيرا في مناقب  
شيخه سماه ( الدررة المضية في مناقب الامام ابن تيمية ) وقد نقل عنه الشيخ مرعي  
أيضا في مناقبه على ماسيجيء ان شاء الله تعالى .

ومنهم الحافظ الامام الأجل الشهير بابن قيم الجوزية عليه الرحمة والرضوان  
وهو أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي  
رضي الله عنه ، كان واسع العلم ، عارفا بالخلاف ومذاهب السلف ، وله من التصانيف  
مالا يعد كثرة ، منها : أعلام الموقعين ، وبدائع الفوائد ، وجلاء الافهام ، في الصلاة  
على خير الأنام ، ورفع اليدين ، وتحفة الودود في أحكام المولود ، والفتح المكي ،  
والفتح القدسي ، وغير ذلك ، وهو طويل النفس في مؤلفاته ، وجرت له محن مع  
القضاة ، منها سبب فتواه بجواز الرجوع بغير محلل ، فأنكروا عليه وآل الأمر  
الى أن رجع عنه ، كذا في الدرر الكامنة من المائة الثامنة اقتصارا ، وفضله أشهر من  
أن ينبه عليه ، وأظهر من أن يشار اليه ، وكتبه المنتشرة اليوم أعدل شاهد على علو  
شأنه وطول باعه في كل علم .

وقد ألف في مناقب الشيخ ماتقر به عين المؤمن ، وينشرح له صدر كل مسلم ،  
وذكر أيضا نبذة مفيدة من أحواله في كثير من كتبه ، لاسيما في كتابه مدارج السالكين  
شرح منازل السائرين ، ووفق بين أحواله وأحوال أكابر عباد الله الصالحين ، وعرف  
منزله ومقامه ، وقد كان من أجل تلامذة الشيخ وأصحابه ، وأدرى من غيره بشؤنه  
وأحواله ، ودرجته من علم اليقين وبلوغه مقام المجتهدين الأعلام .

وبالجملة : ان ابن القيم نفسه كان حسنة من حسنات ابن تيمية وهو ذلك العالم  
الذي سارت بذكر فضائله الركبان ، وهو كما قال القائل :

برغم الاعادي نال ماهو نائل  
ولو رام أن يرقى الى النجم لارتقى  
فاجدع آناف العداة وارغما  
ويوشك رب الفضل أن يبلغ السما

ولاغرو أن يعلو وها هو قد علا      ولا بدع أن يسمو وها هو قد سما  
 عزائمه كالمشرفية والظبيــــــــــــا      وآراؤه مازلن في الخطب أنجســــــــــــا  
 يصيب بها الاغراض مما يرومه      ولا يخطيء المرعى البعيد اذا رمى

ومنهم العلامة المحدث السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس عليه  
 الرحمة ، وكان آية في علم الحديث والتفسير والأصلين والتصوف وأحوال الرجال ،  
 كما كان مشهورا بالانصاف من بين علماء مصره ، ومن أوضح الدلائل على انصافه  
 كتابه الذي صنفه في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ، كما لا يخفى على من طالع كتابه  
 هذا ، وقد رد على المنكرين عليه وذبح عنه ما هو بريء منه ، وذكر دلائل ما اختاره من  
 الأقوال ، وسمى ذلك الكتاب ( القول الجلي ) ، في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية  
 الحنبلي ) . وقد تلقى كتابه هذا علماء عصره بالقبول ، وقرظوه وأثنوا عليه بالثناء  
 الجميل ، وذكروا أن مافيه هو الحق الذي قام عليه البرهان والدليل ، ومن قرظله  
 الامام العلامة الشيخ عبد الرحمن الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري عليه الرحمة  
 فقال بعد الخطبة ( أما بعد ) فقد اطلعت على هذا الجزء الشريف ، وسرحت طرفي في  
 رياض روضه المنيف ، فرأيته بديعا جامعا لفصل القول وخطابه ، معرفا بسناء مقام  
 الشيخ شيخ الاسلام ، أحد سلاطين المحدثين الاعلام ، من أذعن لغزارة علمه الموافق  
 والمخالف ، واعترف بتحقيقه وسعة اطلاعه من هو على مؤلفاته واقف ، الامام ابن  
 تيمية أحمد تقي الدين ، وأنه ممن دان بسيرة السلف الصالحين ، منزه عن سوء  
 الاعتقاد وزين العقيدة ، سالكا لطريقة السلف الحميدة ، وأن ما يعزى اليه من بعض  
 المخالفات في الاصول والابتداع هو منه بريء ، كما يصرح به النقل من كلامه في  
 مشهور مؤلفاته الدال على أنه بموافقة أهل السنة حري ، وما يعزى اليه من المخالفات  
 في بعض الفروع والظن في السادة الصوفية أولى الشأن العلي فذلك مما لانواقفه  
 عليه ، ولا نسلم شيئا من ذلك اليه ، كما حقق جميع ذلك وحرره سيدنا مؤلف القول  
 الجلي ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى  
 آله وصحبه وسلم ، وكتبه تراب أقدام أهل الحديث الشريف النبوي عبد الرحمن  
 الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري عفا الله عنه وختم له بالحسنى سنة ثلاث وعشرين  
 ومائتين وألف من الهجرة .

ومن قرظله أيضا الامام العلامة الشيخ محمد التافلاني مفتي الحنفية بالقدس  
 الشريف رحمه الله قال بعد خطبته البليغة ( وبعد ) فقد وقفت على هذا القول الجلي



في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي فوجدته قولاً جلياً ، وصرطاً سورياً ، قد نبذ مؤلفه التعصب ظهرياً ، فمن يهز نخلاته تساقط عليه رطبا جنيا ، ومن ضرب عنه كشحا يقول لمؤلفه لقد جئت شيئا فريا •

كلا لقد سلك مولانا صفي الدين ما يستعذبه العارفون ، ومحجته بيضاء نقية لا يعقلها الا العالمون ، والخطأ في ابن تيمية معلوم ، ولا ينجو منه الا معصوم ، وقد اعترف له بطول الباع في العلوم الشرعية وغيرها الموافق والمخالف ، ولا ينكر ذلك الا غيبي أو جاهل أو حسود أو متعصب على حجر جمود واقف ، وقد أثنى عليه جمهور معاصريه ، وجمهور من تأخر عنه ، وكانوا خير مناصريه ، وهم ثقات صيارفة حفاظ ، عريفهم في النقد دونه عريف عكاظ ، وطعن فيه بعض معاصريه بسبب أمور أشاعها مشيع لحظ نفسه ، أو لاجل المعاصرة التي لا ينجو من سمها الا من قد كمل في قدسه ، فخلف من بعدهم مقلدهم في الطعن فتجاوز فيه الحد ، ورماهم بعظائم موجبة للتعزير أو الحد ، ولو قال هذا المقلد كقول بعض السلف حين سئل عما جرى بين الامام علي ومعاوية فقالوا تلك دماء طهر الله منها سيوفنا أفلا نظهر منها ألسنتنا لنجا من هذا العناء ، وقول الآخر لما سئل عن ذلك فأجاب ( تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ )<sup>(١)</sup>

وهذا الامام تصانيفه قد ملأت طباق الثرى ، واطلع عليها القاضي والداني من علماء الورى ، فما وجدوا فيها عقيدة زائفة ، ولا عن الحق رائفة ، وكم سل السيوف الصوارم على فرق الضلال ، وكم رماهم بصواعق محرقة كالجبال ، تنادي صحائفه البيضاء بعقيدة السلف ، ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف ، شهد له الاقران بالاجتهاد ، ومن منعه له فقد خرط بكفه شوكة القناد ، وما سوى العقائد نسبت اليه مسائل جزئية رأى فيها باجتهاده رأي بعض السلف ، للدليل واضح قام عنده ، فكيف يحل الطعن فيه بسهام الهدف ، وهذا محمد بن اسحق قال فيه امام دار الهجرة ذلك دجال من الدجاجلة ، ومع ذلك وثقه تلميذه الامام المجتهد محمد بن ادريس ، وروى عنه حديث القلتين ، ووصفه بالدجاجلة لم يبق من الدم شيئا ، ولم يرمه أحد بكفر ولا زندقة ولا فسق ، وأمثال هذه القضية جرت في الاعصر الاول وبعدها مرارا ، وأشنع مانسب اليه منع الزيارة لقبور الانبياء ، فهذه ان صحت عنه

(١) البقرة : ١٤١

فلعله انما منع شد الرحال اليها قصدا ، وأما الزيارة لتلك القبور المقدسة تبعا فلا يصح نسبة المنع اليه ، كيف وهو مصرح باستحباب زيارة قبور آحاد المؤمنين . ولله در الامام حافظ الشام ابن ناصر حيث ألفت في الذب عنه رسالة هي أمضى من السيف الباتر ، ولله در أمير المؤمنين الحافظ ابن حجر والحافظ الاسيوطي وأصحابهم من الأسود الكواسر ، فقد شنوا الغارة على من طعن فيه فباؤا بالأجر الوافر ، أو لك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده ، وثمة أشياء أخر أشيعت عنه وهي أكاذيب وفريسة وما فيها مرية ، وهي سنة الله في أحبابه ، وأما طعنه على بعض المشهورين من الصوفية فهو ليس بفريد في ذلك ، بل سلفه مثله وأعلى منه في تلك المسالك ، وما قصده مع أمثاله الا الذب عن ظاهر الشريعة ، خوفا على ضعفاء الامة من اعتقاد أمور شنيعة ، ومن كان هذا قصده يمدح ويثاب ولا يلام ، فكيف يزعم زاعم خروجه بذلك عن الاسلام .

هذا وفصل الخطاب - عند أولي الألباب - ان معتقد طريق السلف على غاية الصواب ، ومن أداه اجتهاده لدليل قام عنده في فرع فقهي بعد تجرده في العليم لا يلام عرضه ولا يعاب ، وان خالف المذاهب الاربعة أو المذاهب المنقرضة الغير المتبعة ، والمقلد اذا التزم مذهبا لا يجوز له الطعن في رجل برع ونال رتبة الاجتهاد ، (لينفق ذو سعة من سعته) وليس الرافل في حلل المجد في غرف القصور كخادم الباب ، ورسالة مولانا صفي الدين هذه صاحبة القدح المعلقى ، وهي قبلة أرباب التحقيق والمصلى ، هي من الضنائن الاعلى جواهرها ثمينة لا يخطبها الا رجل كفولها ولثلتها ، ولقد كشفت نقاب حسننها في زمان لا تخطب الخطاب مثلها ، ولا يشفون نهلتها وعلتها ، اذا تليت عليهم آياتها حاصوا كحيص الحمر ، وشنوا الغارة على عرج الحمير ، وقالوا ماسمعنا بهذا في آبائنا الأوين واتخذوها هجرا وصمموا على النكير ، وما ذاك الا أصحاب الهمم الا النادر ، وقليل ماهم في هذا الزمان الدائر ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه أرباب النجدة .

وممن صنف في مناقبه أيضا الشيخ مرعي الحنبلي العلامة الشهير رحمه الله ، وهو على ما في كتاب ( خلاصة الأثر ) العلامة المحيي مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي - نسبة لطور كرم قرية بقرب نابلس - ثم المقرئ ، أحد أكابر العلماء من حنابلة مصر ، كان اماما محدثا فقيها ، ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث ، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة ، أخذ عن الشيخ محمد المرادوي ، وعن

القاضي يحيى الحجواوي ، ودخل مصر وتوطنها ، وأخذ بها عن الشيخ الامام محمد الحجواوي الواعظ ، والمحقق أحمد الغنيمي ، وكثير من المشايخ المصريين ، وأجازه شيخه فتصدر للافراء والتدريس في جامع الأزهر ، ثم تولى المشيخة في جامع السلطان حسن ، ثم أخذها منه عصره العلامة ابراهيم الميسوني ، ووقع بينهما من المعارضات ما يقع بين الاقران ، وألف كل منهما في الآخر رسائل . وكان منهما على العلوم انهما كليا ، فقطع زمانه بالافتاء والتدريس والتحقيق والتصنيف ، فسارت بتأليفه الركبان ، ومع كثرة اضداده وأعدائه ما أمكن أن يطعن فيها أحد ، ولا نظر بعين الازراء اليها ، ثم ان المترجم عدله من المصنفات نحو سبعين كتابا في فنون شتى ، قال : وله غير ذلك من فتاوى ومسائل نافعة يتداولها الناس ، وكان في فن النظم والنثر آية ، وكتابه بديع الانشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات ، يشهد له بطول باعه في ذلك ، وله ديوان شعر منه قوله :

يا ساحر الطرف يا من مهجتي سحرا	كم ذا تنام وكم أسهرتني سحرا
لو كنت تعلم ما ألقاه منك لمسا	أتعبت يا منيتي قلبا اليك سرى
هذا المحب لقد ساءت صابته	بالروح والنفس قومابالوصال سرا
يا ناظري ناظري بالدمع جاد وما	أبقيت في مثلي يا مقلتي نظرا
يا مالكي قصتي جاءت ملطخة	بالدمع يا شافعي كذبتها نظرا
عسائذ بالحفني تسعى على عجل	بالوصل للحبلي يا من بدا قسرا
يا من جفنا للفسير موعده	يا من ويا من عقلنا قمرا (١)
الله منصفنا بالوصل منك على	غيظ الرقيب بمن قد حج واعتمرا

وكانت وفاته بمصر في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وألف رحمة الله عليه ، ومن جملة ما عدله من الكتب ( الكواكب الدرية في مناقب الامام المجتهد ابن تيمية ) وقد اطلعت على هذا الكتاب فرأيت من أحسن الكتب المؤلفة في هذا الباب ، لاسيما وقد اشتملت على غرر مناقب ذلك الامام ، ودرر مزاياه التي هي للدهر ابتسام . فسا هي الا روضة فوحاء فيحاء ، وحديقة مزهرة غناء ، مكللة بغرر المعاني والاقوال ، مرصعة بدرر الشواهد والأمثال ، تجذب السرور الى الصدور بأمراس السطور ، مشتملة على الرقة والانسجام في النثر والنظام ، فسا هي الالآلي و يواقيت مابين نضيد وشتيت ، من رآها من الأفاضل وأهل الكمال قال هكذا هكذا فليكن المقال .

(١) في هذا البيت نقص وانكسار وهو كذا في الاصل

أكرم بترجمة يضوع غيرها  
الوذهي اللسن الذي أضحت أفا  
تعزى الى الشهور في الآفاق  
ضل عصره بأناهل الأحاساق  
بيراعة حرئت على الاوراق  
تجنى ثمار فسونه العرر التي

فله در ذلك المؤلف الأديب ، والمصنف الأريب ، لقد أتى بتأليف هو أبهى من  
انسان العين في عين الانسان ، وأشهى من زلال العين الى عين الظآن . ولمثل مصنعه  
يقال اذ لكل مقام مقال :

مصنف لو رآء منصف فظن  
تظن كل أديب حين يسمعه  
لقال ما الروض الا بعض نزهته  
صبا وذا وعد من يهوى بزورته  
فأين لطف الصبامبا حواه ولم  
ألم اذا قلت في تشبيه رفته

ولعسري ليست نعمات الطيور في الأسحار على شرفات القصور والأشجار بأرق  
منها في الاسماع الكريمة ، وأوفق الى الطباع السلية .

اذا طرقت مسامعنا ابتهجنا  
وخلنا أن تاليها علينا  
وفزنا في سرور وانيسنا  
ينادينا الى نادي الشبان

فيا لها من مناقب لا يمل سامعها ، ولا يكل مطالعها ، ولا بدع في هذا ولا عجب .  
فقد قال بعض أهل الادب : ان أحاديث نجد لاتمل بتكرار فكيف وهي أحاديث مجدي  
ومدائح ناحية القصد ، ولولا مخافة الاسهاب لما عدلنا عن الاطناب ، وهيهات ان  
يستوفي هذا التقريرظ ثناء على ذلك النثر والقريض ، ولكونها على اختصارها شتار  
على أحوال ذلك الامام سندكرها ان شاء الله تعالى بالتمام .

وقد صنف في مناقب شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه .  
غير من ذكرنا من الأفاضل ، والعلماء الأكاير ، واذب عنه وأخذ بأقواله واختصارها في  
عصره وبعده ، وكان ذلك من علائم بصائرهم وفطنهم ، فلا تجد في عصر من الاعصار  
من يذب عنه ويختار قوله ويسلك مسيليه الا وهو الفائق على غيره ذكاء وفطنة  
وانصافا ، ولا تجد من يخالفه ويعاديه الا وهو من أهل النور والعبارة وحب الدنيا  
والمخالف للسنة والمعادي للحق ، وهذه منقبة لم تكن الا لأصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم لم يناها أحد من أكابر المجتهدين ، فمن الذي منهم ألف في مناقبه من  
الكتب ما ألف فيه ؟! فسبحان من خص بعض عباده بخصائص لم ينلها غيره بجد ولا  
اجتهاد . ( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتزعج الملك

مَنْ تَشَاءُ ، وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١١)

والثناء عليه في كل عصر من أفاضله ومشاهير علمائه لا يسكننا استقصاؤه ولا الإحاطة به ، ولا سيما في هذا العصر بعد أن انتشرت كتبه ورسائله وفتاواه ، فصي الهند عدد كثير من المحققين كتبوا في مناقبه ، وذبوا عنه ، وأخذوا بقواله واختياراته ، وفي نجد كذلك ، فان قوله لديهم متبع ، ومرجح على أقوال كثير من المجتهدين ، وفي مصر جمع غفير على هذا المنوال ، كتبوا في مناقبه مقالات مطولة ومختصرة ، وأثنوا عليه وذبوا عنه ، وخطوا المنكرين عليه ، والبغضين له حسدا من عند أنفسهم ، ومنهم شيخ الاسلام الامام محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وهو الفاضل الذي عقم الزمان أن يأتي بشله فضلا وانصافا وذكاء وبلاغة ، وثرا وشعرا ، وغبرة على الدين ، قدس الله روحه ونور ضريحه .

حلف الزمان ليأتين بشله حثت بينك يا زمان فكفر

وقد أثنى عليه تقريرا وتحريرا ، ومن طالع كتبه عرف ذلك ، ومنه ما كتبه في كتابه الاسلام والنصرانية وهكذا أصحابه وتلامذته الأفاضل الأعلام ، بل كل منهم في عصره امام ، وفي العراق أيضا جماعة من أهل الفضل والانصاف يعترفون بما كان عليه الشيخ من المنزلة القعساء ، والعلم الذي لا تجد أحدا يطاوله به ، وأما المبغضون له في العراق فهم المنافقون الدجالون الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وكلهم أهل بلاهة وغباوة لا يعاب بهم ، ولا يلتفت اليهم ، أولئك حزب الشيطان ، وقوم البهتان ، وأعداء الرحمن ، والسواد الأعظم من سكرة العراق على ما وصفنا ، ولا بدع فبلاد العراق معدن كل محنة وبلية ، ولم يزل أهل الاسلام منها في رزية بعد رزية ، فأهل حروراء وما جرى منهم على الاسلام لا يخفى ، وفتنة الجهمية الذين أخرجهم كثير من السلف من الاسلام انما خرجت ونبتت بالعراق ، والمعتزلة وما قالوه للحسن البصري وتواتر النقل به واشتهر من أصولهم الخمسة التي خالفوا بها أهل السنة ومبتدعة الصوفية الذين يرون الفناء في توحيد الربوبية غاية يسقط بها الامر والنهي انما نبغوا وظهروا بالبصرة ، ثم الرافضة والشيعة وما حصل فيهم من الغلو في أهل البيت ، والقول الشنيع في الامام علي وسائر الأئمة ، ومسبة أكابر

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . كل هذا معروف مستفيض ، والمتصود  
أن أهل الفضل منهم - وقليل ما هم - محبوبون للسنة ناصرون لأهلها معارضون  
لمن يخاصمهم .

وفي دمشق وسائر بلاد الشام أيضا جماعة من أكابر علماء هذا العصر وفضلائه  
قد نصروا الشيخ واختاروا أقواله ، وردوا على المخالفين له من الجهلة والغلاة ، وأثروا  
عليه ووثقوه ، ورجحوه على كثير من الأئمة في كثير من فنون ، وصبروا على مارأوه  
من كيد الخصوم وتحاملهم ومخاصمتهم للباطل ، وهم أحق الناس بذلك لأن الشيخ  
قدس الله روحه الزكية منهم ، وكان جيرانهم ومن بلادهم ظهرت أنوار السنة النبوية ،  
وفي الحديث الصحيح ما يشعر بأنهم هم المؤيدون للسنة ، وهو قوله صلى الله عليه  
وسلم ( لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم في الغرب ) قال بعض شراح  
الحديث : المراد بهم أهل الشام ، فإنهم أكثر الناس اشتغالا بالحديث ، وأعتاهم بحفظ  
السنة ، قال العلامة الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في الحديث الصحيح  
( لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى  
يأتي أمر الله وهم كذلك ) وفي صحيح البخاري وهم بالشام ، وقد قال كثير من علماء  
السلف أنهم علماء الحديث ، وهذا أيضا من دلائل النبوة ، فإن أهل الحديث بالشام  
اليوم أكثر من سائر أقاليم الإسلام ولله الحمد ، ولاسيما بمدينة دمشق حماها الله  
وصانها ، كما ورد في الحديث أنها تكون معقل المسلمين عند وقوع الفتن انتهى ، وابن  
تيسية وأصحابه من أهل الشام ، وقيامه بالانتصار للسنة ورد البدع أمر لا ينكر ،  
ولا بعد أن يكون الحديث الشريف اشارة اليه والى أضرابه ، فهو من أعلام النبوة ،  
فتأمله فانه دقيق .

وممن أثنى على الشيخ ابن تيمية كثير من أصحاب المجالات العلمية التي تنشر في  
مصر وغيرها ، كالفاضل الكامل صاحب ( المؤيد الأغر ) الذي فاق البلغاء الاولين في  
تحريره وبيانه ، ووقوفه ومزيد عرفانه ، وهو الذي اذا حرر حبر ، واذا تكلم حبر ، فسح  
الله تعالى في مدته ، وهو لم يزل يثني على الشيخ ويحث على نشر كتبه واقتنائها ،  
ويكبح المنكرين عليه ، جزاه الله عن المسلمين خيرا ، وكثر أمثاله فيهم .

وممنهم صاحب ( مجلة المنار ) وهو الفاضل الذي ظهر فضله ظهور الشمس في  
رابعة النهار ، ومجلته كأنها روضة نقطها الغمام قطرا ، ونسيم اسحار هيبن على قلب  
متميم قد توقد جمرًا ، أودع فيها دواء الإسقام الروحانية ، وترياق العلل الجسمانية ،

قد شيد فيها أركان الاسلام ، ورفع فيها فواعد الاحكام ، وكم جلا فيها عن وجه الحق ما انسدل عليه من الحجب ، وأوضح دقائق الحقائق التي أجتتها بطون الكتب ، وأنتى على شيخ الاسلام وأشاع فضله بين الانام . نسأله تعالى أن يحتظه من طوارق الأيام ويصمره من كيد اللئام .

ومنهم الفاضل العلامة الذي حلّى حيد الفضل بسا أملى ، حتى غدا بكل منقبة أخرى وأولى بما أولى ، الذي أسرح خيول المجد ، وألجم أفواه الحساد ، وأفام ما تهدم من أركان الفخر . وأقعد على الأعجاز أرباب العناد ، ألا وهو رفيق بك العظم نزيل القاهرة ، حرسه الله تعالى وأيد به المعالي ، وحفظه من مزعجات الأيام والليالي ، فانه قال في كتابه ( تنبيه الافهام الى مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام ) من جملة كلام طويل مانصه : لم يقف الجمود بعلماء المتأخرين عند هذا الحد ، بل تجاوزوه الى ما هو أعظم نكالا وأشد ، فانهم لما استرسلوا بالتقليد ، وحرّموا على أنفسهم العمل بنصوص الكتاب والسنة . الا ماجاء منها بالعرض عن طريق الشيوخ - وأصبحوا حيارى في مدافعة البدع والأضاليل التي خالطت أوهام المسلمين ، وأدتهم من الوثنية بمقدار ما أقصاهم عنها الاسلام : آلف بعضهم من هذه البدع ما ألفته تموس العامة . ونزلته منزلة العقائد الدينية ، وفيها ما يصادم أصول الدين ، فجعلوا يبدعون كل منكر لهذه البدع قائل بالرجوع الى سذاجة الدين والعمل بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين ، ويستعملون في تبديع من هذا شأنه من أساليب التعسف ما يشعر بتناهي ضعف العلم وفساد ملكة الحق عند المتأخرين ، يدلك على هذا أن أحدهم لما يريد تبديع منكري هذه البدع أو تكفير مجتهد بمسألة من المسائل مثلا ويرى أن أدلتهم من الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة وأنه لا سبيل له لارتيان بدليل منها، يصاد أدلتهم لأن نص الصحيح لا يصاد نص الصحيح يعمد الى حديث موضوع أو قول من أقوال الشيوخ فيجعله حجة له على أولئك بازاء حجتهم من الكتاب والسنة الصحيحة ، أو يجمع نصوصا متفرقة يتصد كل منها بمعناه وجها مخصوصا فيستنتج منه حكما يطابق هواه مخالفا في هذا طريقة السلف ، ولم هذا ؟ لأنه لم يلتمس في مناظرته بيان الحق وتمحيص الحقائق ، وانما هو يلتمس رضا العامة بمجاراة أفكارهم ابتغاء الزلفى عندهم ، وتعظيمهم له . أو هو يحاول التماس المذرة أمام النفس التي يتجلى لها الحق فيصدها عنه مرغما بحكم العادة والتقليد ، (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ) .

ومن أراد شاهدا على هذا فليراجع كتاب ( جلاء العينين في محاكمة الأحمدين )  
ليرى كيف أن بعض العلماء المعاصرين لشيخ الاسلام ابن تيمية كفر - تعسفا واقتراء  
هذا الشيخ الجليل المعدد من نوابغ علماء الاسلام وأئمة الهدى المصلحين ، تنفرده  
في عصره بالانكار الشديد على أهل البدع التي انتشرت يومئذ بين المسلمين ، ويبان  
ما أصبحت عليه الامة من الزيغ في العقائد عن طريق الصحابة والتابعين ، حاثا على  
الرجوع الى سداجة (١) الدين ، وتطهير العقيدة من شوائب المبتدعين ، مستندا في  
كل ما قاله وأمله على الكتاب العزيز والسنة الصحيحة .

فهل بعد تكفير من يقول بمثل هذا القول من حجة على فساد ملكات العلماء  
وانحطاط درجة التعليم بين المسلمين ؟ وهل يعجب من تدني عامة الأمة الى الدرجة  
التي هم فيها اليوم من فساد العقيدة والاخلاق بعد وصول علمائهم الى هذا الحد من  
سوء التعلم والتعليم ؟ انتهى كلام هذا الفاضل .  
فانظر الى قوة هذا الكلام وانصاف قائله ، لاهتك الله له حريسا ولا مزق له  
أديما .

ومنهم العلامة المفضل ، المتميز بين أقرانه بالأدب والكمال ، الذي أوقد  
للمشكلات سراجا من فكره غدت ذبالة لمداراة فراش أذهان الطلاب قطبا ، وأجرى  
من صخور العويصات سلسيلا فراتا وماء عذبا ، خلف الأوائل ، وشرف الأواخر .  
والامائل ، السيد محمد بدر الدين الحلبي ، لازالت بحار علومه تقذف بالدرر ، ولا  
يرحت غرر طروسه مزينة بالطرر ، فقد أجرى من ياقوته فكره السيلة بحارا ، وأعلى  
للفضل بنير ذهنه منارا ، حيث ألف كتابه الفريد في بابه ، وأبدع كل الابداع في  
فصوله وأبوابه ، وأتى فيه بما لم يسبق اليه ، ولم يقدم أحد من السابقين عليه ،  
وهذا الفاضل لم يزل يعطر محافل العلماء بنشر مناقب شيخ الاسلام وأصحابه ،  
ويجادل عنه تقريرا وتحريرا انتصارا للحق وشغفا به ، وكم ألقم الخصم الألد حجر  
السكوت ، وتركه من غيظه وخجله يكاد يموت ، متع الله تعالى بحياته أرباب الاستفادة  
وأسبغ نعمه عليه حتى ينال من كل خير مراده .

ومنهم الذكي الذي أذكى بوقاد ذهنه ذبالة نبراس الفضل بعد انظافها ، والألمعي  
الذي لمعت أشعة فكره على دارس الفواضل فأحيها بعد فنائها ، العالم الأفضل  
والكامل الأكمل ، أبو الهمم محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس ، لازالت بدور  
فلك العرفان مقتبسة من أنوار شمس كماله أعظم قيس ، فانه حفظه الله تعالى منذ

(١) كذا هنا وفي الصفحة قبلها وهذه الكلمة ترد صفة نقص فلعلها هنا تصحفت من سماحة او نحوها .



جرى جواد قلمه في مضمار ميادين القرائيس ، وترع لسان بيانه بجول في عرصات الدرس والتدريس ، لم يزل مشغولاً بذلك الامام ، ذاكر المحامده ومناقبه بين الخاص والعام ، قد ملا المجلات المصرية الشهيرة ببيان فضائله ومعارفه ، وما كان عليه من الدرجة الرفيعة ، وما بث من الدقائق في صحائفه ، وكم ترك خصومه ومن فاواه حيارى ، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ، لازال بالخير محفوفاً ، ولا برح حائزاً من الفضائل صنوفاً الى غير أولئك من الأكارب ، ممن لا تستوعبهم الدفاتر ، ولعل الله تعالى يسر لنا افراد كتاب نجمهم فيه ، ونستوعب من تكلم في مناقب الشيخ من أكابر أفاضل هذا العصر ، ونذكر ما لهم في هذا الباب من النصوص والعبارات ، وما لهم من النظم والنثر في مديحه ليكون ذلك سفراً من أجل الأسفار ، والله موفق .

( فيا أيها النبهي ) قد سمعت ما سمعت من تقريري وبياني ، فهل بقي لك لوم على مصنف جلاء العينين ووالده بسبب ما كان منهما من الانتصار للحق والذب عن السنة وابطال البدع التي هي غذاء روحك الخبيثة ؟ وقد سبقهما في ذلك علماء أعلام ، ومشايخ عظام ، ومن كان له انصاف من ذوي الفضل الكرام ، وأظن أنه لجهله لم ير في عمره مما ألف في هذا الباب سوى كتاب جلاء العينين ، ولم يعرف معناه ، بل لم يحسن أن يقرأ عبارة لفظه ومبناه ، فلذلك جعله سبابة المتندم ، وخصه ومؤلفه بشتمه وسبه كما شتم شيخ الاسلام وأكابر أصحابه اقتداءً بشايخه السبكي وولده وابن حجر ، وقلدهم تقليد أعمى ، ولم يلتفت الى الدليل ، وقد كفيناه وأعطيناه حقه بل زدناه كما قد قيل :

ان السؤال والجواب مثلما      قد قيل في التمثيل أنشى وذكر

ونحن قد تطفلنا على هذا البحث فمن الواجب أن يرد على ذلك الزائغ بعض أبناء مصنف جلاء العينين ، فقد بلغني أن فيهم أفاضل فكان من حقهم أن يذبوا عن والدهم ، ويلقموها هذا الخصم الذي خطا خطوات العدوان بحجر سكوت ، ولكن اعراضهم عن ذلك اما لعدم وصول الكتاب اليهم واما عدم مبالاة بسا كان من الجاهل النبهي ، كما قال القائل :

عذرت البزل ان هي خاطر تني      فما بالي وبال ابن اللبون

فان نبج الكلاب لا يضر السحاب ، وطنين الذباب لا يخاف منه أولو الألباب ،  
وما أحسن ما قال ابن سند أحد سكنة العراق من علماء نجد :

يامعهد الزينج لاحياك مبتكر  
ولا أنبني فيك فسظاظ السعود ولا  
ولا عداك البلى في كل آونة  
اذ أنت دمنة خبت ظالمما رتعت  
من كل من خبت منه ضمائر  
رأى خيار الورى طرا فجانبهم  
وصار يرميهم منه بكل هجاء  
وما على العنبر الفواح من حرج  
أو هل على الأسد الكرار من ضرر  
أو هل على أنجم الخضراء منقصة  
فلا وربك لايزرى بشمس ضحى  
وقد يعيب الفشى من ليس يدركه  
كما يعيب فتاة راق منظرها  
والزج يحسد لؤما خرص سمهره  
فلا يضر أولي الفضل الألى سبقوا  
مثل الأسنة والأسياف ما برحت

من السحاب ضحوك البرق منهل  
أقيم فيك لا بكار الرضا كلل  
حتى تزول الجبال الشم والقمل  
فيها من الحمر الأهلية همسل  
اذا انقضى دخل منها أتى دخل  
كذا يجانب أرباب العلى السفل  
وما على البدر لو أزرى به طفيل  
ان مات من شمه الزبال والجعل  
ان ينهق العير مربوطا أو البغل  
ان عابها من حصى الغبراء منجدل  
أعابها الجدي أم قد عابها الحمل  
اذ كل ضد بدم الضد مشتغل  
قبيحة ويعيب الصائب الخطسل  
كذلك يهجو الشجاع الباسل الفشل  
من صحب خير الورى ان ذمهم سفل  
بظعن أعدائهم والضرب تنصقل

( وقد آن أن نشرع ) بما وعدنا به من نقل كتاب ( الكواكب الدرية ) للشيخ  
مرعي الحنبلي فانها على اختصارها حوت ملخص أحوال الشيخ وما كان عليه ، فانه  
بعد خطبة الكتاب ذكر الكتب التي لخص منها مباحث كتابه ، ثم ذكر ترجمة الشيخ  
ونسبه ، ثم ذكر ثناء الأئمة عليه ، ثم أفرد فصلا عد فيه بعض مصنفاته وذكر سعة  
حفظه وقوة ملكته ، ثم أورد فصلا في ذكر بعض مآثره الحميدة وصفاته السديدة ،  
وفصلا آخر في تمسكه بالكتاب والسنة ، وآخر في محنته وتمسكه بالطريقة السلفية ،  
وما كان من الشيخ نصر المنبجي من العداوة ، ثم أفرد فصلا في سفر الشيخ انى مصر  
وما صادفه من المحنة ، ثم ذكر ما وقع له بعد عوده الى دمشق ، وما كان له من  
الاختيارات ، ثم ذكر قصة حبس الشيخ بقلعة دمشق الى وفاته ، ثم ذكر قوله في  
مسألة السفر الى زيارة القبور وصورة السؤال وجواب الشيخ فيها ، ثم ذكر ما كان  
من انتصار علماء بغداد له يومئذ ، وجواب الشيخ جمال الدين الحنبلي رحمه الله ،  
وأجوبة أخرى موافقة لقول الشيخ ، وما كتبه علماء بغداد للملك الناصر من الثناء

على الشيخ ، ثم ذكر وفاته وما كان من الاحتفال بجنازته ، ثم ذكر الشعر الذي رثوه به ، ثم ختم الكتاب بالموعظة والتحذير من التعرض للعلماء .

هذا مجمل ما في الكتاب ، وهي مطالب عالية - كلها شجى في آفواه الغسلاة ، وكلها ترد على هديان النبهاني وأضرابه ، وتبين الحق لطالبه ، وتوضح الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . وهانحي نقل ما ذكره من تفصيل ذلك الاجمال ، ومنه سبحانه الهداية وهو المستعان :

قال رحمه الله بعد البسلة : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله وسجبه أجمعين ، ورضي الله عن العلماء العاملين ، والأئمة المجتهدين ، والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين ، وبعد ، فهذه فوائد لطيفة ، وفوائد شريفة ، في مناقب شيخ الاسلام ، وبحر العلوم ، ومفتي الفرق ، المجتهد أحمد تقي الدين بن تيمية . اجتمعت ( من مناقبه ) للشيخ الحافظ الامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحلیم بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي ( ومن مناقبه ) للشيخ الامام الأوحدي الحافظ سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن موسى البزار ( ومن مناقبه ) للشيخ الامام العالم أوحده الأدباء وشيخ الفضلاء شهاب الدين أحمد ابن القاضي محي الدين يحيى بن العمري الشافعي .

( فأقول وبالله التوفيق ) ابن تيمية هو الشيخ الامام العالم العامل الرباني ، امام الأئمة ، وعلامة الأمة ، ومفتي الفرق ، وبحر العلوم ، وسيد الحفاظ ، وفارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر ، ووحيد الدهر ، شيخ الاسلام ، بركة الأنام ، علامة الزمان ، وترجمان القرآن ، عالم الزهاد ، وأوحد العباد ، قانع المتدعين ، وآخر المجتهدين ، تقي الدين ، أبو العباس ، أحمد بن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحلیم بن الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن أبي محمد عبد الله ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني نزيل دمشق ، وصاحب التصانيف التي لم يسبق الي مثلها ، كذا ترجمه بهذه الترجمة ابن قدامة المتقدم .

( واختلف ) لم قيل ابن تيمية ؟ فقيل : ان جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء فرأى هناك طفلة ، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا فقال يا تيمية يا تيمية فلقب بذلك ، وقيل ان جده محمدا كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب اليها وعرف بها .

( ولد رحمه الله تعالى ) بحران يوم الاثنين عاشر وقيل ثاني عشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستائة ، وبقي بحران الى أن بلغ سبع سنين ، ثم بعد ذلك هاجر والده به وباخوته الى الشام عندجور التتر ، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب ، فكاد العدو يلحقهم ووقفت العجلة ، فابتهلوا الى الله سبحانه واستغاثوا به فنجوا وسلموا ، وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين ، فشأ بدمشق أنم انشاء وأزكاه ، وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه ، وكانت مخائل النجابة عليه في صغره لائحة ، ودلائل العناية فيه واضحة ، فلم يزل منذ ابان صغره مستغرق الأوقات في الجد والاجتهاد ، وختم القرآن صغيرا ، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه العربية حتى برع في ذلك مع ملازمته مجالس الذكر ، وسامع الأحاديث والآثار ، ولقد سمع غير كتاب علي غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية ، أما دواوين الاسلام الكبار كمسند الامام أحمد ، وصحيح البخاري ، ومسلم ، وجامع الترمذي ، وسنن أبي داود السجستاني ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدارقطني . فانه سمع كلا منها مرات عديدة ، وأول كتاب حفظه في الحديث الجمع بين الصحيحين للامام الحميدي - كذا قال الشيخ الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر - وسمع من مشايخ كابن عبد الدائم المقدسي وطبقته ، وطلب بنفسه قراءة وسامعا من خلق كثير ، وقرأ الكتب الكبار ، وكتب الطبايق والاثبات ، ولازم السماع واشتغل بالعلوم ، قال ابن عبد الهادي بن قدامة : وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ ، وسمع مسند الامام أحمد مرات ، وسمع الكتب الكبار والأجزاء ، ومن مسوغاته معجم الطبراني الكبير ، وعني بالحديث ، وقرأ ونسخ وانتقى وتعلم الخط والحساب في الكتاب ، وحفظ القرآن ، وأقبل على الفقه وقرأ في العربية ، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه وبرع في النحو ، وأقبل على التفسير اقبالا كلياً ، حتى حاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك ، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة ادراكه ، انتهى .

( فصل في ثناء الأئمة على ابن تيمية ) قد أكثر أئمة الاسلام من الثناء على هذا الامام ، كالحافظ المزي ، وابن دقيق العيد ، وأبي حيان النحوي ، والحافظ ابن سيد الناس ، والعلامة كمال الدين ابن الزملكاني ، والحافظ الذهبي ، وغيرهم من أئمة العلماء .

( قال جمال الدين ) أبو الحجاج المزي عن ابن تيمية : مارأيت مثله ، ولا رأى

هو مثل نفسه ، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لها منه .  
 ( وقال القاضي ) أبو الفتح ابن دقيق العيد : لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا  
 كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد ، وقلت له : ما كنت أظن أن الله بقي  
 يخلق مثلك .

( وقال الشيخ ابراهيم الرقي ) الشيخ تقي الدين يؤخذ عنه ويتخذ في العلوم .  
 فان طال عمره مآل الأرض علما وهو على الحق ، ولا بد ما يعاديه الناس فانه وارث علم  
 النبوة .

( وقال قاضي القضاة ) أبو عبد الله ابن الحريري ان لم يكن ابن تيمية شيخ  
 الاسلام فمن هو ؟

( وقال أبو حيان ) شيخ النحاة لما اجتمع بابن تيمية ما رأيت عينا ي مثله ، ثم  
 مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس وقال :

لما أتينا تقي الدين لاح لنا	داع الى الله فردا ماله وزر
على محياه من سيما الألى صجبا	خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهرنا حبرا	بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم اذ عصت مضر
وأظهر الحق اذ آثاره درست	وأحمد الشر اذ طارت له شرر
يامن يحدث عن علم الكتاب أصخ	هذا الامام الذي قد كان ينتظر (١)

( وقال العلامة ابن الوردي ) ناظم البهجة في رحلته - لما ذكر علماء دمشق وترك  
 التعصب والحمية - وحضرت مجالس ابن تيمية فاذا هو بيت القصيدة ، وأول  
 الخريدة ، علماء زمانه فلك هو قطبه ، وجسم هو قلبه ، يزيد عليهم زيادة الشمس  
 على البدر ، والبحر على القطر ، حضرت بين يديه يوما فأصبت المعنى ، وكناني وقبل  
 بين عيني اليمنى ، وقلت :

ان ابن تيمية في	كل العلوم أوحد
أحييت دين أحمد	وشرعه يا أحمد

( وقال الحافظ فتح الدين ) أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري المصري - بعد  
 أن ذكر ترجمة الحافظ المزني - وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الامام شيخ  
 الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ،

( ١ ) وفي نسخة : كما تحدث عن حبر يجيء فيها انت الامام الذي قد كان ينتظر

هذا التعلق وجد بالاصل فجرى ابقاؤه كما هو : المصحح

فالفقيه ممن أدرك من العلوم حظاً ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً ، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته ، تبرز في كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه ، كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجيم الغفير ، ويردون من بحر علمه العذب النмир ، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير . الى أن دب اليه من أهل بلده داء الحسد ، وألب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه من أمور المعتقد ، فحفظوا عنه في ذلك كلاماً أوسعود بسببه ملاماً ، وفوقوا لتبديعه سهاماً ، وزعوا أنه خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، يسومونه ريب المنون ، وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ، ولم يزل بمجلسه الى حين ذهابه الى رحمة الله ، واني الله ترجع الأمور ، وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

( ثم قال ) قرأت على الشيخ الامام حامل راية العلوم ومدرك غاية الفهوم تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله ، بانقاهرة قدم علينا ، ثم ذكر حديثاً من جزء ابن عرفة .

( وقال الشيخ علم الدين البرزالي ) في معجم شيوخه : أحمد بن عبد الحلیم ابن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيسية الحراني الشيخ تقي الدين أبو العباس الامام المجمع على فضله ونبله ودينه قرأ القرآن وبرع فيه والعربية والأصول ، ومهر في علم التفسير والحديث ، وكان اماماً لا يلحق غباره في كل شيء وبلغ رتبة الاجتهاد ، واجتمعت فيه شروط المجتهدين ، وكان اذا ذكر التفسير بهت الناس من كثرة محفوظه وحسن ايراده ، واعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والابطال ، وخوضه في كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب ، هذا مع انقطاعه الى الزهد والعبادة ، والاشتغال بالله تعالى ، والتجرد من أسباب الدنيا ، ودعاء الخلق الى الله تعالى ، وكان يجلس في صبيحة كل جمعة يفسر القرآن العظيم ، فالتفتع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته وصفاء ظاهره وباطنه وموافقة قوله لعمله وأذاب الى الله تعالى خلق كثير ، وجرى على طريقة واحدة من اختيسار الفقر والتقلل من الدنيا رحمه الله تعالى .

وقال العلامة الزمكاني أحد أئمة الأعلام : لقد أعطى ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف ، وجودة العبارة والترتيب ، والتقسيم والتبيين ، وقد ألان الله له

العلوم كما ألان لداود الحديد ، كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله ، وكان الفتفاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها الا فاق فيه أهله والمنسويين اليه ، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف . ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر فكتب فيها مجلدة كبيرة ، وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود فكتب فيها مجلدة كبيرة أيضا ، ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة ؛ ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها •

وقال عن كتاب ( بيان الدليل على بطلان التحليل ) من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الامام العالم العلامة الأوحيد البارع الحافظ الزاهد الورع القدوة الكامل العارف تقي الدين شيخ الاسلام ، مفتي الأنام ، سيد العلماء ، قدوة الفضلاء ، ناصر السنة ، قانع البدعة ، حجة الله على العباد ، راد أهل الزيغ والعناد ، أوحيد العلماء العاملين ، آخر الأئمة المجتهدين ، أبي العباس أحمد بن تيمية ، حفظ الله على المسلمين طول حياته . وأعاد عليهم من بركاته ، انه على كل شيء قدير •

وقال عن كتاب ( رفع الملام عن الأئمة الاعلام ) تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الأوحيد الحافظ المجتهد الزاهد ، العابد القدوة ، امام الأئمة ، وقدوة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، آخر المجتهدين ، أوحيد علماء الدين ، بركة الاسلام ، حجة الاعلام ، برهان المتكلمين ، قانع المبتدعين ، محيي السنة ومن عظمت به الله علينا المنة ، وقامت به على أعدائه الحجة ، واستبان بركته وهدية المحجة : تقي الدين أحمد ابن تيمية ، أعلى الله مناره ، وشيد به من الدين أركانه ، ثم قال :

ماذا يقول الواصفون له      وصفاته جلت عن الحصر  
هو حجة لله قاهرة      هو بيننا أعجوبة الدهر  
هو آية في الخلق ظاهرة      أنوارها أربت على الفجر

(وقال الشيخ الامام القدوة) الزاهد ، عماد الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم الواسطي : شيخنا السيد الامام ، العلامة الهمام ، محيي السنة ، وقانع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتي الفرق ، الفاتق عن الحقائق ، ومؤصلها بالأصول الشرعية للطالب

الفائق ، الجامع بين الظاهر والباطن ، فهو يقضي بالحق ظاهرا وقلبه في العلى قاطن ،  
انموذج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ،  
ونسيت الأمة حذوهم وسيلهم ، فكان في دارس نهجهم سالكا ، ولأعنة قواعدهم  
مالكا : الشيخ الامام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن  
تيسية ، فوالله ثم والله ثم والله لم يرتحت أديم الساء مثله علما وحالا ، وحنانا واتباعا ،  
وكرما وحلما في حق نفسه ، وقياما في حق الله عند انتهاك حرماته ، أصدق الناس  
عقدا ، وأصحهم علما وعزما ، وأعلامهم - في انتصار الحق وقيامه - همة وأسخامهم  
كفا ، وأكملهم اتباعا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأطال في ترجمة الشيخ •

( وقال الحافظ الناقد أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ) نشأ - يعنى الشيخ  
تقي الدين رحمه الله - في تصون تام ، وغفاف وتأله ، وتعبد ، واقتصاد في الملبس  
والمأكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، وينظر ويفهم الكبار ، ويأتي بما  
يتحير منه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل ، وشرع في الجمع  
والتأليف من ذلك الوقت ، وأكب على الاشتغال ، ومات والده وكان من كبار الحنابلة  
وأئمتهم ، فدرس بعده بوظائفه وله احدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره وبعد صيته في  
العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه ، فكان يورد  
المجلس ولا يتلثم ، وكان يورد الدرس بتؤدة وصوت جهري فصيح ، وكان آية  
في الذكاء وسرعة الادراك ، رأسا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحرا في  
النقلات ، هو في زمانه فريد عصره علما وزهدا وشجاعة وسخاء وأمرا بالمعروف  
ونها عن المنكر ، وكثرة تصانيف ، وقرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه ، وتأهل  
للتدريس والفتوى ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وتقدم في علم التفسير والأصول ،  
وجميع علوم الاسلام أصولها وفروعها ، ودقها وجلها ، فان ذكر التفسير فهو حامل  
لوائه ، وان عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق ، وان حضر الحناظ نطق وخرسوا ،  
وسرد وأبلسوا ، واستغنى وأفلسوا ، وان سمى المتكلمون فهو فردهم واليه مرجعهم ،  
وان لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلسهم وتيسهم ، وهتك أستارهم ، وكشف عوارهم ،  
وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة ، وهو أعظم من أن يصفه كلسي ، أو  
ينبه على شأوه قلبي ، فان سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته تختمل أن توضع  
في مجلدين ، فالله تعالى يغفر له ويسكنه أعلى جنته ، فانه كان رباني الأمة ، وفريد  
الزمان ، وحامل لواء الشريعة ، وصاحب معضلات المسلمين ، رأسا في العلم ، يبالغ



في اطراء قيامه في الحق والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مبالغة مارأيتها ولا شاهدها من أحد ، ولا لاحظتها من فقيه ، قال وكان له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، وقل أن يتكلم في مسألة الا ويذكر فيها أقوال المذاهب الأربعة وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة ، وصنف فيها واحتج له بالكتاب والسنة .

ولما كان معتقلا بالاسكندرية التمس منه صاحب سبته أن يجيز له مروياته وينص على أسماء جملة منها ، فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدھا من حفظه ، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر محدث يكون ، وله الآن عدة سنين لايفتي بمذهب معين بل بما قام الدليل عليه عنده ، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية ، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق اليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لامزيد عليه ، وبدعوه وناظروه وكابروه ، وهو ثابت لايداهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي أداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال مع ما اشتهر منه من الورع وكمال الفكر وسرعة الادراك والخوف من الله العظيم والتعظيم لحرمان الله ، فجرى بينه وبينهم حملات حربية ، ووقعات شامية ومصرية ، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله ، فانه دائم الابتهال كثيرا الاستغاثة قوي التوكل ثابت الجأش ، له أوراد وأذكار يدمنها ، وله من الطرف الآخر محبوبون من العلماء والصلحاء ، ومن الجند والأمراء ، ومن التجار والكبراء ، وسائر العامة تجبه لأنه منتصب لنفعهم .

( وأما شجاعته ) فيها تضرب الأمثال ، وبعضها يتشبهه أكابر الأبطال ، ولقد أقامه في نوبة غازان وقام بأعباء الأمر بنفسه ، وقام وقعد ، وطلع وخرج ، واجتمع بالملك مرتين ، وبخطلو شاه ، وبيولاي ، وكان فنجق يتعجب من اقدامه وجرأته على المغول ، وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه ليث حرب ، وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أنني مارأيت بعيني مثله ، ولا والله مارأى هو مثل نفسه .

( وقال في مكان آخر في ترجمة طويلة ) وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم ، وتعديلم وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث ، وبالعالي والنازل ، وبالصحيح والسقيم ، مع حفظ لمثونه الذي انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه ، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه ، واليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة

والمسند ، بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله ، غير أنه يعترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يعترفون من السواقي .  
( وأما التفسير ) فمسلم اليه ، وله في استحضار الآيات من القرآن وقت اقامة الدليل بها على المسألة قوة عجيبة ، واذا رآه المقرري تحير فيه ، ولفرط طول باعه في التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين ، ويوهي أقوالا عديدة ، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث ، ويكتب في اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصول أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد ، وما أبعد أن تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد ، وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد ، ثم ذكر بعض تصانيفه رحمه الله .

( وكتب الذهبي ) طبقة بخطه يقول فيها : سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الامام العالم العلامة الأوحى شيخ الاسلام مفتي الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم حبر القرآن تقي الدين سيد العباد أبي العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه .

( وقال الشيخ علم الدين ) رأيت اجازة بخط الشيخ تقي الدين وقد كتب تحتها الشيخ شمس الدين الذهبي : هذا خط شيخنا الامام شيخ الاسلام فرد الزمان بحر العلوم تقي الدين ، مولده عاشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستمائة ، وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة ، وصنف التصانيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه ، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع ، وكان يتوقد ذكاء ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ ، ومعرفته بالتفسير اليها المنتهى ، وأما حفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه .

وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيراً ، وعريته قوية جدا ، وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجب عجب ، وأما شجاعته وجهاده واقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت ، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل ، وفيه زهد وقناعة باليسير من المأكل والملبس ، انتهى كلام الذهبي ولقد أنصف رحمه الله تعالى .

( وقال بعض قدماء أصحاب الشيخ ابن تيمية ) وقد ذكر نبذة من سيرته : أما مبدأ أمره ونشأته فانه نشأ من حين نشأ في حجور العلماء ، راشفا كؤوس الفهوم ، راتعا في رياض التفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون ، لايلوي الى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور وخصوصا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها ، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا سلفيا ، متألها عن الدنيا صينا تقيا ، برا بأمه ورعا عفيفا ، عابدا ناسكا صواما قواما ذاكرا لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال، راجعا الى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا ، وقافا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ولا ترتوي من المطالعة ، ولا تمل من الاشتغال ولا تكل عن البحث ، وقل أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه الا ويفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله مقصودة بالكتاب والسنة ، ولقد سمعته في مباهدي أمره يقول انه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل علي فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينجلي اشكال ما أشكل ، قال وأكون اذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار الى أن أنال مطلوبي ، قال : ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة اذا اجتمعت بالشيخ ابن تيمية في ختمة أو مجلس ذكر خاص مع المشايخ وتذاكروا وتكلم مع حدائة سنه أجد لكلامه صولة على القلوب ، وتأثيرا في النفوس ، وهيمنة مقبولة ، ونفعا يظهر أثره وتنفع له النفوس التي سمعته أياما كثيرة ، حتى كأن مقاله بلسان حاله ، وحاله ظاهر في مقاله .

( وقال الشيخ الامام الحافظ ) شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي في كتابه المناقب : لم يبرح شيخنا يعني ابن تيمية في ازدياد من العلوم ، وملازمة للاشتغال وبث العلم ونشره ، والاجتهاد في سبيل الخير ، حتى اتهمت اليه الامامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم ، والتواضع والحلم ، والانابة والجلالة والمهابة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد ، مع الصدق والأمانة ، والعفة والصيانة ، وحسن القصد والاخلاص ، والابتغال الى الله ، وكثرة الخوف منه ، وكثرة المراقبة له ، وشدة التمسك بالأثر ، والدعاء الى الله ، وحسن الأخلاق ونفع الخلق والاحسان اليهم ، والصبر على من آذاه والصفح عنه والدعاء له ، وسائر أنواع الخير .

وكان رحمه الله سيفا مسلولا على المخالفين ، وشجى في حلق أهل الأهواء

والمبتدعين ، واماما قائما ببيان الحق ونصرة الدين ، وكان بحرا لا تكدره الدلاء ،  
 وحررا يقتدي به الأخيار الألباء ، طنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الاعصار ،  
 واشتغل بالعلوم ، وكان ذكيا كثير المحفوظ ، اماما في التفسير وما يتعلق به ، عارفا  
 بالفقه واختلاف العلماء والأصلين والنحو واللغة ، وغير ذلك من العلوم الثقلية والعقلية ،  
 وماتكلم معه فاضل في فن الاظن أن ذلك الفن فنه ، وراه عارفا به متقنا له ، وأما  
 الحديث فكان حافظا له ، مميزا بين صحيحه وسقيمه ، عارفا برجاله مضطلعان ذلك ،  
 وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع ، وأثنى عليه وعلى فضائله  
 جماعة من علماء عصره .

( وقال الشيخ الامام الفاضل الأديب ) أحمد شهاب الدين بن فضل الله العمري  
 الشافعي في تاريخه المسمى ( بمسالك الأبصار ، في ممالك الأمصار ) في ترجمة الشيخ  
 ابن تيمية - وهي طويلة تبلغ كراسة فأكثر - ( ومنهم أحمد ) بن عبد الحلیم بن عبد  
 السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ، العلامة الحافظ الحجة المجتهد المفسر ،  
 شيخ الاسلام ، نادرة العصر ، علم الزهاد ، تقي الدين ، أبو العباس أحمد بن تيمية  
 رحمه الله تعالى ، هو البحر من أي النواحي جثته ، والبدن من أي الضواحي أثنىته ،  
 رضع تدي العلم منذ فطم ، وطلع وجه الصباح ليحاكيه فلطم ، وقطع الليل والنهار  
 دائبين ، واتخذ العلم والعمل صاحبين ، الى أن أنسى السلف بهداه ، وأنأى الخلف عن  
 بلوغ مداه ، على أنه من بيت نشأت منه علماء في سالف الدهور ، وتسنت منه عظماء  
 على مشاهير الشهور ، فأحيا معالم بيته القديم اذ درس ، وجنى من فننه الرطيب  
 ماغرس ، وأصبح في فضله آية الا أنه آية الحرس ، عرضت له الكدى فزحزحها ،  
 وعارضته البحار فضحضحها ، ثم كان أمة وحده ، وفردا حتى نزل لحدده ، جاء في  
 عصر مهول بالعلماء ، مشحون بنجوم السماء ، تموج في جانبيه بحور خضارم ، وتطير  
 بين خافقيه نسور قشاعم ، وتشرق في أنديته بدور دجنة ، وصدور أسنة ، الا أن  
 صباحه طمس تلك النجوم ، وبحره طم على تلك الغيوم ، ففادت سمرته على تلك  
 التلاع ، وأطلت قسورته على تلك السباع ، ثم عبيت له الكتاب فحطم صنفوها ،  
 وخطم أنوفها ، وابتلع غديره المطمئن جداولها ، واقتلع طوده المرجحن جنادلها ،  
 وأخمدت أنفاسهم ريحه ، وأكمدت شرارهم مصايحه .

تقدم راكبا فيهم اماما      ولولاه لما ركبوا وراه

فجمع أشنات المذاهب وشنات الذاهب ، ونقل عن أئمة الاجماع فمن سواهم

مذاهبهم المختلفة واستحضرها ، ومثل صورهم الذاهبة وأحضرها ، فلو شعر أبو حنيفة بزمانه ومملك أمره لأدنى عصره إليه مقتربا ، أو مالك لأجرى وراءه أشبهه ولو كبا ، أو الشافعي لقال ليت هذا كان للام ولدا وليتني كنت له آبا أو الشيباني ابن حنبل لما لام عذاره اذ غدا منه لفرط العجب أشيبا ، لا بل داود الظاهري وسان الباطني لظنا تحقيقه من منتخله ، وابن حزم والشهرستاني لحشر كل منهما ذكره في نحلته ، أو الحاكم النيسابوري والحافظ السلفي لاضافه هذا الى مستدركه وهذا الى رحله ، ترد اليه الفتاوى ولا يردھا ، وتقد عليه فيجيب عنها بأجوبة كأنه كان قاعدا لها بعدها .

أبدا على طرف اللسان جوابه فكأننا هي دفعة من صيب

وكان من أذكى الناس ، كثير الحفظ قليل النسيان ، قلما حفظ شيئا فسيه ، وكان اماما في التفسير وعلوم القرآن ، عارفا بالفقه واختلاف الفقهاء والأصوليين ، والنحو وما يتعلق به ، واللغة والمنطق وعلم الهيئة ، والجبر والمقابلة وعلم الحساب ، وعلم أهل الكتابين وأهل البدع وغير ذلك من العلوم النقلة والعقلية ، وما تكلم معه فاضل في فن من الفنون الا ظن أن ذلك الفن فنه ، وكان حفظه للحديث مميذا بين صحيحه وسقيمہ ، عارفا برجاله ، متضلعا من ذلك ، وله تصانيف كثيرة ، وتعاليق مفيدة ، وفتاوى مشبعة في الفروع والأصول والحديث ، ورد البدع بالكتاب والسنة ، وأطال في ترجمة الشيخ رحمه الله تعالى فاقتصرنا على ذلك خوف التطويل .

( وقال الشيخ الامام الحافظ ) سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار في كتابه الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية : أما غزارة علومه فمعرفة بعلموم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واشتغاره بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحظته فان فيه من الغاية التي ينتهي إليها والنهاية التي يعول عليها ، ولقد كان اذا قريء في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقض المجلس بجملته والدرس برمته وهو في تفسير بعض آية منها ، وأما معرفته وبصره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه وغزواته وسراياه وبعوثه وما خصه الله تعالى من كراماته ومعجزاته ومعرفة بصحيح المنقول عنه وسقيمہ والمنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم وأحوالهم وأحوال مجاهداتهم في دين الله وما خصوا به من بين الأمة فانه كان رضي الله عنه من

أضبط الناس لذلك ، وأعرفهم فيه ، وأسرعهم استحضارا لما يريد منه ، فانه قل ان ذكر حديثا في مصنف أو فتوى أو استشهد به أو استدلل به الا وعزاه في أي دواوين الاسلام هو ، ومن أي قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرهما ، وذكر اسم راويه من الصحابة ، وقل أن سئل عن أثر الا وبين في الحال حاله وحال أكثره وذاكره ، ولا والله مارأيت أحدا أشد تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه ، حتى كان اذا أورد شيئا من حديثه في مسألة ويرى أنه لم يجه غيره من حديثه يعمل ويقضي ويفتي بمقتضاه ، ولا يلتفت الى قول غيره من المخلوقين كأئنا من كان ، ومنحه الله تعالى بمعرفة اختلاف العلماء ونصوصهم وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل وما روي عن كل منهم من راجح ومرجوح ومقبول ومردود في كل زمان ومكان ونظره الصحيح الثاقب الصلب للحق مما قالوه ونقلوه وعزوه ذلك الى الأماكن التي بها أودعوه ، حتى كان اذا اشتغل عن شيء من ذلك كان كأن جميع المنقول فيه عن الرسول وأصحابه والعلماء من الأولين والآخرين متصور ومسطور بازائه يقول منه مايشاء ويذر مايشاء ، وهذا قد اتفق عليه كل من رآه ، وقل كتاب من فنون العلوم الا وقد وقف عليه ، فكأن الله تعالى قد خصه بسرعة الحفظ وبطء النسيان ، لم يكن يقف على شيء ويسمع بشيء غالبا الا ويبقى على خاطره ، اما بلفظه أو معناه ، وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائرته ، فانه لم يكن له مستعارا بل كان له شعارا وديارا ، جميع الله له ماخرق له العادة ، ووفقه في جميع عمره لاعلام السعادة ، وجعل مآثره لامامته من أكبر شهادة ، حتى اتفق كل ذي عقل سليم أنه ممن عني نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله : ( ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها ) فلقد أحيا الله تعالى به ما كان قد درس من شرائع الدين ، وجعله حجة على أهل عصره أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

( وبالجملة ) فكللام الأئمة بالثناء عليه مما يطول ، وفيما ذكرناه كفاية تبدل على علو رتبته ورفيع شأنه ومرتبته رضي الله تعالى عنه آمين .  
وأنتى عليه كثير من الفضلاء بالقصائد في حال حياته فمن ذلك قصيدة نجم الدين اسحاق ابن أبي بكر التركي وهي :

ذرائي من ذكرى سعاد وزينب      ومن ندب اطلال اللوى والمحصب  
ومن مدح آرام سنحن برامة      ومن غزل في وصف سرب وربرب

ولا تشداني غير شعر الى العلى  
وان أتما طارحتماني فليكن  
بجب المعالي لا بجب ام جنس  
خلقت امرءا جلدا على حملي الهوى  
سواء أرى بالوصل تقريض جؤذر  
ولم أصب في عصر الشيبة والصبا  
يعنفي في بغيتي رتب العلى  
له همة دون الحضيض محلها  
فلو كان ذا جهل بسيط عذرتة  
يقول علام اخترت مذهب أحمد  
وهل في ابن شيبان مقال لقائل  
أليس الذي قد طار في الأرض ذكره

الى أن قال

يظل ارتياحا يزدهيني ويظبي  
حديثكما في ذكر مجد ومنصب  
أقضي لبانات الفؤاد المذبذب  
فلست أبالي بالقسلى والتجنب  
أو أعراض طبي ألعس الثغر أشنب  
فهل أصبون كهلا بلمة أشيب  
جهول أراه راكبا غير مركبي  
ولي همة تسمو على كل كوكب  
ولكنه يدلي بجهل مركب  
فقلت له اذ كان أحمد مذهب  
وهل فيه من طعن لصاحب مضرب  
وطبقها ما بين شرق ومغرب

وقد فاضت الأهواء من كل مشعب  
على دينهم طعن امريء جاهل غبي  
الى الحشر لم يغلبهم ذو تغلب  
هداة الى العلى مصايح مرقب  
لاظهار دين الله أهل تعصب  
تشعب فيه السراي أي تشعب  
لسبع مئين بعد هجرة يثرب  
وينقذها من قبضة المتعصب  
نجيب أتانا من سلالة منجب  
بحكمته فعل الطيب المجرب  
قريب الى أهل التقى ذو تحجب  
وعن مشهد الاحسان لم يتغيب  
اذا لم يطع في الله لله يعضب  
واظهار دين الله أربح مكسب  
ضلالة كذاب ورأى مكذب

امام الهدى الداعي الى سنن الهدى  
وأصحابه أهل الهدى لا يضرهم  
هم الظاهرون القائمون بدينهم  
لنا منهم في كل عصر أئمة  
فأيدهم رب العلى من عصابة  
وقد علم الرحمن أن زماننا  
فجاء بجبر عالم من سراتهم  
يقيم قناة الدين بعد اعوجاجها  
فذلك فتى تيمية خير سيد  
عليهم بأدواء النفوس يسوسها  
بعيد عن الفحشاء والبغي والأذى  
يغيب ولكن عن مساو وغيبة  
حليم كريم مشفق بيد أنه  
يري نصره الاسلام أكرم مغنم  
وكم قد غدا بالقول والفعل مبطلا

وآخر عن نهج السبيل منكب  
من المصطفى قدما حيي بن أخطب  
من المرتضى في حربه رأس مرجب  
بجبل الهدى تقهر عدلك وتغلب  
سوى حائر في أمره ومذبذب  
مسيلمته منهم يلوذ بأشعب  
يمدك منهم موكب بعد موكب  
لعمر أبي قد زاد منهم تعجبي  
ضحى وضياء الشمس لم يتحجب  
وكم مهلك صد الورى دون مطلب  
فتى العلم كهل الحلم شيخ التأذب  
بتهديه تعجيز كل مهذب  
سوى الحسن البصري وابن المسيب  
فذاك الذي قد رام عنقاء مغرب  
حيي الدين حتى بالأمانة قد حيي  
وبالمال والأهلين والأم والأب  
به عرضا يفتنى ولا نيئل منصب  
وأرجو به غفران زلة مذنب

(وقال القاسم ابن محمود بن عساكر)

تقي الدين أضحى بحر علم  
أحاط بكل علم فيه نفع  
وقصائد مدحه في حياته كثيرة، وكذلك بعد وفاته كما سيأتي ان شاء الله تعالى

(فصل في تصانيف ابن تيمية وسعة حفظه وقوة ملكته رحمة الله عليه)  
قد مرت الاشارة الى ذلك في كلام الأئمة وقول العلامة ابن الزمكاني لقد  
أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم  
والتبيين وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد، وتقدم قول الحافظ الذهبي  
وما بعد أن تصانيفه الآن تبلغ خمسمائة مجلد.

(وقال الشيخ ابن عبد الهادي بن قدامة) للشيخ رحمه الله تعالى من التصانيف



والفتاوى والتواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد مالا ينضب ، قال ولا أعلم أحدا من متقدمي الأئمة ولا متأخريهم جمع مثل ما جمع ، ولا صنف نحو ما صنف ، ولا قريبا من ذلك مع أن أكثر تصانيفه انما أملاها من حفظه ، وكثيرا منها صنفه في الحبس ، وليس عنده ما يحتاج اليه من الكتب •

فمن ذلك ما جمعه في التفسير وما جمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم ، وذلك أكثر من ثلاثين مجلدا ، وقد بيض أصحابه بعض ذلك وكثير منه لم يكتبوه ولو كتب كله لبلغ خمسين مجلدا ، وكان رحمه الله تعالى يقول: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ، ثم أسأل الله تعالى الفهم وأقول يا معلم ابراهيم علمني ، وكنت أذهب الى المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله تعالى وأقول يا معلم ابراهيم فهمني •

(وقال أبو حفص ) عمر البزار في المناقب : وأما مؤلفاته ومصنفاته فانها أكثر من أن أقدر على احصائها ، بل هذا لا يقدر عليه أحد ، لأنها كثيرة جدا كبارا وصغارا وهي منتشرة في البلدان ، فقل بلد نزلته الا ورأيت من تصانيفه ، فمنها ما يبلغ عشرين مجلدا كتخليس التلييس من تأسيس التقديس ، وما يبلغ سبع مجلدات كالجمع بين العقل والنقل ، وما يبلغ ست مجلدات ككتاب تلييس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، وما يبلغ خمس مجلدات كمنهاج الاستقامة والاعتدال ، وما يبلغ أربع مجلدات ككتاب الرد على طوائف الشيعة والقدرية ، رد على ابن المطهر الرافضي ، وبين جهل الرافضة وضلاتهم وكذبهم ، وما يبلغ ثلاث مجلدات كالرد على النصارى ، ومجلدين ككنكاح المحلل ، وابطال الحيل ، وشرح عقيدة الاصبهانية ، وما يبلغ مجلدا فكثير جدا ، ككتاب تفسير سورة الاخلاص مجلد ، وكتاب الكلام على قوله سبحانه وتعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) <sup>(١)</sup> مجلد نحو خمس وثلاثين كراسة والصارم المسلول على شاتم الرسول مجلد ، وكتاب المسائل الاسكندرية في الرد على الملاحدة الاتحادية ، وتبيين الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل مجلد ، وله في الرد على الفلاسفة مجلدات ، وقال : الفروع أمرها قريب فمن قلد أحدا من الأئمة جاز له العمل بقوله مالم يتيقن خطأه ، وأما الأصول فقد رأيت أهل البدع والضلال تجاذبوا فيها وأوقعوا الناس في التشكيك في أصول دينهم فلذلك أكثرت من

(١) طه : ٥

التصنيف في الرد عليهم •

(وبالجملة) فذكر أسماء كتبه مما يطول ، وله من الرسائل والقواعد والتعاليق مالا يمكن حصره ، وقد ذكر كثيرا منها الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة ، وقال من الله تعالى على الشيخ بسرعة الكتابة ويكتب من حفظه من غير نقل ، قال وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلدا لطيفا في يوم ، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر وأحصي ما كتبه في يوم وبيضه فكان ثمانين كراريس في مسألة من أشكال المسائل ، وكان يكتب على السؤال الواحد مجلدا ، وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة وستين فكثير جدا ، وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهي أكثر من أن تحصى ، لكن دون منها بمصر على أبواب الفقه سبعة عشر مجلدا ، وهذا ظاهر مشهور ، وقل أن وقعت واقعة وسئل عنها الا وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر ، وصار ذلك الجواب كالمصنف الذي يحتاج فيه غيره الى زمن طويل ومطالعة كتب ، وقد لا يقدر مع ذلك على ايراد مثله •

(وقال الشيخ صالح تاج الدين محمد) حضرت مجلس الشيخ رضي الله عنه وقد سأله يهودي عن مسألة في القدر وقد نظمها شعرا في ثمانية أبيات ، فلما وقف عليها فكر لحظة يسيرة وأنشأ يكتب جوابها ، وجعل يكتب ونحن نظن أنه يكتب نثرا ، فلما فرغ تأمله من حضر من أصحابه فاذا هو نظم (١) من بحر أبيات السؤال وقافيتها تقرب من مائة وأربعة وثمانين بيتا ، وقد أبدى فيها من العلوم مالو شرح لبلغ مجلدين كبيرين ، وهذا من جملة بواهره ، وكم له من جواب فتوى لم يسبق الى مثله •

(وأما سعة حفظه وقوة ملكته) فقد تقدم التنبيه عليه كثيرا في كلام الأئمة ، وقد أذعن له بذلك المخالف والموافق ، وقال ابن عبد الهادي بن قدامة بلغني أن بعض مشايخ حلب قدم الى دمشق وقال : سمعت أن في هذه البلاد صبيا يقال له أحمد بن تيمية سريع الحفظ وقد جئت قاصدا لعلني أراه ، فقال له خياط هذه طريق كتابه وهو الى الآن ما جاء فاقعد عندنا الساعة يمر ذاهبا الى الكتاب ، فلما مر قيل ها هو الذي معه اللوح الكبير ، فناداه الشيخ وأخذ منه اللوح وكتب له من متون الحديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثا ، وقال له : اقرأ هذا فلم يزد على أن نظر فيه مرة بعد كتابته إياه ثم قال : أسمعته علي فقرأه عليه عرضا كأحسن ما يكون ، ثم كتب عدة أسانيد

(١) قد ذكر في كتابه الفتاوى الحلبية ، واورده ابن السبكي في طبقاته مع اجوبة اخرى لعلماء ذلك العصر اه كذا في الاصل .

انتخبها فنظر فيه كما فعل أول مرة فحفظها ، فقام الشيخ وهو يقول ان عاش هذا الصبي ليكون له شأن عظيم ، فان هذا لم ير مثله ، فكان كما قال •

( وقال الحافظ أبو حفص ) كان ابن تيمية اذا شرع في الدرس يفتح الله عليه أسرار العلوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول واستدلالات وآيات وأحاديث وأقوال العلماء ، ونص بعضها وتبين صحتها ، وتزييف بعضها ، وايضاح حجته ، واستشهاد بأشعار العرب ، وهو مع ذلك يجري كما يجري التيار ، ويفيض كما يفيض البحر ، ويصير منذ يتكلم الى أن يفرغ كالعائب عن الحاضرين مغمضا عينيه ، ويقع عليه اذ ذاك من المهابة ما يرعد القلوب ويحير الابصار والعقول •

( ومن أعجب ) الأشياء في حقه أنه لما سجن صنف كتبا كثيرة ، وذكر فيها الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم ، وعزا كل شيء من ذلك الى ناقله وقائله ، وذكر أسماء الكتب التي ذكر ذلك فيها ، وفي أي موضع هو منها ، كل ذلك بديهة من حفظه ، لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه ، ونقبت واعتبرت فلم يوجد بحمد الله فيها خلل ولا تغيير •

( وأما معرفته بصحيح المنقول وسقيمه ) فانه في ذلك من الجبال التي لا ترتقى ذروتها ولا ينال سنامها فقل ان ذكر له قول الا وقد أحاط علمه بمنكره وذاكره وناقله ، أو راو الا وقد عرف حاله من جرح وتعديل باجمال وتفصيل •

( وأما ما وهبه الله تعالى ومنحه به ) من استنباط المعاني من الألفاظ النبوية والأخبار المروية وابرار الدلائل منها على المسائل وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه وايضاح المخصص للعام والمقيد للمطلق والناسخ للمنسوخ وتبيين ضوابطها ولوازمها وملزوماتها وما يترتب عليها وما يحتاج فيه اليها فمما لا يوصف ، حتى كان اذا ذكر آية أو حديثا وبين معانيه وما أريد به يعجب العالم الفطن من حسن استنباطه ، ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه ، ولقد سئل يوما عن حديث ( لعن الله المحلل والمحلل له ) فلم يزل يورد فيه وعليه حتى بلغ كلامه فيه مجلدا كبيرا ، وقل أن يذكر له حديث أو حكم الا وتكلم عليه يومه أجمع ، أو تقرأ بحضرته آية من كتاب الله تعالى ويشعر في تفسيرها الا وقضى المجلس كله فيه •

( وأما ما خصه الله تعالى ) من معارضة أهل البدع في بدعهم ، وأهل الأهواء في أهوائهم ، ومبالغته في ذلك من دحض أقوالهم ، وتزييف أمثالهم وأشكالهم ، وإظهار عوارهم وانتحالهم ، وتبديد شملهم وقطع أوصالهم ، وأجوبته عن شبههم الشيطانية ، ومعارضاتهم النفسانية ، بما منحه الله تعالى به من البصائر الرحمانية ،

والدلائل النقلية ، والتوضيحات العقلية : فمن العجب العجيب •  
( ذكر هذا كله ) الحافظ أبو حفص عمر البزار ، وقال الحمد لله الذي من علينا  
برؤيته وصحبته ، ولقد جعله الله حجة على أهل عصره •  
( وأنا أقول ) الحمد لله الذي من علينا بمحبته ، واعتقاد أنه ممن تمسك  
بالكتاب والسنة ، والقيام بنصرهما والذب عنهما ، فالله تعالى يرحمه رحمة واسعة  
وينفعنا به آمين •

( فصل في بعض مآثره الحميدة على سبيل التلخيص والا فبسطها يستدعي طولاً )  
( أما تعبه ) فانه رضي الله عنه كما قال الأئمة الناقلون عنه قل ان سمع بمثله  
انه كان قد قطع جل وقته وزمانه في العبادة ، حتى أنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله  
عن الله وما يزاوله ، لا من أهل ولا من مال ، وكان في ليله منفرداً عن الناس كلهم  
خالياً بربه عز وجل ضارعا اليه مواظباً على تلاوة القرآن العظيم مكرراً لأنواع  
التعبات الليلية والنهارية ، وكان اذا دخل في الصلاة ترتعد فرائضه وأعضاؤه حتى  
يميل يمينه ويسرة ، وكان اذا رأى في طريقه منكراً أزاله ، أو سمع بجناسة سارع  
للصلاة عليها ، أو تأسف على فواتها ، ولا يزال تارة في افتاء الناس وتارة في قضاء  
حوادثهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة ، ثم كذلك بقية يومه ، وكان مجلسه عاماً  
لل كبير والصغير والجليل والحقير ، ويرى كل منهم في نفسه أنه لم يكرم أحداً بقدره ،  
ثم يصلي المغرب وتقرأ عليه الدروس ، ثم يصلي العشاء ، ثم يقبل على العلوم الى أن  
يذهب طويل من الليل ، وهو في خلال ذلك كله الليل والنهار لا يزال يذكر الله تعالى  
ويوحده ويستغفره •

( وأما ورعه ) فكان من الغاية التي ينتهي اليها في الورع أن الله تعالى أجراه مدة  
عمره كلها على الورع ، فانه ماخالط الناس في بيع ولا شراء ، ولا معاملة ولا تجارة ،  
ولا مشاركة ، ولا مزارعة ، ولا عمارة ، ولا كان ناظراً أو مباشراً لمال وقف ، ولم  
يقبل جراية ولا صلة لنفسه من سلطان ، ولا أمير ، ولا تاجر ، ولا كان مدخراً ديناراً  
ولا درهماً ، ولا متاعاً ولاطعاماً ، وانما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته  
رضي الله تعالى عنه العلم اقتداءً بسيد المرسلين ، فانه قال : ( ان العلماء ورثة الأنبياء  
ان الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ  
وافر ) •

( وأما زهده ) فقد جعله الله شعاراً من صفه ، ولقد اتفق كل من رآه خصوصاً

من مال الى ملازمته أنه مارأى مثله في الزهد في الدنيا ، واشتهر عنه ذلك حتى لو سئل عامي من أهل بلد بعيد من أزهد أهل هذا العصر وأكملهم في رفض فضول الدنيا وأحرصهم على طلب الآخرة ؟ لقال ماسمعت بمثل ابن تيمية ، وما اشتهر بذلك الا لمباغتته في الزهد مع تصحيح النية ، لم يسمع أنه رغب في زوجة حسناء ، ولا سرية حوراء ، ولا حرص على دينار ولادرهم ، ولا رغب في دواب ولا نعم ، ولا ثياب فاخرة ولا حشم ، ولا زاحم في طلب الرياضات ، ولا رؤي ساعيا في تحصيل المباحات ، مع أن الملوك والأمراء والتجار والكبراء كانوا طوع أمره خاضعين لقوله ، وادين أن يتقربوا الى قلبه مهما أمكنهم مظهرين لاجلاله ، فأين حاله هذا من حال من أغراهم الشيطان بالوقية فيه ، أما نظروا ببصائرهم الى صفاتهم وصفاته ، وسماتهم وسماته ، وتحاسدهم في طلب الدنيا وفراغه عنها ، ومباغتته في الهرب منها ، وخدمتهم للأمرأه واختلافهم الى أبوابهم وذل الأمراء بين يديه وعدم اكترائه بهم ، وقوة جأشه في محاوراتهم ؟ بلى والله ولكن قتلتم الحالقة حالقة الدين لا حالقة النعم .

( وأما ايثاره مع فقره ) فكان رضي الله عنه مع رفضه للدنيا وتقلله منها مؤثرا بما عساه يجده منها قليلا كان أو كثيرا ، لا يحتقر القليل فيمنعه ذلك عن التصديق به ، ولا الكثير فيصرفه النظر اليه عن الاسعاف به ، فقد كان يتصدق حتى اذا لم يجد شيئا نزع بعض ثيابه فيصل به الفقراء ، وكان يستفضل من قوته الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه .

( وذكر الشيخ صالح زين الدين علي الواسطي ) أنه أقام بحضرة الشيخ مدة طويلة ، قال : فكان قوتنا أنه يأتيني بكرة النهار ومعه قرص قدره نصف رطل بالعراقي فيكسره بيده لقما ويأكل ، ثم يرفع يده قبلي ، ولا يفرغ باقي القرص من بين يدي حتى أشبع الى الليل ، وكنت أرى ذلك من بركة الشيخ ، ثم بعد عشاء الأخيرة يؤتى بعشائنا فيأكل هو معي لقيمات ثم يؤثرني بالباقي ، وكنت أسأله أن يزيد عني أكله فلا يفعل ، حتى أنني كنت في نفسي أتوجع له من قلة أكله ، وكان هذا أكلنا في غالب مدة اقامتي عنده ، وما رأيت نفسي أعزمنها في تلك المدة ، ولا رأيتني أجمع هما مني فيها .

( وحكى غير واحد ) ما اشتهر عنه من كثرة الايثار وتفقد المحتاجين والغرباء واجتهاده في مصالحهم وصلاتهم ومساعدته لهم بل ولكل أحد من العامة والخاصة ممن يمكنه فعل الخير معه واسداء المعروف اليه بقوله أو فعله ووجهه وجاهه .

(وأما كرمه) فكان رضي الله تعالى عنه مجبولا على الكرم ولا يتنطعه ولا يتصنعه بل هو له سجية ، وكان لا يرد من يسأل شيئا يقدر عليه من دراهم ودنانير وثياب وكتب .

وقال الحافظ ابن فضل الله العمري : كانت تأتيه القناطير المنظرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث فيها ذلك بأجمعه ، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه ، لا يأخذ منه شيئا الا ليهبه ، ولا يحفظه الا ليذهبه .  
وقال في موضع آخر : كان يجيئه من المال في كل سنة مالا يكاد يحصى ، فينفقه جميعه آلافا ومئين ، لا يلمس منه درهما بيده ، ولا ينفقه في حاجته ، بل كان اذا لم يقدر يعمد الى شيء من لباسه فيدفعه الى السائل ، وذلك مشهور عند الناس من حاله .

حكى من يوثق به قال : كنت يوما جالسا بحضرة شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه فجاء انسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجا الى مايعتم به فنزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل فقطعها نصفين واعتم بـنصفها ودفن النصف الآخر لذلك الرجل ولم يحتشم للحاضرين عنده ، وحدث من يوثق به أن الشيخ رضي الله تعالى عنه كان مارا في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ مايعطيه فنزع ثوبا على جلده ودفعه اليه ، وقال : به بما تيسر وأنفقته ، واعتذر اليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة ، وسأله انسان كتابا ينتفع به فقال خذ ماتختار ، فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفا قد اشترى بدراهم كثيرة فأخذه ومضى ، فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك ، فقال : أكان يحسن بي أن أمنعه بعد ما سأله ؟ دعه فلينتفع به ، وكان رضي الله تعالى عنه ينكر الكارا شديدا على من ينال شيئا من كتب العلم التي يملكها ويمنعها من السائل ، ويقول ماينبغي أن يسنع العلم ممن يطلبه .

(وأما لباسه) فكان رضي الله تعالى عنه متوسطا في لباسه لا يلبس فاخر الثياب بحيث يرمق ويمد النظر اليه ، ولا أطمارا ولا غليظة تشهر لابسها من عالم أو عابد ، بل كان لباسه وهيبته كغالب الناس ومتوسطيهم ، ولم يكن يلبس نوعا واحدا من اللباس ، بل يلبس مااتفق وحصل ، ويأكل ما حضر ، وكانت بذاعة الايمان عليه ظاهرة ، لا يرى متصنعا في عمامة ولا لباس ، ولا مشية ولا قيام ، ولا جلوس ، ولم يسمع أنه أمر أن يتخذ له ثوب بعينه ، بل كان أهله يأتون بلباسه وقت حاجته لبدل ثيابه التي

عليه ، وربما اتسخت ولا يأمر بغسلها حتى يسأله أهله ذلك ، وكذا كان في المأكّل ، فما سمع أنه طلب طعاما قط ولا عشاء ولا غداء ولو بقي مهما بقي لشدة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل ، بل كان ربما يؤتى بالطعام وربما يترك عنده فيبقى زمانا حتى يلتفت إليه ، وإذا أكل يأكل شيئا يسيرا ، وما ذكر من ملاذ الدنيا ونعيمها ، ولا كان يخوض في شيء من حديثها ولا يسأل عن شيء من معيشتها ، بل جل همه وحديثه في طلب الآخرة وما يقرب الى الله تعالى •

( وأما تواضعه ) فما سمع بأحد من أهل عصره مثله رحمه الله في ذلك ، فكان يتواضع للكبير والصغير ، والجليل والحقير ، والفقير ، ويدنيه ويكرمه ويأسطه بحديث زيادة عن الغنى ، حتى أنه ربما خدمه بنفسه وأعاناه بحمل حاجته جبرا لقلبه ، وكان لا يسأم ممن يستعبه أو يسأله ، بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ، ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه ، ولا يجبهه ولا يتفوه بكلام يوحشه ، بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط ، وكان يلزم التواضع في حضوره مع الناس ومغيبه عنهم في قيامه وقعوده ومشيه ومجلسه وغيره •

( وأما كرماته وفراسته ) فقال الشيخ الحافظ أبو حفص عمر جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل وطال كلامنا فيها ، وجعلنا الشيخ المرجع ، فلما حضر همنا بسؤاله عنها فسبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة عما كنا فيه ، ويذكر أقوال العلماء فيها ثم يرجح منها ما رجحه الدليل ، حتى أتى على آخر ما أردنا ، فبقينا ومن حضرنا مبهورين متعجبين ، وكنت في صحبتي له إذا خطر لي بحث يشرع يورده ويذكر الجواب عنه من عدة وجوه •

قال : وحدثني الشيخ الصالح المقرئ أحمد ، قال : لما قدمت دمشق لم يكن معي شيء من النفقة البتة ، وأنا لأعرف أحدا من أهلها ، فجعلت أمشي في زقاق كالطائر وإذا الشيخ أقبل نحوي مسرعا فسلم وهش في وجهي ووضع في يدي صرة فيها دراهم وقال أنفق هذه الآن واخلكم ما أنت فيه فان الله لا يضيعك ، ثم انصرف فسألت من هذا فقيل ابن تيمية ، وله مدة ما اجتاز بهذا الدرب ، وكان جل قصدي من سفري الى دمشق لقاءه ، فتحققت أن الله أظهره عليّ وعلى حالي ، فما احتجت بعدها الى أحد مدة اقامتي بدمشق ، بل فتح الله عليّ من حيث لا أحسب •

وقال وحدثني الشيخ العالم المقرئ تقي الدين عبد الله قال لما سافرت الى مصر - حين كان الشيخ مقيما بها - فقدمتها ليلا وأنا مريض مثقل ، فأزلت في بعض الأمكنة

فلم ألبث أن سمعت من يناديني باسمي وكنيتي فأجبتته وأنا ضعيف ، فدخل اليّ جماعة من أصحاب الشيخ فقلت كيف عرفتم بقدومي هذه الساعة ، قالوا أخبرنا الشيخ أنك قدمت وأنت مريض فأمرنا أن نسرع بنقلك ، وما رأينا احدا جاءه ولا أخيره بشيء ، قال ومرضت بدمشق فلم أشعر الا والشيخ عند رأسي وأنا مثقل بالحصى والمرض ، فدعا لي وقال جاءت العافية ومشيت من وقتي •

( وقال الشيخ عماد الدين المقرئ المطرز ) قدمت على الشيخ ومعني حينئذ نفقة فسلمت عليه فرد علي ورحب بي وأدناني ولم يسألني هل معك نفقة أم لا ، فلما كان بعد أيام وقد نفذت نفقتي أردت أن أخرج من مجلسه بعد أن صليت مع الناس وراءه ، فمنعني وأجلسني دونهم ، فلما خلا دفع اليّ جملة دراهم ، وقال أنت الآن بغير نفقة فعجبت من ذلك •

( ولما نزل المغل ) بالشام لأخذ دمشق رجف أهلها ، وجاء اليه جماعة منهم وسألوه الدعاء للمسلمين ، فتوجه الى الله ، ثم قال : أبشروا فان الله يأتكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثلاثة ترون الرؤوس معبأة بعضها فوق بعض ، قال الذي حدث فوالذي نفسي بيده ما مضى الا ثلاث منذ قوله حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ على ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض •

( وكان الشيخ ) يعود المريض ، فمرض شاب بدمشق فكان يعوده في كل يوم فجاء يوما الشاب فدعا له فشفي سريعا ، وقال له عاهد الله أن تعجل الرجوع الي بلدك أيجوز أن تترك زوجتك وبناتك ضيعة وتقيم هنا ؟ قال الشاب : فقبلت يده وقلت ياسيدي اني تأب الى الله ، وعجبت مما كاشفني به وكنت قد تركهن بلا نفقة ، ولم يكن عرف بطالبي أحد من أهل دمشق •

ومضى بعض الفضلاء متوجها الى مصر ليبي القضاء وعزم على قتل رجل صالح بها اذا وصل ، فلما بلغ الشيخ ذلك قال ان الله لا يمكنه ما قصد ولا يصل الى مصر حيا ، فبقي بين القاضي وبين مصر قدر يسير وأدركه الموت •

( وذكر الحافظ ) ابن عبد الهادي بن قدامة أن الشيخ لما أفتى بمسألة شد الرحال للقبور اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ ، فقال أحدهم ينفي فني القائل ، وقال آخر يقطع لسانه فقطع لسان القائل ، وقال آخر يعزر فعزر القائل ، وقال آخر يجبس فجبس القائل ، قال : وأخبرني بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها •



(وبالجملة) فكرامات الشيخ رحمه الله تعالى كثيرة جدا ، قالوا ومن أظهر كراماته انه ما سمع بأحد عاداه أو تنقصه الا وابتلي بلايا غالبها في دينه ، قالوا وهذا ظاهر مشهور لا يحتاج فيه الى شرح صفته ، قالوا ومن أمعن النظر ببصيرته لم ير عالما من أهل أي بلد شاء موافقا له مثليا عليه الا ورآه من اتبع علماء بلده للكتاب والسنة ، وأشغلهم بطلب الآخرة والرغبة فيها - وأبلغهم في الاعراض عن الدنيا والاهمال لها ، ولا يرى عالما مخالفا له منحرفا عنه الا وهو من أكبرهم نهمة في جمع الدنيا ، وأكثرهم رياء وسمعة ، والله أعلم .

(وأما شجاعته وجهاده) فأمر متجاوز للوصف ، فكان رضي الله تعالى عنه كما قال الحافظ سراج الدين أبو حفص في مناقبه هو من أشجع الناس وأقواهم قلبا ، مارأيت أحدا أثبت جأشا منه ، ولا أعظم في جهاد العدو منه ، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، وأخبر غير واحد أن الشيخ كان اذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم ، ان رأى من بعضهم هلعا أو جبنا شجعه وثبته وبشره ووعدته بالنصر والظفر والغنيمة ، وبين له فضل الجهاد والمجاهدين ، وكان اذا ركب الخيل يجول في العدو كأعظم الشجعان ، ويقوم كأثبت الفرسان ، وينكي العدو من كثرة الفتك بهم ، ويخوض بهم خوض رجل لا يخاف الموت ، وحدثوا أنهم رؤا منه في فتح عكة أمورا من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها ، قالوا ولقد كان السبب في تملك المسلمين اياها بفعله ومشورته وحسن نظره .

(ولما ظهر السلطان ابن غازان) على دمشق المحروسة جاءه ملك الكرج وبذله أموالا كثيرة جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق فوصل الخبر الى الشيخ فقام من فوره وشجع المسلمين، ورغبهم في الشجاعة ، ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والأمن ، وزوال الخوف ، فانتدب منهم رجل من وجوههم وكبرائهم وذوي أحلامهم ، فخرجوا معه الى حضرة السلطان غازان ، فلما رأى الشيخ أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة ، حتى أدناه منه وأجلسه ، وأخذ الشيخ في الكلام معه في عكس رأيه من تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين ، وأخبره بحرمة دماء المسلمين ، وذكره ووعدته ، فأجابه الى ذلك طائعا ، وحققت بسببه دماء المسلمين ، وحميت ذراريهم وصين حريمهم .

(وقال الشيخ كمال الدين ابن الأنجا قدس الله روحه) كنت حاضرا مع

الشيخ فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره ويرفع صوته على السلطان ويقرب منه في أثناء حديثه ، حتى لقد قرب أن يلاصق بركبته ركبة السلطان ، والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكلية مصغ لما يقول شاخص اليه لا يعرض عنه ، وان السلطان من شدة ما أوقع الله له في قلبه من المحبة والهيبة سأل من هذا الشيخ فاني لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه ولا أوقع من حديثه في قلبي ولا رأيتني أعظم انقيادا لأحد منه ، فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل ، فقال الشيخ للترجمان قل للغازان (١) أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وامام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا وأبولك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت ، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت ففدرت وقلت فما وفيت وجرت ، ثم خرج من بين يديه مكرما معززا بحسن نيته الصالحة من بذل نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه الله تعالى ما أرادته ، وكان أيضا سببا لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم وردهم على أهليهم وحفظ حريمهم ، وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوة التجاسر ، وكان يقول لن يخاف الرجل غير الله الا لمرض في قلبه ، فان رجلا شكى الى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال لو صححت لم تخف أحدا أي خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك .

( وأخبر قاضي القضاة أبو العباس ) أنهم لما حضروا مجلس غازان قدم لهم طعام فأكلوا منه الا ابن تيمية ، فقيل لم لم تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس ، طبختموه بما قطعتم من أشجار الناس ؟ ثم ان غازان طلب منه الدعاء ، فقال في دعائه : اللهم ان كنت تعلم أنه انما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك فان تؤيده وتنصره ، وان كان للملك والدنيا والتكاثر فان تفعل به وتصنع ، فكان يدعو عليه وغازان يؤمن على دعائه ، ونحن نجتمع ثيابنا خوفا أن يقتل فيطرطس بدمه ، ثم لما خرجنا قلنا له كدت تهلكنا معك ونحن ما نصحبك من هنا ، فقال : وأنا لأصحبكم ، فانطلقنا عسبة وتاخر ، فتسامعت به الخوانين والأمراء فاتوه من كل فج عميق ، وصاروا يتلاحقون به ليتبركوا برؤيته ، فما وصل الا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه ، وأما نحن فخرج علينا جماعة فشلحونا ، فانظر - كما قال الحافظ ابن فضل الله العمري - الى قيامه في دفع حجة القتال واقتحامه ، وسيوفهم تدفق لجة البحار ، حتى جلس الى السلطان محمود غازان حيث لجسم

(١) قوله : قل للغازان . كان الاصل : قل للغان ، والصواب الاول فان قان لقب ملك ملوك الغول الذي كان مقره بالصين وغازان اول من آمن من ملوك الغول في ايران وبسبب ايمانه امن جميع عساكر الغول اه مصححه الكردي . كذا في الاصل .

الأسد في آجامها ، وتسقط القلوب في دواخل أجسامها ، خوفاً من ذلك السبع المقتال ، والنمرود المختال ، والأجل الذي لا يدفع بحيلة مختال ، فجلس إليه وأوماً بيده الى صدره ، وواجهه ودرأ في نحره ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ودعا دعاء متصف أكثره عليه ، وغازان يؤمن على دعائه وهو مقبل اليه ، ثم كان على هذه المواجهة القبيحة والمشاتمة الصريحة أعظم في صدر غازان والمغل من كل من طلع معه من سلف العلماء في ذلك الصدر ، وأهل الاستحقاق لرفعة القدر ، هذا مع ماله من جهاد في الله ، لم يفترعه فيه ظلل الوشيع ، ولم يجرعه فيه ارتفاع النسيج ، مواقع حروب باشرها ، وطوائف ضروب عاشرها ، وبوارق صفاح كاشرها ، ومضايق رماح حاشرها ، وأصناف خصوم لقطع جدالها قوي لسانه ، وجلاها بسنا سنانه ، ووجرت له مع غازان وقطلو شاه وبولاي أمور ونوب قام فيها كلها لله ، وقال الحق ولم يخش الا الله .

( ولما قدم بعد ذلك ) عام سبعمائة التتار مع غازان لفتح الشام والاستيلاء على من بها من المؤمنين ركب الشيخ البريد الى الجيش المصري فدخل القاهرة في ناس يوم حادي عشر جمادى الأولى ، فاجتمع بأركان الدولة وحثمهم على الجهاد ، وتلا عليهم الآيات والأحاديث ، وأخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب ، فاستقاموا وقويت همهم ، وأبدوا له عذر المطر والبرد ، ونودي بالغزاة ، وقوي العزم ، وعظموه وأكرموه ، وتردد الأعيان الى زيارته ، واجتمع به في هذه السنة ابن دقيق العيد ، ثم في اليوم السابع والعشرين من جمادى الأولى المذكور وصل الشيخ الى دمشق على البريد ، وأرسل الله على العدو من الثلج العظيم والبرد الشديد والريح العاصف والجوع المزعج ما الله به عليم ، فأصاب غازان وجنوده وأهلكهم ، وكان سبب رحيلهم ، وفرق الله بين قلوب العدو المغل والكرج والفرس والمستعربة ، وألقى بينهم تعاديا وتباغضا ، كما ألقى عام الأحزاب بين قريش وغطفان وبين اليهود ، فأرسل الشيخ كتابا مطولا لمصر يقول فيه : لما ثبت الله قلوب المسلمين صرف العدو جزاء منه لبيان أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وان لم يصنع الفعل وان تباعدت الديار .

( وحكي من شجاعة الشيخ ) في مواقف الحروب نوبة شقحب سنة اثنتين وسبعمائة ونوبة كسروان مالم يسمع الا عن صنديد الرجال ، وشجعان الأبطال ، فكان تارة يباشر القتال ، وتارة يحرض عليه قائما شاكيا سلاحه ولأمة حربه يوصي الناس

بالثبات ، ويعدهم بالنصر ، ويشرهم بالغنيمة ، وركب البريد الى مهني بن عيسى واستحضره الى الجهاد ، وركب بعدها الى السلطان واستنفره وواجهه بالكلام الفليظ وواجه أمراءه وعساكره ، ولما جاء السلطان الملك الناصر بجيوش الاسلام للقاء القتال جعل الشيخ يشجع السلطان ويشبته ، فلما رأى السلطان كثرة التارقال قال ياخالد بن الوليد فقال له لا تقل هذا بل قل يا الله واستغث بالله ربك ووحده تنصر ، وقل يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين ، ثم صار تارة يقبل على الخليفة وتارة على السلطان ويهديهما ويربط جأشهما حتى جاء نصر الله والفتح ، وحكي أنه قال للسلطان اثبت فانك منصور ، فقال له بعض الأمراء قل ان شاء الله فقال ان شاء الله تحقيقا لاتعليقا فكان كما قال .

( وحكى بعض حجاب الأمراء ) قال : قال لي الشيخ يوم اللقاء وقد تراءى الجمعان يافلان أوقفني موقف الموت ، قال : فسقته الى مقابلة العدو — وهم منحدرون كالبدر تلوح أسلحتهم من تحت الغبار — وقلت له : هذا موقف الموت فدونك وماتريد ، قال فرفع طرفه الى السماء وأشخص بصره وحرك شفثيه طويلا ثم انبعث وأقيدم على القتال ، وقد قيل انه دعا عليهم وان دعاه استجيب منه في تلك الساعة ، قال : ثم حال القتال بيننا والالتحام وماعدت رأيته حتى فتح الله ونصر ، ودخل جيش الاسلام الى دمشق المحروسة والشيخ في أصحابه شاكيا في سلاحه ، عالية كلمته ، قائمة حجته ، ظاهرة ولايته ، مقبولة شفاعته ، مجابة دعوته ، ملتزمة بركته ، مكرما معظما ، ذا سلطان وكلمة نافذة ، وهو مع ذلك يقول للمادحين له أنا رجل ملة لارجل دولة ، قال بعض أصحابه — وقد ذكر هذه الواقعة وكثرة من حضرها من جيوش المسلمين — وقد اتفق كلهم وأجمعوا على تعظيم الشيخ تقي الدين ومجته ، وسماع كلامه ونصيحته ، وانعظوا بمواعظه ، ولم يبق من يكون بالشام تركي ولا عربي الا واجتمع بالشيخ في تلك المدة ، واعتقد خيره وصلاحه ، ونصح له ولرسوله والمؤمنين .

( ثم لم يزل الشيخ رحمه الله تعالى ) قائما تم قيام على قتال أهل جبل كسروان ، وكتب الى أطراف الشام في الحث على قتالهم ، وأنها غزاة في سبيل الله ، ثم توجه هو بمن معه لغزوههم بالجبل صحبة ولي الأمر نائب المملكة ، وما زال مع ولي الأمر في حصارهم حتى فتح الله الجبل وأجلى أهله ، وكان توجه الشيخ الى الكسروانيين أول ذي الحجة سنة أربع وسبعمائة ، ورد على شيوخ روافضهم في دعواهم عصية علي ، وقال ان عليا وعبد الله بن مسعود اختلفا في مسائل وقعت وفتاوى أفتيا بها وعرض

ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فصوب فيها قول ابن مسعود ، ثم كتب الشيخ للسلطان يخبره بأمر الفتح وعن عقائدهم ، وهي أنهم يعتقدون كفر الصحابة وكفر من ترضى عنهم ، أو حرم المتعة ، أو مسح على الخفين ، ولا يقرون بصلاة ولا صيام ولا جنة ولا نار ، ولا يحرمون الدم والميتة ولحم الخنزير ، ويشتملون على اسماعيلية ونصيرية وحاكمية وباطنية ، وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى .

ثم قال : وتمام هذا الفتح أمر السلطان بحرمان أهل الفساد من مشايخ الدين يصلونهم ، ويتقدم الى قراهم بأعمال دمشق وصعد وطرابلس وحمص وحماد وحلب بأن تقام فيهم شرائع الاسلام الجمعة والجماعة وقراءة القرآن ، وتكون لهم خطباء ومؤذنون ، ويقرأ فيهم الأحاديث النبوية ، وتكثر فيهم المعالم الاسلامية ، وأطال الكلام في كتابه ، وحث السلطان على ذلك ، وقال : ان غزوهم اقتداء بسيرة علي بن أبي طالب في قتاله للحرورية المارقين الذين تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بقتالهم ونعت حالهم ، وقال صلى الله عليه وسلم فيهم ( يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز جناجرهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ، يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، شر قتلى تحت أديم السماء ، خير قتلى من قتلوه .

( وكان رضي الله عنه ) قائما في نصر الدين واطهار الحق بأدلة أقطع من السيوف ، وأجمع من السجوف ، وأجلى من فلق الصباح ، وأجلب من فلق الرماح ، اذا وثب في وجه خطب تمزقت على كتفيه الدرع واتشر السرد ، ولقد نافسنا ملوك جند كشخان عليه ووجهت دسائس رسلها اليه ، ولما وشوا به الى السلطان الأعظم الملك الناصر لدين الله وأحضره بين يديه قال من جملة كلامه : انني أخبرت أنك قد أطاعك الناس ، وان في نفسك أخذ الملك ، فلم يكثرث به بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عال سمعه كثير ممن حضر : أنا أفعل ذلك والله ان ملكك وملك المغل لايساوي عندي فلسا ، فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة : انك والله لصادق ، وان الذي وشى بك الي لكاذب ، واستقر له في قلبه من المحبة الدينية مالولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة مايلقى اليه في حقه من الأقاويل الزور والبهتان ممن ظاهر حاله العدالة ، وباطنه

مشحون بالفسق والجهالة •

(فصل في تمسك ابن تيمية بالكتاب والسنة)

قال الشيخ الامام العالم العامل الأوحد الفاضل الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار رحمه الله تعالى ، كان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رضي الله تعالى عنه من أعظم أهل عصره قوة ومقاما وثبوتا على الحق وتقريراً لتحقيق توحيد الحق ، لا يصدده عن ذلك لومة لائم ولا قول قائل ، ولا يرجع عنه بحجة محتج ، بل كان اذا وضع له الحق يعرض عليه بالنواجذ ، ولا والله ما رأيت أحدا أشد تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه ، حتى كان اذا أورد شيئا من حديثه في مسألة - ويرى أنه لم ينسخه شيء غيره من حديث - يعمل ويقضي ويفتي بمقتضاه ، ولا يلتفت الى قول غيره من المخلوقين كائنا من كان •

قال : واذا نظر المنصف اليه بعين العدل يراه واقفا مع الكتاب والسنة ، لا يميله عنهما قول أحد كائنا من كان ، ولا يراقب في الأخذ بمعلومهما أحدا ، ولا يخاف في ذلك أميرا ولا سلطانا ولا سوطا ولا سيفا ، ولا يرجع عنهما لقول أحد ، وهو متمسك بالعروة الوثقى واليه الطول ، وعامل بقوله تعالى : ( فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ) <sup>(١)</sup> الآية ، وبقوله تعالى ( وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ) <sup>(٢)</sup> وما سمعنا أنه اشتهر عن أحد منذ دهر طويل ما اشتهر عنه من كثرة المتابعة للكتاب والسنة ، والامعان في تتبع معانيهما والعمل بمقتضاهما ، ولهذا لا يرى في مسألة أقوال العلماء الا وقد أفتى بأبلغها موافقة للكتاب والسنة ، وتحري الأخذ بأقومها من جهة المنقول والمعقول ، قال : وهذا أمر قد اشتهر وظهر ، فإنه رضي الله عنه ليس له مؤلف مصنف ولا نص في مسألة ولا أفتى الا وقد اختار فيه ما رجحه الدليل النقلى والعقلي على غيره ، وتحري قول الحق المحض ، وبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة ، بحيث اذا سمع ذلك ذو الفطرة السليمة ينثلي قلبه عليها ، ويجزم بأنها الحق المبين ، وتراه في جميع مؤلفاته اذا صح الحديث عنده يأخذ به ويعمل بمقتضاه ويقدمه على قول كل قائل من عالم ومجتهد ، وقد سبقه الامام الشافعي رحمه الله الى ذلك حيث قال : اذا صح الحديث فهو مذهبي •

(١) النساء : ٥٩ - (٢) الشورى : ١٠

ولما من الله عليه بذلك جعل حجة في عصره لأهله ، حتى أن أهل البلاد البعيدة كانوا يرسلون اليه بالاستفتاء عن وقائعهم ، ويقبلون عليه في كشف ما التبس عليهم حكمه ، فيشفي عليهم بأجوبته المسددة ، ويرهن على الحق من أقوال العلماء المتعددة ، حتى اذا وقف عليها كل محق ذي بصيرة أذعن بقبولها ، وبأن له حق مدلولها •

( فصل في محنة ابن تيمية رحمه الله تعالى وتمسكه بطريق السلف )

قل من يسلم من أهل الفضل والدين في هذه الدنيا بلا محنة وابتلاء وخوض فيه حيث لم يداهن الناس ويصانعهم ، ولذا قل صديقه على حد قوله : ( ماترك الحق من صديق لعمر ) وقال سفيان الثوري رحمه الله : اذا رأيت الرجل يشي عليه جيرانه فاعلم أنه مداهن ، وما وقع من المحنة للأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري مشهور كما بينته في كتابنا تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين ، وأكثروا من الخوض في أبي حنيفة رحمه الله ، حتى أنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلام الناس في ما ليس في ، هذا وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله امتحن بمحن وخاض فيه أقوام ونسبوه للبدع والتجسيم وهو من ذلك بريء • فأول محنة - كما نقله الثقة - في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة بسبب عقيدته الحموية الكبرى ، وهي جواب سؤال ورد من حماه فوضعها ما بين الظهر والعصر في ست كراريس بقطع نصف البلدي ، فجرى له بسبب تأليفها أمور ومحن رجح مذهب السلف على مذهب المتكلمين وشنع عليهم •

( فمن بعض قوله في مقدمتها ) مقاله الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره ، ومن المحال أن يكون خير الأمة وأفضل قرونها قصرُوا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه ، ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين ، لأن ضد ذلك اما عدم العلم والقول ، واما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق ، وكلاهما ممتنع ، أما الأول فلا أن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نعمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ، ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده ، وأعظم

مطالبه ، وليست النفوس الصحيحة الى شيء أشوق منها الى معرفة هذا الأمر ، وهذا أمر معلوم بالفطرة ، فكيف يصور مع قيام هذا المقتضي الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم ، هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم اعراضا عن الله وأعظمهم اكبابا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله ، فكيف يقع في أولئك ، وأما كونهم كانوا معتقدين غير الحق أو قائله فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم .

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى أو اضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ، ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم بالله من السابقين كما قد يقوله بعض الأغبياء - ممن لم يقدر قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة بالمأمور بها - من أن طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، فان هذا القول اذا تدبره الانسان وجده في غاية الجهالة ، بل في غاية الضلالة ، ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين ، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات .

فهذا الظن الفاسد أوجه اعتقاد أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقيق العلم الالهي ، وان الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله ، كيف يكون هؤلاء المتأخرون - لاسيما والاشارة بالخلف الى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم بما انتهى اليه من مرامهم ، حيث يقول الامام فخر الدين الرازي :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها      وسيرت طرقي بين تلك المعالم  
فلم أر الا واضعا كف حائر      على ذقن أو قارعا سن نادم  
وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم ،  
مثل قول بعض رؤسائهم :

نهاية اقدام العقول عقبال      وأكثر سعي العالمين ضلال  
وأرواحنا في وحشة من جسومنا      وحاصل ديننا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا      سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا  
( ويقول آخر منهم ) لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما



رأيتها تشفي عيلا ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في  
الاثبات ( إليه يصعد الكلم الطيب )<sup>(١)</sup> ( الرخمن على العرش استوى )<sup>(٢)</sup>  
واقرا في النفي ( ليس كمثله شيء )<sup>(٣)</sup> ( ولا يحيطون به علما )<sup>(٤)</sup>

ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي •

( ويقول الآخر منهم ) لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام وعلومهم  
وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان ،  
وها أنا أموت على عقيدة أمي •

( ويقول الآخر منهم ) أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام •

( ثم اذا حقق عليهم الأمر ) لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص  
المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المقوصون  
المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المتهوكون ، أعلم بالله وآياته من  
السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الأنبياء  
وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصايح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا  
وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على  
سائر اتباع الأنبياء ، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة  
غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة؟؟ ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في  
العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة  
اليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجسوس  
والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من  
ورثة الأنبياء وأهل القرآن والايمان؟؟

وانما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت عنده علم طريق الهدى أين هو في

هذا الباب وغيره ، وأطال رحمه الله الكلام ثم قال :

ان كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة بالكتاب  
والسنة دون ما يفهم من الكتاب والسنة اما نصا واما ظاهرا : فكيف يجوز على الله  
تعالى ثم على رسوله ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر في  
خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحدون به قط ولا يدلون عليه لانصا

(١) فاطر : ١٠ - (٢) طه : ٥ - (٣) الشورى : ١١ - (٤) طه : ١١٠

ولا ظاهرا حتى يجيء أبناء الفرس والروم وفروخ الهنود والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة ، فان كان مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلمون هو الاعتقاد الواجب — وهم مع ذلك أحيلاوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة ظاهرا — لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة ، أهدي لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرا محضا في أصل الدين ، فان حقيقة الأمر على مايقوله هؤلاء أنكم يامعشر العباد لاتطلبوا معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نفا واثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات في عقولكم فصفوه به سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن ، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به ، وقد صرح طائفة منهم بما مضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والأخبار بصفات من أرسله ، وأطال الكلام ، ثم قال :

ياسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لاتعتقدوا ما دلت عليه ، ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم .

ثم الرسول أخبر أن أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة ، فقد علم ماسيكون ، ثم قال : ( اني تارك فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا كتاب الله ) وقال في صفة الفرقة الناجية ( هي من كان على مثل ماأنا عليه اليوم وأصحابي ) فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال ، وانما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم ، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة ، وان كان قد نبغ أصل هذه المقالة في أواخر عصر التابعين ، ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والنصارى ، فان أول من قالها في الاسلام الجعد بن درهم ، وأخذها عنه جهم بن صفوان ، والجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ، وأبان عن طلوت ، وطلوت عن خاله لييد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ثم القول الشامل في جميع هذا الباب ان يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون ، لاتتجاوز به القرآن والحديث ، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ثم ذكر الشيخ رحمه

الله تعالى جملا نافعة وأصولا جامعة في اثبات الصفات والرد على الجهمية ، وذكر من النقول عن سلف الأمة ما يطول ذكره .

( ثم قال في آخر كلامه ) وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة ، قسمان يقولون تجرى على ظواهرها ، وقسمان يقولون هي على خلاف ظاهرها ، وقسمان يسكتون .  
( أما الأولون ) فقسمان : ( أخدهما ) من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين ، فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف ، واليه توجه الرد بالحق .

( والثاني ) من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري اسم العليم والتقدير والرب والالاه والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله ، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق ، أما جوهر وأما عرض ، فالعلم والقدرة والكلام والمشية والرحمة والرضى والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض والوجه واليد والعين في حقه أجسام .

فإذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الإثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشية وان لم تكن أعراضا يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويده ليست أجساما يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين ، وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقرين لا يخالفه وهو أمر واضح - فإن الصفات كالذات ، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس ذوات المخلوقين فكذلك صفاته ثابتة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين ، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثل شيء الا مايناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه ، وما أحسن ما قال بعضهم اذا قال لك الجهمي : كيف استوى أو كيف ينزل الى السماء الدنيا أو كيف يده ونحو ذلك ؟ فقل له كيف هو في نفسه ؟ فاذا قال لك لا يعلم ما هو الا هو وكنه الباري غير معلوم للبشر ، فقل له : والعلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، فكيف يمكن أن نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفيته ، وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك ، بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء ، وقد أخبر الله تعالى أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن

في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه ، وهذه الروح قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامسك النصوص عن بيان كيفيتها ، أفلا يعتبر العاقل عن الكلام في كيفية الله تعالى ؟ مع انا نقطع بأن الروح في البدن ، وأنها تخرج منه وتخرج الى السماء ، وأنها تسلم منه وقت النزاع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة ، لانغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه ، وتخطبوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته ، فمدم مماثلتها للبدن لا يعني أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها ، الا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص ، فيكونون قد أخطؤوا في اللفظ ، وأنى لهم بذلك ؟ .

(وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرهما ) ويقولون هي على خلاف ظاهرها : فقسم يتأولونها ويعينون المراد ، مثل قولهم : استوى بمعنى استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدرة ، أو بمعنى ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق اليه ، الى غير ذلك من معاني المتكلمين .

( وقسم يقولون ) الله أعلم ما أراد بها ، لكننا نعلم أنه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه .

( وأما القسمان الواقفان ) فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظاهرهما اللائق بالله تعالى ويجوز أن لا يكون صفة لله ، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم .  
( وقسم ) يمسكون عن هذا كله ، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقريرات .

( فهذه الأقسام ) الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها ، والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة .

( ثم قال ) فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه مالا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهى نهايته ، فان من لم يدخل فيه هو في عافية ، ومن أنهى فقد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر ، فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله ، وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليدا ، وقد قال الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطب ونصف نحوي ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان ، ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قول مختلف يؤفك عنه من أفك يعلم

الذكي منهم العاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة ، وأن حجته ليست بينة وإنما هي كما قيل فيها :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

ويعلم العالم البصير أنهم من وجه يستحقون ما قال الشافعي رضي الله عنه حيث قال حكيم في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويضاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ، ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورققت عليهم ، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا فهوما ، وما أعطوا علوما ، وأعطوا سمعا وابصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحقاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ، ومن كان عليما بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمتهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم ، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزد الا بعدا .

( فنسأل الله ) العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

( هذا آخر الحموية الكبرى ) ألفها الشيخ رحمه الله وعمره دون الأربعين سنة ، ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع مالا يوصف ولا يعبر عنه ، وجرى له من المناظرات العجيبة والمباحث الدقيقة مع أقرانه وغيرهم في سائر أنواع العلوم ما تضيق عنه العبارة ولا يعرف أنه ناظر أحدا فاقطع معه .

( قال الحافظ الذهبي في أثناء كلامه ) في ترجمة الشيخ ابن تيمية : ولما صنف المسألة الحموية في الصفات سنة ثمان وتسعين وستمائة تحزبوا له ، وآل بهم الأمر الى أن طافوا بها على قسبة من جهة القاضي الحنفي ونودي عليه بأن لا يستفتى ، ثم قام بنصرته طائفة آخرون وسلمه الله تعالى ، فلما كان سنة خمس وسبعمائة جاء الأمر من مصر بأن يسأل عن معتقده ، فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد انتهى .

( وقال الشيخ علم الدين ) وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الامام تقي الدين ابن تيمية ، وكان الشروع فيها من أول

الشهر واستمرت الى آخر الشهر .

(وملخصها) أنه كتب جوابا لسؤال سئل عنه من ( حاه ) في الصفات ، فذكر فيه مذهب السلف ورجحه على مذهب المتكلمين ، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجيين ، واجتمع به سيف الدين جاغان في حال نيابته بدمشق وقيامه مقام نائب السلطنة ، وامثل أمره وقبل قوله . والتبس منه كثرة الاجتماع به ، فحصل بسبب ذلك ضيق لجماعته مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية الشيخ . وما ألهم بظهوره وذكره الحسن ، فانضاف شيء الى أشياء . ولم يجدوا مساعا الى الكلام فيه لزهده . وعدم اقباله على الدنيا ، وترك المزاحمة على المناصب ، وكثرة علمه وجودة أجوبته وفتاويه . وما يظهر فيها من غزارة العلم وجودة الفهم ، فعدوا الى الكلام في العقيدة لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف . ويعتقدونه الصواب ، فأخذوا الجواب الذي كتبه ، ثم سعوا السعي الشديد الى القضاة والفقهاء واحدا واحدا ، وأوغروا خواتمهم وحرفوا الكلام وكذبوا الكذب الفاحش ، وجعلوه يقول بالتجسيم وحاشاه من ذلك ، ووافقهم على ذلك جلال الدين الحنفي قاضي العنفة يومئذ ومشي معهم الى دار الحديث الأشرفية ، وطلب حضوره وأرسل اليه فلم يحضر . وأرسل اليه في الجواب أن العقائد ليس أمرها اليك وان السلطان انما ولاك لتحكم بين الناس . وان انكار المنكرات ليس ما يختص به القاضي فوصلت اليه هذه الرسالة فأوغروا خاطره . وشوشوا قلبه ، وقالوا لم يحضر ورد عليك ، فأمر بالنداء على بطلان عقيدته في البلدة ، فنودي في بعض البلد ، ثم بادر سيف الدين جاغان وأرسل طائفة فضرب المنادي وجباعة من حوله وأخرق بهم ، فرجعوا مضروبين في غاية الاهانة ، ثم طلب سيف الدين من قام في ذلك . سعى فيه ، فدارت الرسل والأعوان عليهم في البلد فاختلفوا .

ثم اجتمع الشيخ ابن تيسية بالقاضي امام الدين الشافعي وواعده لقراءة العقيدة الحموية ، فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر من بكرة النهار الى نحو الثلث من ليلة الأحد - ميعادا طويلا - وقرأ فيه جميع العقيدة ، وبين مراده من مواضع أشكلت ولم يحصل انكار عليه من الحاكم ولا من حضر المجلس ، بحيث انفصلوا والقاضي يقول : كل من تكلم في الشيخ فأنا خصمه .

وقال أخوه جلال الدين بعد هذا الميعاد : كل من تكلم في الشيخ نعره ، وخرج الناس ينتظرون ما يسمعون من طيب أخباره ، فوصل الى داره في ملا كثير من الناس ،

وعندهم استبشار وسرور به ، وكان سعيهم في حقه أتم السعي ، وتكلموا في حقه بأنواع الأذى وبأمور يستحي الانسان من الله تعالى أن يحكيها فضلا عن أن يخلقها ويلفقها ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، ورأى جماعة من الصالحين في هذه الواقعة وعقيها مرآئي حسنة جليلة لو ضبطت لكانت مجلدا تاما انتهى .

( ثم سكنت هذه الفتنة ) ثم بعد ذلك بمدة طويلة ظهر الشيخ نصر المنبجي بمصر ، واستولى على أرباب الدولة القاهرة ، وشاع أمره وانتشر ، فقبل لابن تيمية انه اتحادي وانه ينصر ابن عربي وابن سبعين فكتب اليه (١) نحو ثلاثمائة سطر ينكر عليه ، فتكلم نصر المنبجي مع قضاة مصر في أمره ، وقال هذا مبتدع ، وأخاف على الناس من شره ، وقام معه في ذلك القاضي ابن مخلوف المالكي ، واستعانوا بركن الدين الجاشنكير ، فحسن القضاة للأمراء طلبه الى القاهرة وأن يعقد له مجلس بدمشق فلم يرض نصر المنبجي ، وقال ابن مخلوف قل للأمراء ان هذا يخشى على الدولة منه كما جرى لابن تومرت في بلاد المغرب .

( فورد مكتوب السلطان ) الى دمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته ، فلما كان ثمانى رجب من سنة خمس وسبعمائة طلب القضاة والفقهاء ، وطلب الشيخ تقي الدين الى القصر الى مجلس نائب السلطنة الأفرم ، فلما اجتمعوا عنده سأل الشيخ تقي الدين وحده عن عقيدته وقال هذا المجلس عقد لك وقد ورد مرسوم السلطان أن أسألك عن اعتقادك ، فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية ، وقال هذه كتبها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار الى الشام ، فقرئت في المجلس وبحث فيها ، وبقيت مواضع أخرت الى مجلس آخر .

ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور ، وحضر المخالفون ومعهم الشيخ صفي الدين الهندي ، واتفقوا على أن يتولى المناظرة مع الشيخ تقي الدين فتكلم معه ، ثم أنهم رجعوا عنه واتفقوا على الشيخ كمال الدين ابن الزمكاني ، فناظر الشيخ وبحث معه وطال الكلام وخرجوا من هناك والأمر قد انفصل ، وقد أظهر الله من قيام الحجة ما أعز به الشيخ ابن تيمية ، واختلفت نقول المخالفين للمجلس وحرفوه ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها ، وشنع ابن الوكيل وأصحابه بأن الشيخ قد رجع عن عقيدته فالله المستعان .

ثم بعد ذلك عزز بعض القضاة بدمشق شخصا يلوذ بالشيخ ، وطلب جماعة ثم

(١) هذا المكتوب موجود في كتاب جلاء العينين في صحيفة ، هـ فليراجع اه كذا في الاصل .

أطلقوا ، ووقع هرج في البلد ، وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصيد وغاب نحو جمعة ثم رجع ، فحضر عنده الشيخ وذكر له ما وقع في غيبته في حق بعض أصحابه من الأذى فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل ، وأمر فنودي في البلد أنه من تكلم في العقائد حل ماله ودمه ونهبت داره وحانوته ، وقصد بذلك تسكين الفتنة . وفي يوم الثلاثاء سابع شعبان عقد للشيخ مجلس ثالث بالقصر ورضي الجماعة بالعقيدة ، وفي هذا اليوم عزل قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين ابن الزمكاني .

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان الى القاضي باعادته الى الحكم ، وفيه أنا كنا سمعنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين وقد بلغنا ما عقد له من المجالس وانه على مذهب السلف وما قصدت بذلك الا براءة ساحته .  
( ثم ان الشيخ مرعي مؤلف هذا الكتاب ) أعني كتاب مناقب الشيخ ابن تيمية ذكر بعض ألفاظ ما وقع في المناظرة ناقلا لها عما حكاه الشيخ عن نفسه ، وقد أخل بنقله واختصاره ، والعبء الفقير مؤلف كتاب الرد على الزائغ البهساني قد ذكرت سابقا ما كان في المجالس التي انعقدت لمناظرة الشيخ بنص عبارته وعين كلامه ، فأغانا ذلك عما ذكره الشيخ مرعي في هذا الباب .

ثم قال الشيخ مرعي ( فصل ) في توجه الشيخ الى مصر ومحنته بها ، وسبب محنته وابتلائه قيامه في الله والرد على أهل البدع والعقائد الفاسدة ، فقد حث على غزو الكسروانيين الروافض وغيرهم من الدروز والنصيرية ، وغزاهم بمن معه من المسلمين وفتح بلادهم ، وكاتب السلطان فيهم بحسم مادة شيوخهم الذين يضلونهم ، والأمر باقامة شعائر الاسلام وقراءة الأحاديث ونشر السنة ببلادهم كما مر ذكره ، وكان استئصالهم في المحرم سنة خمس وسبعمائة .

ولما كان تاسع جمادى الأولى من سنة خمس بالغ الشيخ في الرد على الفقراء الأحمدية والرفاعية بسبب خروجهم عن الشريعة بعد أن حضروا نائب السلطنة وشكوا من الشيخ ، وطلبوا أن يسلم لهم حالهم وأن لا يعارضهم ولا ينكر عليهم ، وطلبوا حضور الشيخ فلما حضر وقع بينهم كلام كثير ، فقال الشيخ - في كلام طويل - أنهم وان كانوا منتسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك ويوجد في بعضهم من التعبد والتأله والوجد والمجبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة : فيوجد أيضا في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر والبدع في



الاسلام والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والكذب والتليس واضهار المخارق الكاذبة مثل ملابسة النار والحيات واطهار الدم والساذن والزعفران وماء الورد والعسل وغير ذلك ، وان عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة ، كظلي أجسامهم لدخول النار بدهن الضفادع وباطن قشر التارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل ، وقال لهم بحضرة نائب السلطنة ادخل أنا وهم النار ومن احترق فعليه لعنة الله ولكن بعد أن نغسل جسوننا بالخل والماء الحار بالحمام ، فلما زيفهم الشيخ وأظهر تلبسهم قال حتى لو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين وطرتم في الهواء ومشيتم على الماء لاعبرة بذلك مع مخالفة الشرع ، فان الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري فتمطر ، وللأرض أنبتي فتبت ، وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج ، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون ، وليس لأحد الخروج عن الشريعة ولا عن كتاب الله وسنة رسوله .

وذكر لهم قول أبي يزيد البسطامي لو رأيتم الرجل يطير في الهواء فلا تغتروا به ، وأطال الكلام في ذلك بحيث انفصل الأمر من عند نائب السلطنة أن كل من خرج منهم عن الكتاب والسنة ضربت عنقه .

ثم ظهر الشيخ المنبجي بمصر وشاع أمره ، ف قيل للشيخ ابن تيمية أنه اتحادي ، فكتب اليه الشيخ نحو ثلاثمائة سطر بالانكار عليه ، فاعتز الشيخ نصر قضاة مصر وعلماءها على ابن تيمية ، وقال انه سيء العقيدة مبتدع معارض للفقراء وغيرهم ، وطلعوا فيه عند السلطان ، فورد مرسوم السلطان لدمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته ، فعقد المجلس للمناظرة ثامن رجب سنة خمس وسبعمائة بحضرة العلماء والقضاة كما مر ، ولا يبعد أن يكون الروافض وغيرهم قد برطلوا عليه ، ثم لم يقنع ذلك الشيخ نصر المنبجي بل اجتمع مع طائفة من علماء مصر للجاشنكير الذي تسلطن بمصر ، فأوهمه الشيخ نصر أن ابن تيمية يخرجهم من الملك ويقيم غيرهم وانه مبتدع ، فورد مرسوم السلطان الى دمشق باحضار ابن تيمية الى مصر خامس شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة ، فلما طلب الى الديار المصرية مانع نائب الشام وقال عقد له مجلسان بحضرتي وحضرة القضاة والفقهاء وماظهر عليه سوء ، فقال الرسول لنائب دمشق أنا ناصح لك ، وقد قيل : انه يجمع الناس عليك وعقد لهم بيعة فجزع من ذلك وأرسله الى القاهرة على البريد .

## ( ذكر خروجه لمصر )

قالوا : ولما توجه الشيخ من دمشق المحروسة لمصر في يوم الاثنين ثاني عشر رمضان سنة خمس وسبعمائة وكان يوما مشهودا غريب المثل في كثرة ازدهام الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره الى قريب الجبودة فيما بين دمشق والكسوة التي هي أول منزل ، وهم ما بين بالك وحزين ومتعجب ومنتزه ومزاحم متغال فيه ودخل الشيخ مدينة مصر غرة يوم السبت وعمل في جامعها مجلسا عظيما .

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي الى القاهرة ، وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة لمحفل الشيخ وأراد الشيخ أن يتكلم فلم يمكن من البحث والكلام على عادته ، وانتدب له الشمس ابن عدلان خصما احتسابا ، وادعى عليه عند القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول ان الله فوق العرش حقيقة ، وأن الله يتكلم بحرف وصوت ، زاد الحافظ الذهبي وأن الله يشار اليه الاشارة الحسية ، وقال اطلب عقوبته على ذلك ، فقال القاضي : ماتقول يافقيه ؟ فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه ، فقال له القاضي : أجب ، ماجئنا بك لتخطب ، فقال : ومن الحاكم في ، قيل له القاضي المالكي ، قال كيف يحكم في وهو خصمي ، وغضب غضبا شديدا وانزعج ، فأقيم من ساعته وحبس في برج أياما ، ثم نقل منه ليلة عيد الفطر الى الحبس المعروف بالجب هو وأخواه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحيم ، ثم ان نائب السلطنة سيف الدين سلاار بعد أكثر من سنة وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي ، ومن الفقهاء الباجي والجزري والتراوي ، وتكلم في اخراج الشيخ من الحبس ، فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة ، فأرسلوا اليه من يحضره ليتكلموا معه في ذلك فلم يجب الى الحضور ، وتكرر الرسول اليه في ذلك ست مرات وصمم على عدم الحضور ، فطال عليهم المجلس وانصرفوا من غير شيء .

وفي شهر ذي الحجة سنة ست وسبعمائة طلب اخوة الشيخ تقي الدين : شرف الدين وزين الدين من الحبس الى مجلس نائب السلطنة سلاار ، وحضر القاضي زين الدين ابن مخلوف المالكي وجرى بينهم كلام كثير ، وأعيدا الى مواضعهما بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضي المالكي وظهر عليه في النقل وخطأه في مواضع ، وفي ثاني يوم أحضر الشيخ شرف الدين وحده الى مجلس نائب السلطنة وحضر ابن

عدلان وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره وبحث معه وظهر عليه .  
وفي صفر سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدر الدين ابن جماعة بالشيخ تقي  
الدين في دار الاحدى بالقلعة بكرة الجمعة وتفرقا قبل الصلاة وطال بينهما الكلام ،  
وفي ربيع الأول من سنة سبع دخل الأمير حسام الدين مهني بن عيسى ملك العرب  
الى مصر وحضر بنفسه الى الجب ، فأخرج الشيخ تقي الدين يوم الجمعة الى دار  
نائب السلطنة بالقلعة وحضر بعض الفقهاء وحصل بينهم بحث كثير وفرقت بينهم صلاة  
الجمعة ، ثم اجتمعوا الى المغرب ولم ينفصل الأمر ، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم  
السلطان ، وحضر جماعة من الفقهاء كثيرة ، كنجم الدين ابن الرفعة ، وعلاء الدين  
الباجي ، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد ، وعز الدين النمرائي ، وشمس الدين ابن  
عدلان ، ولم يحضر القضاة وطلبوا واعتذر بعضهم بالمرض وبعضهم بغيره ، وانفصل  
المجلس على خير ، وبات الشيخ عند نائب السلطنة ، وكتب كتابا الى دمشق بكرة  
الاثنين يتضمن خروجه ، وأنه أقام بدار سفير بالقاهرة ، وأن الأمير سيف الدين سلار  
رسم بتأخيره عن الأمير مهني أياما ليرى الناس فضله ، ويحصل لهم الاجتماع به ،  
وكان مدة مقام الشيخ في الجب ثمانية عشر شهرا ، وفرح خلق كثير بخروجه وسروا  
سرورا عظيما ، وحزن آخرون ، وامتدحه الشيخ الامام نجم الدين سليمان بن عبد  
القوي بقصيدة منها :

وكل صعب اذا صابرته هانا  
احدى اثنتين فأيقن ذلك ايقانا  
أو امتحانا به تزداد قربانا  
سعدا ومرعاك للزوار سعدانا  
ولت وينفع من بالود والانا  
ومنصبا فرع الأفلاك تيبانا  
في معشر أشربوا في العقل نقصانا  
لصيروا لكم الأجنان أوطانا  
عنه الأوائل مذ كانوا الى الآنا  
عليك دهر لأهل الفضل قد خانا  
وانتي من ذوي الايمان ايمانانا  
فلا برحت لعين المجد انسانانا

فاصر ففي الغيب ما يغنيك عن حيل  
ولست تعمد من خطب رميت به  
تمحيص ذنب لتلقى الله خالصة  
ياسعد انا لترجو أن تكون لنا  
وان يضربك الرحمن طائفة  
ياأهل تيمية العالين مرتبة  
جواهر الكون أتم غير أنكم  
لا يعرفون لكم فضلا ولو عقلوا  
يامن حوى من علوم الخلق ما قصرت  
ان تبلى بلثام الناس يرفعهم  
اني لأقسم والاسلام معتقدي  
لم ألق قبلك انسانا أسر به

في أبيات كثيرة غير هذه يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه •  
وفي يوم الجمعة صلى الشيخ في جامع الحاكم وجلس ، فاجتمع عليه خلق عظيم ،  
فَسئل منه الوعظ ، فاستعاذ وقرأ الفاتحة وتكلم في تفسير ( إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ ) وفي معنى العبادة والاستعانة الى العصر •

ثم لم يزل الشيخ رحمه الله بمصر يعلم الناس ويفتيهم ويذكر بالله ويدعو اليه  
ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة الى العصر  
الى أن ضاق منه خلق كثير •

وقال الحافظ الذهبي : أقام بمصر يقريء العلم ، واجتمع خلق عنده الى أن  
تكلم في الاتحادية القائلين بوحدة الوجود وهم ابن سبعين وابن عربي والقونوي  
وأشباههم ، فتحزب عليه صوفية وفقراء وسعوا فيه ، واجتمع خلائق من أهل الخوانق  
والربط والزوايا واتفقوا على أن يشكوا الشيخ للسلطان ، فطلع منهم خلق الى  
القلعة وخلق تحت القلعة وكانت لهم ضجة شديدة حتى قال السلطان ما لهؤلاء ؟ فقيل  
له : جاؤا من أجل الشيخ ابن تيمية يشكون منه ويقولون انه يسب مشائخهم ويضع  
من قدرهم عند الناس ، واستغاثوا منه وأجلبوا عليه ، ودخلوا على الأمراء في أمره  
ولم يبقوا ممكنا ، وأمر أن يعقد له مجلس بدار العدل ، فعقد له يوم الثلاثاء في عشر  
شوال الأول سنة سبع وسبعمائة ، وظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته  
وقوة قلبه وصدق توكله وبيان حجته ما يتجاوز الوصف وكان وقتا مشهودا •

وذكر الشيخ علم الدين البرزالي وغيره أن في شوال من سنة سبع وسبعمائة  
شكى شيخ الصوفية بالقاهرة كريم الدين الأملي وابن عطاء وجماعة نحو الخمسمائة  
من الشيخ تقي الدين وكلامه في ابن عربي وغيره الى الدولة فخيروه بين الإقامة  
بدمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس ، فاختر الحبس ، فدخل عليه جماعة في  
السفر الى دمشق ملتزما ما شرط فأجابهم ، فأركبوه خيل البريد ليلة ثامن عشر  
شوال ، ثم أرسل خلفه من الغد بريد آخر فركب على مرحلة من مصر ورأوا مصلحتهم  
في اعتقاله ، وحضر عند قاضي القضاة بحضور جماعة من القهاء ، فقال بعضهم له  
ما تعرضى الدولة الا بالحبس ، فقال قاضي القضاة وفيه مصلحة له ، واستتاب شمس  
الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع ، وقال ما ثبت عليه  
شيء ، فاذن لنور الدين الزواوي المالكي فتحير ، فقال الشيخ : أنا أمضى الى الحبس

وأُتبع ماتقتضيه المصلحة ، فقال نور الدين فيكون في موضع يصلح لمثله ، فقيل له ماترضى الدولة الا بسمى الحبس ، فأرسل الى حبس القضاة بحارة الديلم ، وأجلس في الموضع الذي جلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعرز لما حبس ، وأذن في أن يكون عنده من يخدمه ، وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجي ووجاهته في الدولة .

( ولما دخل الحبس ) وجد المحاييس مشغولين بأنواع من اللعب بلتهون بها عما هم فيه ، كالشطرنج والرد مع تضييع الصلوات ، فأنكر الشيخ ذلك عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه الى الله تعالى بالأعمال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء ، وعلمهم من السنة ما يحتاجون اليه ورغبهم في أعمال الخير وحضهم على ذلك ، حتى صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيرا من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس ، وصار خلق من المحاييس اذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده ، وكثر المترددون اليه حتى كان السجن يمتليء منهم ، واستمر الشيخ في الحبس يستفتي ويقصده الناس ويزورونه ، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس ، فلما كثرت اجتماع الناس به وترددهم اليه ساء ذلك أعداءه وحصرت صدورهم ، فسألوا نقله الى الاسكندرية فنقل اليها مع أمير مقدم على البريد ، ولم يمكن أحد من جماعته من السفر معه وحبس ببرج منها ، وأُتبع بأنه قتل وأنه غرق غير مرة ووصل الخبر الى دمشق بعد عشرة أيام فحصل التألم وضاعت الصدور وتضاعف الدعاء ، واستمر الشيخ بغير الاسكندرية ثمانية أشهر مقيما ببرج مليح مطبق له شباك ، أحدهما الى جهة البحر يدخل اليه من شاء ويتردد الأكارب والأعيان والفقهاء يقرؤن عليه ويبحثون معه ويستفيدون منه وأرسل صاحب سبته الى الشيخ يطلب منه الاجازة .

فلما دخل السلطان الملك الناصر الى مصر بعد خروجه من الكرك وقدمه الى دمشق وتوجه منها الى مصر سنة تسع وسبعمائة بادر لاحضار الشيخ من الاسكندرية في اليوم الثامن من شوال ، فخرج الشيخ منها متوجها الى مصر ومعه خلق من أهلها يودعونه ويسألون الله أن يرده اليهم ، وكان وقتا مشهودا ، ووصل الى القاهرة ثامن عشر الشهر ، واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه ، وأكرمه وتلقاه في مجلس حفل حضر فيه قضاة مصر والشام والفقهاء وأصلح بينه وبينهم .

( قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة ) أخبرني بعض أصحابنا ، قال أخبرني

القاضي جمال الدين ابن القلانسي قاضي العساكر المنصورة ذات ليلة - وقد أشاع  
الجهلة والمبغضون بأخبار مختلفة - فقلت له : ان الناس يقولون كيت وكيت ، وأن  
الشيخ ربما يخرج من القلعة ويدعى عليه ويعزر ويطاق به ، فقال الشيخ : يا فلان  
هذا لا يقع ، ولا يسمح السلطان بشيء من ذلك ، وهو أعلم بالشيخ وبعلمه ودينه ، ثم  
قال : أخبرك بشيء عجيب رقع من السلطان في حق الشيخ وهو أنه حين توجه  
السلطان الى الديار المصرية ومع القضاة والأعيان ونائب الشام الأقرم ، فلما دخل  
الديار المصرية وعاد الى مملكته وهرب سلاار والجاشنكير واستقر أمر السلطان :  
جلس يوما في دست السلطنة وأبهة الملك وأعيان الأمراء من الشاميين والمصريين  
حضور عنده ، وقضاة مصر عن يمينه وقضاة الشام عن يساره ، وذكر لي كيفية  
جلوسهم منه بحسب منازلهم ، قال : ومن جملة من هناك ابن صصري عن يسار  
السلطان ، وتحت الصدر علي قاضي الحنفية ، ثم بعده الخطيب جمال الدين ، ثم  
بعده ابن الزملكاني ، قال وأنا الى جانب ابن الزملكان ، والناس جلوس خلفه ،  
والسلطان على مقعد مرتفع ، فبينما الناس كذلك جلوس انتهض السلطان قائما ، فقام  
الناس ، ثم مشى السلطان فنزل عن تلك المقعدة ولا يدري ما به ، واذا بالشيخ تقي  
الدين مقبل من الباب والسلطان قاصد اليه ، فنزل السلطان عن الايوان والناس قيام  
والقضاة والأمراء والدولة ، فتسالم هو والسلطان الى ضفة في ذلك المكان فيها شباك  
الى بستان فجلسا فيها حينما ثم أقبلا ويد الشيخ في يد السلطان ، فقام الناس وكان  
قد جاء في غيبة السلطان الوزير فخر الدين ابن الخليس فجلس عن يسار السلطان فوق  
ابن صصري ، وقعد السلطان على مقعده متربعا ، وشرع يثني على الشيخ عند الأمراء  
ثناء ماسمعته من غيره قط ، وقال كلاما كثيرا والناس يقولون معه ومشله الأمراء  
والقضاة ، وكان وقتا عجيبا وذلك مما يسوء كثيرا من الحاضرين من أبناء جنسه ،  
وقال في الشيخ من الثناء والمبالغة ما لا يقدر أحد من أخص أصحابه يقوله ، ثم ان  
الوزير أنهى الى السلطان أن أهل الذمة قد بذلوا للدولة في كل سنة سبعمائة ألف  
درهم زيادة على الجالية الى أن يعودوا الى لبس العمائم البيض ، وأن يعفوا من هذه  
العمائم المصبوغة التي ألزمهم بها ركن الدين الجاشنكير ، فقال السلطان للقضاة ومن  
هناك ماتقولون ؟ فسكت الناس ، فلما رآهم الشيخ تقي الدين سكتوا جثا على ركبتيه  
وشرع يتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ ، ويرد ماعرضه الوزير ردا عنيفا ،  
والسلطان يسكته برفق وتوقير ، وبالغ الشيخ في الكلام ، وقال مالا يستطيع أحد أن

يقول مثله ولا يقرب منه حتى رجع السلطان عن ذلك وألزمهم بما هم عليه واستمروا على هذه الصفة ، فهذا من حسنات الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله •

قال وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر أن السلطان - لما جلسنا بالشباك - أخرج فتاوى لبعض الحاضرين في قتله واستفتائي في قتل بعضهم ، قال ففهمت مقصوده وأن عنده حنقا شديدا عليهم لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، فسرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد في دولتك مثلهم ، وأما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي وسكنت ما عنده عليهم ، قال : فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك ما رأينا أعفى من ابن تيمية ، لم نبق ممكنا في السعي فيه ولما قدر علينا عفا •

( ثم ان الشيخ ) بعد اجتماعه بالسلطان نزل الى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين ، قال الذهبي : ولم يكن الشيخ من رجال الدول ، ولا يسلك معهم تلك النواميس ، فلم يعد السلطان يجتمع به ، وعاد الى بث العلم ونشره ، والخلق يشتغلون عليه ، ويقرؤون ويستفتونه ويحييهم بالكلام والكتابة والأمراء والأكابر والناس يترددون اليه ، وفيهم من يعتذر اليه مما وقع ، فقال : قد جعلت الكل في حل مما جرى ، ولم يزل الشيخ مستمرا على عادته من نفع الناس وموعظتهم والاجتهاد في سبيل الخير •

( فلما كان ) في شهر رجب سنة احدى عشرة وسبعمائة اتفق أن جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ وتفردوا به وضربوه ، قال الشيخ علم الدين ظفر به بعض المبغضين له في مكان خال وأساؤا عليه الأدب ، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم الى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له فلم يجب الى ذلك ، قال بعض أصحابنا جئت الى مصر فوجدت خلقا كثيرا من الحسنية وغيرهم رجالا وفرسانا يسألون عن الشيخ فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب الممالك على البحر ، واجتمع عنده جماعة وتتابع الناس ، وقال له بعضهم ياسيدي قد جاء خلق من الحسنية لو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا ، فقال لهم الشيخ لأي شيء ؟ قالوا لأجلك ، فقال الشيخ : هذا لا يجوز قالوا : فنحن نذهب الى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم ونخرب دورهم فانهم شوشوا على الخلق وأثاروا هذه الفتنة على الناس ، فقال لهم : هذا ما يحل ، قالوا فهذا الذي فعلوه معك يحل ؟ هذا شيء لانصبر عليه ، ولا بد أن نروح اليهم ونقاتلهم على ما فعلوا والشيخ ينههم ويزجرهم ، فلما أكثروا في القول قال لهم : اما أن يكون الحق لي فهم في حل ، وان كان لكم فان لم تسمعوا مني فلا تستفتوني

وافعلوا ماشئتم ، وان كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء ان شاء .  
وأقام الشيخ بعد هذا مدة في الديار المصرية ، ثم انه توجه الى الشام صحبة  
الجيش المصري قاصدا الغزاة ، فلما وصل معهم الى عسقلان توجه الى بيت المقدس ،  
وتوجه منه الى دمشق ، وجعل طريقه على عجلون ، ووصل دمشق أول يوم من ذي  
القعدة سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ومعه أخواه وجماعة من أصحابه ، وخرج خلق كثير  
لتلقيه وسروا سرورا عظيما بمقدمه وسلامته ، وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع  
سنين وسبع جمع .

( ذكر ما وقع للشيخ ابن تيمية بعد عوده لدمشق المحروسة )

قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة : ثم ان الشيخ رحمه الله بعد وصوله من  
مصر الى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازما للاشتغال ونشر العلم وتصنيف الكتب  
وافتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة ونفع الخلق والاحسان اليهم والاجتهاد في  
الأحكام الشرعية ، ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى اليه اجتهاده من موافقة أئمة  
المذاهب الأربعة ، وفي بعضها قد يفتي بخلافهم أو بخلاف المشهور بما قام الدليل  
عليه عنده .

( ومن اختياراته ) التي خالفهم فيها أو خالف المشهور من أقوالهم القول بقصر  
الصلاة في كل ما يسمى سفرا طويلا كان أو قصيرا كما هو مذهب الظاهرية ، وقول  
بعض الصحابة .

( والقول ) بأن البكر لا تستبرأ وان كانت كبيرة كما هو قول ابن عمر واختاره  
البخاري صاحب الصحيح .  
( والقول ) بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء كما هو مذهب ابن عمر  
واختاره البخاري أيضا .

( والقول ) بأن من أكل في شهر رمضان معتقدا الليل فبان نهارا لا قضاء عليه  
كما هو في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واليه ذهب بعض التابعين  
وبعض الفقهاء بعدهم .

( والقول ) بأن من أفطر في رمضان عمدا أو ترك الصلاة بلا عذر لا قضاء عليه ،  
وقال به بعض الظاهرية ، وحكي عن ابن بنت الشافعي ، وفي البخاري عن أبي هريرة  
( من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وان صامه )  
وبه قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، وقال سعيد بن المسيب والشعبي وابن جبير



وابراهيم وقتادة وحماد يقضي يوما مكانه .

(والقول) بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة كما في حق القارن والمفرد ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ورواية عن الامام أحمد بن حنبل رواها عنه ابنه عبد الله ، وكثير من أصحاب الامام أحمد رضي الله عنه لا يعرفونها .

(والقول) بجواز المسابقة بلا محلل وان خرج المتسابقان .

(والقول) باستبراء المختلعة بحيضة وكذلك الموطوءة بشبهة المطلقة آخر ثلاث

تطبيقات .

(والقول) باباحة وطء الوثنيات بملك اليمين .

(والقول) بجواز عقد الرداء في الاحرام ولا فدية في ذلك ، وجواز طواف

الحائض ولا شيء عليها اذا لم يمكنها أن تطوف طاهرا .

(والقول) بجواز بيع الأصل بفرعه ، كالزيتون بالزيت ، والسهم بالشريح .

(والقول) بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتخلي وغيره بالفضة متفاضلا وجعل

الزائد من الثمن في مقابلة الصنعة .

(والقول) بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه الا أن يتغير قليلا كان أو

كثيرا .

(والقول) بجواز التيمم في مواضع معروفة والجمع بين الصلاتين في أماكن

مشهورة وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله .

(وكان يميل) آخر التورث المسلم من الكافر الذمي وله في ذلك مصنف وبحث

طويل .

(ومن أقواله) المشهورة التي جرى بسبب الافتاء بها محن وقلقل قوله بالتكفير

في الحلف بالطلاق ، وان الطلاق الثلاث لا يقع الا واحدة ، وله في ذلك مصنفات

ومؤلفات كثيرة ، منها قاعدة كبيرة سماها تحقيق الفرقان بين التطليق والايان ، نحو

أربعين كراسة ، وقاعدة سماها الفرق المبين بين الطلاق واليمين ، بقدر النصف من

ذلك ، وقاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفرة مجلد لطيف ، وقاعدة في تقرير أن

الحلف بالطلاق من الايمان حقيقة ، وقواعد وأجوبة غير ذلك لا تنضب ولا تنحصر ،

وله جواب اعتراض ورد عليه من الديار المصرية ، وهو جواب طويل في ثلاث مجلدات

بقطع نصف البلدي .

(ثم اجتمع بالشيخ) يوم الخميس نصف ربيع الآخر سنة ثمان وعشرون وسبعمائة

القاضي شمس الدين ابن مسلم الحنبلي وأشار عليه بترك الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق فقبل اشارته وعرف نصيحته وأجاب الى ذلك .

( فلما كان ) يوم السبت أول جمادى الأولى من هذه السنة ورد البريد الى دمشق ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق التي رآها الشيخ تقي الدين ، والأمر بعقد مجلس في ذلك ، فعقد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة ، وانفصل الأمر على ما أمر به السلطان ، ونودي بذلك في البلد بعد الثلاثاء رابع الشهر المذكور ، ثم ان الشيخ عاد الى الافتاء بذلك وقال لايسعني كتمان العلم .

( فلما كان ) يوم الثلاثاء تاسع عشري رمضان من سنة تسع عشرة جمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقرىء عليهم كتاب السلطان ، وفيه فصل يتعلق بالشيخ بسبب الفتوى في هذه المسألة ، وأحضر وعوتب على فتياه بعد المنع ، وأكد عليه في المنع من ذلك .

فلما كان بعد ذلك بمدة ثاني عشري رجب سنة عشرين عقد مجلس بدار السعادة وحضره النائب والقضاة وجماعة من المفتين ، وحضر الشيخ ، وعاودوه في الافتاء في مسألة الطلاق ، وعاتبوه على ذلك ، وجس في القلعة ، فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم ورد مرسوم السلطان باخراجه ، فأخرج يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة احدى وعشرين ، وتوجه الى داره ، ثم لم يزل بعد ذلك يعلم الناس ويلقي الدروس في أنواع العلوم .

( ذكر حبس الشيخ بقلعة دمشق الى أن مات فيها )

قالوا لما كان سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع الكلام في مسألة شد الرحال واعمال المطي الى قبور الأنبياء والصالحين ، وكثر القيل والقال بسبب العشور على جواب الشيخ الآتي ، وعظم التشنيع على الشيخ ، وحرف عليه ونقل عنه ما لم يقله ، وحصلت فتنة طار شررها في الآفاق ، واشتد الأمر وخيف على الشيخ من كيد القائمين في هذه القضية ، بالديار الشامية والمصرية ، وضعف من أصحاب الشيخ من كان عنده قوة ، وجبن منهم من كانت له همة .

وأما الشيخ رحمه الله فكان ثابت الجأش ، قوي القلب ، وظهر صدق توكله واعتماده على ربه ، ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ ، فقال أحدهم ينفي فنفي القائل ، وقال آخر يقطع لسانه فقطع لسان القائل ،

وقال آخر يعزر فعزر القائل ، وقال آخر يحبس فحبس القائل ، أخبر بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها .

واجتمع جماعة آخرون بمصر وقاموا في هذه القضية قياما عظيما ، واجتمعوا بالسلطان وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ ، فلم يوافقهم السلطان على ذلك وأرضى خاطرهم بالأمر بحبسه .

فلما كان يوم الاثنين سادس شعبان من السنة المذكورة ورد مرسوم السلطان بأن يكون في القلعة ، وأحضر للشيخ مركوب فأظهر السرور بذلك وقال اني كنت منتظرا ذلك ، وهذا فيه خير عظيم ، فركب الى القلعة وأخلت له قاعة حسنة ، وأجري اليها الماء ، ورسم له بالاقامة فيها ، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بأذن السلطان ، ورسم له بما يقوم بكفائته ، وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قريء بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد بذلك وبمنعه من القتيا .

( وليس بعجب ) فقد وقع لأبي حنيفة مثله من المنع والحبس ، ووقع للإمام أحمد كذلك فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم ، وأوذي جماعة من أصحابه ، واختفى آخرون ، وعزر جماعة ونودي عليهم ، ثم أطلقوا سوى الامام شمس الدين محمد ابن أبي بكر امام الجوزية فانه حبس بالقلعة وسكنت الفتنة .

( وهذا صورة السؤال وجواب الشيخ عنه )

ماتقول السادة أئمة الدين - نفع الله بهم المسلمين - في رجل نوى زيارة قبور الأنبياء والصالحين - مثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره - فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هذه الزيارة شرعية أم لا ؟ وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( من حج ولم يزرني فقد جفاني ) ( ومن زارني بعد موتي كان كمن زارني في حياتي ) وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى ) أفتونا مأجورين ؟

( الجواب ) الحمد لله رب العالمين ، أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين : ( أحدهما ) وهو قول متقدمي العلماء الذين لايجوزون القصر في سفر المعصية

كأبي عبد الله ابن بطة وأبي الوفاء ابن عقيل وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين أنه لا يجوز القصر في مثل هذا السفر ، لأنه سفر منهي عنه في الشريعة فلا يقصر فيه .  
( والقول الثاني ) أنه يقصر وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم ، كأبي حنيفة رحمه الله ، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي الحسن ابن عبدوس الحرائي ، وأبي محمد ابن قدامة المقدسي ، وهؤلاء يقولون : ان هذا السفر ليس بمحرم ، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : ( زوروا القبور ) وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، كقوله ( من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ) رواه الدار قطني .

( وأما ما يذكره ) بعض الناس من قوله ( من حج ولم يزرني فقد جفاني ) فهذا لم يروه أحد من العلماء ، وهو مثل قوله ( من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة ) فان هذا أيضا باطل باتفاق العلماء ، لم يروه أحد ولم يحتج به أحد ، وانما يحتج بعضهم بحديث الدار قطني .

وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور بأنه صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قباء .

وأجاب عن حديث ( لاتشد الرحال ) بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب .  
وأما الأولون فانهم يحتجون بما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى ) ، وهذا الحديث مما اتفق الأئمة على صحته والعمل به ، فلو نذر بشده الرحال أن يصلي بمسجد أو بمشهد أو يعتكف فيه ويسافر اليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة ، ولو نذر أن يسافر ويأتي المسجد الحرام بحج أو عمرة وجب عليه ذلك باتفاق العلماء ، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قوليه وأحمد ولم يجب عند أبي حنيفة لأنه لا يجب عنده بالنذر الا ما كان جنسه واجبا بالشرع .

( وأما الجمهور ) فيوجبون الوفاء بكل طاعة ، كما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه ) وانسفر الى المسجدين طاعة فهذا وجب الوفاء به .

وأما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة فلم يوجب أحد من العلماء السفر اليه اذا نذره ، حتى نص العلماء على أنه لايسافر الى مسجد قباء ، لأنه ليس من الثلاثة ، مع أن مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان في المدينة ، لأن ذلك ليس بشد رحل ، كما في الحديث الصحيح : ( من تطهر في بيته ثم أتى الى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان كعمرة )

قالوا ولأن السفر الى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يعملها أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا استحج ذلك أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنة واجتماع الأمة ، وهذا مما ذكره أبو عبد الله ابن بطة في ( الابانة الصغرى ) من البدع المخالفة للسنة والاجماع ، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي محمد لأن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، وهو يسلم لهم أن السفر اليه لا يجب بالنذر .

وقوله : ( لاتشد الرحال الخ ) محمول على نفي الاستحباب : عنه جوابان :  
( أحدهما ) أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قرينة ولا طاعة ولا هو من الحسنات فاذن من اعتقد أن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قرينة وعبادة وطاعة فقد خالف الاجماع ، واذا سافر لاعتقاده أنها طاعة كان ذلك محرما باجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذه قرينة ، ومعلوم أن أحدا لايسافر اليها الا لذلك ، وأما اذا نذر الرجل أن يسافر اليها لغرض مباح فهذا جائز ، وليس من هذا الباب .

( الوجه الثاني ) أن الحديث يقتضي النهي والنهي يقتضي التحريم ، وما ذكره من الأحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يروها أحد من أهل السنن المعتمدة ولا شيئا منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها ، بل مالك امام أهل المدينة الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة كره أن يقول الرجل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم أو مشروعا أو مأثورا عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه عالم أهل المدينة ، والامام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسنة لما سئل عن ذلك لم يكن عنده مايعتمد عليه في ذلك من الأحاديث الا حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام ) وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه ، وكذلك مالك في الموطأ ، وروى

عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا دخل المسجد قال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف ، وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لاتتخذوا قبوري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ) وفي سنن سعيد بن منصور أن عبد الله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رأى رجلاً يختلف إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لاتتخذوا قبوري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ) فما أنت ورجل بالاندلس منه الا سواء ، وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرض موته : ( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً ) وهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء ، لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجداً فيتخذ قبره وثناً ، وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد إلى زمن الوليد بن عبد الملك لا يدخل أحد إليه لا لصلاة هناك ، ولا لتمسح بالقبر ، ولا دعاء هنالك ، بل هذا جميعه انما كانوا يفعلونه في المسجد ، وكان السلف من الصحابة والتابعين اذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر .

وأما الوقوف للسلام عليه فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة أيضاً ولا يستقبل القبر ، وقال أكثر الأئمة بل يستقبل القبر عند السلام خاصة ، ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر عند الدعاء ، وليس في ذلك الا حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافها ، واتفق الأئمة على أنه لا يسق قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقبله وهذا كله محافظة على التوحيد ، فان من أصول الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد ، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى :

( وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ

وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ) (١) قالوا هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا

عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها ، وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ، وذكره محمد بن جرير الطبري في التفسير عن غير واحد من السلف ، وقد بسط الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع .

وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الرافضة ونحوهم ، الذين يعطلون المساجد ، ويعظمون المشاهد ، التي يشرك فيها ، ويكذب فيها ، وابتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانا ، فان الكتاب والسنة انما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد ، كما قال تعالى ( قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) (١) وقال تعالى : ( إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) (٢) وقال تعالى : ( وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) (٣) وقال تعالى : ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ) (٤)

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه كان يقول : ( ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك ) . ( هذا آخر ما أجاب به شيخ الاسلام ابن تيمية والله سبحانه وتعالى أعلم )  
 وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدم أقدم من هذا الجواب المذكور ، وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب ، كما أشار اليه في الجواب ، ولما ظفروا في دمشق بجوابه هذا كتبوه وبعثوا به الى الديار المصرية ، وكتب عليه قاضي الشافعية قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية فصح ، الى أن قال : وانما المحرم جعله زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصية مقطوعا بها ، هذا كلامه .

فانظر الى هذا التحريف على شيخ الاسلام ، والجواب ليس فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وانما فيه ذكر قولين في شد الرحل للسفر الى مجرد زيارة القبور ، والزيارة من غير شد رحل اليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لا يمنع الزيارة الخالية عن شد الرحل بل يستحبها ويندب اليها وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض الشيخ الى هذه الزيارة في الفتيا لأن السائل لم يسأل عنها ، ولا قال انها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها ، لأن العامة فضلا عن العلماء يعرفون أن زيارة القبور سنة ، كيف يظن الجهل بذلك ممن سلم له الاجتهاد المطلق ، والله سبحانه لا تخفى عليه خافية .

(١) الاعراف : ٢٩ - (٢) التوبة : ١٨ (٣) الجن : ١٨ - (٤) البقرة : ١١٤

ولما وصل خط القاضي المذكور الى الديار المصرية كثر الكلام وعظمت الفتنة وطلب القضاة بها فاجتمعوا وتكلموا ، وأشار بعضهم بحبس الشيخ فرسم السلطان به وجرى ما تقدم ذكره ، ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين في هذه القضية لا يمكن ذكرها في هذا الموضوع .

( ذكر انتصار علماء بغداد للشيخ )

قالوا لما وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة الى علماء بغداد قاموا في الانتصار له وكتبوا بموافقته ، قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة ورأيت خطوطهم بذلك ، وينبغي ذكر شيء منها هنا .

هذه صورة جواب الشيخ الامام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد المحمود ابن عبد السلام بن البتي الحنبلي ومن خطه نقل قال :

( بسم الله الرحمن الرحيم ) بعد حمد الله الذي هو فاتحة كل كلام ، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، أعلام الهدى ومصاييح الظلام ، يقول أفقر عباد الله وأحوجهم الى عفوه : ما حكاها الشيخ الامام ، البارع الهمام ، افتخار الأنام ، جمال الاسلام ، ركن الشريعة ، ناصر السنة ، قاصم البدعة ، جامع أشتات الفضائل ، قدوة العلماء الأمائل ، في هذا الجواب من أقوال العلماء والأئمة النبلاء : بين لا يدفع ، ومكشوف لا يتقنع ، بل أوضح من النيرين ، وأظهر من فرق الصبح لذي عينين ، والعمدة في هذه المسألة الحديث المتفق على صحته ، ومنشأ الخلاف بين العلماء من احتمالي صيغته ، وذلك أن صيغة قوله صلى الله عليه وسلم : ( لاتشد الرحال ) ذات وجهين : نفي ، ونهي ، لاحتمالها لهما ، فان لحظ معنى النفي فمعناه نفي فضيلة واستحباب شد الرحل واعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة ، ويتعين توجه النفي الى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتهما ، والا لزم تخلف الخبر ، ولا يلزم من نفي الفضيلة والاستحباب نفي الاباحة ، فهذا وجه متمسك من قال باباحة هذا السفر بالنظر الى أن هذه الصيغة نفي ، وبني على ذلك جواز القصر ، وان كان النهي ملحوظا : فالمعنى حينئذ نهي عن اعمال المطي وشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة ، اذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهي عن الشيء قاض بتحريمه أو كراهته على حسب الأدلة ، فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر لكونه منها عنه ، وممن قال بجرمته الشيخ الامام أبو محمد الجويني من الشافعية ، والشيخ الامام أبو الوفاء ابن عقيل من الحنابلة ، وهو الذي



أشار القاضي عياض من المالكية الى اختياره ، وما جاء من الأحاديث في استحباب زيارة القبور فمحمولة على ما لم يكن فيه شد رحل واعمال مطي جمعا بينها ، ويحتمل أن يقال لا يصلح أن يكون غير حديث شد الرحال معارضا له لعدم مساواته اياه في الدرجة لكونه من أعلى أقسام الصحيح ، والله تعالى أعلم .

( وقد بلغني ) أنه رزىء وضيق على المجيب ، وهذا أمر يحار فيه اللبيب ، ويتعجب منه الأريب ، ويقع منه في شك مريب ، فان جوابه في هذه المسألة قاض بذكر خلاف العلماء وليس حاكما بالغض من الصالحين والأنبياء ، فان الأخذ بمقتضى كلامه صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق على رفعه اليه هو الغاية القصوى في تتبع أوامره ونواهيه ، والعدول عن ذلك محذور ، وذلك مما لامرية فيه ، وإذا كان كذلك فأى حرج على من سئل عن مسألة فذكر فيها خلاف الفقهاء ، ومال فيها الى بعض أقوال العلماء ، فان الأمر لم يزل كذلك على مر العصور وتعاقب الدهور ، وهل ذلك محمول من القادح الا على امتطاء نضو الهوى ، المفضي بصاحبه الى التوى ، فان من يقتبس من فوائده ويلتقط من فرائده لتحقيق بالتعظيم ، وخليق بالتكريم ، ممن له الفهم السليم ، والذهن المستقيم ، وهل حكم المظاهر عليه في الظاهر ، الا كما قيل في المثل السائر ( الشعر يؤكله ويذم ) ولولا خشية الملالة لما سئمت من الاطالة .

( وكتب تحته ) الامام صفى الدين ابن عبد الحق الحنبلي : الحمد لله رب العالمين : وصلاته على سيدنا محمد ، وعلى آله الطاهرين ، ما ذكره مولانا الامام العالم العامل ، جامع الفضائل ، بحر العلم ، ومنشأ الفضل ، جمال الدين الكاتب خطه أمام خطى هذا جميل الله به الاسلام ، وأسبغ عليه سوانح الانعام ، أتى فيه بالحق الجلي الواضح ، وأعرض فيه عن اغضاء المشايخ ، اذ السؤال والجواب اللذان تقدماه لا يخفى على ذي فطنة وعقل أنه أتى في الجواب بالمطابق للسؤال ، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه ، ولم يبق عليه في ذلك الا أن يعترض معترض في نقله فييرزه له من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم ، والمتعرض له بالتشنيع اما جاهل لا يعلم ما يقول ، أو متجاهل يحمله حسده وحميته الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول ، أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد ، وعصمنا من مخائل النكد ، بمحمد وآله الطاهرين .

( جواب آخر لعلماء الشافعية )

قال بعد البسمة والحمدلة : لاريب أن المملوك أوقف على مأسئله الشيخ الامام

العالم العلامة وحيد دهره ، وفريد عصره ، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية ، وما أجاب به ، فوجده خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب ، حسبما اقتضاه الحال من نقله الصحيح ، وما أدى إليه البحث من الالتزام والالتزام ، لا يداخله تحامل ، ولا يعتريه تجاهل ، وليس فيه والعياذ بالله ما يقتضي الأزراء والتنقيص بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكيف يجوز للعلماء أن تحملهم العصبية أن يتفوهوا بالأزراء والتنقيص في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهل يجوز أن يتصور متصور أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم تزيد في قدره ، وهل تركها مما ينقص من تعظيمه ؟ حاش للرسول من ذلك ، نعم لو ذكر ذاكر ابتداء وكان هناك قرائن تدل على الأزراء والتنقيص أمكن حمله على ذلك ، مع أنه كان يكون كناية لاصريحا ، فكيف وقد قاله في معرض السؤال وطريق البحث والجدال ، مع أن المفهوم من كلام العلماء وأنظار العقلاء أن الزيارة ليست عبادة وطاعة بمجردا ، حتى أنه لو حلف أنه يأتي بعبادة أو طاعة لم يبر بها ، لكن القاضي ابن كج من متأخري أصحابنا ذكر أن هذه الزيارة عنده قرينة تلزم ناذرها ، وهو منفرد به لا يساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح ، والذي يقتضيه مطلق الخبر النبوي في قوله عليه السلام لا تشد الرحال الخ أنه لا يجوز شدها إلى غير ما ذكر ، فمن اعتقد جواز الشد إلى غير ما ذكر أو وجوبه أو نديته كان مخالفا لصريح النهي ومخالفة النهي معصية ، حرره ابن الكتبي الشافعي حامدا لله على نعمه .

### ( جواب آخر لعلماء المالكية )

قال : ما أجاب به الشيخ الأوحى الأجل بقية السلف ، وقدوة الخلف ، رئيس المحققين ، وخلاصة المدققين ، تقي الملة والحق والدين ، من الخلاف في هذه المسألة صحيح منقول في غير ما كتاب من كتب أهل العلم ، فلا مجال للاعتراض عليه في ذلك ، إذ ليس بعيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا غض من قدره ، وقد نص الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور ، وهو اختيار الإمام القاضي عياض من المالكية ، وهو أفضل المتأخرين من أصحابنا ، وفي المدونة ومن قال علي المشي إلى المدينة أو بيت المقدس فلا يأتيهما أصلا إلا أن يريد الصلاة في مسجديهما فليأتهما ، فلم يجعل نذر زيارة قبره طاعة يجب الوفاء بها ، ومن أصلنا أن من نذر طاعة لزمه الوفاء بها أكان من جنسها ما هو واجب بالشرع كما هو مذهب أبي حنيفة أو لم يكن ؟ قال القاضي أبو اسحق اسمعيل بن اسحق عقب هذه المسألة :

ولولا الصلاة فيهما لما لزمه اتيانهما ، ولو كان نذر زيارته طاعة لزمه ذلك ، وقد ذكر ذلك القيرواني في تقييده ، والشيخ ابن بشير في تنبيهه ، وفي المبسوط : قال مالك ومن نذر المشي الى مسجد من المساجد ليصلي فيه قال فاني أكره ذلك له ، لقوله صلى الله عليه وسلم : ( لا يعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس ، ومسجدي هذا ) وروى محمد بن المواز في الموازية عنه الا أن يكون قريبا فيلزمه الوفاء ، لأنه ليس بشد رحل ، وقد قال الشيخ أبو عمر ابن عبد البر في ( كتاب التمهيد ) يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وحيث تقرر هذا فلا يجوز أن ينسب من أجاب في هذه المسألة بأنه سفر منهي عنه الى الكفر ، فمن كفره بذلك من غير موجب فان كان مستيحا ذلك فهو كافر ، والا فهو فاسق ، قال الامام أبو عبد الله محمد بن علي المازري في ( كتاب المعلم ) من كفر أحدا من أهل القبلة فان كان مستيحا لذلك فقد كفر ، والا فهو فاسق يجب على الحاكم اذا رفع أمره اليه أن يؤدبه أو يعزره بما يكون رادعا لأمثاله ، فان ترك ذلك مع القدرة عليه فهو آثم ، والله تعالى أعلم ، كتب ذلك محمد بن عبد الرحمن البغدادي الخادم للطائفة المالكية في المدرسة الشريفة المستنصرية .

( جواب آخر لبعض علماء الشام المالكية )

قال : السفر الى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع ، وأما من سافر الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي فيه ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضي الله عنهما فمشروع باتفاق العلماء ، وأما لو قصد اعمال المطي لزيارته صلى الله عليه وسلم ولم يقصد الصلاة فهذا السفر اذا ذكر رجل فيه خلافا للعلماء — وان منهم من قال أنه منهي عنه ، ومنهم من قال أنه مباح ، وأنه على القولين ليس بطاعة ولا قرابة ، فمن جعله طاعة وقرابة على مقتضى هذين القولين كان حراما بالاجماع وذكر حجة كل منهما ، أو رجح أحد القولين — لم يلزمه ما يلزم من تنقص ، اذ لا تنقص في ذلك ولا ازراء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال مالك لسائل سأله اذا نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ان كان أراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليأته وليصل فيه ، وان كان أراد القبر فلا يفعل ، للحديث الذي جاء ( لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد ) والله أعلم ، كتبه أبو عمرو ابن أبي الوليد المالكي .

( وورد مع أجوبة أهل بغداد كتاب وفيه )

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ناصر الملة الاسلامية ، ومعز الشريعة

المحمدية ، بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية ، المليكة المالكية الناصرية ، ألبسها الله تعالى لباس العز المقرون بالدوام ، وحلاها بحلية النصر المستمر بمرور الليالي والأيام ، والصلاة والسلام على النبي المبعوث الى جميع الأنام ، وعلى آله البررة الكرام .

اللهم ان بابك لم يزل مفتوحا للسائلين ، ورفدك ما برح مبدولا للوافدين ، من عودته مسألتك وحدك لم يسأل أحدا سواك ، ومن منحته منائح رفدك لم يفد على غيرك ولم يحتم الا بحماك ، أنت الرب العظيم الكريم الأكرم ، قصد باب غيرك على عبادك محرم ، أنت الذي لا اله غيرك ولا معبود سواك ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، وتقديست أسماؤك ، لم تزل سنتك في خلقك جارية بامتحان أوليائك وأحبائك ، فضلا منك عليهم ، واحسانا من لدنك اليهم ، ليزدادوا لك في جميع الحالات ذكرا ، ولأنعمك في جميع التقلبات شكرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) (١)

اللهم أنت العالم الذي لا يعلم ، وأنت الكريم الذي لا يبخل قد علمت يا عالم السر والعلانية أن قلوبنا لم تزل برفع اخلاص الدعاء صادقة ، وألسنا في حالتنا السر والعلانية ناطقة ، أن تمتعنا بامداد هذه الدولة المباركة الميمونة السلطانية الناصرية بمزيد العلا والرفعة والتمكين ، وأن تحقق آمالنا فيها باعلاء الكلمة ، ففي ذلك رفع قواعد دعائم الدين ، وقمع مكائد الملحدين ، لأنها الدولة التي برئت من غشيان الجنف والحيف ، وسلمت من طغيان القلم والسيف ، والذي عهدده المسلمون وتعوده المؤمنون ، من المراحم الكريمة والعواطف الرحيمة ، اكرام أهل الدين ، واعظام علماء المسلمين ، والذي حمل على رفع هذه الأدعية الصريحة الى الحضرة الشريفة - وان كانت لم تزل مرفوعة الى الله سبحانه وتعالى بالنية الصحيحة - قوله صلى الله عليه وسلم : ( الدين النصيحة ، قيل لمن يارسل الله ؟ قال : لله ، وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين ، وعامتهم ) وقوله صلى الله عليه وسلم ( الأعمال بالنيات ) وهذا الحديثان مشهوران بالصحة مستفيضان في الأمة ، ثم ان هذا الشيخ المعظم الجليل والامام المكرم النبيل ، أوحى الدهر ، وفريد العصر ، طراز المملكة المالكية ، وعلم الدولة السلطانية ، لو أقسم مقسم بالعظيم القدير أن هذا الامام الكبير ليس له في عصره مماثل ولا نظير : لكانت يمينه برة غنية عن التكفير ، وقد خلت من وجود مثله

(١) المنكوبات : ٤٢

السبع الأقاليم الا هذا الاقليم ، يوافق على ذلك كل منصف جبل على الطبع السليم ،  
ولسنا بالثناء عليه نظريه ، بل لو أظن مطنب في مدحه والثناء عليه لما أنى على بعض  
الفضائل التي فيه ، أحمد بن تيسية ، درة تيسية يتنافس فيها ، تشتري ولا تباع ، ليس  
في خزائن الملوك ما يماثلها ويؤاخيها ، انقطعت عن وجود مثله الأطماع .

لقد أصم الأسماع . وأوهى قوى المتبوعين والأتباع : سماع رفع أبي العباس  
أحمد بن تيسية الى القلاع ، وليس يقع من مثله أمر ينقم منه عليه الا أن يكون أمرا  
قد لبس عليه ، ونسب الى مالا ينسب مثله اليه ، والتطويل على الحضرة العالية لا يليق  
ان يكن في الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق ، وقد نصب الله السلطان أعلى الله  
شأنه في هذا الزمان منصب يوسف الصديق لما صرف الله وجوه أهل البلاد اليه ،  
حيث أمحلت البلاد واحتاج أهلها الى القوت المدخر لديه ، والحاجة بالناس الآن الى  
قوت الأرواح الروحانية أعظم من حاجتهم في ذلك الزمان الى طعام الجثث الجسمانية ،  
وأقوات الأرواح المشار اليها لاخفاء أنها العلوم الشريفة ، والمعاني اللطيفة ، وقد كانت  
بلاد المملكة السلطانية - حرسها الله تعالى - تكال الثناء جزافا بغير أثمان ، منحة  
عظيمة من الله ذي السلطان ، ونعمة جسيمة اذ خص بلاد مملكته وأقليم دولته بما  
لا يوجد في غيرها من الأقاليم والبلدان ، وقد كان وفد الوافدون من سائر الأمصار  
فوجدوا صاحب صواع الملك قد رفع الى القلاع ، ومثل هذه الميرة لا توجد في غير  
تلك البلاد لتشتري أو تباع ، وصادف ذلك جذب الأرض ونواحيها جدبا أعطب  
أهاليها ، حتى صاروا من شدة حاجتهم الى الأقوات كالأموات ، والذي عرض للمليك  
بالتضييق على صاحب صواعه مع شدة الحاجة الى غذاء الأرواح لعله لم يتحقق  
عنده أن هذا الامام من أكابر الأولياء وأعيان أهل الصلاح ، وهذه نرغة من نرغات  
الشیطان ، قال الله سبحانه : ( وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ  
الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلانسانِ عدوًّا مُبِينًا ) .<sup>(١)</sup>

وأما ازراء بعض العلماء عليه في فتواه وجوابه عن مسألة شد الرحال الى زيارة  
القبور : فقد حمل جواب علماء هذه البلاد الى نظرائهم من العلماء وقرنائهم من  
الفضلاء ، وكلهم أفتى أن الصواب في الذي به أجاب ، والظاهر بين الأنام أن اكرام  
هذا الامام ومعاملته بالتبجيل والاحترام : فيه من قوام الملك ، ونظام الدولة ، واعزاز

الملة واستجلاب الدعاء ، وكبت الأعداء ، واذلال أهل البدع والأهواء ، واحياء الأمة ، وكشف الغمة ، ووفور الأجر ، وعلو الذكر ، ودفع البأس ، ونفع الناس ، ولسان حال المسلمين تال قول الكبير المتعال : ( فَأَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَأَ وَأَنهَلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِيضَاعٍ مُزَجَّاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ )<sup>(١)</sup> والبضاعة المزجاة هي هذه الأوراق المرقومة بالأقلام ، والميرة المطلوبة الافراج عن شيخ الاسلام ، والذي حمل على هذا الاقدام قوله عليه السلام : ( الدين النصيحة ) والسلام .

( كتاب آخر لعلماء بغداد )

وفيه بعد البسلة والحمدلة : اللهم فكما أيدت ملوك الاسلام وولاية الأمر بالقوة والقهر وشيدت لهم ذكرا وجعلتهم للمقهور اللائذ بجنابهم ذخرا وللمكسور العائد بأكتاف بابهم جيرا فاشدد اللهم منهم بحسن معونتك لهم أسرا ، وأعل لهم مجدا ، وارفع لهم قدرا ، وزدهم عزا وعلى أعدائهم نصرا ، وامنحهم توفيقا مسددا وتمكينا مستمرا .

( وبعد ) فانه لما قرع أسمع أهل البلاد المشرقية والنواحي العراقية التضيق على شيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية سلمه الله تعالى عظم ذلك على المسلمين ، وشق على ذوي الدين ، وارتفعت رؤوس الملحدين ، وطابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين ، ولما رأى علماء أهل هذه الناحية عظم هذه النازلة من شماتة أصحاب البدع وأهل الأهواء بأكابر الأفاضل وأئمة العلماء أنهموا حال هذا الامر الفظيع والحال الشنيع الى الحضرة الشريفة السلطانية - زادها الله شرفا - وكتبوا أجوبتهم في تصويب ماأجاب به الشيخ سلمه الله تعالى في فتاواه ، وذكروا من علمه وفضائله بعض ما هو فيه ، وحملوا ذلك بين يدي مولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ، غيرة منه على هذا الدين ، ونصيحة للاسلام وأمراء المسلمين ، والآراء المولوية العالية أولى بالتقديم ، لأنها منوحة بالهداية الى الصراط المستقيم .

( قلت ) والظاهر أن هذه الكتب لم تصل للسلطان الملك الناصر ، اما لعدم من

(١) يوسف : ٨٨

يوصلها له أو لموت الشيخ قبل وصولها ، والا لظهر لها نتيجة ، ولم أقف على ذلك ،  
وهذه الأجوبة والكتب وصلت كلها الى دمشق .

( ثم ان الشيخ رحمه الله ) استمر مقيما بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياما الى  
أن توفي ، وما زال في تلك المدة معظما مكرما ، يكرمه نقيب القلعة ونائبها اكراما  
كثيرا ، ويقضيان حوائجه ويبالغان في قضائها ، وما برح في هذه المدة مكبا على  
العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والرد على المخالفين ، وكتب على تفسير القرآن  
جملة كثيرة تشتمل على نفائس جليلة ، ونكت دقيقة ، ومعاني لطيفة ، وبين في ذلك  
مواضع كثيرة أشكلت على خلق من علماء أهل التفسير ، وكتب في المسألة التي حبس  
بسببها عدة مجلدات ، منها كتاب في الرد على الأحنائي قاضي المالكية ، ومنها كتاب  
كبير حافل في الرد على بعض قضاة الشافعية ، وأشياء كثيرة في هذا المعنى ، وكان  
ماصنفه في هذه المدة قد خرج بعضه من عنده وكتبه بعض أصحابه وظهر واشتهر ،  
فلما كان قبل وفاته بشهر ورد مرسوم باخراج ما عنده كله ، ولم يبق عنده كتاب ولا  
ورق ولا دواة ولا قلم ، وكان بعد ذلك اذا كتب ورقة الى بعض أصحابه كتبها بفحم ،  
ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق حمل الى القاضي علاء الدين القونوي وجعل  
تحت يده في المدرسة العادلية .

( فصل في ذكر وفاة الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى )

قال أهل التاريخ : كان مولد الشيخ ابن تيمية يوم الاثنين عاشر ربيع الأول  
بحران سنة احدى وستين وستمائة ، وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة  
سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، ولما أخرجت كتبه من عنده أقبل بعد اخراجها على  
العبادة والتلاوة والذكر والتهجد حتى أتاه اليقين ، وكان يختم القرآن في كل عشرة  
أيام ، وختم القرآن مدة اقامته بالقلعة احدى وثمانين ختمة ، انتهى في آخر ختمة الى  
آخر اقتربت ( إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ )<sup>(١)</sup>  
ثم كملت عليه بعد وفاته وهو مسجى ، وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوما ، وكان  
اذ ذاك الملك شمس الدين الوزير بدمشق المحروسة ، فلما علم بمرضه استأذن في  
الدخول عليه لعيادته فاذن الشيخ له في ذلك ، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن  
نفسه ويلتمس منه أن يحلله مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير أو

(١) القمر : ٥٤ ، ٥٥

غيره ، فأجابه الشيخ رضي الله تعالى عنه أني قد أحطت بك وجميع من عاداني وهو لا يعلم  
أنني على الحق ، وقال مامعناه اني قد أحطت السلطان المعظم الملك الناصر من حبه  
اياي لكونه فعل ذلك مقلدا غيره معذورا ولم يفعله لحظ نفسه ، بل لما بلغه مما ظنه  
حقا من مبلغه ، والله يعلم أنه بخلافه ، وقد أحطت كل أحد مما بيني وبينه الا من  
كان عدوا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

( وأكثر الناس ) ما علموا بمرضه فلم يفجأ الخلق الا نعيه ، قال الشيخ علم  
الدين : وفي ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفي  
الشيخ الامام العلامة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة شيخ الاسلام تقي الدين أبو  
العباس أحمد ابن شيخنا الامام المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن  
الشيخ الامام شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي  
القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسا  
فيها ، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن ، ودخل عليه أقاربه وأصحابه ،  
وازدحم الخلق على باب القلعة والطرفات ، وامتلا جامع دمشق ، وحضر جمع كثير  
الى القلعة ، فأذن لهم في الدخول ، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرأوا القرآن  
وتبركوا برويته وتقبيله ثم انصرفوا ، وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ، ثم  
انصرفن ، واقتصر على من يغسله ويعين في غسله ، وشرب جماعة الماء الذي فضل من  
غسله ، وازدحم من حضر غسله من الخاصة والعامة على الماء المنفصل من غسله حتى  
حصل لكل واحد منهم شيء قليل ، واقتسم جماعة بقية الصدر الذي غسل به ، وقيل  
ان الطاقة التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم ، والخيط الذي فيه الزئبق  
وكان في عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما ، فلما فرغوا من ذلك  
أخرج ، وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق الى جامع دمشق ، وامتلا الجامع وصحنه  
والكلاسين وباب البريد وباب الساعات الى اليبادين والفوارة ، ولم يبق في دمشق من  
يستطيع المجيء للصلاة عليه الا حضر لذلك حتى غلقت الأسواق بدمشق وعطلت  
معاشها حينئذ ، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم ،  
وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنساء  
والصبيان من الخواص والعوام ، قال بعض من حضر ولم يتخلف أحد فيما أعلم الا  
ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته فاختلفوا من الناس خوفا على أنفسهم بحيث  
غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس .



( ولما أخرجت جنازته ) فما هي الا أن رآها الناس فأكبوا عليها وحصل البكاء والضجيج والتضرع ، واشتد الزحام من كل جانب ، كل منهم يقصد التبرك ، حتى خشي على النعش أن يحطم قبل وصوله ، فأحرق الأمراء والأجناد ، واجتمع الأتراك فمنعوا الناس من الزحام عليها خشية سقوطها ، وجعلوا يردونهم عن الجنازة بكل مايسكنهم وهم لايزدادون الا زحاما وكثرة ، حتى دخلت جامع بني أمية المحروس فلما علمنا منهم أنه يسع الناس ، فبقي كثير من الناس خارج الجامع ، فصلى عليه رضي الله تعالى عنه بجامع دمشق عقب صلاة الظهر ، وكان صلي عليه أولا في القلعة ، تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام ، ثم حمل الى باب البريد على أيدي الكبراء والأشراف الى ظاهر دمشق واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام وكل باب أعظم زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام ، لكن المعظم من الأبواب الأربعة : باب الفرج الذي خرجت منه الجنازة ، ومن باب الفرديس ، وباب النصر ، وباب الجابية ، فلما خرجوا به لظاهر دمشق وضع بأرض فسيحة متسعة الأطراف ، فصلى عليه الناس أيضا ، وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن ، قال بعض من حضر من الثقات : كنت ممن صلى عليه في الجامع وكان لي متشرف على المكان الذي صلى عليه فيه بظاهر دمشق فأحببت أن أنظر الى الناس وكثرتهم فأشرفت عليهم حال الصلاة وجعلت أنظر يمينا وشمالا ولا أرى أواخرهم بل رأيت الناس قد طبقوا تلك الارض كلها .

واتفق جماعة ممن حضر وشاهد الناس والمصلين عليه على أنهم يزيدون على نحو من خمسمائة ألف ، وحضرها نساء كثير بحيث حزنن بخمسة عشر ألفا ، قال أهل التاريخ : لم يسمع بجنازة تمثل هذا الجمع الا جنازة الامام أحمد بن حنبل ، قال الدار قطني سمعت أبا سهل ابن زياد القطان يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول : قولسوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز ، قال أبو عبد الرحمن السلمي أنه حزر الحزازون المصلين على جنازة أحمد فبلغ العدد بحزهم ألف وسبعمائة ألف سوى الذين كانوا في السفن ، ثم حملت جنازة الشيخ الى قبره في مقبرة الصوفية فوضع ، وقد جاء الملك شمس الدين الوزير ولم يكن حاضرا قبل ذلك فصلى عليه أيضا ومن معه من الأمراء والكبراء ومن شاء الله من الناس ، ثم دفن وقت العصر الى جانب أخيه الشيخ الامام العلامة البارع الحافظ الزاهد العابد الورع جمال الاسلام

شرف الدين ، وكان قد توفي سنة سبع وعشرين في أيام حبس أخيه تقي الدين ، وصلي عليه في جامع دمشق ، ثم حمل الى باب القلعة فصلي عليه مرة أخرى ، وصلى عليه أخواه تقي الدين وزين الدين وخلق من داخل القلعة ، وكان الصوت بالتكبير يبلغهم وكثر البكاء في تلك الساعة ، وكان وقتا مشهودا ، ثم صلي عليه مرة ثالثة ورابعة ، وحضر جنازته جمع كثير وعالم عظيم ، وكثر الثناء والتأسف عليه ، وأثنى عليه الشيخ كمال الدين ابن الزمكاني ، فقال : شرف الدين بارع في فنون عديدة من الفقه ، والنحو ، والأصول ، ملازم لأنواع الخير ، وتعليم العلم ، حسن العبادة ، قوي في دينه ، جيد التفقه ، مستحضر لمذهبه استحضارا جيدا ، مليح البحث صحيح الذهن ، قوي الفهم رحمه الله تعالى .

فلما دفن الشيخ تقي الدين الى جانب أخيه : جعل الناس يأتون قبره للصلاة عليه من القرى والأطراف والأماكن والبلاد مشاة وركبانا ، وتردد الناس الى قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا ، ورؤيت له منامات كثيرة سالحة ، قال الحافظ الشيخ سراج الدين البزار : وما وصل خبر موته الى بلد فيما نعلم الا وصلي عليه في جميع جوامعه ومجامعه ، خصوصا أرض مصر ودمشق والعراق وتبريز والبصرة وقرها وغيرها ، وختمت له الختمات الكثيرة في الليالي والأيام في أماكن كثيرة لم يضبط عددها ، خصوصا بدمشق ومصر والعراق ، حتى جعل كثير من الناس القراءة له وأدار الربعة الشريفة على الناس للقراءة واهدائها له وظيفة معتادة ، قال ولم ير في جنازة مارؤي في جنازته من الوقار والهيبة ، والعظمة والجلالة ، وتعظيم الناس لها ، وتوقيرهم اياها ، وتفخيمهم أمر صاحبها ، وثنائهم عليه بما كان عليه من العلم والعمل ، والزهادة والعبادة ، والاعراض عن الدنيا ، والاشتغال بالآخرة ، والفقير ، وإيثار الكرم ، والمروءة ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة ، والفراسة ، والاقدام في الصدع بالحق ، والأغلاظ على أعداء الله ورسوله ، والمنحرفين عن دينه ، والتواضع لأولياء الله ، والتذلل لهم والاكرام ، والاعتذار والاحترام لجنازتهم ، وعدم الاكتراث بالدنيا وزخرفها ونعيمها ولذاتها ، وشدة الرغبة في الآخرة والمواظبة على طلبها ، حتى سمع ذلك ونحوه من الرجال والنساء والصبيان ، وكل منهم يشي عليه بما يعلمه من ذلك رضي الله عنه وأرضاه ، ونفعنا به في الدنيا والآخرة ، آمين .

هذا وقد قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة في مناقبه - بعد أن أطال الكلام عليها - وللشيخ فضائل كثيرة ، وأسماء مصنفاته وسيرته وما جرى بينه وبين

الفقهاء والدولة والمتصوفة وحبسه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب انتهى .

( فصل فيما رثي به الشيخ من القوائد بعد موته وذلك كثير لا ينحصر )  
ولما مات الشيخ ابن تيمية رحمه الله رثاه كثير من الفضلاء والأئمة العلماء بقوائد جمة لا يسع هذا المختصر ذكرها ، قال الشيخ الامام ابن فضل الله العمري :  
رثاه جماعات من الناس بالشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز ، والغرب - نسأل  
فضل رحمة الله عليه - وها أنا أذكر شيئا من ذلك في هذا المختصر :

( فمنها ) ما قاله الشيخ القاضي الامام العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري الشافعي نثرا ونظما في حق الشيخ ، قال في كلام طويل : ورفع الى السلطان غير ما مرة ، ورمي بالكبائر ، وتربصت به الدوائر ، وسعي به ليؤخذ بالجزائر ، وحسده من لم ينل سعيه ، وكثر فارتاب ، وما تم وما زاد على أنه اغتاب ، وأزعج من وطنه تارة الى مصر ثم الى الاسكندرية وتارة الى مجلس القلعة في دمشق ، وفي جميعها يودع أخبية السجون ، ويلدغ بزباني النون ، وهو على لينظر صحفه ، ويدخر تحفه ، حتى تستهدي أطراف البلاد طرفه ، وتستطلع بقايا الأقاليم شرفه ، الى أن خطفه آخر مرة من سجنه عقاب المنيا ، وجذبتة الى مهواتها قرارة الرزايا ، وكان قبل موته قد منع الدواة والقلم ، وطبع على قلبه منه طابع الألم ، فكان مبدأ مرضه ومنشأ برضه ، حتى نزل قطار المقابر ، وترك قطار المناير ، وحل بساحل ربه وما يحاذر ، واختار راحة قلبه من اللائم والعاذر ، فمات وما مات لابل حي ، وعرف قدره لأن مثله مارؤي ، ما برى على المآثر الى أن ضريحه أحله ، وأتاه بشير الجنة يستعجله ، فاتقل الى الله والظن به أنه لا يخجله ، وكان يوم دفنه يوما مشهودا ، ووقتا معدودا ، ضاقت به البلد وظواهرها ، وتذكرت به أوائل الرزايا وأواخرها ، ولم يكن أعظم منها منذ مئتين من السنين جنازة رفعت على الرقاب ، ووطئت في زحامها الأعقاب ، وصار مرفوعا على الرؤوس متبوعا بالنفوس ، تحدوه العبرات ، وتتبعه الزفرات ، وتقول له الأمم لافقدت من غائب ، ولا قلامه النافعة لأبعدكن الله من شجرات ، كان أمة وحده ، وفردا حتى نزل لحده ، ثم قال :

أهكذا في الدياجي يحجب القمر      ويجبس النوء حتى يجبس المطر  
أهكذا تمنع الشمس المنيرة عن      منافع الأرض أحيانا فتستتر  
أهكذا السيف لاتمضي مضاربه      والسيف في الفتك ما في عزمه خور

أهكذا القوس ترمى بالنعراء وما  
أهكذا يترك البحر الخضم ولا  
أهكذا بتقي الدين قد عبثت  
الى ابن تيمية ترمى سهام أذى  
بر السوابق تمتد العباداة لا  
ولم يكن مثله بعد الصحابة في  
طريقة كان يمشي قبل مثيته  
فرد المذاهب في أقوال أربعة  
لما بنوا قبله عليا مذاهبهم  
مثل الأئمة قد أحيا زمانهم  
ان يرفعوهم جميعا رفع مبتدأ  
أمثله بينكم يلقي بمضيعة  
يكون وهو أمانى لغيركم  
والله لو أنه في غير أرضكم  
مثل ابن تيمية ينسى بحبسه  
مثل ابن تيمية ترضى حواسده  
مثل ابن تيمية في السجن معتقل  
مثل ابن تيمية يرمي بكل أذى  
مثل ابن تيمية تذوى خمائله  
مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى  
مثل ابن تيمية يمضي وما عبثت  
مثل ابن تيمية يمضي وما نهلت  
ولا تجارى له خيل مسومة  
ولا تحف به الأبطال دائرة  
ولا تعبس حرب في مواقفه  
حتى يقوم هذا الدين من ميل  
بل هكذا السلف الأبرار ما برحوا  
تأس بالأنبياء الطهر كم بلغت

تصمى الرمايا وما في باعها قصر  
يلوى عليه وفي أصدافه الدرر  
أيدي العدى وتعدى نحوه الضرر  
من الأنام ويديمى الناب والظفر  
يناله ملل فيها ولا ضجر  
علم عظيم وزهد ماله خطر  
بها أبو بكر الصديق أو عمر  
جاؤا على أثر السباق وابتدروا  
بنى وعمر منها مثل ماعروا  
كأنه كان فيهم وهو منتظر  
فحقه الرفع أيضا أنه خسر  
حتى يطيح له عمدا دم هدر  
تنوبه منكم الأحداث والغير  
لكان منكم على أبوابه زمر  
حتى يموت ولم يكحل به بصر  
بحبسه ولكم في حبسه غدروا  
والسجن كالعمد وهو الصارم الذكر  
وليس يجلى قذى منه ولا نظر  
وليس يلقط من أفانه الزهر  
وما تروق بها الآصال والبكر  
بنسكه العاطر الأردن والطرر  
له سيوف ولا خطية سمر  
وجوه فرسانها الأوضح والفرر  
كأنهم أنجم في وسطها قمر  
يوما ويضحك في أرجائها الظفر  
ويستقيم على منهاجه البشر  
يلبى اصطبارهم جهدا وهم صبر  
فيهم مضرة أقوام وكم هجروا

في يوسف في دخول السجن منقبة  
مأهملوا أبدا بل أمهلوا لمدى  
أيذهب المنهل الصافي وما نعت  
مضى حميدا ولم يعلق به وضر  
طود من الحلم لا يرقى له فنس  
بحر من العلم قد فاضت بقيته  
يألت شعري هل في الحاسدين له  
هل فيهم لحديث المصطفى أحد  
هل فيهم من يضم البحث في نظر  
هلا جمعتم له من قومكم ملاً  
قولوا لهم قال هذا فابحثوا معه  
يلقى الأباطيل أسحارا لها دهش  
فليتهم مثل ذلك الرهط من ملاً  
وليتهم أذعنوا للحق مثلهم  
يا طالما نفرروا عنه مجانبه  
هل فيهم صانع للحق مقوله  
رمى الى نحو غازان مواجهة  
بتلّ راهط والأعداء قد غلبوا  
وشق في المرج والأسياف مصلته  
هذا وأعداؤه في الدور أشجعهم  
وبعدا كسروان والجبال وقد  
واستحصد القوم بالأسياف جهدهم  
قالوا قبرناه قلنا ان ذا عجب  
وليس يذهب معنى منه متقد  
لم ييكة ندما من لم يصب دما  
لهفي عليك أبا العباس كم كرم  
سقى ثراك من الوسمي صبيه  
ولا يزال له برق يغازله

لمن يكابد ما يلقى ويصطبر  
والله يعقب تأييدا وينتصر  
به الظماة ويقتى الحمأة الكدر  
وكلهم وضر في الناس أو ضرر  
كأنما الطود من أحجاره حجر  
ففاضت الأبحر العظمى وما شعروا  
نظيره في جميع القلوم ان ذكروا  
يميز النقد أو يروى له خبر  
أو مثله من يضم البحث والنظر  
كفعل فرعون مع موسى ليعتذروا  
قدامنا وانظروا الجهال ان قدروا  
فليلق الحق ما قالوا وما سحروا  
حتى يكون لكم في شأنهم عبر  
فآمنوا كلهم من بعدما كفروا  
وليتهم نفعوا في الضيم أو نفروا  
أو خائض للوغى والحرب تستمر  
سهامه من دعاء عونه القدر  
على الشأم وطار الشر والشرد  
طوائف كلها أو بعضها تتر  
مثل النساء بظل الباب مستتر  
أقام أطوادها والطود منقطر  
وظالما بطروا طغوى وما نظروا  
حقا وللكواكب الدري قد قبروا  
وانما تذهب الأجسام والصور  
يجري به ديماس تهمي وتهمر  
لما قضيت قضى من عمره العمر  
وزار مغناك قطر كله قطر  
حلوا المراشف في أجفانه حور

تأسى المحارِب والآيات والسور  
أورثت قلبي نارا وقد دها الفكر  
من الأنسام ولا أبقى ولا أذر  
أعك تحفظ زلات كما ذكروا  
أهل الزمان وهذا البدو والحضر  
من الطريق فلا حاروا ولا سهروا  
مجادلا اذ هم في البحث قد حضروا  
رشد المقال فزال الجهل والغرر  
عظيم قدرك لكن ساعد القدر  
وقد يكون فهلا منك تفتقر  
أما أجدت اصابات فتعذر  
له الثواب على الحالين لا الوزر  
سئلت تعرف ما تأتي وما تذر  
كلاهما منك لا يبقى له أثر  
وما عليك اذا لم تفهم البقر  
وما عليك بهم ذموك أو شكروا  
ومن سمالك تبدو الأنجم الزهر

لفقد مثلك يامن ماله مثل  
يا وارثا من علوم الأنبياء نهى  
يا واحدا لست أستثني به أحدا  
يا علما بنقول الفقه أجمعها  
باقامع البدع اللاتي تحبها  
ومرشد الفرقة الضلال نهجهم  
ألم تكن للنصارى واليهود معا  
وكم فتى جاهل غرأنت له  
ما أنكروا منك الا أنهم جهلوا  
قالوا بأنك قد أخطأت مسألة  
غلطت في الدهر أو أخطأت واحدة  
ومن يكون على التحقيق مجتهدا  
ألم تكن بأحاديث النبي اذا  
حاشاك من شبهة فيها ومن شبه  
عليك في البحث أن تبدي غوامضه  
قدمت لله ما قدمت من عمل  
هل كان مثلك من يخفى عليه هدى

وكيف تحذر من شيء تنزل به

أنت التقي فماذا الخوف والحذر

(ومنها) للعلامة أبي حفص عمر بن الوردي الشافعي ناظم البهجة عليه الرحمة :  
قلوب الناس قاسية سلاط  
أينشط قط بعد وفاة جبر  
تقي الدين ذو ورع وعلم  
توفي وهو مسجون فريد  
ولو حضروه حين قضى لألفوا  
قضى نجبا وليس له ترين  
فتى في علمه أضحي فريدا

وليس لها الى العليا نشاط  
لنا من ثر جوهره التقاط  
خروق العضلات به تخاط  
وليس له الى الدنيا انبساط  
ملائكة النعيم به أحاطوا  
ولا لنظيره لف القمساط  
وحل المشكلات به يتاط

وينهى فرقة قسقوا ولاطوا  
 بوغظ للقلوب هو السباط  
 وبالله ماغطى السباط  
 مناقبه فقد مكروا وشاطوا  
 ولكن في آذاه لهم نشطاط  
 وعند الشيخ بالسجن اغتباط  
 فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا  
 نجوم العلم أدركها انهباط  
 فشك الشرك كان به يماط  
 فان الضد يعجبه الخباط  
 يرى سجن الامام فيشتطاط  
 ولا وقف عليه ولا رباط  
 ولم يعهد له بكم اختلاط  
 أما لجزا أذيته اشتراط  
 ففيه لقدر مثلكم انحطساط  
 وخوف الشر لانحل الرباط  
 لأهل العلم ماحسن اشتطاط  
 وكل في هواءه له انخرط  
 ويهنيكم اذا نصب الصراط  
 فعاطوا ماأردتم أن تعاطوا  
 عليكم وانطوى ذلك البساط

وكان الى التقى يدعو البرايا  
 وكان الجن تفرق من سطاها  
 فيا لله ماقد ضم لحد  
 هم حسدوه لما لم ينالوا  
 وكانوا عن طريقته كسالى  
 وحبس الدر في الأصداف فخر  
 بآل الهاشمي له اقتداء  
 بنوا تيمية كانوا فبانوا  
 ولكن ياندامة حاسديه  
 ويفرح اليهود بما فعلتم  
 ألم يك فيكم رجل رشيد  
 امام لا ولاية كان يرجو  
 ولا جاراكم في كسب مال  
 فقيم سجتتموه وغظتموه  
 وسجن الشيخ لايرضاه مثلي  
 أما والله لولا كنتم سري  
 وكنت أقول ماغندي ولكن  
 فما أحد الى الانصاف يدعو  
 سيظهر قصيدكم يا حاسبيه  
 فما هو مات عنكم واسترحتهم  
 وحلوا واعقدوا من غير رد

(ومما ينسب اليه أيضا )

ذا عفاف وتقى مايتهم  
 ومدارة الورى أمر مهم

كان والله فقيها عالما  
 غير لم يدر مداراة الورى

(ومنها) للشيخ الامام محمد العراقي الجزري رضي الله تعالى عنه أمين :

عز عندي يوم الرحيل العزاء  
 نعي فيها الدموع دماء

أطرقت منه في الورى العلماء  
 ترجف الأرض أو تمور السماء  
 فبكته الأغواث والأولياء  
 مدحها وغابت الجوزاء  
 وأضاءت بغيرك البيداء  
 فلقد شرفت بك العلياء  
 ت من بعد موتها أحياء  
 وكذلك الأفعال والأسماء  
 وله عن كل زلة اغضياء  
 في ضياء ولا الماء مساء  
 يقرؤون الحديث الا وفاءوا  
 والبرايا جميعها الخساء  
 جابر أو مجاهد أو عطاء  
 ما لب الفهم السقيم شفاء  
 مر وحارت في ردها الأذكياء  
 قاله الواصفون والأتقياء  
 قصرت عن فروعها الفصحاء  
 فلا تشتقي به الأعداء  
 فالموت عنده أحياء  
 جلته مهابة وضياء  
 وجمال وبهجة وسناء  
 أنجم أشرقت لها لآء  
 فق وناحت في دوحها الورقاء  
 كنت فيه ومنزل وفناء  
 هدك واستحقرت لك البيضاء  
 بصفات تودها الأغنياء  
 عليه وغاضت الأنسواء  
 حقا الا لك الأشيياء

طرق الخافقين خطب جسيم  
 خفت أن ترهق السماء وكادت  
 فقد المسلمون قطب المعالي  
 كسف النيرين فقدك يا أحمد  
 أظلمت جلق التي كنت فيها  
 ياطليق اللسان في كل فن  
 ان تكن مت فالعلوم التي أحيى  
 مدحت فهمك الحروف جلالا  
 يامزبل الأشكال عن كل فهم  
 لا الصباح صباح بعدك عندي  
 ما حضرت الجدال بين أناس  
 أنف صخر الوجود في كل أرض  
 من لعلم التفسير فيما رواه  
 عطلت بعدك الدروس فما فيه  
 من لعلم الفتيا اذا اشتبه الأ  
 من لعلم الحديث بعدك فيما  
 طاهر الأصل كم حويت خصالا  
 من تكن هذه السجايا سجاياه  
 كل ميت يكون مثل تقي الدين  
 أيها القبر ان فيك لبحرا  
 وجلال وعفة ووقار  
 تعست ليلة الفراق وغابت  
 نعت الناعيات نعيمك في الأ  
 أيها الجبر أوحش الآن ربوع  
 هان قدر الحمراء عندك من ز  
 ونبذت الدنيا فعشت فقيرا  
 يا ابن تيمية الذي حزن الدهر  
 كنت انسان عين دهرك لاتعرف



خضت بحرا مافيه الا امام  
كنت في ذروة السنام من العلم  
ضاق ذرع الزمان منك فناء  
واذا حلت المية يوما  
نضر الله وجهك يا حسن المنس  
وسقى الله روضة أنت فيها  
وعلا قبرك النجار فقيصوم  
رضي الله عنك حيا وميتا  
قسما بالاله لو أنصف الد

ذواجتها ولكن عدالك العداء  
وما قلت للأنام سسواء  
ليت شعري هل ضاق منك القضاء  
بنفيس فليس يعنى الأسواء  
سظريا من له السنى والسناء  
ساريات تجري بها النكبء  
ورند وفاح منه الكبء  
وسقى ربك المصون الحياء  
هر لأضحى في كل بيت عزاء

( ومنها للشيخ علاء الدين ابن غانم رحمه الله تعالى )

أي جبر مضى وأيّ امام  
ابن تيمية التقي امام  
بحر علم قد غاض من بعد ما  
زاهد عابد تنزه في دن  
كان كنزا لكل طالب علم  
ولعاف قد جاء يشكو من الفقر  
جاز علما فما له من مساو  
لم يكن في الدنيا له من نظير  
كم له في حنادس الخطب والناس  
وجميع الأنام من شدة الخوف  
وبنوا فارس قد افترسوا الناس  
ودمشق الشام بعد انبساط  
اذ غزانا على العلوج غزاة  
فاعاد العزيز منا ذليلا  
فضاه الجبار جل ثناه  
فحمانا بالله من كل طاغ  
يانه حين فر كل كمي  
يا ابن تيمية عليك خصوصا

فجعت فيه ملة الاسلام  
مصر من كان شامة في الشام  
ض نداء وعم بالانعام  
ياه عن كل ما بها من حطام  
ولن خاف أن يرى في حرام  
لديه ينال كل مرام  
فيه من عالم ولا من مسام  
في جميع العلوم والأحكام  
نيام حتى الضحى من قيام  
نيسام من الردى في منام  
افتراس الأسود سرح الحوامي  
من ضواحي رستاقها في انضمام  
وغزانا من فارس بالطفام  
ذا صغار ينقاد كالأنعام  
في وجوه العدا كحد الحسام  
لابرمح وصارم وحسام  
من حماة الاسلام عنا يحامي  
وعموما تحيتي وسلامي

قد بكت في الطروس والأقلام  
 وقريب المرمى بعيد المرام  
 وكثير القيام جنح الظلام  
 ترك أجنانه لذيذ المنام  
 م على أيكة حمام حمامي  
 لحد ذكر دوامه في دوامي  
 يا ابن عبد السلام دار السلام  
 كل مزن بوابل ورههام  
 والعوادي جدناك بالدمع دام

ياسليل العلى عليك القواني  
 يافقيد المثال علماً وحلماً  
 يابطيء الأحجام ان عز خطب  
 كف طرفي ان لذ من بعد الا  
 وبودي لفقده شخصك لوحا  
 ولعمري يامن له في فؤادي  
 ان حلت الثرى فروحك حلت  
 فسقى تربة حواك ثراها  
 واذا سحت السواري بسسح

( ومنها لمحمود بن الأثير الحلبي عليه الرحمة )

هاطلات على الخدود سجام  
 ابن تيمية ونجل الكسرام  
 فهمه لا يقاس بالأفهام  
 ماله من مساوم ومسامي  
 جمعها للعلوم والأحكام  
 هدلا يراني في ملة الاسلام  
 في معانيه حار كل الأنعام  
 فأضحى امام كل امام  
 ومضت روحه لدار السلام  
 في ممر الدهور والأعوام  
 فعبداه لديه كالأنعام  
 وهو لا ينثني عن الاقدام  
 وهو يحيي عن ذروة الاسلام  
 ق ولا العداة مع اللوام  
 ويداه للبذل والأنعام  
 فهو شيخ وبغيتي ومرامي  
 ما عليه في حنقه من ملام

يادموعي سحي كسح الغمام  
 لفراق الشيخ الامام المفدى  
 زاهد عابد تقى تقى  
 ابن تيمية يتيمة دهر  
 فجعت فيه أهل كل البرايا  
 أوحده في العلوم وانفضل والز  
 بحر علم يغوص كل لبيب  
 فاق بالعلم والفضائل للخلق  
 ان يكن غاب شخصه وتواري  
 فمناقبه والفضائل تبقى  
 سيد قد علا بعلم وحلم  
 كم رماه الحساد بالكيد والبغي  
 طالب الحق لا يخاف لحيف  
 لا يخاف الملوك أيضا ولا الخ  
 صدره للعلوم والقلب للرب  
 لا تلمني على المديح ودعني  
 كل من مات في هواه بوجد

( ومنها للشيخ الامام زين الدين عمر بن الحسام الشبلي رحمه الله تعالى )

لجرت سوابق عبرتي بدماء  
صخرًا لزدت على بكاء الخنساء  
للحزن خوف شماعة الأعداء  
ماغنونا من لوعة وبلاء  
والجود آذن قربه بتساء  
صبا عليك مقلقل الاحشاء  
من فرط أحزاني وفرط عنائي  
رى في غفلة ياسيد العلياء  
أحباب كان بقية الصلحاء  
وسما سوسو كواكب الجوزاء  
لعلو رتبته ذرى العلياء  
وبه سما فضلا على النظراء  
تبعوا الرسول بشدة ورخاء  
سنن الهدى عن صحة الأنبياء  
والجود والبركات والآلاء  
حتى يبلغه لكل رجاء  
أو ذاكرا لله في الظلماء  
وأذ من شهد الى الجلحاء  
حبر الامام وحجة الفقهاء  
ضيف النزيل بوافر النعماء  
داء العضال وكاشف الغماء  
المحمود في عود وفي ابداء  
أهل العلوم وحجت بخفاء  
منها وإبداء لعين الرائي  
كالشمس مشرقة بصحو سماء  
والحق لا يخفى على البصراء  
صونا فنال منازل الشهداء

لو كان يقنعني عليك بكائي  
أو كنت في يوم اتقالك للبي  
لكن أصبر عنك نفسي كاتما  
أترى علمت وأنت أفضل عالم  
أسفي على تلك الديانة والتقى  
أسفي عليك وما التأسف نافع  
أسفي عليك نفى الكرى عن ناظري  
غاضت بحار العلم بعدك والو  
بابي وحيدها مات منفردا عن ال  
بحر العلوم حوى الفضائل كلها  
متفرد في كل علم دونه  
بالفضل قد شهدت له أعداؤه  
شيخ العلوم وتابع السلف الأبي  
وامام أهل الأرض والمبدي لهم  
ذو الصالحات وذو الشجاعة والتقى  
من كان لا ينسي لطالب جوده  
يجفوا المضاجع راکما أو ساجدا  
كالصبر في حنك العدو مذاقه  
المانح البحر الهمام العالم ال  
الواهب المال الجزيل وغامر ال  
المحسن الكافي السؤال وحاسم ال  
صدر المدارس والمجالس أحمد  
وإذا المسائل في الفتاوى أفحمت  
وأنت تقى الدين أظهر ما اختفى  
فيرى سهاها في الخفاء بكشفه  
ويرى البصير الحق فيما قاله  
سجنوه خشية أن يرى متبذلا

ذل الكثير وعزة الخلفاء  
ومناقب أربت على القدماء  
لله في الاصباح والامساء  
للمسلمين نصائح النحساء  
بالجود بين الناس خير ثناء  
ذي فاقة ليبره يعطساء  
للسائلين له شروق ذكساء  
لطفنا الى الفقراء والضعفاء  
وظوت مكارمه حديث الطائفي  
بذل الملوك وعيشة الفقراء  
وكذا تكون مواهب الكرماء  
ابدا ويهوى البخل بالبخلاء  
قامت بنصر الدين في الهيجاء  
لما أتوا بطلائع الأسراء  
كم فك من عان بغير عناء  
كالظم في أمم بغير مرء  
والمغل عنهم نظرة للرائي  
ترك النزول سواه عند مساء  
وافى فكان النصر عند لقاء  
بدمارها من بعد طول بقاء  
كالمسك فهو معطر الأرجاء  
ركبان دون قصائد الشعراء  
ولى وعز على عزاه عزائي  
في جنة الفردوس فهو رجائي  
تبقى له أبدا بغير فناء

للمؤمنين له وعند عدوهم  
في المحدثين أتى بفضل باهر  
أي خاشع أي شاكر أي ذاكر  
أي زاهد أي حامد أي باذل  
خير الصفات صفاته وثنأؤه  
ويظل يسأل جوده عن سائل  
وتراه يشرق وجهه متهللا  
بادي التبسم عند بذل نواله  
أزرى على فضل البرامكة الألى  
من جاء يسأله يشاهد عنده  
يربى على سح السحاب جوده  
والجود يرفع أهله بين السورى  
وله اذا اصطدم القتال شجاعة  
سل عنه غازانا وسل أمراءه  
والمغل قد ملكوا البلاد وأهلها  
وكذا بشجب التتار قد أقبلوا  
والمسلمون على النزول قد أجمعوا  
من حرض السلطان والأمرا على  
قال أثبتوا فلکم دليل النصر قد  
وأتى جبال الكسنروان فأذنت  
وله بكل مدينة ذكر أتى  
سير اذا نظمتها سارت بها ال  
وإذا امام المسلمين وشيخهم  
أدعو اله العرش يجمع بيننا  
وعليه من رب السماء تحية

( ومنها للشيخ جمال الدين عبد الصمد بن ابراهيم البغدادي الحنبلي  
المعروف بابن الحصري )  
عش ماتشاء فان آخره الفنا الموت مالا بد منه ولا غنى

بالسوء غان فعونه عين العنا  
 حتما نأى الأجل المقدر أودنا  
 يرمي فيصمي من هناك ومن هنا  
 غر لأن طعامه لن يهتتا  
 ضيف يجر من المنيّة ضيفنا  
 في الكون بالعدم المحقق مؤذنا  
 ويعد فيه للإقامة موطننا  
 في الخلق عن محض العلوم تكونا  
 فلم استحال وكان شيئا ممكنا  
 اذ لم يكن بسوى التقى متزينا  
 تلك الجموع ولا استراب ولا وني  
 بيض الظبا يخشى ولا سمر القنا  
 متقربا وهو البعيد عن الخنا  
 وبغير تحصيل الفضائل ما اعتنى  
 في أي علم شئت جبرا منتقنا  
 لما جرى في بحثه متفننا  
 متخشعا متورعا متدينا  
 باري على كل الخلائق في الدنيا  
 من للإمامة لم يزل متعينا  
 أغناه نشر الذكر عن ذكر الكنى  
 تقى الدين حقا والعليم المعنا  
 ويرى النوى فيه نهايات المنى  
 يفضى وان كان النفس المثنى  
 أبقى له ارثا سوى حسن الثنا  
 من كل علم معنوي معدنا  
 واسأل لتصبح بالحقائق موقنا  
 أعداءه يوم الجناز بيننا  
 ماموت هذا الجبر رزءا هينا

والدهران يوما أعان فطالما  
 لا بد من يوم يسوءك حتفه  
 للنفس سهم من سهام نواب  
 من غره الأمل المديد فانه  
 شمس الحياة تضيفت ومثيبه  
 من حين أوجه كان نفس وجوده  
 يامن يعد الدهر صاحب دهره  
 أو مارأيت الموت كيف سطا بمن  
 ندب مباح الصدر حظر بعده  
 بذ الأنام مع البذاذة فضله  
 ترك الجميع على الجموع فلم يهب  
 ولكم مقامات له في الحق لا  
 بالعرف يأمر ناهيا عن منكر  
 ما حال عن نهج الصواب ولا اعتدى  
 أما تبارزه تجده مبرزنا  
 واذا تجاربه فماء السيل ان  
 متزهدا متعبدا متهجدا  
 في كل عصر سيد هو حجة ال  
 وترى أحق من استحق محامدا  
 شيخ الأنام وحجة الاسلام من  
 أغني أبا العباس أحمد بل  
 في الله ليس يخاف لومة لائم  
 لما تحقق ان كل مخلف  
 لم يدخر قوتا لأجل غد ولا  
 صدر حوى في صدره لكمسانه  
 ظهرت أمارات الولاية بعده  
 واسمع مقالة أحمد متوعدا  
 فاحق ما يبكى عليه فقده

وأعن عيوننا فضن فيه أعيننا  
 خرسا وأنطق بالثناء الألسنا  
 طيب وزاكي فرعها حلو الجنا  
 حبر تصير ذا الفصاحة ألكنا  
 بهر الوري فصدرت عنه مؤمنا  
 عنه ولو كان الزمان له انا  
 بالحق من نور الولاية والسنا  
 وان فلأسمى قد ارتفع البننا  
 في أوجه الفضلاء قدما قبلنا  
 عند الأذى فاتت بشارات الهنا  
 فينا لنهدهم الينا سبلنا  
 نص الكتاب وأنت أولى من عنى  
 فالحر ممتحن بأولاد الزنا  
 من فرط ضربي افتقارك مسنا  
 وبما نجن من الجوى نطق الضنا  
 وتبوات جنات عدن مسكنا  
 كان الأنام فدى وأولهم أنا

ومنها للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الكريم بن أنوشروان  
 التبريزي الحنفي عليه الرحمة :

كادت جبال الأرض منه تمسور  
 فقد الضياء وأظلم الديجور  
 فعليهما ركن الأسي معمور  
 لسحاب الدمع العزيز تشير  
 صبر على هذا المصاب صبور  
 شام المنير وزال عنه النور  
 فك العلوم عليه كان يدور  
 يزهو ويشرق في الدجى وينير  
 في سائر الدنيا له منشور  
 فحديثه بين الوري مشهور

فيض النفوس يقل فيه تأسفا  
 يامن أعاد أولى التشدق علمه  
 يادوحة الفضل التي في أصلها  
 ياحبر بل يابحر كم حيرت من  
 ياخاتم الفضلاء علمك معجز  
 ان كان ذا حفظا فوقتك ضيق  
 لكنه من فضل من هو قاذف  
 أسست بنيانا على تقوى ورضا  
 غبرت يا من لا يشق غباره  
 جاهدت في ذات المهيمن صابرا  
 ان الذين يجاهدون عدونا  
 والله قد أنتى على العلماء في  
 لا غرو ان كنت ابتليت بحاسد  
 أشكو اليك وأنت أصل شكايتي  
 قد عبرت عبراتنا عن حزننا  
 سقيا لتلك الروح من سحج الرضا  
 لو كان فيها الموت يقبل فدية

صبوا جميلا فالمصاب كبير  
 وجسيم خطب قد علا كل الوري  
 وانهد ركن فضائل وفواضل  
 وعلى تقي الدين أحزان الوري  
 لولا ابتغاء الأجر لم يحمده على  
 أفلت شمس المكرمات وأظلم الـ  
 نور الفتى التيمي والقطب الذي  
 حبر به كان الزمان ومن به  
 علم التعبيد والتزهد والتقى  
 ورسوخه في كل علم نافع

قد كان صدرا في الصدور فذ نأى  
 لاغرو ان فاضت عليه مدامع  
 تبكي السماء عليه والارض التي  
 وبكى مصلاه ومنبره ومو  
 وبكى الغمام لفقده وتقطرت  
 وكذلك ربات الخدور بكينه  
 نشرت له العذبات بانات اللوى  
 وعليه حن على الاراك حمائم  
 فالصب ان صب المدامع بعد من  
 والناس في حزن عليه وانه  
 غار الاله عليه من أغياره  
 فخلا به يتلو عليه كلامه  
 حتى اذا اشتد التشوق زفه  
 وشعار كل مضيع لسريه ال  
 ولقد سرى فوق الرقاب سريه  
 ما كنت أعلم قبل يوم وفاته  
 ولقد سرت لسريه لما سرى  
 تقضى الليالي والزمان وذكره  
 قد كان في الدنيا هلالا لائحا  
 وكذا جنازه تعالى الله لم  
 ومن العجائب أنها نطقت على  
 ان المضيع للجنازة لم يعد  
 هذا هو الفضل المبين وهذه  
 لأوحش الله الوجود من الذي  
 والى جنان الله راحت روحه  
 طوبى لميت جاور القبر الذي  
 بل فاز نزال ثووا بجنابه  
 فينال حتى الحشر من بركاته

ضاقت على صدر الصدور صدور  
 حروان قصمت عليه ظهور  
 بصفائها لفراقه تكسدير  
 ضع درسته والجامع المعمور  
 عن أعين تجرى عليه سخور  
 وتهتك منها عليه ستور  
 عوض الشعور وما لهن شعور  
 يندبسه أسفا وهن طيور  
 يهوى ومات فانه معذور  
 عبد بليقا ربه مسرور  
 فزواه عنهم والمحب غيور  
 وله الحبيب مؤانس وسمير  
 زف العروس وذيلها مجرور  
 تسبيح والتهليل والتكبير  
 فعجبت كيف الراسيات تسير  
 ان البحار الزاخرات تغور  
 سيرا لها حتى النور نشور  
 متجدد بين الورى مذكور  
 كل اليه بالبنان يثير  
 ينظر لها في العالمين نظير  
 صمت بما هو كامن مستور  
 الا وسائر ذنبه مغفور  
 نعم عليها ربنا مشكور  
 أنست به في الموحشات قبور  
 يلقيها منها بهجة وسرور  
 فيه فتى تيمية مقبور  
 ان الكريسم تزيله مغفور  
 وعليه تنزل رحمة وجبور

يارب فاجمع بيننا في جنة  
( وله رحمه الله تعالى )  
المأوى فأنت لما تشاء قدير

عم المصاب فلا تبكوا بغير دم  
حبر البرية ولى وهو في دعة  
لو أن كل تقي في الأنام فدى  
إذا تذكره من كان يألفه  
ياثلمة ثلمت في الدين واتسعت  
هيات هل تسمح الدنيا بمثل فتى  
كانت به تفخر الدنيا وقد بقيت  
فالعلم والحلم والتقوى بهن غدا  
والزهد في زخرف الدنيا وزينتها  
مولى على حبه الأرواح قد جبلت  
ماذاك إلا لما قد كان خصصه  
من للسائل قد أعيت فيوضحها  
كالبحر يزخران بث العلوم وكالـ  
ما أن رأى الناس أبهى من جنازته  
وحوله وهو يجلى كالعروس على  
أظمى الأنام إليه حجبه فبدا  
بكي عليه مصلاه ومنبره  
والأرض تبكي عليه والسماء كذا  
لأنه العالَم الجبر الذي أبدا  
هذا هو المجد حق الافتخار به  
ياجنة الخلد وافية مزخرفة  
وياشموس العلى غيبي لغيبته  
فاعظم الله أجر الفاقدين له  
وأكرم الله مشواه ومضعفه

وهي طويلة أربعة وثلاثون بيتا ، وله في الشيخ مرثي آخر .  
وللفاضل برهان الدين ولد شهاب الدين التبريزي الحنفي المتقدم ذكره  
عليهما الرحمة :



الى أن تروي الأرض من فيض أجفاني  
 مرارة أشواق ولوعة أشجان  
 به الله من أهل الضلالة نجاني  
 فغيبه في التراب عن كل انسان  
 ويالهف اخوان عليه وجيران  
 الى الحشر أن ينهل مدمعها القاني  
 ولم ينج فيهم منه قاص ولا دان  
 ونور واثراق وروح وريحان  
 وفي كل فضل حاز ليس له ثمان  
 دعاء نصوح مشفق غير خوان  
 وأصحابه والتابعين باحسان  
 على أنه يهدى بها كل حيران  
 فانصفه في البحث من غير عدوان  
 الى أن يبين الحق أحسن تبيان  
 ولو كان من أجار سوء ورهبان  
 وما زال منها هادما كل بنيان  
 ولم يخش مخلوقا من الانس والجان  
 ولكنه يؤذى فيعفو عن الجاني  
 ولم يك في بذل العطاء بستان  
 به رجح الشجعان في كل ميزان  
 ومن سل سيف العزم في وجه غازان  
 فان الأعادي في انهزام وخذلان  
 اله البسرايا خافه كل سلطان  
 اذا كان في نسك وطاعة رحمن  
 بنقل حديث أو بتفسير قرآن  
 ولا شد بغلات ولا حسن غلمان  
 ولا رفع بيان ولا غرس بستان  
 وزهد واخلاص وصبر وايمان

جودي بانسجام الدمع يامقلة العاني  
 وذق يافؤادي كل يوم وليلة  
 الى أن أرى وجه ابن تيمية الذي  
 ومن لي بأن ألقاه والموت قد أتى  
 فيا وحشة الدنيا لأنوار وجهه  
 يحق لعين لا ترجي لقاءه  
 لقد عم أهل الأرض رزه مصابه  
 لقد كانت الدنيا به ذات بهجة  
 وما كان الا آية في زمانه  
 امام هدى يدعو الى سبل ربه  
 فمذهبه ما جاء عن خير مرسل  
 أتى بعلوم حيرت كل واصف  
 فكهم مبطل وافاه يبغي جدا له  
 ويكشف عنه شبهة بعد شبهة  
 فيصبح عن تلك المقالة معرضا  
 يغار على الاسلام من كل بدعة  
 وفي الله لم تأخذه لومة لائم  
 ولم ينتقم في الدهر يوما لنفسه  
 وأما سماح الكف فبالبحر دونه  
 ولو وزنوا أهل النجعة كلهم  
 فمن جاهد الأعداء في الدين مثله  
 ومن قال للناس اثبتوا يوم شقحب  
 فمن خشي الرحمن بالغيب واتقى  
 وماضره ان طال في السجن مكثه  
 منييا الى مولاه يقطع وقته  
 ولم يك مشغوبا بحب رياسة  
 ولا كان مشغولا بجاه ومنصب  
 ولكن بعلم نافع وعبادة

لما شاهدوا من غير زور وبهتان  
تزيغ عقول من رجال ونسوان  
يجاور مولى ذا امتنان وغفران  
وذاك له خير من الخبز الفاني  
ومتعه فيها بحور وولدان  
به في جنان الخلد من قبل حرمان  
ويروي برؤيا وجهه كل ظمآن  
( ومنها لبعض الفضلاء من جندهمصر أرسلها بعد عرضها على الامام

أبي حيان النحوي )

وبكت لعظم بكائه الأيام  
في غير فصل تسمح الأعوام  
أضحى عليها وحشة وقتام  
وتواترت من بعده الآلام  
وبقي غريبا يتلى ويضام  
أبدا تكون على سواه حرام  
وخصائص خضعت له الأفهام  
ليتم فخر شامخ ومقام  
حد فتحمل ففقه الأجسام  
في راحتيه من العلوم زمام  
في الأرض في أقطارها الأعلام  
في الدهر فرد في الزمان امام  
ختم لأعلام الهدى وختام  
في نصر توحيد الاله قيام  
فقداء عليها حرمة وذمام  
لايستطيع لدفعها الصمام  
لاتهدي لفضونه الأوهام  
في العلم سبقا ما اليه مرام  
صلى عليه الخالق العلام

وفي موته قد كان للناس عيرة  
اذ انتشروا مثل الجراد وكاد أن  
وسار على أعناقهم نحو قبره  
الى الذهب العالي دعاه الهه  
دعاه الى جنات عدن وطبيها  
فنسأل رب العرش يجمع شملنا  
ويجبرنا بعد انكسار قلوبنا

خطب دهي فبكى له الاسلام  
وبكت لعبرتها السماء فامطرت  
وبكت له الأرض الجليدة بعدما  
وتزلت كل القلوب لفقده  
وتفجع الدين القويم لفقده  
مذمات ناصره الذي أوصافه  
لتقي دين الله وصف باهر  
ومواهب من ذي الجلال تمده  
وعزا تقى الدين أحمد ماله  
العالم الجبر الامام ومن غدا  
ذو المنصب الأعلى الذي نصبت له  
بحر العلوم وكنز كل فضيلة  
حبر تخيره الاله لدينه  
فوفي باحكام الكتاب وكم له  
والسنة البيضاء أحياميتها  
وأمانات من بدع الضلال عوائد  
أس الفضائل والمعارف والذي  
وأنا لله رب السموات العلى  
ونعوته في العلم قول محمد

يقضى بما تأتي به الأحكام  
 للدين من يهدى به الأقسام  
 فلقد تقدم في العلوم امام  
 خير القرون يزينهم تمام  
 حبر امام صابر قوام  
 علما وزهدا في العلوم تؤام  
 ماشئت لارد ولا آثم  
 ولعزمه في تركها احزام  
 لبني الدنا في قلبه اعظام  
 الا لعلم يقتنى ويسام  
 وسكينة وكلامه ابرام  
 فخطابه الاجلال والاكرام  
 فكأنها في نفسها أحجام  
 أبدا يعظم بعد وهو غلام  
 من خلقه والجاهلون نيام  
 فوداده للأقربين سلام  
 ومكانة نطقت بها الأعتام  
 وتحزن وتمسكن وكلام  
 وقراءة وعبادة وصيام  
 وصيانة وأمانة ومقام  
 ولها على مر الدهور دوام  
 من صد وجه الكفر وهو حنام  
 من خالص الأسرى وهم أيتام  
 في كسروان وهم طغاة عظام  
 فاذا لهم بعد الرضاع فطام  
 حتى استقروا لأمرهن نظام  
 لما تداعوا للأنام وقاموا  
 وعليهم فوق الوجوه ظلام

ان المنزه ربنا سبحانه  
 بيدي لكم في كل قرن قادم  
 فلئن تأخر في القرون لثامن  
 فاق القرون سوى الثلاث فانها  
 وسوى ابن حبل انه علم الهدى  
 لكن أحمد مثل أحمد قد حوى  
 حدث بلا حرج وقل عن زهده  
 هجر المطاعم والملابس والدنا  
 ترك المآكل والمنام ولا يرى  
 وتراه يصمت لالعي دائما  
 واذا تكلم لا يراجع هيبه  
 ألقى عليه مهابة من ربه  
 واذا رؤي فترى الرجال ذليلة  
 بشر يعظم بالقلوب وقدره  
 ممن يخص بها المهيمن من يشا  
 وجفا العباد لشغله بحبيبه  
 وله مقام في الوصول لربه  
 وله فتوح من غيوب الهه  
 وتصوف وتكشف وتعفف  
 وغاية وحماية ووقاية  
 وله كرامات سمت وتعددت  
 من رد من أرض الشام بعزمه  
 من رد غازان الهمام بحسرة  
 من قام بالفتح المبين مؤيدا  
 من جد في بدع الضلالة حربيه  
 من سار في سنن الرسول ونصرها  
 من قام في خذل الصليب ودينه  
 فوهوا وردوا خائبين بذلة

فالأمر بالمعروف ينفذ بعده  
فكان اشراط القيامة قد دنت  
فالعالم فينا ليس يقبض دفعة  
لكن يقبض الراسخين ذهابه  
لله ما لا يقى تقى الدين من  
ومكاره حفت بكل شديدة  
ومكايد نصبت له وجائل  
فحكى ابن حنبل في فنون بلائه  
وبسجنه وبحصره ونكاله  
فأراد رب العرش جل جلاله  
وأناه آتى الموت يخطب نفسه  
فخلت منابره وأوحش ربعه  
وتفجعت كل القلوب لفقده  
ومضت جنازته الشريفة بعدما  
وأنت روايات الشام بجمعها  
ان الألى شهدوا الصلاة وشيعوا  
فعليه أفضل رحمة تهدي له  
مادامت الافلاك في دورانها  
(ومنها للشيخ تقي الدين محمود بن علي

والفاعلون النكر ليس يلاموا  
وانحل من سرج الزمان حزام  
كلا ولا يأتي حماء حمام  
وزواله وبقي رعاع طفام  
محن تتابعه وهن ضخم  
ومواقف زلت بها الأقدام  
قصدا اليه فردها الاقدام  
بجنان ثبت ليس فيه مدام  
حتى رثى العذال واللسام  
للقائه مذحائه الاعدام  
فأجابه طوعا له القمقام  
وتهدمت عند الرحيل خيام  
وعدا عليها حسرة وسقام  
سد المسالك صارخ وزحام  
خبرا صحيحا ليس فيه أثم  
والله لا تحصيهم الأقسام  
ومن الاله تحية وسلام  
أو ناح من فوق الفصون حمام  
الدقوقي البغدادي المحدث ولم ير الشيخ)  
وأضرم نار في الجوانح بعده  
أكفكفه حينا وجفني يرده  
وما حيلة الراجي اذا خاب قصده  
جى ولم يتدنس قط بالاثم برده  
أقر له بالعلم والفضل ضده  
وجامعها وانماع للحزن صلده  
ويشاقه في ظلمة الليل ورده  
ويندبه فصل الخطاب وجده  
ولما يصعر للدنيات خده

ولم يجتمع زوجان من شهواتها  
ويؤثر عن فقر وفيه قناعة  
عليه بمنسوخ الحديث وحكمه  
قؤول فعول طيب الجسم طاهر  
فما قال في دنياه هجرا ولا هوى  
علوم كشر المسك من كل سيرة  
فله ماضم التراب وما حوى  
فيا نعته ماذا حملت من امريء  
وكان لنا بحرا من العلم زاخرا  
وما مات من تبقى التصانيف بعده  
وخلف آثارا حسنا حسيمة  
ولست مطيقا شرح ذلك مفصلا  
لقد فارق الأصحاب منه مصاحبا  
قضى نجه والله راض بفعاله  
يدل تراب القبر من جاء زائرا  
ولا تحسبوا ما فاح عطر حنوطه  
وكان لأهل العلم تاجا مكللا  
وما كان الا التبر عند امتحانه  
وكان يقول الحق والحق حلوه  
وفي الحق لم تأخذه لومة لائم  
وما كان الا السيف غارت يد العلا  
ولم تلهه الدنيا وزخرفها الذي  
لقد فقدت منه المحافل زينها  
وخضبت الأقلام بعد مدادها  
فله ماضم الثرى من محقق  
وكان اماما يستضاء بنوره  
وكنيت أرجي أن أراه ولتتقي  
ترى الموت مألوف الطباع وربما

لديه وبين الناس قد صح زهده  
ويمجبه من كل شيء أشده  
وناسخه فخر الزمان ومجده  
امام له في كل حكم أشده  
ولا زاغ عن حق تبيين رشده  
يسدد دين المصطفى ويجده  
من الفضل فليفخر على الأرض لحده  
جميع الورى فيه وفوقك فرده  
فما باله لم يصف مذ غاب ورد  
مخلدة والعلم والفضل ولده  
اذا عدت زادت على ماتعه  
ولكن على الأجمال يعكس طرده  
يراعى وداد الخلل ان نان وده  
ولله فيما قد قضى فيه حمده  
اليه بطيب فيه يعسق نده  
ولكنه حسن الثناء ومجده  
يحوطهم من مبطل خيف حقه  
يبين لعين الحاذق النقد نقده  
مريسر لهذا كان يكره رده  
ولا خاف من غمر تشدد حرده  
عليه فردته كما غار غمده  
يروق لمن لم يونس الدهر رشده  
ولما يفارق علمه الجم وجده  
عليه دما قد فاض في الطرس مده  
وبالك من غضب تدقق حده  
وبحرا من الأفضال قد غيض عده  
ولكن قضاء الله من ذا يرد  
يعلل بالمألوف من لا يوده

فآه على تفريق شمل مجمع  
ألا إنها نفس وللنفس حسرة  
ولست بناس عهد خل تعيبت  
وما عذر جفن لا يجيش بدمعه  
يروم الأماني والمنايا تصده  
عليك أبا العباس فاضت مدامعي  
على مثلك الآن المرائي مباحة  
شدت عرى الاسلام شدة عارف  
تركت لهم دنياهم ترك عالم  
وكت لمجموع الطوائف مقتدى  
وكت ربيعا للمريد وعصمة  
جمعت علوم الأولين مع التقى  
وكت تقي الدين معنى وصورة  
رحلت وخلفت القلوب جريحة  
عليك سلام الله حيا وميتا

(وله أيضا رحمه الله تعالى)

وحر فؤاد لا يؤمل برده  
وقلب وقد يشجي ويضنيه وجده  
محاسنه والخل يحفظ عهدته  
غداة نأى عنه الصديق ورفده  
وما حيلة الراجي اذا خاب قصده  
وقلبي ببعدي عنك أجمع وقده  
وان غاض دمعي فالدماء تمده  
قوي على الأعداء لم يأل جهده  
علاقدره عند الاله ومجده  
وعقدا لهذا الدين أبرم عقده  
فمذ صرت تحت الأرض صوح ورده  
الى الورع الشافي الذي شاع جهده  
وقولا وخير القول عندك جده  
تذوب وجيش الصبر قد فل جنده  
مدى مابدى نجم وأشرق سعده

واذر الدموع الجامدات وبيدد  
واسأل ولاتك في سؤالك معتدى  
واتبع سبيل أولى الهداية تهدي  
واهجر دنيا الأمور وسسدد  
فعل الجميل وسر بسير مجررد  
متجيبا متجنبيا فعل الردى  
أحبابه وارحمه ان لم تسعد  
فالمذل أمضى من فعال مهند  
ساروا وصاروا بالعراء الفرقد  
ورق الحمام فويق برقة ثمند  
دمعي سفكت حشاشة القلب الصدى  
أين المساعد عند فقد المسعد ؟

قف بالربوع الهامدات وعدد  
واحس مطيك في المنازل ساعة  
واقطع علائقك التي هي فتننة  
ودع صباك ودع أباطيل المنى  
واقنع من الدنيا القليل ولازم الس  
وتوخ فعل الخير واصحب أهله  
لا تعبتن مفارقا يبكي على  
ودع المروع بالبعاد وغذله  
ماذا الوقوف عن السرى وصحابنا  
لا أخضر بعدهم العقيق ولا شدت  
أما أنا فلا بكيين فان وني  
أين المعين على الخطوب اذا عرت

لسبيله في ضحك لحد موصد  
 أين المحقق نهج مذهب أحمد؟  
 بهداه عالم كل قوم يهتدي  
 يرميهم بقالة المتشدد  
 متلفعا بصغاره التهـود  
 فغنت له التقوى وأعطت عن يد  
 والعلم ارثا سيدا عن سيد  
 فيه ضريح العالم المنفرد  
 بالفضل يقذف بالعلـا والسود  
 يسري سرّ فؤاد عان مزهـدي  
 من مبطل متهوك صل ردى  
 يوما تسير بنعش ميت ماجد  
 فوق السماك وفوق فرق الفرقد  
 والفضل والورع الصحيح الجيد  
 وجمال مذهب ذي الفضائل أحمد  
 فتقاعدي يا عين بي أو أنجدي  
 جسد حوى خلقا وحسن تودد  
 وتعلقي يوم النوى وتسهدي  
 تصمى المقاتل بالفراق ولا تدي  
 وجمعت شمل ذوي التقى المتبدد  
 في كل ذي قول ووجه أسود  
 وسام كل أخي نفاق ملحـد  
 أنت الذي جدت دين محمد

أو مادري من كنت تعرف اذ مضى  
 أين المحامي عن شريعة أحمد  
 مات الامام العالم الحبر الندي  
 من لليهود وللنصارى بعده  
 سل عنه ديان اليهود أما غدا  
 نشأت على فعل التقى أطواره  
 ورث الزهادة كابرا عن كابر  
 قف ان مررت بقاسيون على نرى  
 واعجب لقبر ضم بحرا زاخرا  
 بشر يشر بالفنى من جـاءه  
 كانت به أرض الشأم أمينـة  
 لو تستطيع بنات نعش أن ترى  
 كانت تسير بنعشه وتحطه  
 مات الذي جمع العلوم الى التقى  
 شيخ الأنام تقي دين محمد  
 ودعت قلبي يوم جاء بنعيه  
 سقت العهد عراض قبر حله  
 من مبلغ العذال فرط صابتي  
 ما بعد رزئك في الزمان رزية  
 بددت شمل الملحدين جميعهم  
 يامن ترى أقواله مبيضة  
 يا كاليء الاسلام من أعدائه  
 يا واحد الدنيا ويا فرد الورى

الى أن قال :

تقفوا الأئمة اثره بل تقدي  
 وبهديها قد ضل من لا يهتدي  
 زاغوا عن الحق الصريح الأيدي  
 من كل مبتدع خؤون معتدي  
 تغشى ضريحك يا قرين الفرقد

لله درك من امام كامل  
 صنفت كتباً قد حوت كل الهدى  
 فيها رددت على الفلاسفة الألى  
 وكذا على أهل الكلام وحزبهم  
 فعليك مني ألف ألف تحية

( وللحافظ الذهبي رحمه الله يرثي الشيخ )

ياموت خذ من أردت أو فذع  
أخذت شيخ الاسلام وانصمت  
غييت بحرا مفسرا جيلا  
فان يحدث فمسلم ثقة  
وان يخض نحو سيويه يفه  
وصار عالي الاسناد حافظه  
والفقه فيه فكان مجتهدا  
وجوده الحياتي مشتهرا  
أسكنه الله في الجنان ولا  
مع مالك والامام أحمد والـ  
مضى ابن تيمية وموعده

( وقال أحد أدباء عصره )

وأشكو الى الله المام الملمات  
خف الخليط ودار القاطنين خلت  
وأقبلت يوم جد البين في حلال  
ياأيها الصب لاتجزع على وطن  
وجمل النفس بالصبر الجميل ولا  
ماكنت أعلم قربي في مجتهدهم  
فانذب على ماضى من عيشة وصفى  
واذكر مصارع قوم كيف قد شربوا  
وأنت من بعدهم تسرى كسيرهم  
أقول ماقاله العبد (١) المنيب وقد

(١) يشير بذلك الى قصيدة الشيخ التي قالها في السجن ومثلها :

أنا الفقير الى رب السموات  
أنا القلوم لنفسي وهي ظالمتي  
لاستطيع لنفسي جلب منفعة  
وليس لي دونه مولى يدبرني  
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا  
هذا التعليق موجود في الاصل المطبوع عليه . هـ



( أنا الفقير الى رب السموات )  
نهج القويم بأعلام الدلالات  
يرعى لحرمته في كل ساعات  
روح المعاني حوى كل العبادات  
أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات  
وجاءه منه امداد النوالات  
اما بجود واما بالمداراة  
في وصف أخلاقه كلك عباراتي  
الا أئمتنا أهل العنايات  
غير البرامك كانوا في سمادات  
الا رجال مضوا أهل الكرامات  
هذا الذي ماسمنا في الحكايات  
وفي صفا وجهه نور الهدايات  
أهل المعاني وأرباب النهايات  
أهل التصوف أصحاب الرياضات  
علامة الوقت في الماضي وفي الآتي  
على فنون المعاني والاشارات  
اذا تبدى بداسر العبارات  
فيطرب الكون من طيب الروايات  
فيرقص القلب شوقا نحو ساداتي  
عليه من ربه أزكى تحيات  
سحب الغمام وجادت بالزيادات  
أرجو به من الهي محبو زلافي

( أنا الذليل أنا المسكين ذو شجن )  
مازال يتبع آثار الرسول على الس  
يهدي لسنته يفتي بشرعته  
قطب الزمان وتاج الناس كلهمو  
حبر الوجود فريد في معارفه  
حوى من المصطفى علما ومعرفة  
ماجاءه سائل الا ويمنحه  
ماذا أقول وقولي فيه منحصر  
في علمه ماعلمنا من يناسبه  
في جوده ماوجدنا من يماثله  
في زهده ماسمعنا من يشاكله  
يجود وهو فقير ان ذا عجب  
تلوح شمس المعالي في شمائله  
بحر المعارف تاهوا في بدايته  
قطب الحقائق حاروا في فضائله  
أعجوبة الدهر فرد في مظاهره  
والهف قلبي على من كان يجمعنا  
فارقت من كان يرويني برؤيته  
يروى الأحاديث عن سكان كالأظمة  
ويطنب الذكر في احسان حسنهم  
أفضى الى الله والجنات مسكنه  
ثم السلام على المختار ماهمعت  
والحمد لله حمداً لاانقطاع له

( قال العلامة الشيخ مرعي الحنبلي ) وهذا آخر ماأردنا جمعه من بعض مناقب

شيخ الاسلام ابن تيمية وبعض مرآيه على سبيل التلخيص والاختصار رضي الله  
عنه وأرضاه ، ونفعنا به وأعاد علينا من بركته وبركات علومه آمين ، ثم قال :

## ( خاتمة نصيحة موعظة )

قد علمت أيدك الله مما مر من سيرة الشيخ ومناقبه وغازرة علمه وقوة جهاده واتصافه بكل فعل جميل ، كشهادة الأئمة له وثنائهم عليه نثرا ونظما حيا وميتا أنه من كبار الأئمة المحققين ، وعلماء الامة العاملين الراسخين ، وأكابر الأولياء العارفين ، بشهادة الامامين الجليلين أبي حنيفة والشافعي ، حيث قالوا اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي ، لاسيما وقد شهد له غير واحد من الأئمة ، مع ما اعطاه الله من العلم والعمل ، والزهادة والعبادة ، ووقوفه مع الكتاب والسنة ، لايميله عنهما قول أحد كائنا من كان كنا مر في مناقبه ، هذا وقد تكلم فيه وبقى عليه من لا يخاف الله ، واستحل الوقوع في عرضه ونسبه لقبائح هو منها بريء ، وترى كثيرا من الجيلة المنتهوكين ينسبونه بغير علم لما لايجل لهم أن ينسبوا اليه أعظم الجاهلين ، فكيف بمن هو من العلماء الراسخين وأئمة الدين ، والذاب عن شريعة سيد المرسلين ، أترى هذا المفترى لم يجمع قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع : ( ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ) رواه البخاري ومسلم ؟ وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله ) أو مادري هذا المنتهوك بلسانه قول الحافظ ابن عساكر لحوم العلماء مسمومة ، وهتك أستار منتقصتهم معلومة ، وقوله أيضا : لحوم العلماء سم ، من شمها مرض ومن ذاقها مات ؟ أو مابلغ هذا المتجري أنه قد جاء النهي عن ذكر مساويء الأموات والأمر بذكر محاسنهم ؟ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ) رواه أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لاتنسوا الأموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا ) رواه الامام أحمد والبخاري والنسائي ، وفي رواية أخرى : ( لاتذكروا موتاكم الا بخير ، ان يكونوا من أهل الجنة تأثموا ، وان يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه ) فلا يجوز لمن يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يثلم عرض أحد من المسلمين بما لا يليق ، فكيف بأئمة المسلمين وورثة النبيين ، فكيف بالأموات منهم .

قال الشيخ تاج الدين السبكي <sup>(١)</sup> ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع جميع الأئمة الماضين ، وأن لا تنظر الى كلام الناس فيهم الا ببرهان واضح ، ثم ان قدرت على التأويل وتحسين الظن بحسب قدرتك فافعل والا فاضرب صفحا عما جرى بينهم ، فانك يا أخي لم تخلق لمثل هذا وانما خلقت للاشتغال بما يعينك من أمر دينك ، قال : ولا يزال الطالب نبیلا حتى يخوض فيما جرى بين الأمة فكلحقه فتلحقه الكتابة وظلمة الوجه ، انتهى •

فان طعن على الشيخ ابن تيمية رحمه الله من حيث العقيدة فعقيدته عقيدة السلف كما وقع الاتفاق على ذلك وقت المناظرة ، فليطعن على السلف من طعن فيه • وان طعن عليه من حيث افتائه بمسألة الطلاق الثلاث - في كونه أوقع من ثلاث طلقات مجموعة أو متفرقة طلقة واحدة - فهو مجتهد ، ولا يجوز الطعن على المجتهد فيما ذهب اليه مما قام عليه الدليل عنده ، بل يجب عليه العمل به ، على أن مسألة الطلاق قال بها غيره من أكابر الصحابة والتابعين ، كما هو مروى عن علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وقال قوله ثلاث لا معنى له لأنه لم يطلق ثلاث مرات ، وقال به عطاء ، وطاووس ، وعمرو بن دينار ، وسعيد بن جبیر ، وأبو الشعثاء ، ومحمد بن اسحق ، والحجاج بن أرطاة ، وقال به من شيوخ قرطبة جماعة منهم محمد بن عبد الحسين فقيه عصره ، وأصبغ بن الحباب ، وغيرهم •

وان كان الطعن فيه من حيث تحريمه زيارة قبور الصالحين وغيرهم فهو كذب وافتراء عليه ، فانه لا يمنع ذلك ، وانما حكى قولين فيمن شد الرحال لزيارتها ورجح النهي تبعاً لطائفة من الأئمة المجتهدين ، والحجة في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ( لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد ) الحديث ، فكيف يسوغ الاعتراض عليه بذلك ؟ لاسيما وقد وافقه على ذلك علماء بغداد من رواة المذاهب كلها •

( وقال الشيخ ) الامام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر الزار في مناقبه : أكثر في حقه الأقاويل - الزور والبهتان - من ظاهر حاله العدالة وباطنه مشحون

(١) عجا للشيخ مرعي كيف يستدل على مطلبه هذا بكلام ابن السبكي وهو ووالده واضرابهم سنوا الفتح في شيخ الاسلام وتبهم ابن حجر المكي ، ومن سن سنة سيئة في الاسلام فعليه وزرها ووزد من عمل بها الى يوم القيامة ، ويقال لابن السبكي عامله الله بمدله :

يا ايها الرجل العلم غـيره

هلا لنفسك كان ذا التليم

ابدا بنفسك فانها عن غيرها

فاذا انتهت عنه فانت حكيم

كذا في الاصل المطبوع منه اه

بالفسق والجهالة ، ولم يزل المتدعون أهل الأهواء وآكلوا الدنيا بالدين متعاضدين متناصرين في عداوته ، بإذلين وسعهم في السعي بالفتك به ، متخرصين عليه الكذب الصريح ، مختلفين عليه وناسين اليه ما لم يقله ، ولم ينقل عنه ولم يوجد بخطه ولا وجد له في تصنيف ولا فتوى ولا سمع منه في مجلس .

قال : وسبب عداوتهم له أن مقصودهم الأكبر طلب الجاه والرياسة واقبال الخلق ، ورأوه قد رقاہ الله الى ذروة السنام من ذلك بما أوقع الله له في قلوب الخاصة والعامة من المواهب التي منحه بها وهم عنها بمعزل ، فنصبوا أنفسهم لعداوته ، وحسدوه ، وسعوا به بما سعوا ، ولم يرقبوا الله واليوم الآخر فكان ما كان ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

هذا آخر ما وجدناه في كتاب الكواكب البدرية ، في مناقب الامام المجتهد ابن تيمية ، للعلامة شيخ الفضلاء المتقنين ، وعمدة الفقهاء والمحدثين ، الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، المتوفي سنة ثلاث وثلاثين وألف وقال على طرف كتابه مادحا شيخ الاسلام :

امام المعالي والمعاني يعيبه	على فضله من كان في الرتبة الدنيا
ومن ذا يعيب البدر والبحر والهدى	ومن كان فردا بالفضائل في الدنيا
وما ضر نور الشمس ان كان ناظرا	اليه عيون لم تزل دهرها عميا
وهل جاء في الدنيا كأحمد بعده	وهل حل بدر في منازل العلياً

وبما ذكر في هذه المناقب يتبين أن مصنف ( جلاء العينين ) قد سبقه كثير من أفاضل العلماء وأساطين الأمة في الذب عن الامام الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وتخطئة من نسب اليه الابتداع واعتراض عليه بما ليس له أصل ، ومنه يعلم أيضا أن الزائغ النبهاني قد خاض طينة الخبال في الاعتراض عليه وعلى من أخذ بيده وذبح عنه ، وفي دعواه أنه على الهدى وان مثل الشيخ تقي الدين ومن كان على منهجه وصراطه المستقيم من أهل البدعة والضلالة ، والنبهاني ومن هو على شاكلته من أهل الدنيا مغمورون بالجهل والاعراض عن الآخرة ، ومع ذلك تكلموا بما تكلموا ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ومثل هؤلاء ليسوا من فرسان هذا الميدان ، وكلامهم في هذا الباب فضول من القول لا ينبغي أن يصغى اليه ، والله ولي التوفيق ، ومنه العصمة من الزلل .

وربما اعترض معترض وعارض الكلام السابق بأن الشيخ تقي الدين رضي الله عنه وغيره من الأئمة اعترضوا على أقوال غيرهم من الأكابر وضلوا قائليها ،

وقد حوا فيهم بما هو معلوم لمن طالع كتب الخلاف والجدل ، فهلا يقال لهم مثل تلك الموعظة التي ذكرها الشيخ مرعي في آخر مناقبه والا فما الفرق ؟ •

فالجواب عن هذا الاعتراض : أن مقاله خصاء الشيخ تقي الدين منبعث عن محض هوى لم تقتضه مناظرة ولم يبعث عليه دليل ، ولا سيما ما ذكره السبكي وولده . وابن حجر المكي ، وأتباعهم ومقلدوهم . فكل أحد يعلم أن مانسبوه إليه افتراء ، وما قد حوه به مجرد شتم للشيخ تقي الدين استوجبه ابطال الشيخ لما تهواه نفوس هؤلاء من البدع والأهواء ، والشيخ تقي الدين رضي الله تعالى عنه كان بحته واعتراضه بما يقتضيه الدليل ، ومقصوده اظهار الحقائق الدينية - لم يكن من مقاصده المكابرة والمجازفة - كما هو شأن أئمة أهل العلم الربانيين مثل الأئمة الأربعة وأصحابهم وما جرى بينهم من المناظرات والمخالفات •

وقد رأيت نحو هذا الاعتراض والجواب في كتاب ( بيان الدليل على بطلان التحليل ) من مصنفات الشيخ قدس الله روحه ، حيث تكلم على ابطال الحيل بكلام مفصل ، ثم ذكر سؤالا وجوابا يتعلق بذلك ونصه :

( فان قيل ) هذه الحيل مما اختلف فيها العلماء ، فاذا قلد الانسان من يفتي بها فله ذلك ، والانكار في مسائل الخلاف غير سائغ ، لاسيما على من كان متقيدا بمذهب من يرخص فيها ، أو قد تفقه فيها ورأى الدليل يقتضي جوازها ، وقد شاع العمل بها عن جماعات من الفقهاء ، والقول بها معزو الى مذهب أبي حنيفة والشافعي وما قاله مثل هؤلاء الأئمة لا ينبغي الانكار البليغ فيه ، لاسيما على من يعتقد أن الأئمة المجوزين لها أفضل من غيرهم ، وقد ترجح عنده متابعة مذهبهم اما على سبيل الالف والاعتیاد أو على طريق النظر والاجتهاد ، وهب هذا الاعتقاد باطلا أستم تعرفون فضل هؤلاء الأئمة ومكانهم من العلم والفقہ والتقوى وكون بعضهم أرجح من غيره أو مساويا له أو قريبا منه ؟ فاذا قلد العامي أو المتفقه واحدا منهم - اما على القول بأن العامي لا يجب عليه الاجتهاد في أعيان المفتين ، أو على القول بوجوده اذا ترجح عنده أن من يقلده فيها هو الأفضل ، لاسيما ان كان فيها هو المذهب الذي التزمه - فلا وجه للانكار عليه ، الا أن يقال ان المسألة قطعية لا يسوغ فيها الاجتهاد ، وهذا ان قيل كان فيه طعن على الأئمة بمخالفة القواطع ، وهذا قدح في امامتهم ، وحاش لله أن يقولوا ما يتضمن مثل هذا ، ثم قد يفضي ذلك الى المقابلة بمثله أو بأكثر منه ، لاسيما ممن يحمله هوى دينه أو دنياه على ما هو أبلغ من ذلك ،

وفي ذلك خروج عن الاعتصام بحبل الله سبحانه ، وركوب التفرق المنهى عنه  
وأفساد ذات البين ، وحينئذ فتصير مسائل الفقه من باب الأهواء وهذا غير سائغ ،  
وقد علمتم أن السلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعية مع بقاء الألفة والعصمة  
وصلاح ذات البين •

( فأجاب الشيخ رضي الله عنه عن ذلك ) بقوله : قلنا نعوذ بالله سبحانه مما  
يفضي الى الوقيعة في أعراض الأئمة ، أو انتقاص أحد منهم ، أو عدم المعرفة  
بمقاديرهم وفضلهم ، أو محادتهم وترك محبتهم وموالاتهم ، ونرجو من الله سبحانه  
أن تكون ممن يحبهم ويواليهم ويعرف من حقوقهم وفضلهم مالا يعرفه أكثر الاتباع  
وأن يكون نصيبنا من ذلك أوفر نصيب وأعظم حظ ، ولا حول ولا قوة الا بالله •  
وقال : لكن دين الاسلام انما يتم بأمرين : ( أحدهما ) معرفة فضل الأئمة  
وحقوقهم ومقاديرهم وترك كل مايجر الى ثلبهم • ( والثاني ) النصيحة لله سبحانه  
ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وإبانة ما أنزل الله سبحانه من البينات  
والهدى ، ولا منافاة أن الله سبحانه بين القسمين لمن شرح الله صدره ، وانما يضيق  
عن ذلك أحد رجلين : رجل جاهل بمقاديرهم ومعاذيرهم ، أو رجل جاهل بالشريعة  
وأصول الأحكام •

قال : وهذا المقصود يتلخص بوجوه : ( أحدها ) أن الرجل الجليل الذي له في  
الاسلام قدم صالح وآثار حسنة - وهو من الاسلام وأهله بمكانة عليا - قد  
تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لايجوز أن يتبع فيها مع بقاء  
مكاته ومنزله في قلوب المؤمنين ، واعتبر ذلك بمنظرة الامام عبد الله بن المبارك ،  
قال : كنا في الكوفة فناظروني في ذلك يعني التبيذ المختلف فيه ، فقلت لهم : تعالوا  
فليحتج المحتج منكم عن شاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالرخصة ،  
فان لم يبين الرد عليه عن ذلك الرجل بشدة صحت عنه ، فاحتجوا ، فما جاءوا عن  
أحد برخصة الاجتاهم عنه بشدة ، فلما لم يبق في يد أحد منهم الا عبد الله بن مسعود  
وليس الاجتجاج عنه في شدة التبيذ بشيء يصح عنه ، انما يصح عنه أنه لم ينبذ له  
في الجر الأخضر •

قال ابن المبارك : فقلت للمحتج عنه في الرخصة : يا أحق عد أن ابن مسعود لو  
كان ههنا جالسا لقال هو لك حلال ، وما وصفنا عن النبي صلى الله عليه وسلم  
وأصحابه في الشدة كان ينبغي لك أن تحذر أو تجبن أو تخشى •  
( فقال قائلهم ) يا أبا عبد الرحمن فالنخعي والشعبي - وسمى عدة معهما -

كانوا يشربون الحرام •

( فقلت لهم ) دعوا عند الاحتجاج تسمية الرجال فرب رجل في الاسلام مناقبه كذا وكذا ، وعسى أن يكون منه زلة أفلا أحد أن يحتج بها ، فان أبيتكم فما قولكم في عطاء وظاوس وجابر بن زيد وسعيد بن جبير وعكرمة ؟ قالوا : كانوا خيارا ، قلت : فما قولكم في الدرهم بالدرهمين ؟ فقالوا حرام •

فقال ابن المبارك : ان هؤلاء رأوه حلالا فماتوا وهم يأكلون الحرام ، فبهتوا وانقطعت حجتهم • قال ابن المبارك : ولقد أخبرني المعتمر بن سليمان ، قال : رأني أباي وأنا أنشد الشعر ، فقال لي : يا بني لاتشد الشعر ، فقلت له : يا أباه كان الحسن ينشد ، وكان ابن سيرين ينشد ، فقال لي أباي : ان أخذت بشر ما في الحسن وبشر ما في ابن سيرين اجتمع فيك الشر كله ، وهذا الذي ذكره ابن المبارك متفق عليه بين العلماء ، فانه ما من أحد من أعيان الأمة من السابقين الأولين ومن بعدهم الا لهم أقوال وأفعال خفي عليهم فيها السنة ، وهذا باب واسع لا يحصى مع أن ذلك لا يفيض من أقدارهم ، ولا يسوغ أتباعهم فيها ، كما قال الله سبحانه : ( فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ )<sup>(١)</sup>

قال مجاهد والحكم بن عتيبة ومالك وغيرهم : ليس أحد من خلق الله الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم ، قال سليمان التيمي : ان أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله ، قال ابن عبد البر : هذا اجماع لا أعلم فيه خلافا •

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في هذا المعنى ما ينبغي تأمله ، فروى كثير بن عبد الله بن عمرو <sup>رضي</sup> عوف المزني عن أبيه عن جده ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( اني لأخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاثة ، قالوا : ماهي يا رسول الله ؟ قال : أخاف عليهم من زلة العالم ، ومن حكم الجائر ، ومن هوى متبع ) وقال ابن زياد بن حدير ، قال عمر : ثلاث تهدمن الدين : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق ، وعلى القرآن منار كأعلام الطريق<sup>(٢)</sup> وكان معاذ بن جبل يقول في خطبته كل يوم - قلما يخطئه أن يقول ذلك - الله حكم قسط ، هلك المرتابون ، ان وراءكم فتننا يكثر فيها المال ، ويفتح فيها

(١) النساء : ٥٩ - (٢) كذا في الاصل لم يذكر الثالث .

القرآن ، حتى يقرأه المؤمن والمنافق ، والمرأة والصبي ، والأسود والأحمر ، فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن ، فما أظن أن يتبعوني حتى ابتدع لهم غديره ، فإياكم وما ابتدع ، فان كل بدعة ضلالة ، وإياكم وزيفه الحكيم ، فان الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وان المنافق قد يقول كلمة الحق ، فتلقوا الحق عن جاء به ، فان على الحق نورا • قالوا : كيف زيفه الحكيم ؟ قال : هي كلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ماهذه ، فاحذروا زيفته ، ولا يصدنكم عنه ، فانه يوشك أن يفيء ، وأن يراجع الحق ، وان العلم والايمان مكانهما الى يوم القيامة ، فمن ابتغاهما وجدتهما •

وقال سلمان الفارسي : كيف أتم عند ثلاث : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم ، فاما زلة العالم فان اهتدى فلا تقلدوه دينكم ، تقولون نصنع مثل مايصنع فلان ، وننتهي عما ينتهي عنه فلان ، وان أخطأ فلا تقطعوا إياكم منه فتعينوا عليه الشيطان ، وأما مجادلة منافق بالقرآن فان للقرآن منارا كمنار الطريق ، فما عرفتم منه فخذوا ، وما لم تعرفوه فكلوه الى الله سبحانه ، وأما دنيا تقطع أعناقكم فانظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم • وعن ابن عباس قال : ويل للأتباع من عثرات العالم ، قيل : كيف ذلك ؟ قال يقول العالم شيئا برأيه ثم يجد من هو أعلم برسول الله منه فيترك قوله ذلك ثم يمضي الاتباع ، وهذه آثار مشهورة رواها ابن عبد البر وغيره •

فاذا كنا قد حذرنا زلة العالم ، وقيل لنا انها من أخوف ما يخاف علينا ، وأمرنا مع ذلك أن لا نرجع عنه : فالواجب على من شرح الله صدره اذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لا يحكيها لمن يتقلدها بل يسكت عن ذكرها ان يقن صحتها ، والا توقف في قبولها ، فما أكثر ما يحكى عن الأئمة مما لا حقيقة له ؟ وكثير من المسائل يخرجها بعض الاتباع على قاعدة متبوعة ، مع أن ذلك الامام لو رأى أنها تفضي الى ذلك لما التزمها ، والشاهد يرى مالا يرى الغائب ، ومن علم فقه الأئمة وورعهم علم أنهم لو رأوا هذه الحيل وما أفضت اليه من التلاعب بالدين لقطع بتحريمها من لم يقطع به أولا ، انتهى ، ثم ذكر رحمه الله تعالى جوابا ثانيا ، وثالثا ، ورابعا ، وخامسا ، عن ذلك السؤال وأطنب في كلامه •

والمقصود منه : أن يعلم من تكلم الشيخ فيه وكلامه ليس من جنس كلام الغلاة — عاملهم الله بعدله — فيه ، وهم انما تكلموا زورا وبهتانا واتباعا لهواهم ، وشأن



أتباع الرسل والعلماء العاملين أن يرضوا لله ويفضبوا لله ، وأن يتبعوا الكتاب والسنة ، وأن يقبلوا ما وافقهما ويتركوا ما خالفهما ، وبذلك تتحقق محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبخلاف ما هنالك تكون العداوة .

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام رحمه الله في تفسير ( سورة الكوثر ) وهو تفسير جليل - سورة الكوثر سأجلها من سورة ، وأغزر فوائدها على اختصارها وحقيقة معناها تعلمها من آخرها ، فانه سبحانه يتر شانيء رسوله من كل خير ، فيبتر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة ، ويبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحا لمعاده ، ويبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفة ومحبته والايان برسله ، ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعته ، ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصرا ولا عوناً ، ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة ، وان باشره بظاهره فقلبه شارد عنها ، وهذا جزء من شأن بعض ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وردده لأجل هواه أو متبوعه أو شيجه أو أميره أو كبيره ، كمن شأن آيات الصفات وأحاديث الصفات وتأولها على غير ما أراد الله ورسوله سفها وظلماً على ما يوافق مذهبه ومذهب طائفته ، أو تمنى أن لا تكون آيات الصفات أنزلت ، ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أقوى علامات شأنه لها وكرهته لها أنه اذا سمعها حين يستدل بها أهل السنة على مادلت عليه من الحق اشماز من ذلك وحاد عن ذلك ، لما في قلبه من البغض لها ، فأبي شأن للرسول أعظم من هذا ؟ وكذلك أهل السماع الذين يرقصون على سماع الغناء والقصائد ، والدفوف والشبابات ، واذا سمعوا القرآن يتلى ويقرأ عليهم في مجالسهم استنظالوا ذلك واستثقلوه ، فأبي شأن أعظم من هذا ؟ وقس على هذا سائر الطوائف في هذا الباب ، وكذا من أثر كلام الناس وعلومهم على القراء والسنة ، فلولا أنه شانيء لما جاء به الرسول ما فعل ذلك ، حتى ان بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه ، ويشتغل بقول فلان وفلان ، ولكن من أعظم شأنه وردده من كفر به وجحده ، وجعله أساطير الأولين وسحراً يؤثر ، فهذا أعظم وأطم ابتتاراً ، وكل من شأنه له نصيب من الابتتار على قدر شئنه له ، فهؤلاء شئووه وعادوه جازاهم الله بأن جعل الخير كله معادياً لهم فبترهم منه ، وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بضد ذلك ، وهو أن أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير الذي آتاه الله في الدنيا والآخرة ، وأعطاه في الدنيا الهدى والنصر والتأييد ، وقررة العين والنفس ، وانشراح الصدر ،

ونعم قلبه بذكره ووجه ، بحيث لا يشبه نعيمه نعيم في الدنيا البتة ، وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود ، وجعله أول من يفتح له ولأمته باب الجنة ، وأعطاه في الآخرة لواء الحمد والحوض العظيم في موقف القيامة الى غير ذلك ، وجعل المؤمنين كلهم أولاده وهو أب لهم ، وهذا ضد حال الأبرتر الذي يشناه ويشناه ماجاء به : وقوله : ( ان شانك ) أي مبعضك ( هو الأبرتر ) أي المقطوع النسل الذي لا يولد نه خير ولا عمل صالح ، فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح .

قيل لأبي بكر بن عياش : ان في المسجد قوما يجلسون ويجلس اليهم ، فقال : من جلس للناس جلس الناس اليه ، ولكن أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم ، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم ، لأن أهل السنة أحيوا بعض ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . وأهل البدعة أماتوا ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان لهم نصيب من قوله ( ان شانك هو الأبرتر ) فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ، أو ترده لأجل هوائك ، أو انتصارا لمذهبك أو شيخك ، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا ، فان الله لم يوجب على أحد طاعة أحد الا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ بما جاء به ، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ماسأله الله تعالى عن مخالفة أحد ، فان كل من أطيع أو يطاع انما يطاع تبعاً للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو أمر بخلاف ماأمر به الرسول ماأطيع ، فاعلم ذلك واسمع وأطع ، واتبع ولا تتبذع تكن أبرتر مردوداً عمك ، بل لاخير في عمل أبرتر من الاتباع ، ولا خير في عامله انتهى .

فهذه أقوال أهل العلم فيمن انتقص أئمة الهدى وخيار الأمة كما فعل النبهاني وابن حجر المكي وسائر الغلاة ، وقد كشف الله تعالى عن سواتهم ، وأراهم سوء منقلبهم ، هذا بعض ما يستحقونه من عذاب الله وبطشه ، ولعذاب الآخرة أشد .  
والنبهاني الغافل ظن أن أهل الحق ليس لهم أعوان ولا أنصار سوى مصنف ( جلاء العينين ) فأخذ يشنع عليه بأقواله الكاسدة ، وما درى المسكين أن أنصار الله لا يحيط بهم نطاق الاحصاء ، وما يعلم جنود ربك الا هو ، نسأله تعالى الهداية الى صراطه المستقيم .

( قال النبهاني ) وقد عقد فصلاً في الفرق بين الإمامين ابن حجر وابن تيمية : من المعلوم أن كل مذهب من المذاهب الأربعة أهله أعلم وأدرى بأحوال علماء مذهبهم ، لكثرة تدقيقهم في أقوالهم ، وتنقيحهم عن أحوالهم ، وتبصيرهم لحاسنهم

ومساويهم ، ويروي ذلك خلفهم عن سلفهم ، ليأخذوا بأقوالهم في المذهب أو يردوها ، أو يعتمدوها أو يضعفوها ، وقد نظرنا الى هذين الامامين ابن حجر وابن تيمية ، فوجدنا ابن حجر اماما في مذهب الشافعي لا يعادله فيه أحد من الأئمة المتأخرين سوى الشمس الرملي على خلاف بين العلماء في الترجيح بينهما ، أما اذا اتفقا على حكم وجب المصير اليه عند كافة علماء مذهب الشافعي على الاطلاق ، فهذه منزلة ابن حجر في مذهبه ، وهي معلومة لا ينكرها أحد ، ولا يدعي خلافها جاهل فضلا عن عالم ، ومؤلفاته في الفقه هي عمدة مذهب الشافعي من عصره الى الآن ، وكلها محررة مقبولة باجماع أهل مذهبهم وغيرهم ، وهي كثيرة ، وأكثرها مطولات في عدة مجلدات : منها شرح العباب ، وتحفة المحتاج شرح المنهاج ، والامداد شرح الارشاد ثم اختصره في مجلدين ، وسماه ( فتح الجواد ) وألف عليه حاشيته ، والفتاوى الكبرى ، وشرح الحضرمية ، وحاشية مناسك النووي ، ومختصر المناسك المذكورة ومختصر الروض ، هذا ما استحصرته الآن من كتبه الفقهية ، وله مؤلفات كثيرة في الحديث وغيره ، وكلها نالت منتهى القبول ، والناس عليها في غاية الاقبال ، وأكثرها مطولات ، منها شرح مشكاة المصابيح ، والزواجر عن اقتراف الكبائر ، والصواعق المتحركة لأهل الرفض والزندقة ، وأسنى المطالب في صلة الأقارب ، وشرح الشمائل ، وشرح الهمزية ، وشرح الأربعين النووية ، والأعلام بقواعد الاسلام ، وكف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ، والايضاح والبيان ، بما في ليلة الرغائب والنصف من شعبان ، وغير ذلك مما لم يحضرني الآن ذكره ، وكلها يتنافس باقتنائها المتنافسون ، ويعتمد عليها من جميع المذاهب العلماء المحققون ، ولا يخلو منها في الغالب مكتبة من المكاتب ، فيالها من مؤلفات جليلة خدم بها الدين ، ونفع بها المسلمين ، وانتشرت في العالمين ، وتلقاها الناس بالقبول التام في جميع بلاد الاسلام ، للاتفاق على أنه أحد الأئمة الأعلام ، الذين لم يطعن فيهم أحد من علماء مذهب الاسلام من عصره الى الآن ، ولم ينسبه واحد منهم الى بدعة أو مخالفة سنة ، وقد كان يعتقد في ساداتنا الصوفية أحسن الاعتقاد ، ويشني عليهم أحسن الثناء ، ويوجب عنهم بأحسن الأجوبة ، فشملته بركاتهم وعمته نجاتهم ، وبالجملة فقد كان من أكابر أئمة العلماء العاملين ، الهداة المهديين ، الذين جددوا وأيدوا بعلمهم هذا الدين المبين ، وعم نفعهم جميع المسلمين ، فوقع على قبوله والاقبال على كتبه الاتفاق في جميع الآفاق .

( قال وأما ابن تيمية ) فهو أيضا امام من أئمة الاسلام وقد كان من الممتازين

في عصره في العلم والعمل ، والتصلب في الدين ، بحيث لاتأخذه في الحق لومة لائم ، حتى أنه جرى عليه بسبب مخالفته لما عليه جمهور الأمة من بدعه المعلومة التي شذ بها اهانات كثيرة ، وحبس بها مرارا ، الى أن توفي في الحبس ، ولم يرجع عما ظهر له أنه الحق من تلك البدع ، وكان من أكابر حفاظ الحديث ، وله في علوم الدين مؤلفات كثيرة مطولات ومختصرات قل من وفقه الله لمثلها ، ولكن الله تعالى لم يقدر الانتفاع بعلمه وكتبه كالانتفاع بعلم الامام ابن حجر وكتبه ، فان كتبه رحمه الله على كثرتها ونفاستها بقيت في زوايا الاهمال ، ولم يقبل عليها جمهور العلماء وغيرهم ، ولا تلقوها بالقبول ، فذهب أكثرها ضياعا ، ولا يوجد منها الآن بين الناس الا القليل ، ومعلوم أن ذلك من الله وحده لاشريك له ، فهو الذي نشر علم ابن حجر وكتبه في الامة نشرا تاما ، بحيث انتفع بها الخاص والعام في سائر بلاد الاسلام ، وهو سبحانه الذي صرف القلوب عن كتب ابن تيمية حتى لم يبق منها الا القليل النادر ، وقلما يوجد منها شيء في مكتبة من المكاتب الموقوفة والملوكة ، واذا وجد فالغالب أن يكون مخروما وناقصا ، أو أكلته الأرضة وبليت أوراقه ، وصار بحالة لا ينتفع بها ، مع أن كتبه كلها تدل على أنه من أكابر أئمة الاسلام ، الا أنه قلما يخلو كتاب منها من شذوذ يخالف به مذاهب المسلمين ، ويشنع على علماء الدين ، ولاسيما الأولياء العارفين ، الى أن قال : وأظن بل أتيقن أن السبب الوحيد لعدم انتفاع الناس بكتب ابن تيمية وعلمه مع جلالة قدره شذوذه في تلك المسائل ، واعتراضه على هؤلاء الأكابر ، وماشبهت كتبه الا بكنوز مملوءة من الجواهر النفيسة ، ولكنها مرصودة من بدعه ومخالفته للأمة بحيات قاتلات ، فهي تمنع الناس من الاقبال عليها والانتفاع بها ، الى آخر ما هذى به .

هذه جملة من كلام النبهاني فيما قاله في المحاكمة بين ابن حجر وابن تيمية ، وكأنه تعلمها من قوانين الجزاء أو الحقوق ، فانها بعيدة عن العلم الذي أنزل الله به كتبه ، وسقت هذا المقدار منه ليعلم أهل العلم المنصفون درجته في الجهل والحسد ، وقد كتب هذا كله في مقابلة ما ذكره مصنف جلاء العينين من الحق الظاهر ، وانحياد ابن حجر عنه وتقوله على علماء الدين ، وقال هذا الزائغ — قبل شروعه في مقالته هذه — مانصه : ولما ظهر تحامل مصنف جلاء العينين في كتابه هذا على أهل السنة ومذهبهم ، ولاسيما الامام السبكي وابنه وابن حجر ، وبالغ في التعصب بمدح ابن تيمية ومذهبه ، وكل من كان على شاكلته — رأيت أن أذكر هنا الفرق بين ابن تيمية

وابن حجر ، ليظهر لكل أحد أنه حكم لابن تيمية على ابن حجر بالباطل ، فأقول الى آخر مقالته التي نقلناها ، وكلامه هنا متناقض ، كما أنه كذلك في كل مقام ، فتارة يقول عن ابن تيمية انه امام من أئمة المسلمين ، وأخرى ييدعه ويجعله من المتدعين ، وهكذا كل كلام يوحيه الشيطان الى أوليائه ، والنبهاني الزائغ - كما لا يخفى على من وقف على جهله وضلاله - ليس من أهل الترجيح لأقوال أهل العلم بعضها على بعض ، بل لا يحسن قراءة عبارتها ، ولا يصلح أن يكون حكما بين صبيين فضلا عن أن يكون حكما بين العلماء •

مائت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصل ولا ذي الرأي والجدل  
فان من شرط الحكم أن يكون عالما بالكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة ، ومذاهب المجتهدين ، فمن أين لهذا الزائغ من هذه العلوم •

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه : من المعلوم أنا اذا تكلمنا في العلماء والمشائخ المختلفين في العلم والدين وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل ، لا يجهل وظلم ، فان العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال ، والظلم محرم مطلقا لا يباح قط بحال ، قال تعالى : ( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَنْ لَا تَعْدِلُوا ۖ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ )<sup>(١)</sup> وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار ، وهو بغض مأمور به ،

فاذا كان البغض الذي أمر الله به قد نهى صاحبه أن يظلم من يبغضه فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس ، فهو أحق أن لا يظلم بل يعدل عليه ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق من عدل عليهم في القول والعمل ، وهكذا اتباعهم ، والعدل ما اتفق أهل الأرض على مدحه ومجته والثناء على أهله ومحبته ، والظلم ما اتفق على ذمه وتقيحه وذم أهله وبغضهم ، وليس المقصود الكلام في التحسين والتقيح العقلي ، فقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضوع في مصنف مفرد ، ولكن المقصود أن العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض ، وهو محبوب في النفوس ، مركز حبه في القلوب ، تحبه القلوب وتحبده ، وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب ، والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه ، والله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط ، قال الله تعالى : ( لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( اللَّهُ

(١) المائدة : ٨ - (٢) الحديد : ٢٥

الذي أُنزِلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ (١) وقال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ) (٢) وقال : ( فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ) (٣) وقال : ( فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ) (٤) فأمره أن يحكم بالقسط ، وأن يحكم بما أنزل الله ، فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله ، فما أنزل الله هو القسط ، والقسط هو ما أنزل الله ، ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل ، لقوله : ( وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ) فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبدا .

والشرع الذي يجب على حكام المسلمين الحكم به عدل كله ، ليس في الشرع ظلم أصلا ، بل حكم الله أحسن الأحكام ، والشرع هو ما أنزل الله ، فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل ، لكن العدل قد يتنوع بتنوع الشرائع والمناهج ، فيكون العدل في كل شرعة بحسبها ، ولهذا قال تعالى : ( وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَعُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَاحْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ) الى قوله : ( وَلِيُحْكَمْ أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَإِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

(١) الشورى : ١٧ - (٢) النساء : ٥٨ - (٣) المائدة : ٤٢ - (٤) المائدة : ٤٨

الكتاب بالحق مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيهَا آتَاكُمْ فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ . مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . (١١)

ذكر سبحانه حكم التوراة والانجيل ، ثم ذكر أنه أنزل القرآن ، وأمر نبيه أن يحكم بينهم بالقرآن ولا يتبع أهواءهم عما جاءه من الكتاب ، وأخبر أنه جعل لكل واحد من الأنبياء شريعة ومنهاجا ، فجعل لموسى وعيسى مافي التوراة والانجيل من الشريعة والمنهاج ، وجعل للنبي صلى الله عليه وسلم مافي القرآن من الشريعة والمنهاج ، وأمره أن يحكم بما أنزل الله ، وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله ، وأخبره أن ذلك هو حكم الله ، ومن ابتغى غيره فقد ابتغى حكم الجاهلية ، وقال : ( وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ) .

ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فانه ما من أمة الا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها مارآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ، كسوالف البادية ، وكأوامر المطاعين فيهم ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فان كثيرا من الناس أسلموا ، ولكن مع هذا لا يحكمون الا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء اذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم الا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا

(١) المائدة : ٤٢ - ٥٠

أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار ، والا كانوا جهالا كمن تقدم أمره .  
وقد أمر الله المسلمين كلهم اذا تنازعتوا في شيء أن يردوه الى الله وانرسول ،  
فقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي  
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ  
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا )<sup>(١)</sup> وقال تعالى :  
( فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي  
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَئِلُوا تَسْلِيمًا ) .<sup>(٢)</sup>

فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله  
بنفسه أنه لا يؤمن ، وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصي  
واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة ، وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على  
تكفير ولاية الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم  
الله ، وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هنا ، وما ذكرته يدل عليه سياق الآية .

والمقصود : أن الحكم بالعدل واجب مطلقا في كل زمان ومكان على كل أحد  
ولكل أحد ، والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو عدل خاص ،  
وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها ، والحكم به واجب على النبي صلى الله عليه  
وسلم وكل من اتبعه ، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ، وهذا واجب على  
الامة في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية ، قال تعالى : ( كَانَ النَّاسُ  
أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ  
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ  
إِلَى اللَّهِ )<sup>(٤)</sup> وقال : ( فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ )<sup>(٥)</sup>  
فالأمور المشتركة بين الامة لا يحكم فيها الا الكتاب والسنة ليس لأحد أن

(١) النساء : ٥٩ - (٢) النساء : ٦٥ - (٣) البقرة : ٢١٣ - (٤) الشورى : ١٠ - (٥) النساء : ٥٩



يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك ، ومن اعتقد أنه يحكم بين الناس بشيء من ذلك ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر ، وحكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة لا يحكمون في الأمور الكلية ، وإذا حكموا في المعينات فعليهم أن يحكموا بما في كتاب الله ، فإن لم يكن فيما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم يجدوا اجتهد الحاكم برأيه •

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( القضاة ثلاثة : قاضيان في النار ، وقاض في الجنة ، فمن علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ومن علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار ومن قضى للناس على جهل فهو في النار ) وإذا حكم بعلم وعدل فاذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين •

والمقصود هنا : أنه إذا وجب فيما شجر بين عموم المؤمنين أن لا يتكلم إلا بعلم وعدل ويرد ذلك الى الله والرسول فذاك في أمر الصحابة أظهر ، فلو طعن طاعن في بعض ولاية الأمور من ملك وحاكم وأمير وشيخ ونحو ذلك وجعله كافراً متعدياً على غيره في ولاية وغيرها ، وجعل غيره هو العالم العادل المبرأ من كل خطأ وذنب ، وجعل كل من أحب الأول وتولاه كافراً أو ظالماً مستحقاً للوب والخذل به - فإنه يجب الكلام في ذلك بعلم وعدل ، والرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفرق : فوالوا بعضهم وغلوا فيه ، وعادوا بعضهم وغلوا في معاداته ، وقد يسلك كثير من الناس ما يشبه هذا في أمرائهم وملوكهم ، وعلمائهم وشيوخهم ، فيحصل بينهم رفض في غير الصحابة ، تجد أحد الحزبين يتولى فلاناً ومحببه ويبغض فلاناً ومحببه ، وقد يسب ذلك بغير حق ، وهذا كله من التفرق والتشيع الذي نهى الله عنه ورسوله ، فقال تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ )<sup>(١)</sup>

وقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ

(١) الانعام : ١٥٩ - (٢) آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣

لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ  
وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا  
الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ( ١١ )

قال ابن عباس : تبيض وجود أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة ، ولهذا  
كان أبو أمامة الباهلي وغيره يتأولها في الخوارج ، فالله تعالى قد أمر المؤمنين كلهم  
أن يعتصموا بحبله جميعا ولا ينفقوا ، وقد فسر حبله بكتابه ، وبدينه ، وبالاسلام  
وبالاخلاص ، وبأمره ، وبعهده ، وبطاعته ، وبالجماعة ، وهذه كلها منقولة عن  
الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وكلها صحيحة ، فان القرآن يأمر بدين الاسلام ،  
وذلك هو عهده وأمره وطاعته ، والاعتصام به جميعا انما يكون في الجماعة ، ودين  
الاسلام حقيقته الاخلاص لله .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
( ان الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل  
الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ) . والله تعالى قد حرم ظلم  
المسلمين أحيائهم وأمواتهم ، وحرم دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، وقد ثبت في  
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع : ( ان دماءكم  
وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم  
هذا ألا هل بلغت ألا ليلغ الشاهد الغائب ، قرب مبلغ أوعى من سامع ) انتهى ،  
ماهو المقصود من كلامه رحمه الله ، وبه علم أن النبهاني قد حكم بغير ما أنزل الله ،  
فانه لم يستند في كتابه كله فضلا عن هذا المقام بكتاب ولا بسنة ، ولا بدع أن يصدر  
ذلك منه فانه قد تعود الحكم بغير ما أنزل الله كسائر أحكامه في محكمته ، فهو في  
هذا الحكم وغيره أحد القاضيين .

وأما مصنف جلاء العينين فانه أسند جميع ما جاء به الى الكتاب والسنة ، فهو  
متبع في أحكامه كلها ما أنزل الله ، وهذا هو الوجه الأول مما ورد على كلام النبهاني  
في هذا المقام .

( والوجه الثاني ) ان التصدي لبيان الفرق بين ابن حجر وكتبه وبين الشيخ  
تقي الدين ابن تيمية وكتبه كالتصدي لبيان الفرق بين الحصى والدر ، والخزف

والذهب ، والظل والحرور ، والماء العذب والمالح ، وأين السماء من الأرض ، وأين السمك من السماء ، وأين الليل من النهار ، وأين السواد من الظلام . وأين الأموات من الأحياء ، وأين النائم من اليقظان ، وأين الفقير من الغني ، وأين الجاهل من العالم الى غير ذلك من النسب بين الأضداد ، والموازنة بين العاقل والجنون .

عدمك قد بان التباين في الوري وفيما يرى الباري فسبحان من برى ضللت الهدى اذ بالحصى قست جوهرها عدلك الحجى أين الثريا من الثرى

وأين حصى الحصاء من درر البحر  
فما مادر فيهم سواء وحاتم ولا كهجنان الخيل خيل كرائم  
فهل يستوي سيف كهام وصارم وهل يستوي لادر درك عالم  
وفه جهول ناقص الدين والحجر

؟  
؟  
؟

قال تعالى : ( هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) (1) فابن حجر بالنسبة الى الشيخ طفل راقد في مهد طفولته ، بل ان من رجح الشيخ على ابن حجر لم ينصف ولم يحكم بالحق :

ألم تر أن السيف ينقص قدره اذا قيل ان السيف خير من العصا ان ابن تيمية قد تسابق مع أكابر المجتهدين على ما سمعت ممن صنف في مناقبه ، وما كان من ثناء أكابر أهل العلم عليه ، فلو أن النبهي أجرى الموازنة بينه وبين امام ابن حجر الكبير : لكان ذلك أيضا محل اشكال ونظر .

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار ( الوجه الثالث ) ان النبهي لم يعرف طريق الموازنة ووجهها ، ولتته طالع كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحثري ، ولو أنه طالعه لعرف طريقها ، وان كانت تلك في شعر وما نحن فيه فن آخر ، فان أصول الموازنة لا تختلف ، وحينئذ كان اللازم عليه أن يوازن بين كتاب وكتاب اتفقا في الموضوع ، كأن يوازن بين الصواعق المحرقة لابن حجر وكتاب منهاج السنة للشيخ تقي الدين ابن تيمية ، فان كلا الكتابين في الرد على الروافض ، وبعد الموازنة بين هذين الكتابين يظهر للمنصف معنى قول القائل :

وفي الحيوان يشترك اضطرارا  
أرسطا طاليس والكلب العقور  
أو أن يوازن بين تحفة ابن حجر أو غيره من كتبه الفقهية وبين شرح العمدة في الفقه

(١) الزمر : ٩

لشيخ الاسلام ، وهكذا يأتي بكل كتاب وما يناسبه في موضوعه ، ويوازن بين ما اشتمل عليه من المسائل والدلائل ، وسلاسة العبارة ووفائها بالمقصود ، فحينئذ ينجلي العبار ، ويتميز الليل من النهار . ولكن يبقى عليه نحو ثلاثمائة مصنف للشيخ بل أكثر ليس لابن حجره في مقابلتها شيء ، بل لم تخطر على بال ابن حجر ، فماذا يصنع حينئذ وبأي شيء يوازن تلك الكتب ؟ والجهل وعدم الحياء يوقعان من التصنف بهما بأعظم من ذلك ، نسأله تعالى العفو والعافية ، والمنصف يعلم يتينا أن الموازنة وبيان الفرق بين كتب ابن حجر أو غيره من غلاة الشافعية وبين كتب الشيخ كالموازنة بين قرآن مسيلمة الكذاب وبين كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فأين مقاله ذلك الكذاب من الكتب الذي أنزل بالحكمة وفصل الخطاب ، وعندى أن هذا التشبيه حق ، فان غالب كتب ابن حجر مشحونة بالكذب ، والافتراء ، وقول الزور ، والآراء التي لم تستند الى كتاب ولا سنة صحيحة ، والدعوة الى غير الله ، ونحو ذلك من البدع والضلالات .

وكتب الشيخ تقي الدين تملأ قلوب مطالعيها نورا وإيمانا وحكمة و يقيناً ، وهي كما قال الامام الحافظ الشيخ عبد الله العراقي في كتابه الذي أرسله الى بعض تلامذة شيخ الاسلام بعد وفاته وقد ذكرناه سابقا : فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى ، وقد يقع في كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر مالا يخفى على طالب الحق بحرص وعدم هوى ، الى آخر ما قال .

( الوجه الرابع ) ان كتب ابن حجر كلها منتقدة في نظر أهل البصائر بأن البعض منها منتحل على ما سبق بيانه ، فان كتاب الزواجر انتحله من كتاب الكبائر لابن القيم أحد تلامذة شيخ الاسلام ، كما لا يخفى على من طالع الكتابين ، ولا يمكن أن يقال ان ذلك من باب توارد الخواطر ، فان التوافق لم يقع من الأول الى الآخر ، وابن القيم رحمه الله متقدم عليه بزمن طويل ، وكذلك الاعلام بقواطع الاسلام ، انتحله أيضا من كتاب شيخ الاسلام اما بواسطة أو بغير واسطة ، ولسان الكتاين يخالف لسان ابن حجر في كثير من كتبه ، لاسيما الجوهر المنظم ، والصواعق ، ونحوهما من كتبه ، التي يصون أهل العلم ألسنتهم عن التكلم بمثلها ، فقد اشتملت على أحاديث موضوعة مكذوبة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأقاويل لا يتكلم بها ابن يوم كما لا يخفى على من وقف على ما صنف من الردود عليها .

وأما التحفة ، وسائر كتبه الفقهية فهي مما لا يجوز لمسلم أن يطالعها لما اشتملت عليه من الغموض والخفاء ، والدقة في التعبير ، وأهل العلم نهوا عن أقل من ذلك ،

بل قد صرح بعضهم بمنع المفتين أن يفتوا بكتب ابن حجر ، لما أنهم لا يأمنون من الخطأ لما اشتلت عليه من ضيق العبارة والألغاز والتعقيد المنافي كل ذلك للاستفادة والاستفادة ، على أن المسلمين في غنى عنها ، فإن كتب السادة الشافعية وغيرهم قد ملأت العالم ، وكلها شافية كافية ، فما الحاجة الى كتب ابن حجر المتحولة من كتب من سبقه ، ألا ترى أن الشافعية لما اشتغلوا بها قل العلم والعلماء فيهم ، بخلافهم لما كانوا يشتغلون بغيرها من الكتب الواضحة المبسوطة .

وأما كتب شيخ الاسلام فلا يقوم غيرها مقامها من الكتب السابقة واللاحقة على ما لا يخفى على المنصف .

( الوجه الخامس ) أن مذهب الشافعي ليس مدار الأحكام في كثير من بلاد الاسلام ، انما مدارها في مشارق الأرض ومغاربها على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وفقهاء السادة الحنفية قد أغنوا العالم عن مثل ابن حجر ، هؤلاء مسلموا البلاد الهندية كلهم حنفيون ، وهكذا بلاد الصين ، والأترك في آسيا الوسطى ، وهكذا بلاد الدولة العثمانية حرسها الله ، والحنفيون غالبهم حنفيون .

وأما مذهب الشافعي فيكاد ينقرض من الأرض ويرتفع من الدنيا ، فلا تكاد ترى حكما يدور على مذهبه ، كما انقرض مذهب أهل الظاهر وغيره ، نعم للشافعي اليوم مقلدون في العبادات فقط ، وغالبهم ممن لا يفرق بين اليبين والنسأل ، هذا حال أصل المذهب ، فأين بقيت كتب ابن حجر ؟ وبطل قول النبهاني : وكلها يتنافس بإقتنائها المتنافسون ، ويعتمد عليها من جميع المذاهب المحققون . وبنت شعري من اعتمد عليها من علماء السادة الحنفية ؟ وأين بقيت كتبهم التي انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها ، والذي أعلمه أن كتب ابن حجر وغيره من غلاة الشافعية لا تساوي عندهم قلامة ظفر ، وكذلك السادة المالكية والحنابلة .

فقول النبهاني : وتلقاها الناس بالقبول التام في جميع بلاد الاسلام . كذب ظاهر ، وكيف يتلقاها أحد من أهل البصائر بالقبول وهي آراء محضة لم يستند فيها الى كتاب ولا سنة ، نعم كان بعض جهلة الشافعية مغترين ببعضها قبل أن تنتشر كتب المتقدمين وتظهر كنوز العلم بواسطة الطبع .

( الوجه السادس ) قوله في بيان سبب انتشار كتبه وتعليه للاتفاق على أنه أحد الأئمة الأعلام ، الذين لم يطعن فيهم أحد من علماء مذاهب الاسلام ، من عصره الى الآن ، ولم ينسبه واحد منهم الى بدعة الخ : كذب ظاهر ، بل قد طعنوا به

بل قد صرح بعضهم بمنع المفتين أن يفتوا بكتب ابن حجر ، كما أنهم لا يأمرون من كتب  
لما اشتملت عليه من ضيق العبارة والألفاظ والتعقيد المنافي كل ذلك للاستفادة  
والاستفادة ، على أن المسلمين في غنى عنها ، فإن كتب السادة الشافعية وغيرهم قد  
ملأت العالم ، وكلها شافية كافية ، فما الحاجة الى كتب ابن حجر المنتحلة من كتب  
من سبقه ، ألا ترى أن الشافعية لما اشتغلوا بها قل العلم والعلماء فيهم ، بخلافهم لما  
كانوا يشتغلون بغيرها من الكتب الواضحة المبسوطة .

وأما كتب شيخ الإسلام فلا يقوم غيرها مقامها من الكتب السابقة واللاحقة  
على ما لا يخفى على المنصف .

( الوجه الخامس ) أن مذهب الشافعي ليس مدار الأحكام في كثير من بلاد  
الاسلام ، إنما مدارها في مشارق الأرض ومغاربها على مذهب الامام أبي حنيفة رضي  
الله عنه ، وفقهاء السادة الحنفية قد اشغوا العالم عن مثل ابن حجر ، هؤلاء مسلموا  
البلاد الهندية كلهم حنفيون ، وهكذا بلاد الصين ، والأتراك في آسيا الوسطى ،  
وهكذا بلاد الدولة العثمانية حرسها الله ، والحنفيون غالبهم حنفيون .

وأما مذهب الشافعي فيكاد ينقرض من الأرض ويرتفع من الدنيا ، فلا تكاد

ترى حكما يدور على مذهبه ، كما انقرض مذهب أهل الظاهر وغلاة نهم للشافعي  
اليوم مقلدون في العبادات فقط ، وغالبهم ممن لا يفرق بين السني والنسائي ، هذا  
حال أصل المذهب ، فأين بقيت كتب ابن حجر ؟ وبطل قول النبهاني : وكلها يتنافس  
باعتبار التنافس ، ويعتمد عليها من جميع المذاهب المحققون . ولبت شعري من  
اعتمد عليها من علماء السادة الحنفية ؟ وأين بقيت كتبهم التي انتشرت في مشارق  
الأرض ومغاربها ، والذي أعلنه أن كتب ابن حجر وغيره من غلاة الشافعية لا تساوي  
عندهم قلامة ظفر ، وكذلك السادة المالكية والحنابلة .

فقول النبهاني : وتلقاها الناس بالقبول التام في جميع بلاد الاسلام . كذب ظاهر ،  
وكيف يتلقاها أحد من أهل البصائر بالقبول وهي آراء محضة لم يستند فيها الى  
كتاب ولا سنة ، نعم كان بعض جهلة الشافعية مغترين ببعضها قبل أن تنتشر كتب  
المتقدمين وتظهر كنوز العلم بواسطة الطبع .

( الوجه السادس ) قوله في بيان سبب انتشار كتبه وتعليقه للاتفاق على أنه  
أحد الأئمة الأعلام ، الذين لم يطعن فيهم أحد من علماء مذاهب الاسلام ، من عصره  
الى الآن ، ولم ينسبه واحد منهم الى بدعة الخ : كذب ظاهر ، بل قد طعنوا به

وبكتبه ، كما مر غير مرة ، على أنه لو سلم ذلك فليس فيه ما يستوجب المدح ، بل ما يستوجب خلافة ، قال تعالى : ( وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ) (١) والسواد الأعظم لا يرضون عن أحد حتى يوافقهم على أهوائهم وعقائدهم الزائفة ، أو أن أهل العلم لم يعبئوا بمثله ، ولا التفتسوا إليه ، فان ابن حجر مما لأهمية به •

ان الرياح اذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من الشجر ألا ترى أنك لاتجد عالما مشهورا ، وفاضلا مذكورا : الا ووجه الناس اليه سهام الملام ، وعاداه جمع كثير من الأنام ، وذلك فخر لأهل العلم ودليل على علو شأنهم • قال الامام الرافعي في كتابه ( احياء القلوب ) واعلم أن كثرة الانكار والأعداء مما يثبت لك أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لقوله تعالى : ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ) (٢) فعلم أن عداوة المؤمنين للعبد من شقاوته ، لأن قلوب المؤمنين لاتمقت الا بحق ، لأنهم لا يجتمعون على ضلالة ، وأعظم نصابهم أربع (٣)

( واعلم ) أن الدنيا ليست موضع ظهور الجزاء للتكليف ، فكل انسان فيها مشغول بنفسه ، مطلوب بأداء ما كلف به من العمل ، فمن علم هذا لم يبالي كيف أصبح ولا أمسى عند الخلق ، ولم يلتفت لمدحهم ولا ذمهم ، لأنهم في محل الحجاب ، وانظر الى أحواله صلى الله عليه وسلم في الدنيا لم يظهر لنا منها الا ما أخبرنا الحق تعالى من علو مرتبته ، ولولا ذلك جيلنا قدره في الآخرة ، يظهر مقامه للخاص والعام فلا يظهر كماله الا في الآخرة ، وكذلك كل الرجال لأنها دار ظهور النتائج ، وأما الدنيا فانما هي دار أعمال ، فمن طلب ظهور النتائج فيها فقد قلب الموضوع ، وباع آخرته بعرض من الدنيا فافهم •

قال : وقال أبو الحسن الشاذلي : لما علم الله سبحانه وتعالى أنه لا بد أن يتكلم في أنبيائه وأصفيائه قضى على قوم بالشقاوة فنسبوه الى اتخاذ الصاحبة والولد ، حتى اذا ضاق الولي ذرعا من كلام قيل فيه : نادته هواتف الحق هذا وصفك لولا لظفي بك ، فافهم وطب نفسا وقر عينا بجميع ما يقال فيك ، فان جميع المنكرين رحمة

(١) البقرة : ١٢٠ - (٢) الفرقان : ٣١ - (٣) كذا في الاصل ويحجر

من الله عليك ، والا لو عكس الأمر وجعلك منكرا عليه كالكافر أو العاصي ماذا كنت تفعل ، فأحمد الله سبحانه وتعالى ، واسلك سبيل الأصفياء ، وكثرة المدح من جميع الخلق لا يعني عنك من الله شيئا وأنت عنده بخلاف ذلك ، وكثرة الذم والأذى من الخلق لا يضر شيئا وأنت عنده بخلاف ذلك ، بل جميع المنكرين يفارقونك بالموت ، فهل ينزلون معك في القبر فيتعصبون عليك ويتولون سؤالك أو حسابك في الآخرة ؟ واحذر حين مدح الخلق لك أن تظهر التواضع فتحقر نفسك لما يعظموك ، فإن ذلك يزيدك تعظيما عندهم ، بل اسكت إيهاما لهم بأنك تحب المدح بما ليس فيك ، هذا هو الأصلح لك دائما فافهم •

فإن قال لك الشيطان : هذا مما ينفر القلوب منك وأنت تنفع الناس وتعلمهم الخير وانما يليق هذا الحال بالسواح الذين خربوا حالهم ، فقل له ، انما أنظر الى المجرى لهم وهو الله تعالى ، فإن أقام في باطنهم تعظيما لي عظموني ولا يمكنهم أن يحقروني ، وأشهد ذلك فضلا منه ، وإن أقام في باطنهم تحقيرا لي لا يمكنهم التعظيم لي ولو أظهرت لهم كل كرامة فافهم •

وبالجملة : فمن كان قصده التعظيم عند الخلق لم يزل في تكدير ، لأنه لا بد في الوجود من منكر عليه ، وطلبه من جميع الخلق أن يقبلوا عليه بالثناء والحمد والاعتقاد جهل منه ، فلا بد له من ذام ومدح ولو كان في فضل نحو الصحابة رضي الله عنهم ، وقد كان شخص يذم الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وينكر عليه فاجتمع به المنكر فأثنى عليه بحضرة الصحابة رضي الله عنهم على خلاف عادته ، فقال الامام علي رضي الله عنه ، أنا دون ماتقول ، وفوق ما في نفسك ، فافهم فهما الله واياك ، فإن من رضي بعلم الله فيه لا يتغير ، ولو توجه اليه "خلان بالذم والتنقيص ، ولا يغيره على الله شيء ، بل شأن العبد الغفلة عما الناس فيه مطلقا شغلا بسيده ، وقد رأيت هاتفا يقول على لسان الحق تعالى من شهد الأمور كلها مني لم يتغير لوجدان ولا فقد ، ومن خرج من مضرتي سلطت عليه أعدائي ، فلا يلومن الا نفسه ، والسلام فافهم فهما الله واياك ، انتهى •

ثم نقل الامام الرافعي عن ابن عطاء الله الاسكندري أنه قال في حكمه : انما أجرى عليك الأذى على يديهم ، كيلا تكون ساكنا اليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء ، قال شارحها ابن عباد وجود أذية الناس للعبد نعمة عظيمة عليه ، لا سيما ممن اعتاد منه الملاطفة والاكرام ، والمبرة والاحترام ، لأن ذلك يفيد عدم السكون اليهم ، وترك الاعتماد عليهم ، وفقد الأنس بهم ، فيتحقق بذلك



عبوديته لربه عز وجل •

قال الاستاذ أبو الحسن الشاذلي : آذاني انسان مرة ، فضقت به ذرعا ، فمت  
فأريت قائلا يقول لي من علامة الصديقة كثرة أعدائها ثم لايبالي بهم •  
وقال بعض العارفين : الصحبة مع العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا  
ساكنت غيره ، لولا ذلك لرقد القلب في ظل العز والجاه ، وهو حجاب عن الله  
عظيم •

وقال الاستاذ عبد السلام أستاذ أبي الحسن الشاذلي في دعائه : اللهم ان قوما  
سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك ، اللهم وانني  
أسألك اعوجاج الخلق عليّ حتى لا يكون ملجئي الا اليك •  
وقال الحسن الوراق النيسابوري : الأنس بالخلق وحشة ، والطمأنينة  
اليهم حق ، والسكون اليهم عجز ، والاعتماد عليهم وهن ، والثقة بهم ضياع ، واذا  
أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكره ، وتوكله عليه ، وصان سره عن النظر  
اليهم ، وظاهره عن الاعتماد عليهم ، وقد كان الزهاد يخرجون المال من الكيس ، تقربا  
الى الله تعالى ، وأهل الصفا والوفا يخرجون الخلق والمعارف من القلب ، تحقققا  
بالله عز وجل •

قال الامام الشعراني في لطائف المنن : اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم في  
بداياتهم ان يسلط عليهم الخلق ليظهروا من البقايا ، وتتكمل فيهم المزايا ، وكيلا  
يساكنوا هذا الخلق باعتماد ، أو يميلوا اليهم باستناده ، ومن آذاك فقد  
أغنتك من رق احسانه ، ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه . ولذلك قال  
صلى الله عليه وسلم : ( من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدرُوا فادعوا  
له ) كما ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق ، وليتعلق بالواحد الحق •

قال : وقال الشيخ أبو الحسن : اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من  
شرهم ، فان خيرهم يصيبك في قلبك ، وشرهم يصيبك في بدنك ، الى آخر ما قال •  
والحاصل : أن تسليط الخلق على أولياء الله تعالى في مبدأ ظهورهم سنة الله  
في أحبائه وأصفيائه ، وللصوفية من هذا البلاء الحظ الأوفر ، فان العارف بالله ابن  
أبي جمرة لما اختصر البخاري وشرحه وعرض فيه بأنه يرى المصطفى صلى الله عليه  
وسلم يقظة : قاموا عليه وعقدوا له مجلسا ، وألزم بالجلوس في بيته ، فلزمه ، فلم  
يخرج الا للجمعة حتى مات ، ولما ألف الحكيم الترمذي نوادر الأصول ، وختم

الأولياء ، وعلل الشريعة : ثاروا عليه ورموه بالعظام ، وبطشوا به ، فجمع كتبه كلها وألقاها في البحر ، قيل فاستمرت فيه ثم لفظها على حالها فانتفع الناس بها ، وثاروا على البوشنجي ونفوه من بلده فسكن نيسابور الى أن مات ، وأفتوا بتكفير أبي الحسن الخراز بمواضع التقطوها من كتبه ، ونفوه من بلده ، وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع كمال علمه ، وكثرة مجاهداته وزهده واتباعه للسنة ، وشهد عليه آخرون بالجنون ، وأدخل ( اليمارستان ) ثم نفوه الى أن مات .

وقام أهل المغرب على الامام أبي بكر النابلسي - مع علمه وزهده وورعه وتمسكه بالسنة وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر - فأخرجوه من بلاد المغرب بالقيود والزند الى مصر ، وشهدوا عليه عند السلطان بكلمات من كلمات القوم ، فأقر بها وأصر عليها ، فأمر بسلخه حيا منكوسا ، ففعل به ذلك ، فصار - وهو كذلك - يقرأ القرآن ، وأنكروا على أبي القاسم النصرآبادي مع علمه وصلاحه ، وزهده واستقامة طريقه ، واتباعه للسنة ، ونفوه الى مكة ، فلم يزل فيها حتى مات ، وقاموا على أبي عبد الله السجزي صاحب الفوائد الحديثية وأخرجوه ونفوه ، وقاموا على ابن سمعون الواعظ وآذوه وضربوه ومنعوه من الجلوس للوعظ في الجامع ، فانقطع في بيته حتى مات ، فمنعوا الناس من حضور جنازته مع كماله وجلالته ، وطمعنوا علي أبي القاسم ابن جميل ورموه بالعظام ، فلم يتزل عما هو فيه من الاشتغال بالفقه والحديث وصيام الدهر والتزهد والتعب حتى مات ، وآذوا الامام أبا الحسن الشاذلي وأخرجوه من بلاد المغرب باتباعه ، ثم كاتبوا نائب الاسكندرية بأنه زنديق فاحذروا منه على أنفسهم وأهل بلدتكم ، ووشوا به الى السلطان ، فحج في جماعته وكان الحج قد انقطع لكثرة قطاع الطريق ، فما رأوا الا خيرا ، فاعتقده الناس وعظموه وأجمعوا عليه حينئذ ، وقتلوا الحلاج ، والامام أبا القاسم ابن قسي صاحب كتاب خلع النعلين ، وابن بركان صاحب التفسير المشهور ، والجرجاني ، مع كونهم أئمة يقتدى بهم ، ولما قام عليهم الحاسدون عجزوا عن أن يشتموا عليهم ما يوجب القتل ، فحملوا عليهم الحيلة ، وقالوا للسلطان انه خطب لابن بركان من نحو مائة وثلاثين بلدا فأمر بقتلهم ، وقاموا على العفيف اتلمساني صاحب التأليف المشهورة وقالوا هو لحم خنزير في صحن صيني وضربوه ونفوه ، وعقدوا للشيخ عز الدين ابن عبد السلام عدة مجالس بسبب كلمة قالها في العقائد ولفظ الله به وظفره ، وغيروا السلطان بيبرس على قاضي القضاة ابن بنت الأغر بعدما كان بينهما من كمال المودة

حتى أمر بشنقه ثم أمده الله بلطفه في حكاية طويلة ، وكان الشيخ عمارة اليميني متضلعا من الفقه والحديث وغيرهما فأغروا به السلطان صلاح الدين وقالوا انه هجسك بقصيدة ، فلم يتغير السلطان لما كان عليه من مزيد العلم ، حتى قالوا انه ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم في شعره ، ولم يثبت عليه ذلك ، بل أنكر أن تلك القصيدة التي ذكر ذلك فيها من نظمه ، فحسن له القاضي الفاضل قتله فقتله ، وحسدوا شيخ الاسلام ابن أبي شريف ، وانتهزوا الفرصة باغراء السلطان عليه حتى تشوش منه بسبب افتائه بعدم جواز قتل امرأة ورجل أجنبيين وجدا في خلوة فهم بالبطش به ، ثم شنق المرأة والرجل على باب داره ، وأمره بالخروج من البلد الى بلده بيت المقدس ، فوافق ذلك قدوم الخبر بأن السلطان سليم قدم الى حلب يريد غزوه فاشتغل بنفسه ، الى غير ذلك من الوقائع التي لا يمكن حصرها ، ولا يضع الله حقا لأحد ، والله عند قول كل قائل ، فليتنق الله عبد و لينظر مايقول ، هذا كله من كتاب ( احياء القلوب ) للرافعي ، وبه يعلم ما في كلام النبهاني من الخلل ، حيث جعل سكوت العامة عن ابن حجر دليلا على علو قدره وجلالة شأنه ، ويفهم منه أن عدم رضاهم دليل الجهل وعدم العدالة .

ومقصوده من ذلك كله الحط على ابن تيمية بسبب ما كان من الجهلة في شأنه ، ومعاداة الغلاة له . ( يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ )<sup>(١)</sup>

( الوجه السابع ) أن قول النبهاني : وقد كان رحمه الله مع كونه اماما فقيها يعتقد في ساداتنا الصوفية أحسن الاعتقاد ، ويشني عليهم أحسن الثناء ، ويجب عنهم بأحسن الأجوبة ، فشملته بركاتهم وعمته نفحاتهم : لا يستوجب ترجيح صاحبه على مجتهدي الأمة وأكابر العلماء ، والمسلمون كلهم يعتقدون الخير في الصوفية المتبعين لما جاء الرسول به ، لا المتبعين لاهوائهم المتبدعين ، ولا سيما شيخ الاسلام فقد كان رضي الله عنه من أكابر الصوفية والزهاد ، وقد بين في كتابه ( الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ) ما ينشر به صدر كل موحد ، وليس كل من ادعى أنه صوفي يسلم له الزهد والورع ، لاسيما صوفية هذا العصر فانهم ذئاب ، عليهم من جلود الشياخ ثياب ، كما نسمع عن شيخ مبتدعة الرفاعية في دار السلطنة ، فانه قد

(١) التوبة : ٢٨

فاق على ابليس في مكره وحيله ، وخبثه وزندقته ، وكما نسمع عن شيخ القادرية في بغداد ممن ينتسب الى الكيلاني ، ويرشدون الناس ، وعندهم خاتم كبير يختمون به ما يعطونه لمن يسلك عليهم ، مكتوب فيه لا اله الا الله ( عبد القادر شي لله ) وقد كفروا بذلك كما ذكره فقهاء السادة الحنفية ، ففي منظومة ابن وهبان :

بدرويش درويشان كفر بعضهم كذا قول شي لله بعض يكفر  
والنقيب وأولاده وسائر أفراد عائلتهم هم أعظم الناس بلاء على الأمة ، ليست  
معصية في الدنيا الا وقد استباحوها ، وكبيرهم النقيب بل الذيب ، هو بريد الشر  
على العراق ، وهم ارفاض زنادقة ، يسبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
علنا ، ويشربون الخمر ، ويتعاطون كل منكر ، وعسى الله يعين على افراد كتاب  
نسط فيه أحوال هؤلاء الزنادقة وتحذير المسلمين منهم ، هؤلاء شيوخ صوفية  
عصرنا والأمر لله •

وابن حجر ان عظم أمثال هؤلاء الفجرة فهو لاشك من أعداء الله ، موان أحسن  
الاعتقاد فيمن تبع منهم الشريعة الغراء فكل المسلمين والعلماء العاملين كذلك ، فلا  
مزية له على غيره ، وقد ذكر في كتابه ( التعرف في الأصلين والتصوف ) ما يوافق  
ما ذكرناه ، حيث قال : وطريق أبي القاسم الجنيدي سيد الطائفة طريق مقوم ، لأنه خال  
من البدع ، ، دائر على التسليم والتفويض ، والتبري من النفس والتوحيد بالحق ،  
وما وقع في كتب جمع من متأخري الصوفية - كابن عربي وأتباعه بحسب وهم  
الأقلون - يجب تجنب ظواهره الموهمة لما لا يحل اعتقاده ، بل لما هو كفر في كثير  
منها ، كما وقع ذلك في فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرهما ، لكنهم جارون  
على اصطلاحهم ستراله عن دعاة الباطل ، والا فهم على الحق المبرأ عن وصمة الحلول  
والاتحاد وغيرهما من الوصمات التي نسبها اليهم من لم يحط بحقيقة أحوالهم ، أو  
التي يعتقدونها عن حقيقة طريقهم فنسبها اليهم زعما أنه متأس بهم ، حاشاهم الله من  
ذلك •

ثم قال : وما أحسن ما حققه بعض المحققين نصره للأولين حيث قال ما حاصله -  
مع ما فيه من عبارات غير مراد بها ظاهرها - من انتهى في سلوكه الى الله تعالى وفيه  
استغرق في بحر التوحيد والعرفان ، فحينئذ تضحل ذاته في ذاته ، وصفاته في صفاته  
ويغيب عنه كل ما سواه ، فلا يرى في الوجود الا الله تعالى ، وهذا هو الذي يسمونه الفناء  
في التوحيد ، واليه يشير الحديث الالهي : ( لا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى

أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فلئن سألتني لأجيبنه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ( وفي الحديث التبسي أيضا عتابا يوم القيامة لبعضهم : ( مرضت فلم تعسدني ، جعت فلم تطعنني ، عطشت فلم تسقني ، فيقول : كيف ذلك وأنت رب العالمين ؟ فيقول تعالى : مرض عبدي فلان فلم تعده ، / جاع عبدي فلان فلم تطعمه ، عطش عبدي فلان فلم تسقه ) الحديث ، وحينئذ فربما يصدر عن الولي عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال ، وتعذر الكشف عنها بالمثال ، ونحن على ساحل التمني نفترق من بحر التوحيد بقدر الامكان ، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان ، انتهى •

فقد صرح أن سافي كتب ابن عربي كفر يجب تجنب ظواهره ، فالفقيه اذا سمع من أحد كلمة كفر لاشك فيها يجب عليه الافتاء على مقتضى ما يعلبه من الشريعة الغراء ، وقد أظن العلامة محمد أمين السويدي رحمه الله الكلام في شرحه على التعرف ، الذي سماه ( قلائد الدرر في شرح رسالة ابن حجر ) وأتى في هذا المقام بما يشفي السقام ، وكذا العلامة صاحب التعطف على التعرف فعليك بهما •

( والمقصود ) أن من اتبع الشريعة الغراء ولم يتدع في أقواله ولا أعماله يجب على كل مسلم حبه والذب عنه والترحم عليه ، ومن خالف الشريعة وتكلم بالكفر المصادم للشريعة والمخالف لصوصها وبدل وحرف وغير وابتدع وترك ما كلف به - كغالب المدعين أنهم شيوخ العصر - فهجرهم وتضليلهم وتفسيقهم وتبديعهم واجب على كل مسلم ، ولا يمدح من يكون ظهيرا لمثل هؤلاء ( رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ) (1)

( الوجه الثامن ) أن النبهاني شدد النكير أيضا في هذا المقام على شيخ الاسلام من غير جرم جناه ، سوى اخلاصه في التوحيد ، وذم كنهه ، وقال : انها عديمة البركة ومن جملة قدحه فيه : أنه حبس مرارا الى أن توفي في الحبس ولم يرجع بما ظهر له أنه الحق من تلك البدع •

( فنقول ) انا قد تكلمنا على مثل هذا الكلام مرارا ، وبيننا زيغ النبهاني فيه ، وأن هذا رفض منه بسبب غلوه في محبة أصحابه ومشاغفه ، حتى أصمه عن سماع

(1) القصص : ١٧

الحق وأعماه عن رؤية الحق ، على مقتضى المثل السائر : ( حبك الشيء يعمي ويصم ) ،  
وسبق منا قريبا ما نقلناه عن احياء القلوب في بيان ما أصاب الأولياء والأصفياء من  
أذى الناس ، وأن ذلك كان دليلا على علو شأن من ابتلاه الله بمثل ذلك •

وللشيخ تقي الدين ابن تيمية رسالة كتبها وهو في السجن الى بعض اخوانه لما  
أرسلوا اليه يشيرون عليه بالرفق مع خصومه ليتخلص من السجن •

ولنذكر شيئا منها توضيحا للمقام ، فأقول : قال رحمه الله بعد البسملة :  
الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا  
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، **وأشهد أن لا اله الا الله وحده**  
لا شريك له ، **وأشهد أن محمدا عبده ورسوله** ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره  
على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا ، صلى الله عليه وسلم تسليما •

أما بعد : فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين  
الناسكين القدوتين ، أيدهما الله تعالى وسائر الاخوان بروح منه ، وكتب في قلوبهم  
الايقان ، وأدخلهم مدخل صدق ، وأخرجهم مخرج صدق ، وجعل لهم من لدنه ما يتم  
به السلطان ، سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان ، وسلطان القدرة والتصرة  
بالسنان والأعوان ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه الغالبين لمن ناوهم من  
الأقران ، ومن الأئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والايقان ، والله محقق ذلك  
ومنجز وعده في السر والاعلان ، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن ، لكن  
اقتضت حكيمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان ، الذي يميز الله به بين أهل  
الصدق والايقان ، من أهل النفاق والبهتان ، اذ قد دل كتابه على أن لا بد من الفتنة  
لكل من ادعى الايمان ، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان ، فقال تعالى : ( **آلَمْ**

**أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ .** ولقد فتنا الذين من قبلهم  
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ**  
**أَنْ يَسْبِقُونَنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ) <sup>(1)</sup> فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات  
يفوتون الطالب الغالب ، وأن مدعي الايمان يترك بلا فتنة تميز بين الصادق  
والكاذب ، وأخبر في كتابه أن الصدق بالايقان لا يكون الا بالجهاد في سبيله

(1) الصنكوت : ١ - ٤

فقال تعالى : ( قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا )<sup>(١)</sup>  
الى قوله : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا  
بَأْمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ )<sup>(٢)</sup>  
وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة ، الذي يعبد الله فيها على  
حرف ، وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر ما هو عليه ، بل لا يثبت على الايمان الا  
عند وجود ما يهواه من خير الدنيا ، فقال تعالى : ( وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى  
حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ  
اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ )<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ  
حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ )<sup>(٥)</sup> وأخبر سبحانه  
أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى :  
( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ )<sup>(٦)</sup>  
( وهؤلاء ) الشاكرون لنعمة الايمان الصابرون على الامتحان ، كما قال تعالى :  
( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ  
عَلَى أَعْقَابِكُمْ )<sup>(٧)</sup>

فاذا أنعم الله على انسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضي الله له من القضاء  
خيرا له ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان  
خيرا له : ان أصابته سراء فشكر كان خيرا له ، وان أصابته ضراء فصبر كان خيرا  
له ) .

والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه ، ومن لم  
ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال ، وكل واحد من السراء والضراء في

(١) الحجرات : ١٤ - (٢) الحجرات : ١٥ - (٣) الحجج : ١١ - (٤) آل عمران : ١٤٢ - (٥) محمد : ٢١  
(٦) المائدة : ٥٤ - (٧) آل عمران : ١٤٤

حقه تفضى به الى قبج الماء ، فكيف اذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين ، وفيها تثبت أصول الدين ، وحفظه الايمان والقرآن من كيد أهل الشقاق والالحاد والبهتان ، فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يجب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعز سلطانه وجلاله ، والله المسئول أن يثبتكم وسائر المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وينم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة ، ويتصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين ، الذين أمرنا بجهادهم والأغلاظ عليهم في كتابه المبين ، انتهى كلامه .

وبه يعلم أن مصادفه الشيخ من الأذى والمصائب في ذات الله مما يستوجب رفعة شأنه لا القدح فيه كما زعمه الزائغ .

( الوجه التاسع ) مما يرد على مقاله النبهاني في هذا المقام أن قوله أن الله لم يقدر الانتفاع بعلم ابن تيمية وكتبه كالاتفاق بعلم ابن حجر وكتبه ، وان كتب ابن تيمية بقيت في زوايا الاهمال الخ - ممنوع ، بل هو يشبه كلام الصبيان والأطفال ، وقد تكرر منه مثل هذا الكلام مرارا وأجبتنا عنه بما يشفي صدور المؤمنين ، ونقول هنا أيضا : بلى ان الله تعالى قدر - وله الحمد - الانتفاع بعلمه وبكتبه في كل عصر ، وأودع فيها البركة ، حيث أنها تشرح صدور مطالعيها وتنور قلوبهم ، بسبب ما اشتملت عليه من العلوم النبوية والوحي المنزل ، وهي شفاء لصدور المؤمنين ، وهي لأعين المبتدعين عمى ، ولا زال أهل مذهبه يستفيدون منها ، وكذلك المنصفون من سائر المذاهب ، والشيخ - قدس الله روحه - لم يضمن في مصنفاته أن يفقهه كلامه ميت القلب ، جامد الذهن ، فاسد القريحة ، ولسان حاله يقول :

عليّ نحت القوافي من معادنها وما علي إذا لم تفهم البقر

بل ولا ضمن الله تعالى لهذا النوع أن يفقهوا عنه وعن رسله ماجاؤا به من الهدى ، وينتفعوا بما جاؤا به من البنات ودين الحق والحجة والشفاء ، قال تعالى : ( إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ) (١) وقال تعالى : إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي الى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشىناهم فهم لا يبصرون ) (٢)

(١) الكهف : ٥٧ - (٢) يس : ٨ ، ٩



وما أحسن ما قيل :

فيا لك من آيات حق لو اهتدي      بين مريد الحق كن هواديا  
ولكن على تلك القلوب أكنة      فليست وان أصغت تجيب المناديا  
وقال تعالى : ( وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْتَعْمَهُمْ وَلَوْ أَسْتَعْمَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ  
مُعْرِضُونَ ) (١)

وأما كتب ابن حجر التي فرح بها هذا الزائف فانها لاتصلح عند من له بصيرة  
ونظر لغير العطار والاسكاف ، فهي اما مزاود للعقاير ، واما بطائن للخفاف ، حيث  
أنها قشور لا لب فيها ، وهكذا كتب السبكي وابنه ، وفي المثل : رميتي بدائها  
وانسلت •

ونقول ثانيا انا لو سلمنا مازعه الزائف أنها بقيت في زوايا الاهمال الى آخر  
مقال فأي ضرر وعيب يلحقها ؟ ولا يخل مثل ذلك بشأنها :

ليس الخمول بعمار      على امريء ذي كمال  
فليلة القدر تخفى      وتلك خير الليالي

وفضل العلم أشهر من أن ينه عليه ، وأظهر من أن يشار اليه ، ولا ينقص من  
أمره فقدان العارفين بقدره ، فلا يسلب الدرّة النفيسة ثوب النفاسة جهل النحام بها  
والقاؤه اياها على الكناسة ، وقد كان الله تعالى وهو التقديم جل علاه كزرا مخفيا  
أي لا عارف به سواه ، فهل نقص ذلك من جلاله شيئا ؟ لا والله ، فالله قبل العالم  
والعالم وبعدهما لم يتفاوت جلاله وعلاه ، وهذا مجمل ما قال بعض ذوي العرفان ،  
وهو سبحانه الآن على ما عليه كان •

ثم ان هذا الزائف لو سئل عن كتب امامه أين بقيت فماذا يجيب وهو يعلم  
علما يقينا أن كتاب ( هز القحوف شرح قصيدة أبي شادوف ) قد انتشرت نسخته في  
البلاد والأقطار انتشارا لم يتفق مثله لكتب امامه ، ولو استقرت خزائن الكتب  
ما وجدت من كتاب ( الأم ) الا نسختين أو ثلاث نسخ ، ربما لم تكن سالمة من  
الخروم ، وأكل الأرضة ، ولو لم تسمح المطابع المصرية بطبعها لم يرها هذا الزائف  
حتى يلج الجمل في سم الخياط ، أفيقال ان الله لم يفدر الانتفاع بها وقدر الانتفاع  
بكتاب هز القحوف ونحوه •

ونسأله أين بقيت كتب الشافعي وأصحابه المتقدمين ؟ وأين كتب المجتهدين كالمذاهب الأربعة وغيرهم ، وكتب أصحابهم ؟ وأين كتب الأندلسيين وقد كان منها في خزانة كتب الناصر لدين الله ما بلغ أسماؤها أربعين مجلدا ؟ وأين الكتب التي كانت في خزائن العباسيين وخزائن مدارس بغداد ؟ وأين كتب المدرسة النظامية ؟ وأين كتب المدرسة المستنصرية ؟ وأين الكتب المذكورة في تراجم مصنفها مما لا يستوعبها البيان ولا يستقصيها اللسان ؟

أفيعقل ان مصنفي هذه الكتب كانوا أهل بدعة فلم يقدر الله الانتفاع بها بل بقيت في زوايا الاهمال أو أنها تلفت ، وان كتب ابن حجر هي كوز السعادة فلذلك ترى الناس يتداولونها ؟ لا أرى من يقول بذلك الا من أصيب بعقله ، وتاه في بيداء جهله ، بل لا أرى حرمان المسلمين من كتب المتقدمين الا من جملة مصائبهم ونوائبهم ، ولذلك كثر الجهل في بلاد المسلمين لسوء علمهم ، ونقصان تربيتهم وتعلمهم ، وقصور كتبهم المتداولة ، وأن غالبها كتب الاعاجم •

ونقول ثالثا : ان كتب الشيخ بحمد الله محفوظة عند أهلها من أهل الحديث وناصري السنة ، واتباع الامام أحمد نضر الله وجهه في الهند وبلاد نجد ومصر والشام والعراق ، وهذه هي الكتب التي لانظير لها ، وانها مما يتنافس بها المتنافسون فليت شعري أي كتاب فقد منها ولم يوجد منه نسخ كثيرة ، وليت هذا الزائف راجع دفاتر خزائن دار السلطنة المحروسة ، ودفاتر خزائن كتب مصر الخديوية وغيرها ، وخزائن كتب الشام والعراق والهند وغير ذلك ، حتى لا يهذي ذلك الهذيان ، وأظنه رأى بياضا في مواضع من كتاب ( المنهاج ) وكتاب ( العقل والنقل ) فقال ماقال ، مع أن عددا كثيرا من كتاب ( المنهاج ) في خزائن كتب دار السعادة وكلها بأحسن خط وأتقن ضبط ، وفي الهند ونجد مثل ذلك ، وكتاب ( العقل والنقل ) أيضا كذلك ، وفي خزانة راغب باشا في قسطنطينية المحروسة نسخة منه ، يظن أنها بخط مؤلفها ، وهي نسخة تامة كاملة لانقص فيها •

والذي طبع كتاب ( المنهاج ) وما في الحاشية لم يتيسر له سوى ما طبع عليها ، واني أبشر جناب الشيخ البهائي أن كتب الشيخ تقي الدين وأصحابه ستستوعبها المطابع المصرية والهندية ولا يبقى منها شيء في زوايا الاهمال كما زعم ، وحينئذ يرغم أنفه •

ونقول رابعا : ان انتشار الكتب وتداولها بين الأيدي لاتعلق له ببدعة ولا سنة فكم

قد رأينا كتابا مشحونا بالبدع ومصنفة من شيوخ المتدعة ومع ذلك قد انتشر أكثر من انتشار كثير من كتب السنة ، هذا ( الكشاف ) الذي صنفه الزمخشري وحاله معلوم في الاعتزال وتفسيره مشحون ببدع المعتزلة وآرائهم ومع ذلك قد انتشر انتشارا لم يعهد مثله لتفسير آخر ، والناس يستفيدون منه وينقلون عنه من عصر مصنفة الى يومنا هذا ، والمفسرون الذين بعده كلهم عيال عليه ، فأى تأثير للبدعة في انتشار الكتب وعدم انتشارها ، وهذا كتاب ( المفتاح ) للسكاكي المعتزلي لم يزل أهل العلم يستفيدون من فوائده ويقرؤونه من عصر مصنفة الى الآن ، وقد عمت بركنه القاصي والداني ، وفيه من نزغات المعتزلة وبدعهم ما فيه ولم يصادم ذلك انتشاره ، وهذه كتب الماوردي ، وهو امام من أئمة الشافعية ، وكان على طريقة أهل الاعتزال ، وكتبه عم النفع بها وكثرت بركنها ، فهلا اقتضت بدعة مصنفا بقاءها في زوايا الخمول ، وهكذا كتب الروافض ، والزيدية ، والقدرية ، والظاهرية ، وكتب الجاحظ المعتزلي الشهير ، وغيرها مما ليس هذا المقام مقام استقصائه •

( والمقصود ) أن كلام النبهاني في حق كتب الشيخ تقي الدين لا وجه له ، بل هو دليل على جهله ، وتعصبه للباطل ، واتباعه لهواه ، وان قوله هذا لا يصدر عن طفل مبتديء في العلم ، ولكن الله تعالى سبحانه فضحه بسبب تطاوله على خير عالم في الزمان الأخير ، ولم يلتفت الى ما هو فيه من المسلك والحال الذي ينبغي أن يرثي له من يشفق عليه ، وباقى كلامه من هذا القبيل ، فلا تتعب البنان بالتطويل ، وأعقب كلامه هذا بكلام ذكر فيه التحذير من موافقة ابن تيمية ، ثم اعقبه بكلام ذكر فيه أنه ينبغي حمل أقوال هؤلاء من الجانبين على حسن النية ، وبقي يخط خط عشواء فهو ( كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ) ، وكل ذلك باد عواره لأقل من له بصيرة ونظر ، على أنه قد تكرر منا ابطاله ، والله ولي الهداية والتوفيق •

( قال النبهاني عامله الله بعدله ) الباب السادس : في نقل حكايات وآثار وردت عن العلماء والصالحين في الفوائد التي حصلت لهم من الاستغاثة بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذت ذلك مما نقله الثقات ، وذكره الأئمة الثلاثة الاثبات ، أبو عبد الله ابن النعمان الفاسي في كتابه مصباح الظلام ، والقسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ، ونور الدين انجليبي في كتابه بغية الاحلام ، وغيرهم ، وذكر في الفصل الأول من هذا الباب من استغاث به صلى الله عليه وسلم للمغفرة وغيرها ،

وذكر فيه قصة الاعرابي الذي قال :

ياخير من دفنت في القاع أعظمه  
فطاب من طيبن القاع والأكرم  
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه  
فيه العفاف وفيه الجود والكسرم

وذكر قصصاً أخرى من هذا القبيل ، وذكر في الفصل الثاني من استغاث به صلى الله عليه وسلم من الأسرى ونحوهم ممن انقطع في البراري والبحار ، أو وقع في غير ذلك من الشدائد والاسقام ، وما أشبه ذلك من خوارق عاداته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وذكر في هذا الفصل حكايات كثيرة عن أناس استغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في حاجات كثيرة ، فقضيت لهم ، وكذلك استغاثوا ببعض الصالحين فحصل مقصودهم ، ونقل عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال من كان له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبري ويمشي سبع خطوات ويستغيث بي فان حاجته تقضى ، الى غير ذلك من الخرافات التي يستقل لديها ما كان المشركون يفعلونه مع أصنامهم . (والجواب عن ذلك كله ) ما ذكره شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه في كتابه ( اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم ) بعد أن ذكر نحو تلك الشبه والحكايات عن استدلالها من الغلاة ، قال رحمه الله : انما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه ، واما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسببة أحاديث عن لاينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت ، فكيف بالمنقول عن غيره ، ومنها ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله باجتهاد يخطيء أو يصيب ، أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه فحرف النقل عنه ، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أذن في زيارة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها ، من حجها للصلاة عندها والاستغاث بها ، ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لايجوز اثبات الشرع به أو قياس لايجوز استحباب العبادات بمثله ، مع العلم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرعها ، وتركه مع قيام المقتضي للفعل بمنزلة فعله ، وانما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس - من غير نقل عن الأنبياء - النصارى وأمثالهم، وانما المتبع في اثبات أحكام الله عز وجل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل السابقين الأولين ، لايجوز اثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة نصاً أو استنباطاً بحال .

قال :والجواب عنها من وجهين مجمل ومفصل :

( أما المجمل ) فالنقض ، فان اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير ، بل المشركون الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم أحيانا كما يستجاب لهؤلاء أحيانا ، وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة ، فان كان هذا وحده دليلا على أن الله تعالى يرضى ذلك ويحبه فليطرد الدليل ، وذلك كفر متناقض ، ثم انك تجد كثيرا من هؤلاء الذين يستغيثون عند قبر أو غيره كل منهم قد اتخذ وثنا أحسن به الظن وأساء الظن بآخر ، وكل منهم يزعم أن وثنه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره ، فمن المحال اصابتهم جميعا ، وموافقة بعضهم دون بعض تحكّم وترجيح بلا مرجح ، والتدين بدينهم جميعا جمع بين الأضداد ، فان أكثر هؤلاء انما يكون تأثرهم فيما يزعمون بقدر اقبالهم على وثنهم وانصرافهم عن غيره ، وموافقتهم جميعا فيما يشبثونه دون ما ينفونه يضعف التأثير على زعمهم ، فان الواحد اذا أحسن الظن بالاجابة عند هذا وهذا لم يكن تأثيره مثل تأثير الحسن الظن بواحد دون آخر ، وهذه كلها من خصائص الأوثان .

( ثم ذكر رحمه الله الجواب المفصل ) وأطبب فيه كما هي عادته ، وسأ قال فيه : وأما التحريم من جهة الطلب فيكون تارة لأنه دعاء لغير الله ، مثل ما يفعله السحرة في مخاطبة الكواكب وعبادتها ونحو ذلك ، فانه قد يقضى عقب ذلك أنواع من القضاء اذا لم يعارضه معارض من دعاء أهل الايمان وعبادتهم أو غير ذلك ، ولهذا تنفذ هذه الأمور في زمان فترة الرسل وفي بلاد الكفر مالا تنفذ في دار الايمان وزمانه ، ومن هذا أني أعرف رجلا يستغيثون ببعض الأحياء في شدائد تنزل بهم فتفرج عنهم ، وربما يعاينون أمورا وذلك المستغاث به لم يشعر بذلك ولا علم به البتة ، وفيهم من يدعو على أقوام ويتوجه في ايديهم فيرى بعض الأحياء أو بعض الأموات يحول بينه وبين ايذاء أولئك ، وربما رآه ضاربا له بالسيف ، وان كان الحائل لاشعور له بذلك ، وانما ذلك من فعل الله بسبب يكون بين المقصود وبين الرجل الدافع من اتباع له وطاعة فيما يأمره من طاعة الله ونحو ذلك ، فهذا قريب ، وقد يجري لعباد الأصنام أحيانا من هذا الجنس المحرم ما يظنونه محبة من الله بما تفعله الشياطين لا عوانهم ؛ فاذا كان الأثر قد يحصل عقب دعاء من قد تيقنا أنه لم يسمع الدعاء فكيف يتوهم أنه هو الذي تسبب في ذلك أو أن له فيه فعلا ؟ واذا قيل ان الله يفعله بذلك السبب فاذا كان السبب محرما لم يجز كالأمراض التي يحدثها الله عقب أكل السموم ،

وقد يكون الدعاء المحرم في نفسه دعاء لغير الله أن يدعو الله ، كما قال التصاري ياوالدة الاله اشفعي لنا الى الاله ، وقد يكون دعاء لله لكنه توسل اليه بما لايجب أن يتوسل به ، كالمشركين الذين يتوسلون الى الله بأوثانهم ، وقد يكون دعاء لله بكلمات لا يصلح أن يناجي بها الله ويدعي بها لما في ذلك من الاعتداء ، فهذه الأدعية ونحوها وان كان قد يحصل لصاحبها أحيانا غرضه ولكنها محرمة لما فيها من الفساد الذي يربي على منفعتها ، ولهذا كانت هذه فتنة في حق من لم يهده الله وينور قلبه ، ويفرق بين أمر التكوين وأمر التشريع ، ويفرق بين القدر والشرع ، ويعلم أن الأقسام ثلاثة :

أمور قدرها الله وهو لايجبها ويرضاها ، فان الأسباب المحصلة لهذه تكون محرمة موجبة لعقابه .

وأمور شرعها ، فهو يجبها من العبد ويرضاها ، لكن لم يعنه على حصولها ، فهذه محمودة عنده مرضية وان لم توجد .

والقسم الثالث : أن يعين الله العبد على مايجبه منه .

فالأول اعانة الله ، والثاني عبادة الله ، والثالث جمع له بين العبادة والاعانة

كما قال : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فما كان من الدعاء عين المباح اذا أثر فهو من باب الاعانة لا العبادة ، كسائر الكفار والمنافقين والفساق ، ولهذا قال تعالى في مريم : ( وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّي وَكُتِبَ لِي )<sup>(١)</sup> وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعذب بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر .

ومن رحمة الله تعالى أن الدعاء المتضمن شركا كدعاء غيره أن يفعل ودعائه أن يدعو أو نحو ذلك لا يحصل غرض صاحبه ، ولا يورث حصول الغرض من شبهة الا في الأمور الحقيرة ، فأما الأمور العظيمة : كاتزال العيث عند القحوط ، أو كشف العذاب النازل ، فلا ينفع فيه هذا الشرك ، كما قال تعالى : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ )<sup>(٢)</sup>

(١) التحريم : ١٢ - (٢) الاتمام : ٤٠ ، ٤١

وقال تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا )<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ( أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ( قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ( أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْلَمُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا )<sup>(٤)</sup>

فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها الا الله سبحانه دل على توحيده وقطع شبهة من أشرك به ، وعلم بذلك أن مادون هذا من الاجابات أيضا انما فعله هو وحده لا شريك له وان كانت تجري بأسباب محرمة أو مباحة ، كما أن خلقه السموات والأرض والرياح والسحاب وغير ذلك من الأجسام العظيمة دل على وحدانيته وأنه خالق لكل شيء ، وأن مادون هذا بأن يكون خالقا له أولى ، اذ هو منفعل عن مخلوقاته العظيمة ، فخالق السبب التام خالق للمسبب لامحالة .

وجماع الأمر : أن الشرك نوعان : شرك في ربوبيته بأن يجعل معه لغيره تدبير ما ، كما قال تعالى: ( قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ )<sup>(٥)</sup> فبين أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالاً ، ولا يشركونه في شيء من ذلك ، ولا يعينونه على ملكه ، ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عونا فقد انقطعت علاقته .

وشرك في الألوهية ، بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة ، كما قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فكما أن اثبات المخلوقات أسبابا لا يقدر في توحيد

(١) الاسراء : ٦٧ - (٢) النمل : ٦٢ - (٣) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧ - (٤) الزمر : ٤٣ ، ٤٤ - (٥) سبا : ٢٢

الربوبية ، ولا يمنع أن الله خالق كل شيء ، ولا يجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة ، كذلك اثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسبابا لا يقدح في توحيد الالهية ، ولا يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ، وهو يجب أن لاتستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك اذا كان الله يسخط من ذلك ويعاقب العبد عليه ، وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته ، اذ قد جعل الخير كله في أنا لانعبد الا اياه ، ولا نستعين الا اياه ، وعامة آيات القرآن لتثبيت هذا الأصل ، حتى انه تعالى قطع أثر الشفاعة بدون اذنه ، كقوله تعالى :

( مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ )<sup>(١)</sup> وكقوله : ( وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ )<sup>(٢)</sup> وقوله : ( وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ )<sup>(٣)</sup> وقوله : ( قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا )<sup>(٤)</sup> الآية . وقوله : ( وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ )<sup>(٥)</sup> وسورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الايمان ، وكذلك قوله : ( ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ )<sup>(٦)</sup> وقوله تعالى : ( وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ )<sup>(٧)</sup> وقوله : ( أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ إِذَا كَانُوا لِلْإِيمَانِ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ . قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا )<sup>(٨)</sup> وسورة الزمر أصل عظيم في هذا ، ومن هذا قوله تعالى : ( وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانِ

(١) البقرة : ٢٥٥ - (٢) الانعام : ٥١ (٣) الانعام : ٧٠ - (٤) الانعام : ٧١ - (٥) الانعام : ٩٤

(٦) السجدة : ٤ - (٧) الزمر : ٢ - (٨) الزمر : ٤٣ ، ٤٤



المبين . يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد .  
يدعوا لمن صرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ) (١)  
وكذلك قوله : ( مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت  
اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيوت العنكبوت ) (٢) والقرآن عامته إنما  
هو في تقرير هذا الاصل العظيم الذي هو أصل الأصول ، انتهى ما هو المقصود .  
وقال أيضا في أثناء جوابه المفصل بعد أن تكلم بكلام يتعلق بحكم الدعاء عند  
القبر مانصه : ولم يذكر عن أحد من الأئمة أنه استحج أن يسأل النبي صلى الله عليه  
وسلم بعد الموت ، لا استغفاراً ولا غيره ، وكلامه المنصوص عنه أي الامام مالك وعن  
غيره يناق في هذا ، وإنما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء عن  
أعرابي أنه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتلا هذه الآية ، وهي قوله تعالى :  
( ولوأنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول  
لوجدوا الله تواباً رحيماً ) (٣) وأنشد بيتين :

ياخير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكرم  
نفسى الفداء لقبس أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم  
ولهذا استحج طائفة من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد مثل  
ذلك ، واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي ، لاسيما في مثل هذا  
الأمر الذي لو كان مشروعاً مندوباً لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من  
غيرهم ، بل قضاء الله حاجة مثل هذا الاعرابي وأمثاله لها أسباب قد بسطت في غير  
هذا الموضوع ، وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون السبب مشروعاً  
مأموراً به ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعمل في حياته المسألة فيعطيهما لا يرد  
سائلاً ، وتكون المسألة محرمة في حق السائل ، حتى قال : ( اني لأعطي أحدهم  
العطية فيخرج بها يتأبطها ناراً ، قالوا : يارسول الله فلم تعطيهم ؟ قال : يابون الا أن  
يسألوني ويأبى الله لي البخل ) وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحاً ولا  
يكون عالماً أنه منهي عنه فيثاب على قصده ويعفى عنه لعدم علمه ، وهذا باب واسع  
وعامة العبادات المبتدعة المنهى عنها قد يفعلها بعض الناس ، ويحصل له بها نوع من

(١) الحج : ١١ - ١٢ - (٢) العنكبوت : ٤١ - (٣) النساء : ٦٤

الفائدة ، وذلك لا يدل على أنها مشروعة ، بل لو لم تكن مفسدتها أغلب من مصلحتها لما نهى عنها ، انتهى ما قصدنا نقله .

( والحاصل ) أن ما ذكره النبهاني في هذا الباب من استغائة بعض الناس بالموتى وان مقاصد المستغيثين حصلت وأورد حكايات كثيرة شاهدة له بذلك كلام ساقط ، فان تلك الحكايات لو سلسلت من الكذب والافتراء فلا تدل على المقسود من جواز الاستعانة والاستغائة بغير الله تعالى ، فان الاستغائة كما ذكرنا سابقا دعاء والدعاء مخ العبادة ، وهي لاتصلح الا لله ، ومن عبد غيره فقد أشرك .

ثم ان أصحاب تلك الحكايات ليسوا ممن يحتج بقولهم ، فهم ليسوا بأنبياء ولا صحابة ولا من الأئمة المجتهدين المشهورين ، والدين لا يثبت بفعل أمثال من ذكرهم من العوام والجهلة وبعض المتصوفة الغلاة ، وقد ذكرنا سابقا ان الدليل ينبغي أن يكون من الكتاب والسنة واجماع المجتهدين والفقهاء .

وأما أن المستغيثين قد نالوا مقصدهم ممن استغاثوا به من الأموات - كالأنبياء والأصفياء والاولياء - فمثل ذلك لا يدل أيضا على مشروعية الاستغائة كما ذكره الشيخ ، فان الأسباب التي يخلق الله بها الحوادث في الأرض والسماء لا يحصيها على الحقيقة الا هو ، أما أعيانها فبلا ريب ، وكذلك أنواعها أيضا لا يضبطها المخلوق لسعة ملكوت الله سبحانه وتعالى ، ولهذا كانت طريقة الأنبياء عليهم السلام أنهم يأمرؤن الخلق بما فيه صلاحهم ، وينهون عما فيه فسادهم ، ولا يشغلونهم في الكلام بأسباب الكائنات كما يفعل المتفلسفة ، فان ذلك كثير التعب قليل الفائدة أو موجب للضرر .

ومثال النبي مثال طبيب دخل على مريض فرأى مرضه فعلمه ، فقال له اشرب كذا واجتنب كذا ففعل ذلك فحصل غرضه من الشفاء ، والمتفلسف قديطول معه الكلام في سبب ذلك المرض وصفته وذمه وذم ما أوجبه ، ولو قال له المريض فما الذي يشفيني منه لم يكن له بذلك علم تام ، والكلام في بيان تأثير بعض هذه الأسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله ودينه ، بحيث يختطف عقله فيتألهه اذا لم يرزق من العلم والايمان ما يوجب له الهدى واليقين ، ويكفي العاقل أن يعلم أن ماسوى المشروع لا يؤثر بحال فلا منفعة فيه ، أو أنه وان أثر ضرره أكثر من نفعه .

ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة أن الرجل منهم قد يكون مضطرا ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب ، لصدق توجهه

الى الله تعالى ، وان كان تحرى الدعاء عند الوثن شركا ، ولو كان قد استجيب له على يد المتوسل به صاحب القبر أو غيره لاستغاثته فانه يعاقب على ذلك ويهوى به في النار اذا لم يعف الله عنه ، كما لو طلب من الله عز وجل ما يكون فتنة له ، كما أن ثعلبة لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بكثرة المال ونهائه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك مرة بعد مرة فلم ينته حتى دعا له كان ذلك سبب شقائه في الدنيا والآخرة ، فكم من عبد دعا دعاء غير مباح فقضيت حاجته في ذلك الدعاء ، وكان سبب هلاكه في الدنيا والآخرة ، تارة بأن يسأله مالا يصلح له مسأله كما فعل بلعام بن باعورا وثعلبة وخلق كثير دعوا بأشياء فحصلت لهم وكان فيها هلاكهم ، وتارة بأن يسأل على الوجه الذي لا يحبه الله كما قال سبحانه وتعالى : ( ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ )<sup>(١)</sup> فهو سبحانه وتعالى لا يحب المعتدين في صفة الدعاء ولا في السؤال ، ولكن حاجتهم قد تقضى ، كأقوام ناجوا الله تعالى في دعواتهم بمناجاة بها جراءة على الله واعتداء لحدوده ، وأعطوا طلبتهم فتنة ، ولما يشاء الله سبحانه وتعالى بل أشد من ذلك ، ألتست ترى السحر والطلسمات والعين وغير ذلك من المؤثرات في العالم باذن الله قد يقضى بها كثير من أغراض النفوس ، ومع هذا فقد قال سبحانه وتعالى : ( وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمُتُّبَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ )<sup>(٢)</sup> فانهم معترفون بانه لا ينفع في الآخرة ، وأن صاحبه خاسر في الآخرة ، وانما يتشبثون بمنفعته في الدنيا لاغير ، وقد قال تبارك وتعالى : ( وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ) .

وكذلك أنواع من الداعين السائلين قد يدعون دعاء محرما يحصل معه ذلك الغرض ويورثهم ضرا أعظم منه ، وقد يكون الدعاء مكروها ويستجاب له أيضا . ثم هذ التحريم والكرهية قد يعلمه الداعي وقد لا يعلمه على وجه يعذر فيه ، بأن يكون فيه مجتهدا أو مقلدا ، كالمجتهد والمقلد اللذين يعذران في سائر الأعمال

(١) الاعراف : ٥٥ - (٢) البقرة : ١٠٢

المعدور فيها ، وغيره قد يتجاوز عنه في ذلك الدعاء لكثرة حسناته وصدق قصده ، أو لمحض رحمة الله عز وجل به أو نحو ذلك من الأسباب ، لكن الذي يستغيث بغير الله تعالى ويدعوه فهو مشرك ، وإن الله لا يعفر أن يشرك به ويفقر مادون ذلك لمن يشاء وإن كان جاهلا بهذا الحكم فيرجى له من الله العفو .

( وما نقله النبهاني عن شيخه الرفاعي ) فإن صح نقله وإن أحمد الرفاعي قال من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبّري ويمشي سبع خطوات ويستغيث بي فإن حاجته تقضى — فليس فيه دليل ، لأن الرفاعي لم يكن نبيا ولا رسولا يوحى إليه ، بل كان فردا من أفراد الأمة وواحدا منهم ، وكان من ضعفاء المقلدين للإمام الشافعي رحمه الله ، ولو قال صاحب مذهبه قولاً ليس عليه دليل لرد عليه فكيف بهذا المسكين ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الكلام الذي أسنده النبهاني لأحمد الرفاعي : إن كان قاله جهلا فالمرجو من الله أن يعفر له خطيئته ويعفو عن زلله ، وإن كان قاله بعد قيام الحجّة عليه وظهور البرهان على فساده وبطلانه فقد ذكرنا حكمه فيما سبق ، وحسن الظن بأحمد الرفاعي أن ينزه عن قول الهذيان ، ومثل هذا البهتان ، كيف يدعي الربوبية وقد كان رضي الله عنه أعور العين وكل أحد يعلم أن الله ليس بأعور ، وكل هذه الدعاوي الباطلة من النبهاني الشيطاني تقربا إلى شيخه دجال العصر ، فإنه أحد مردته ، على أنه إن صح نسبة كتاب البرهان المؤيد للرفاعي فهو يبطل مانسبه إليه النبهاني ، فإن فيه ما هو خلاف هذا وهو حصر أنواع العبادة كلها لله ، ولكن الذي نسب هذا الكتاب إليه دجال العصر شيخ الضلال منبع الكذب والافتراء ، وكم له من مثل هذه المكاييد والدسائس ، وما أحسن ما قال الموصلي في مثله :

فظ غليظ القلب أيقنت أنه	على النفس ماشيء أشد من الفض
تعرفني في حاله الناس كلها	واني لأدرى الناس في لؤمة المحض
وقالوا لقد دس الخبيث بلفظه	غداة عرضت الشعر من عرض العرض
دسائس لا تدري اليهود بعشرها	دعته طباع السوء للنهش والعض
يهيون لدغ العقربان بلدغه	ولا شك بعض الشر أهون من بعض
إذا مارأته العين أيقنت أنه	تخلق من حقد وصور من بغض

وكم قد انتحل له كتابا وافتري له دعاوى باطلة ، وتسمية ذلك بالبرهان المؤيد لصاحب مدايد أوضح دليل على الانتحال ، فإن أحمد الرفاعي لم يدع مدايد تلك

الدعوى الكاذبة حتى يجعلها جزءا من علم كتابه ، ودجال العصر نسب اليه والى أصحابه كثيرا من الكتب المشحونة بالكذب وقول الزور ، ولم نر أحدا ممن ترجمه ذكر أن له كتابا سماه البرهان المؤيد لصاحب مدايد ، ولا ذكروا له غيره من الكتب التي اتحلها له ذلك الزائف ، وما أحسن ما قال القائل :

لي حيلة فيمن ينم      وليس في الكذاب حيله  
من كان يخلق مايقول      فحيلتي فيه قليله

وهذا الخبيث له من المكائد والحيل مايعجز الشيطان عن مثلها ، كما فصل بعض ذلك في كتاب المسامير الذي ألف في بيان فضائحه ومساويه وخباثته ، وقد سرى شره الى جميع مردته والمنتسبين اليه ، ومنهم النبھاني الزائف :

لقد جربتهم فرأيت منهم      خباثت بالمهمين نستجير

وهذا اللعين يدعى النسبة لابن الصياد ولعله اليهودي الشهير وأفعاله تصدقه

في ذلك .

ان فاتكم أصل امريء ففعاله      تنبيكم عن أصله المتناهي

وهو اليوم أعظم بلاء على المسلمين ، قد أضر الدولة والملة ، وبواسطته توسد

الأموار غير أهلها ، وأضر بيت مال المسلمين .

ولو كان هذا موضع القول لأشتفى      به القلب لكن للمقان مواضع

ادعى الشرف وهو ليس بشريف ، وادعى أنه شيخ الطريقة وذكره تصفيق

ورقص وضرب دف وإباحة المحرمات والمنكرات ، وما أحسن مايقول الموصلي :

ألا بلغ جناب الشيخ عني      رسالة متقن بالأمر خبيرا

وسل منه غداة يهز رأسا      بحلقة ذكره ويدير دبيرا

أقال الله صفق لي وغن      وقل كفرا وسم الكفر ذكرا

وأى ولاية حصلت بجهل      ومن ذا نال بالكفران أجرا

فان قلت اجتهدت بكل علم      فأعرب لي اذا لاقيت عمرا

وما يكفيك هذا الفعل حتى      كذبت على النبي وجئت نكرا

متى كانت هيازع من قرش      فعددها لنا بظنا وظهرا

فلو تكن السيادة باخضرار      لكان التسلق أشرف منك قدرا

وأنت شققت للباري شريكا      فيملك دونه نفعا وضرا

فويلك قد كفرت ولست تدري      ولم تبرح على هذا مصرا

وويحك ما العبادة ضرب دف ولا في طول هذا الذن فخرًا

برؤيتك الانام تظن خيرا ولو عقلت لظنت فيك شرا

( والمقصود ) أن ماذكره النبهاني الشيخ الشيطاني مما يتعلق بباب الاستغاثة كله لا دليل له فيه ، بل اندليل قام على خلاف قوله ، وأن أقوال الرفاعي وأمثاله لا يصلح للاستدلال ، فإن هؤلاء ليسوا ممن يتندى بأقوالهم وأفعالهم ، وأن أتباعهم كذبوا لهم وعليهم كذبا كثيرا لم يبق معه الوثوق بما ينقل عنهم فضلا عن أن يجعل برهانا لمثل هذه المطالب العالية .

وخير أمور الدين ما كان سنة وشرا الأمور المحدثات البدائع

( قال النبهاني ) الباب السابع في جملة من الأدعية الواردة عن بعض أكابر الأولياء في أحزابهم وكتبهم قد استغاثوا فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى لقضاء حاجاتهم ، ومنها ما هو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الباب هو حزب عظيم ، وذكر كلاما طويلا وأقوالا كثيرة ، منها صلوات على النبي صلى الله عليه وسلم ولا كلام لنا فيها وليست من مجال النزاع ، ومنها توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وطلب من الله والكلام ليس فيه أيضا ، ومنها ما هو استغاثة بمخلوق وطلب منه ودعاء من غير الله وهو المقصود بالبحث ، نقله عن مثل الشيخ ناصر الدين ابن سويدان ، وأبي الحسن البكري ، والشعراني . وأضربهم ممن لا يحتج بمثله .

( فالجواب عن ذلك كله ) انا لم ندع أن جميع العالم موحدون ، وهيئات

ذلك ، قال تعالى : ( وَإِنْ تَطَعُ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ )<sup>(١)</sup>

وقال : ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ )<sup>(٢)</sup>

وما ذكره النبهاني انما يصلح في الرد على من يدعي أن الناس كلهم موحدون ، وليس فيهم من يلتجئ الى غير الله أو يستغيث بمن سواه ، وحينئذ فكلامه الذي أورده يصلح جوابا عن تلك الدعوى ، ثم ان المانعين من الاستغاثة بغير الله ونحوها لهم تفصيل يجب معرفته والوقوف عليه ، ليكون الواقف على بصيرة من أمره ، حتى لا يخطئ في كلامه خبط عشواء كما خبط النبهاني ، وقد ورد لشيخ الاسلام تقي الدين سؤال في هذا الباب ، فأجاب بأحسن جواب ، وهذا نص السؤال وجوابه :

(١) الانعام : ١١٦ - (٢) يوسف : ١٠٦

سئل شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رضي الله عنه : ماتقول السادة العلماء  
أئمة الدين وفقهم الله لطاعته فيمن يقول لا يستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم  
هل يحرم عليه هذا القول ؟ وهل هو كفر أم لا ؟ وان استدل بآيات من كتاب الله  
وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ينفعه دليله أم لا ؟ واذا قام الدليل من  
الكتاب والسنة فما يجب على من يخالف ذلك ؟ أفتونا مأجورين .

الجواب : الحمد لله ، قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الأمة أن  
نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع ، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة ، وأن  
الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم الى ربهم ، وأنه يشفع لهم .  
ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر وأنه لا يخلد في النار  
من أهل التوحيد أحد .

وأما الخوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر ، ولم ينكروا شفاعته  
للمؤمنين وهؤلاء مبتدعة ضلال ، وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل ، وأما من أنكروا ما ثبت  
بالتواتر والاجماع فهو كافر بعد قيام الحجة ، وسواء سمي هذا المعنى استغاثة أو لم  
يسم ، وأما من أقر بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به  
والاستشفاع به كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس ( أن عمر بن الخطاب كان اذا  
قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، وقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك نبينا  
فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ) ، وفي سنن أبي داود وغيره  
( أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : جهدت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلك  
المال ، فادع الله لنا ، فانا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك ، فسبح  
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، وقال : ويحك  
ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ) وذكر تمام  
الحديث ، فأكرر قوله نستشفع بالله عليك ، ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله  
بل أقره عليه ، فعلم جوازه ، فيمن أنكروا هذا فهو ضال مخطيء مبتدع ، وفي تكفيره  
نزاع وتفصيل .

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع من شفاعته والتوسل به ونحو  
ذلك ولكن قال لا يدعى الا الله وأن الأمور التي لا يقدر عليها الا الله لا تتطلب الا  
منه — مثل غفران الذنوب وهداية القلوب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك  
— فهذا مصيب في ذلك ، بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين أيضا ، كما قال تعالى :

( وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ )<sup>(١)</sup> وقال : ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ )<sup>(٢)</sup> وكما قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ )<sup>(٣)</sup> وكما قال تعالى : ( وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ )<sup>(٤)</sup> وقال : ( إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا )<sup>(٥)</sup> .

فالمعاني الثابتة بالكتاب والسنة يجب اثباتها ، والمعاني المنفية بالكتاب والسنة يجب نفيها ، والعبارة الدالة على المعاني نفيًا واثباتًا ان وجدت في كلام الله ورسوله وجب اقرارها ، وان وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والا رجع فيه اليه ، وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح ، لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله ، فهذا يرد عليه فهمه ، كما روى الطبراني في معجمه الكبير ( انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال أبو بكر الصديق : قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله ) فهذا انما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني ، وهو أن يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله ، والا فالصحابه كانوا يطلبون منه الدعاء ويستستقون به ، كما في صحيح البخاري عن ابن عمر ، قال : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :  
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهو قول أبي طالب ، ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف ان يعلم أن لاغيث ولا مغيث على الاطلاق الا الله ، وأن كل غوث فمن عنده ، وان كان جعل ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ، ولغيره مجاز ، قالوا من أسمائه تعالى المغيث والغيث ، وجاء ذكر المغيث في حديث أبي

(١) آل عمران : ١٣٥ - (٢) القصص : ٥٦ - (٣) طاهر : ٢ - (٤) آل عمران : ١٢٦ - (٥) التوبة : ٤٠



هريرة ، قالوا واجتمعت الأمة على ذلك .

وقال أبو عبد الله الحلي : الغياث هو المغيث ، وأكثر ما يقال غياث المستغيثين ومعناه : المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيئهم ومخلصهم .

وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين ( اللهم أغثنا اللهم أغثنا ) يقال أغاثه اغاثه وغياثا وغوثا ، وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب ، قال تعالى : ( إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ )<sup>(١)</sup> الا أن الاغاثة أحق بالأفعال ، والاستجابة أحق بالأقوال ، وقد يقع كل منهما موقع الآخر .

قالوا : الفرق بين المستغيث والداعي أن المستغيث ينادي بالغيوث ، والداعي ينادي بالمدعو والمغيث ، وهذا فيه نظر ، فان من صيغة الاستغاثة يالله للمسلمين ، وقد روى عن معروف الكرخي أنه كان يكثر أن يقول واغوثاه ، ويقول : اني سمعت الله يقول : ( إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ ) وفي الدعاء المأثور : يا حي يا قيوم ، لا اله الا أنت ، برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ، ولا الى أحد من خلقك ، والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة ، كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة ، وكما أن القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ففي الحديث : ( أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ) وفيه ( أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك لأحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ) ولهذا استدل الأئمة فيما استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق بقوله : ( أعوذ بكلمات الله التامات ) قالوا والاستعاذة لاتصلح بالمخلوق .

وكذلك القسم قد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ) وفي لفظ ( من حلف بغير الله فقد أشرك ) رواه الترمذي وصححه ، ثم قد ثبت في الصحيح الحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على أنه ليس من الحلف بغير الله الذي نهى عنه ، والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيها مسلم ، ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر ان أنكر ما يكفر به ، واما مخطيء ضال ، وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضا مما يجب نفيه ، ومن أثبت لغير الله

(١) الانفال : ٩

ملا يكون الا لله فهو أيضا كافر ، اذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها ، ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي : استغائة المخلوق بالمخلوق كاستغائة الفريق بالفريق ، وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي المشهور بالديار المصرية : استغائه المخلوق بالمخلوق كاستغائة المسجون بالمسجون .

وفي دعاء موسى عليه السلام : اللهم لك الحمد ، واليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بك ، ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الاطلاق وكان مختصا بالله صح اطلاق نفيه عما سواه ، ولهذا لا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطلق الاستغائة بغير الله ، ولا أنكروا على من نفى مطلق الاستغائة عن غير الله .

وكذلك الاستعانة أيضا فيها مالا يصلح الا لله ، وهي المشار اليها بقوله : ( إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ) فإنه لا يعين على العبادة الاغانة المطلقة الا الله ، وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه ، وكذلك الاستنصار ، قال الله تعالى : ( وَإِنْ أَسْتَنْصِرُكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ )<sup>(١)</sup> والنصر المطلق هو خلق ما به يفلب العدو، ولا يقدر عليه الا الله ، ومن خالف مائت بالكتاب والسنة فإنه يكون اما كافرا واما فاسقا واما عاصيا، الا أن يكون مؤمنا مجتهدا مخطنا فيثاب على اجتهاده ويغفر له خطؤه ، وكذلك ان كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة ، فان الله تعالى يقول : ( وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا )<sup>(٢)</sup> وأما اذا قامت عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها فإنه يعاقب بحسب ذلك اما بالقتل واما بدونه ، والله أعلم .

( سؤال آخر وجواب الشيخ أيضا عنه متعلق بهذا الباب )

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه عن قال يجوز الاستغائة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل ما يستغاث الله فيه على معنى أنه وسيلة من وسائل الله في طلب الغوث ، وكذلك يستغاث بسائر الأنبياء والصالحين في كل ما يستغاث بالله فيه ، وأن من نفى الاستغائة بالنبي صلى الله عليه وسلم يكفر ، لأنه نقص من قدره وما يستحقه ، الى آخر ما قال .

(١) الانفال : ٧٢ - (٢) الاسراء : ١٥

فأجاب شيخ الاسلام رحمه الله بقوله : الحمد لله رب العالمين ، لم يقل أحد من المسلمين انه يستغاث بشيء من المخلوقات في كل ما يستغاث فيه بالله تعالى لانبى ولا بملك ولا صالح ولا غير ذلك ، بل هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أنه لا يجوز اطلاقه ، ولم يقل أحد ان التوسل بشيء هو الاستغاثة به ، بل العامة الذين يتوسلون في أدعتهم بأمر ، كقول أحدهم تتوسل اليك بحق الشيخ فلان أو بحرمة ، أو أتوسل اليك باللوح والقلم أو بالكعبة أو غير ذلك مما يقولونه في أدعتهم يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور ، فان المستغيث بالشيء طالب منه سائل له ، والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب منه ولا يسأل ، وانما يطلب به ، وكل أحد يفرق بين المدعو به والمدعو ، والاستغاثة طلب الغوث وهو إزالة الشدة ، والاستنصار طلب النصرة ، والاستعانة طلب العون ، والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه ، كما قال تعالى : ( وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ )<sup>(١)</sup> وقال : ( فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ )<sup>(٢)</sup> وكما قال تعالى : ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى )<sup>(٣)</sup> . وأما ما لا يقدر عليه الا الله فلا يطلب الا من الله .

ولهذا كان المسلمون يستشفعون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويستسقون به ويتوسلون به ، كما في صحيح البخاري ( أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس ، وقال : اللهم انا كنا اذا أجدنا نتوسل اليك نبينا فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا ، فيسقون ) ، وفي سنن أبي داود ( أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله ، فقال : شأن الله أعظم من ذلك ، انه لا يستشفع به على أحد من خلقه ) فأقره على قوله ونستشفع بك على الله ، وأنكر عليه قوله نستشفع بالله عليك ، وقد اتفق المسلمون على أن نبينا صلى الله عليه وسلم شفيع يوم القيامة ، وان الخلق يطلبون منه الشفاعة ، لكن عند أهل السنة أنه يشفع في أهل الكبائر ، وعند الوعيدية انما يشفع في زيادة الثواب . وقول القائل : ان من قال أتوسل اليك برسولك فقد استغاث برسوله حقيقة في لغة العرب وجميع الأمم قد كذب عليهم ، فما يعرف هذا في لغة أحد من بني آدم ، بل الجميع يعلمون أن المستغاث به مسؤل مدعو ، ويفرقون بين المسؤل والمسؤل به ، سواء استغيث بالخالق أو بالمخلوق ، فانه يجوز أن يستغاث

(١) الانفال : ٧٢ - (٢) القصص : ١٥ - (٣) المائدة : ٢

بالمخلوق فيما يقدر على التصرف به ، والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل مخلوق يستغاث به في مثل ذلك ، ولو قال قائل لمن يستغيث به أسألك بفلان أو بحق فلان لم يقل أحد أنه استغاث بمن توسل به ، بل انما استغاث بمن دعاه وسأله .

ولهذا قال المصنفون في شرح أسماء الله الحسنى : ان المعيث بمعنى المجيب ، لكن الاغاثة أخص بالأفعال ، والاجابة أخص بالأقوال ، والتوسل الى الله بغير نبينا صلى الله عليه وسلم سواء سمي استغاثة أو لم يسم لا يعلم أحد من السلف فعله ، ولا يروي فيه أثر ، ولا يعلم فيه الا ما أفتى به الشيخ عز الدين من المنع .

وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ففيه حديث في السنن رواه النسائي والترمذي وغيرهما ( أن اعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقَالَ : يا رسول الله اني أصبت في بصري فادع الله لي ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم توضعك وصل ركعتين وقل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي لفظ : أتوسل اليك بنبيك ، يا محمد اني أتشفع اليك في رد بصري اللهم شفعه في ) فعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم شفّع له فسأل الله أن يشفّعه فيه ، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ان كان لك حاجة فمثل ذلك ، فرد الله بصره ، فأجل هذا الحديث استثنى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام التوسل به .

وللناس في معنى ذلك قولان ( أحدهما ) أن هذا التوسل هو الذي ذكره عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما قال كنا نتوسل اليك بنبيك فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فأسقنا فيسقون ، فقد ذكر أنهم كانوا يتوسلون به في حياته في الاستسقاء ، ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته ، وتوسلهم به هو استسقاؤهم به بحيث يدعو ويدعون معه ويكون وسيلتهم الى الله ، وهذا لم يفعله الصحابة به بعد موته ولا في معييه ، والنبي كان في مثل ذلك شافعا داعيا .

( القول الثاني ) أن التوسل به يكون في حياته وبعد موته ومعنييه وحضرته ، ولم يقل أحد ان من قال بالقول الأول فقد كفر ، ولا وجه لتكفيره ، فان هذه مسألة خفية وليست أدلتها جلية ، والكفر انما يكون بانكار ما علم من الدين بالضرورة ، أو بانكار الأحكام المجمع عليها ، واختلاف الناس فيما يشرع من الدعاء وما لا يشرع كاختلافهم هل تشرع الصلاة عليه عند الذبح ، وليس ذلك من مسائل السبب .

وأما من قال ان من نفى التوسل الذي سماه استغاثة بغيره كفر وتكفير من قال

بقول الشيخ عز الدين وأمثاله - فإظهر من أن يحتاج الى جواب ، بل المكفر بمثل هذه الأمور يستحق من غليظ العقوبة والتعزير ما يستحقه أمثاله من المقتربين على الدين ، لاسيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ) وأما من قال ما لا يقدر عليه الا الله فلا يستغاث فيه الا به فقد قال الحق ، بل لو قال كما قال أبو يزيد استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه الغريق بالغريق ، وكما قال الشيخ أبو عبد الله القرشي استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه المسجون بالمسجون - لكان قد أحسن ، فان مطلق هذا الكلام يفهم الاستغاثه المطلقة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس : ( اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ) .

وإذا نفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه أمرا كان هو الصادق المصدوق في ذلك كما هو الصادق المصدوق في كل ما يخبر به من نفي وإثبات ، ومن رد خبره تعظيما له أشبهه النصارى الذين كذبوا المسيح بأخباره عن نفسه بالعبودية تعظيما له ، ويجوز لنا أن ننفي مانقاه ، وليس لأحد أن يقابل نفيه بنقيض ذلك البتة ، والله أعلم .

( ففي كلام الشيخ ما يرد على النهائي ) من وجوه كثيرة ، فان النهائي لم يفرق في شبهه التي أوردها بين التوسل والاستغاثه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث جعل كلا من التوسل والصلاة التي ذكرها العلماء في أحزابهم استغاثه ، وقال ان العلماء استغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يفرق أيضا بين قسمي الاستغاثه اللذين ذكرهما الشيخ .

والحاصل : أن في كلام الشيخ ما يرد على القبورين من وجوه :

( الوجه الأول ) أن قول الشيخ : وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ففيه حديث في السنن يريد بالتوسل ما ذكره هو في كلامه ، لا يريد التوسل في عرف النهائي وعباد القبور ، وهو دعاء المخلوق والاستغاثه به ، وانما يريد به سؤال الله تعالى أن يشفع عبده فيه بإجابة دعائه لهذا السائل ، وأرشده في هذا التوسل الى الله بالصلاة التي هي أفضل البادات البدنية ، وأن يوحد بالدعاء والمسألة في أن يقبل شفاعته نبيه أي دعائه له ، وهذا ليس الكلام فيه ، وليس من توسل بعباد القبور ، وتقدم قول الشيخ أن هذا لا يسمى استغاثه ، وفرق بين التوسل والاستغاثه .

( الوجه الثاني ) أن الذي رجح الشيخ ومن وافقه من المحققين أن هذا خاص في حياته ، لأن المقصود به شفاعته بالدعاء ، كما كان يستغفر لأصحابه ويدعو لهم ،

وهذا هو الذي فهمه الفاروق ، وناهيك به ، فانه قال : كنا نتوسل اليك بنيك فتسقينا ، وهو صلى الله عليه وسلم كان يدعو لهم فتجاب دعوته ، وبعد موته لا يشرع طلب الدعاء منه ، لأن عمر عدل الى العباس ولم ينكره منكر ، ولم يذهب الى القبر الشريف أحد من أفاضل الأمة وأكابرها ، مع أن قبره صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، وهذا اتفاق على تصويب عمر ومتابعته ، وهذا من باب التنزل ، والا فعدم مشروعية هذا في سائر الكتب السماوية معلومة من الدين بالضرورة .

( الوجه الثالث ) أن الحديث ان صح فهو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم عند من قال بالجواز كابن عبد السلام ، فسؤال الله بغيره لم يقل به أحد ممن حكى الشيخ قولهم بالجواز ، قال الشيخ : ولا يعلم أحد من السلف فعله ، ولا روي فيه أثر ، ولا يعلم فيه الا ما أفتى به الشيخ عز الدين من المنع ، وعباد القبور يسألون الله بجاه من اعتقدوا فيه ، بل آل الأمر الى أن يسأل الله تعالى بجاه كل من رفع قبره وجعلت عليه قبة ، بل وبالبله والمجانين الذين يعتقدهم عباد القبور .

( ما يعارض به ما أورده النبهاني مما فيه استغائة والتجاء بغير الله تعالى ) ( اعلم ) أن ما ذكره النبهاني من الأحزاب ليس في جميعها ما يدل على مازعته ، فقد ذكرنا أن بعضها مشتمل على توسل والتوسل غير الاستغائة على ما حققه الشيخ ، ومنها ما فيه صلوات وهي أيضا من هذا القبيل ، والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لها فوائد عظيمة ذكرها الحافظ ابن القيم في كتابه ( جلاء الافهام في الصلاة على خير الأنام ) ومنها ما فيه مقصده ولكن لا يحتج بقول أصحابها ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه الا المعصوم ، وقد فصلنا الكلام في ذلك بعض التفصيل بحمد الله . ونحن نورد في هذا المقام ما يعارض به كلام هؤلاء الذي أورده النبهاني بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام المتبعين له : —

( أما القرآن الكريم ) وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فأعظم مقاصده افراد الاله سبحانه وتوحيده بخصائصه ، فلا تجد سورة من السور الا وهي منادية على وجوب توحيده وافراده بالعبادة ، وترى الأدعية والاذكار التي اشتمل عليها القرآن كلها خالصة لله كقوله : ( رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا

ولا نُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ<sup>(١)</sup> وكقوله: ( رَبَّنَا إِنَّا أَسْمَعُكَ مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ . رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ).<sup>(٢)</sup>

وهكذا أدعية نوح ، و ابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، ويعقوب ، والاسباط ، وموسى وعيسى ، وغيرهم من الأنبياء والرسل كلهم ، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم ، وليس فيها التجاء الى غيره ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، بل كلهم أخلصوا الدعاء له ، وخصوه بالتجاء والاستغاثة والاستعانة دون من سواه ، فلو استوعبنا ذكر ذلك كله طال الكلام وضاق عنه المقام .

ونحن نذكر بعض السور والآيات الناطقة بوجوب التجاء الى الله وعدم الميل الى ماسواه مع بيان ماقاله المفسرون وأهل العلم في تفاسيرهم ، والقرآن كله يدل على وجوب عبادة الله والبراءة من عبادة ماسواه ، واسلام الوجوه له على اختلاف أنواع الدلالات مطابقة وتضمنا والتزاما وقياسا صحيحا .

ومن أمثلة ذلك ماقاله أهل العلم في معنى البسمة وتفسيرها ، قالوا في الباء من ( بسم الله ) ان معناها الاستعانة ، ورجحوا هذا القول لوجوه مقرررة في محلها ، وقالوا قد جاءت السنة بأن كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ( بيسم الله الرحمن الرحيم ) فهو أبتَر أو أجذم أو أقطع ، وذكروا فيه روايات ، والمعنى أنه لا يكمل أمر ولا يحصل تمامه الا بذكر الله ، ولا يكون أصله ولا يوجد منه شيء الا بمعوته .

قالوا : وقد قالت طائفة من أهل العلم ان البسمة من الفاتحة ، وقالت طائفة أخرى هي آية من القرآن فاصلة بين السور .

وعلى القول الأول : فالاتيان بها من العبادات الواجبة ، والاستعانة هي مضمونها ، فتكون واجبة به تعالى .

وعلى القول الآخر : يكون الاتيان بها مستحبا والاستعانة بالله واجبة لابخصوص هذا اللفظ .

(١) البقرة : ٢٨٦ - (٢) آل عمران : ١٩٣ ، ١٩٤

ثم قالوا : ان المتعلق يتعين أن يقدر مؤخرا لافادة الحصر والاختصاص ، وهذا يدل على القول بوجوب الاستعانة ، لأن ما اختص به تعالى واستحقه دون ماسواه لا يصرف لغيره ، والقاعدة العربية تفيد أن تقديم المتأخر وتأخير المتقدم يقتضي الحصر ، فهذان موضعان يدلان على وجوب الاستعانة به وحده في أول حرف من كتاب الله مع متعلقه .

(الموضع الثالث ) من الأبحاث في الباء وتأخير متعلقها قولهم ان الحصر هنا حصر افراد وقصره لاقصر قلب ، ورجحه أساطينهم بأن المشركين انما اعتقدوا الشركة لآلهتهم لا الاستقلال ، فالحصر باعتبار معتقدتهم حصر افراد ، قالوا وأكثر الكفار اعتقدوا الشركة لآلهتهم لا الاستقلال ، فمعنى التسمية عند الموحد افراده بالاستعانة عما عبد معه من الآلهة ، وعلى القول بأن الاختصاص والحصر للقلب انما يتجه باعتبار معتقد من يدعي الاستقلال لمعبوده كمعطلة الصانع .

( البحث الرابع ) في اسم الله قولهم انه من آله الهة وألوهية ، فهو اله فعال بمعنى مفعول بمعنى عبد يعبد عبادة ، والمستعين بغير الله متأله عابد ، لاسيما فيما لا يقدر عليه الا الله ، ، واذا ثبت أن الاستعانة تأله وأن التأله عبادة فالبرهان قائم على أن العبادة لا يستحقها غير الله تعالى .

( الخامس ) قول ابن عباس وتفسيره للاسم الشريف الأقدس بأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، وقد أخذه المفسرون وقرروه واستحسنوه ، فاذا كان تعالى هو صاحب ذلك ومستحقه فصرفه الى غيره شرك ، وصرف للحق في غير موضعه وهذا يدخل فيه جميع العبادات التي يصدق عليها التأله والألوهية والعبادة والعبودية لاسيما الدعاء فانه من أجل أنواعه .

قال الامام البخاري في ( كتاب الايمان ) من صحيحه : باب دعاؤكم ايمانكم ، وساق حديث ابن عمر ، وكثيرا ما يترجم بما صح عنده ولم يكن على شرطه .

( السادس ) قولهم في اسمه الرحمن انه الموصوف بغاية الرحمة ومنتهاها ، وانه وصف ذات لا ينفك عنه كسائر أوصافه المقدسة الذاتية ، ودعاء غير الموصوف بهذا الوصف وقصده من دونه والتعرض للوسائط والشفعاء سوء ظن بصفات كماله ونعوت جلاله ، وانما دعا الى عبادته ودعائه والاستعانة به بما اتصف به من الصفات المقدسة ، والنعوت الكاملة الجميلة ، واستدلوا على ذلك بقول الخليل عليه السلام



لقومه (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) <sup>١١</sup> قالوا أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره ، وما الذي ظننتم به حتى جعلتم له شركاء ، أظننتم أنه محتاج الى الشركاء والأعوان ؟ أم ظننتم أنه يخفى عليه أحوال عباده حتى يحتاج الى شركاء يعرفونه بها كالمملوك ؟ أم لا يقدر وحده على الاستقلال بتدبيرهم وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قاس فيحتاج الى شفعاء يستعطفونه على عباده ؟ أم ذليل فيحتاج الى ولي يتكسر به من القلة ويتعزز به من الدلة ؟ أم محتاج الى ولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منه ومنها ؟ تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا ، ولو قدره المشركون حق قدره لما أشركوا به .

وكذلك اسمه تعالى الرحيم ، فانه يدل على أنه بالغ في الرحمة غايتها ، وان رحمته عمت عباده ووسعت خلقه ، فما بهم من النعم والاحسان والعطايا الباطنة والظاهرة فأثار رأفته ورحمته ، ومن هذا فعله وهذا وصفه كيف يعدل المضطر الى غيره في ضروراته وحاجاته وملماته ؟ وفي الحديث القدسي : ( كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم ) الحديث بطوله .

ومن رحمته وتودده الى عباده أنه ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا فينادي : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ الحديث معروف مشهور ، وفي بعض الاسرائيليات أن الله تعالى يقول : ابن آدم اطلبني تجدني ، فان وجدتني وجدت كل شيء وان فئتك فأتك كل شيء ، وهذا قروره بهذا المعنى في التفسير وفي الكلام على شرح الأسماء الحسنى ، وفي الكلام على أحوال القلوب وسيرها وتوجهاتها الى الملك العلي الأعلى .

وعبارة البيضاوي في الكلام على أول فاتحة الكتاب : وانما خص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان في مجامع الأمور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها ، عاجلها وآجلها ، جليلها وحقيرها ، فيتوجه بشراشه الى جناب القدس ، ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاسماداد به عن غيره .

قال البيضاوي : واجراء هذه الأوصاف على الله تعالى — من كونه موجدا للعالمين رباهم منعما عليهم بالنعم كلها باطنها وظاهرها ، عاجلها وآجلها ، مالكها لأمرهم يوم الثواب والعقاب — للدلالة على أنه الحقيقي بالحمد لأحد أحق به منه ،

بل لا يستحقه على الحقيقة سواه ، فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا ينأهل لأن يحمد فضلا عن أن يعبد ليكون دليلا على ما بعده .

فالوصف الأول لبيان ماهو الموجب للحمد وهو الابداع والتربية ، والثاني والثالث للدلالة على أنه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه الايجاب بالذات أو وجوب عليه قضيت لسوابق الأعمال حتى يستحق به الحمد ، والرابع لتحقيق الاختصاص ، فانه لا يقبل الشركة فيه ، وتضمن الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين . انتهى .

وان شئت المزيد على هذا ولم تكتف بما ذكرناه من التمثيل بالبسملة وما فيها من الأبحاث فتكلم على فاتحة الكتاب بما قاله أهل العلم والتأويل لينتفع بذلك من وقف على كتابنا هذا .

فاعلم أن ( الحمد ) على ما أفاده بعض المحققين ذكر محاسن المحمود على وجه الثناء عليه بها مع محبته والرضا عنه والخضوع له ، فلا يحمده من أعرض عن محبته والخضوع له ، أو جعل له شريكا في ذلك ، ولا يرضى عنه من أعد غيره لحاجته وفاقته ، واستغاث به في شدته وضرورته ، وهذا الحد آثم وأكمل من تعريف بعضهم له بأنه اصطلاحا فعل ينبيء عن تعظيم المنعم لوجوه لاتخفى على الذكي ، فلا نطيل بذكرها ، واذا كانت ال فيه للاستغراق وعموم الأفراد كما هو الراجح ، فجميع أوصاف الكمال ونعوت الجلال والجمال التي يحمد من قامت به ثابت لله أكملها لكمال صفاته وكثرتها ، ولهذا لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه ، وبها يستدل على الهيته ، وانه الاله الحق ، ولذلك يستدل تعالى على بطلان الهية ماسواه بفقد صفات الكمال التي يستحق بها ان يعبد ويعظم ويقصد ، كما قال عن خليله في مخاطبته لأبيه ( يا أبتِ لم تَعْبُدْ ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ) (١)

وقال في عباد العجل : ( ألم يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ ولا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ) (٢)

فجعل نفي صفات الكمال موجبا لبطلان الهيته وعبادته ، وهذا يعرف بالفطر والعقول فهذه ثلاثة مواضع في أول كلمة من كتاب الله دلت على بطلان دعاء غيره وعبادته والاستعانة بسواه ، والعبد وان علت درجته وارتفعت رتبته فهو فقير الى باريه وفاطره ، لانسبة لقدرته وعلمه وحكمته وفضله وكرمه وحياته الى ما تصف به خالقه

(١) سريم : ٤٢ - (٢) الاعراف : ١٤٨

والله الحق من صفات الكمال ، ونعوت الجلال .

قال شيخ الاسلام :

والفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي  
(وأما اسمه الله) فهو دال على الالهية المتضمنة لسائر صفات الالهية والكمال،  
مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى ، دال بالوضع والمطابقة على كونه مألوها  
معبودا ، تأله الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا ومفرعا اليه في الحوائج والنائب ،  
بخلاف من الله سواه ممن لا يستحق الالهية ولم يخرج عن رتبة العبودية ، وصار  
مفرعه في الحوائج والنائب اليه ، واعتماده في المهمات والملمات عليه .  
فمن كان هكذا كعباد الملائكة والأنبياء والصالحين : لم يعط هذا الاسم  
الشريف حقه من العبودية وافراد الله بالالهية .

(وأما الرب) فهو دال على ربوبيته لجميع مخلوقاته ، وكمال الربوبية هو  
بما اتصف به من صفات كمال كقدرته وعلمه ورحمته وقيوميته ، وهو يرب عباده  
بالخلق والتدبير والملك ، وهو من أكبر الأدلة وأوضحها وأجلاها على وجوب عبادته  
تعالى ، وأن الهية ماسواه وعبادة غيره من أبطل الباطل وأضل الضلال ، ولهذا  
يستدل على الهيته تعالى ووجوب توجيده بأفعاله الصادرة عن ربوبيته كخلقه  
وقيوميته ، قال تعالى : (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (١) وقال  
تعالى : (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) (٢) وقال ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ  
مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ) (٣)  
وهذا كثير في القرآن ، ولكن يحول بين عباد القبور والصالحين وفهمه ما على قلوبهم  
من رين الشرك وطابعه .

(وأما اسمه الرحمن) فهو كما تقدم دال على أن الرحمة وصفه وصف ذات  
لا ينفك عنه ، ولهذا لا يطلق على غيره .

(والرحيم) هو الراحم لعباده البالغ في إيصال الرحمة ، لأن فعيل من صيغ  
المبالغة ، لكن فعلان أبلغ ، فسعة الرحمة وكثرتها واحاطتها من أدلة عظمة الموصوف  
وكمال صفاته ووجوب عبادته والهيته واناة القلوب اليه ، فالمستغيث بغيره الراغب  
الى سواه فيما لا يقدر عليه غيره من الأمور المهمة العظام ، وما ليس من جنس

(١) النحل : ١٧ - (٢) الرعد : ٢٢ - (٣) الاحقاف : ٤

الأسباب العادية - كمن يستغيث بالانبياء والصالحين والملائكة ويرجع اليهم في حاجاته وملماته - ما أعطى هذا الاسم حقه ، ولا آمن به حق الايمان الواجب ، ولو استشعر شيئا من كمال مدلوله وسعته واحاطته لما عدل بربه سواه ، ولا التفت الى غير رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ومشهد الأسماء الحسنى والصفات العليا مشهد عظيم لا يعرفه ولا يسير به الا الصديقون العارفون بالله وما يجب له وما يستحيل عليه ، وأما من تعلق على غيره والتفت الى سواه وصار مبلغ علمه وغاية حذقه وفهمه تعلقه على الأولياء والصالحين ورجاء رحمتهم واحسانهم وعظفهم فهو محجوب عن هذا غير عارف بربه جاهل بصفات كماله ونعوت جلاله ، قال تعالى : ( قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَاْمُرُوْنِيْ اَعْبُدُ اِيَّهَا الْجَاهِلُوْنَ )<sup>(١)</sup> فسجل على من أمر بدعاء الصالحين والاستغاثة

بهم بالجهالة ، سواء سمي ذلك توسلا وتشفعا واستتصارا وكرامة أو نم يسمه .  
( وأما مالك يوم الدين ) فهو وصف كمال ومجد يقتضي وجوب معاملته وحده لاشريك له ، واسلام الوجه له ، لأن الاختصاص والانفراد بالملك يوجب خوفه وورجاءه وطاعته ، والتعلق على المملوك المقهور الذي لاشركة له ولا ملك بوجه من الوجوه ، وقصده في طلب الاعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، والنجاة من النار ، والفوز بدار الأبرار سفه وضلال مبین . قال تعالى : ( وَمَنْ يَّرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ اِبْرَاهِيْمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ )<sup>(٢)</sup> وقد تمدح سبحانه باختصاصه بملك هذا اليوم في مواضع من

كتابه مع أنه الملك المالك في الدنيا والآخرة لسر اقتضى ذلك وحكمة أوجبه ، وهي انقطاع العلق والأسباب والمؤاخاة والوصل التي يتعامل بها أهل الدنيا في دنياهم ، قال تعالى : ( وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ )<sup>(٣)</sup> فاعرف ما في هذا الخطاب من العموم ، وما دل عليه التكرير من الشمول المتناول لكل معبود مع الله ولو نيا أو ملكا ، وما يجري على يد الشفعاء ذلك اليوم لا يرد على الآية ، ولا ينفي العموم ، لأنه لا يقع الا باذنه فيمن يرضى قوله وعمله ، فعاد الأمر له جل ذكره بدءا وعودا ، أولا وآخرًا .

(١) الزمر : ٦٤ - (٢) البقرة : ١٣٠ - (٣) البقرة : ١٢٣

(والدين) هو الجزاء والمكافأة على الأعمال حسننها وقبيحها ، وما لم ينزل به سلطان ولم ترد به حجة من الأعمال والديانات يجازى فاعله ويعاقب ان لم يمنع مانع كتوحيد الله والايان به وبرسله ، وأي توحيد يبقى وينفع مع عبادة الأولياء والصالحين ، والاستغاثة بهم وصرف الوجوه اليهم ، قال تعالى : (فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) قال جمع : عن شهادة أن لا اله الا الله .

وأما قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ففيها اختصاصه وانفراده بالعبادة والاستعانة ، وأن ذلك حق له لا يشركه فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، والعبادة هي الغاية المقصودة من العباد المكلفين ، والمؤمنون بالرسل أخلصوا له العبادة وأفردوه بالاستعانة ، فهو معبودهم ومستعانهم ، وجميع الأعمال داخلة في هاتين الكلمتين الشريقتين ، وقد دلت صيغة الحصر والاختصاص فيهما على التوحيد ، والعبد همام حارث لا بد له من ذلك ، وهسه وحرثه غاية ووسيلة ، فيجب أن يكون غاية قصده ومراده وجه الله والتماس طاعته ومرضاته ، ويجب أن تكون الوسيلة الى ذلك استعانة الله وحده والاستغاثة به ، وهذا حال أهل الكمال ، جمعوا بين عبادة الله واستعانته ، بخلاف من عبد غيره واستعان بسواه ، أو من عبده لكن قصر وأضاع ما يحصل به مقصوده من الاستعانة : أو من استعان به ولكن على ما لا يجبه وما لم يشره من الأعمال الصالحة أو وسائلها ، ويدخل في النوع الثاني من تعلق على الأنبياء والصالحين عبادة واستغاثة واستعانة ، كعباد القبور ، فانهم لم يعرفوا مادلت عليه هاتان الكلمتان من وجوب العبادة والاستعانة .

وفي حديث ابن عباس ( ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ) الحديث . وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز : اياك أن تستعين بغير الله فيكلك الله اليه . وقال أبو عبد الله القرشي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون .

والكلام هنا يطول وغرضنا التنبيه على أن القرآن كله دال على التوحيد ، أمر به ، مشير اليه ، مستلزم له ، مقرر لوصف أهله وما لهم من الكرامة في المعاد ، ومبين لأحوال من تركه ولم يرفع به رأسا وأشرك في عبادته ، وما لهذا الصنف من الجزاء والعقاب والاهانة في الدار الآخرة .

(١) الحجر : ٩٢ ، ٩٣

وأما قوله : ( اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ) فهذا فيه توحيد الطريق ، وان من سلك سواه وأراد الوصول من غيره فالسبل والطرق عليه مسدودة قاطعة غير موصلة ، وفي حديث ابن مسعود ( خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، وقال : هذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ قوله تعالى : وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ) •

إذا عرف هذا فالصراط المستقيم ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان من أمة الهدى ، ودعاء الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم والتوجه إليهم كل هذا ليس مما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ، بل وليس عليه أحد من رسل الله وأوليائه وقد توافرت النصوص وتظاهرت على المنع منه ، وقد مر منه جملة صالحة ، فإذا كان خارجا عن الصراط المستقيم ناهيا عنه سالكيه ومؤتميه فهو سبيل يفضي بسالكيه الى النيران والدخول في طاعة الشيطان ، وأهل هذا الصراط المستقيم دأبهم وشأنهم افراد الله بالعبادة والاستغاثة والاستعاذة والابانة والخوف والرجاء والتوكل والاعتماد ، ومباينتهم في الأوصاف خروج عن صراطهم وطريقهم ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كافيته الشافية :

فلواحد كن واحدا في واحد أعني سبيل الحق والايمان

فسبيل الله واحد لا متعدد ، ولا يمكن أن يأتي أحد بحجة ولا سلطان على أن دعاء الأولياء والصالحين من أهل القبور أو غيرهم مشروع مسنون أو مباح ، ولا يمكن أن تأتي شريعة بهذا ، وما يقوله الجاهلون من الشبه الواهية لا يعتد به ولا يلتفت اليه ، بل هي قاطعة في الطريق حائلة بين أربابها وبين الصراط المستقيم ، وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند الله ، وان زعموا أنها أدلة وبيانات فهي جهالات وخيالات وضلالات ، كما تقدم الكلام على ما أورده النبھاني الزائع منها ناقلا لها عن أشياخه وأئمتة الغلاة •

وقوله تعالى ( غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) فغير صفة ونعت لما قبلها من الاسم الموصول على ماوجه بعض المفسرين ، والمعنى أن الذين أنعم الله عليهم خالفوا وباينوا المغضوب عليهم والضالين في صفاتهم الشنيعة وأفعالهم القبيحة ،

فالأولون عرفوا الحق ولم يتبعوه ولم يريدوه ، بل آثروا أغراضهم الفاسدة ، وشهواتهم القاطعة ، واستمتعوا بخلاقتهم ، ولم يعبؤا بما عداه مما فيه صلاح العبد وهداه ، والآخرون غلبت عليهم الشبهات وتاهوا في أودية الجهالات والضلالات ، ولم يهتدوا الى مانصه تعالى من الآيات الواضحات ، والأدلة الظاهرات : على وجوب توحيد الهية وصمديته ، وتنزهه عن الصاحبة والولد ، وأحق الناس بالوصف الأول اليهود وبالوصف الثاني النصارى ، لغلبة الوصف الأول على اليهود وغلبة الثاني على النصارى ، ولذلك جاء في حديث عدي بن حاتم ( اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون ) لكن هذا الوصف لا يختص بهم ، بل كل منحرف عن الصراط المستقيم ايتارا لهواه ورأيه فله نصيب من الوصف الأول ، ومن انحرف لجهله وعدم فقهه فله نصيب من الوصف الثاني ، وهذا الانحراف ان بقي معه أصل الدين الذي لا يقوم الايمان والتوحيد الا به فهو من أهل الذنوب من المسلمين وأمره الى الله ، وان كان الانحراف يخل بأصل الدين والايمان ويمنع التوحيد - كحال من يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين مع الله في مهماته وملماته ويعتمد عليهم ويستغيث بهم في شدائده - فهذا له حظ وافر ونصيب كامل من الضلال ، قال تعالى : ( أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ ) .<sup>(١)</sup>

انظر هذا الاستهزام وحسن موقعه بعدما تقدم من الاستهفامات التي هي حجج وآيات على ما بعدها تعرف به فحش ما جاء به عباد القبور من دعاء آلهتهم والاستغاثة بهم في الملمات والشدائد المذهلات ، وأن أهل الجاهلية كانوا يخلصون في الشدائد ويعترفون بأنه المختص باجابة المضطر وكشف السوء ، وهؤلاء يشتد شركهم عند الضر ونزول الشدائد .

ثم من المعلوم أن أخص أوصاف النصارى الضالين عبادة الأنبياء والصالحين وجعلهم شركاء لله فيما يختص به ويستحقه ، وطاعة علمائهم وأجبارهم في التحليل والتحرير المخالف لما عهد اليهم في الكتب السماوية على السنة أنبيائهم ، وعباد القبور ضربوا في هذا بسهم وافر ، وحصلوا على نصيب من عبادة الأنبياء والصالحين ودعائهم مع الله استحقوا به اطلاق وصف الضلال عليهم فيما أتوا به وابتدعوه من

(١) النمل : ٦٢

طاعة الدعاة الى عبادة القبور من المنتسبين الى العبادة أو العلم .  
قال صاحب منهاج التأسيس عليه الرحمة - بعد أن ساق مذكرناه - وهذه  
اشارة تطلعك على ماوراءها .

وفي فاتحة الكتاب والسبع المثاني من العلوم والتوحيد والرد على أصناف  
الضالين وشيع المبطلين مالا يمكن حصره واستقصاؤه انتهى .  
قلت : من أراد الوقوف على تفاصيل ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة  
فعليه بكتاب شرح منازل السائرين للشيخ الحافظ ابن القيم ، ففيه من اظهار كنوز  
أسرارها ما ينشرح به الخاطر .

( ذكر بعض آيات تدل على المقصود وما فسرت به )

قد ذكرنا سابقا أن القرآن الكريم من أوله الى آخره ينادي باخلاص التوحيد  
لله تعالى وافراده سبحانه بخصائصه ، وقد ذكرنا مثالا لذلك وشاهدا عليه ، وجبا  
لزيادة الايضاح نذكر ما هو أصرح دلالة على مقصودنا من آيات الكتاب الكريم ، فعمل  
النبهاني وأضرابه من عبدة القبور يهتدي ببعضها ، ويكشف عن قلبه ججاب  
الضلال .

من ذلك قوله تعالى : ( قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ .  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ) وهذه السورة العظيمة قد اشتملت على كنوز العلم ،  
وهي تعدل ثلث القرآن ، وقد بسط الكلام عليها الامام تقي الدين ابن تيمية وأفرد  
لتفسيرها سفرا كبيرا ، وهو بحمد الله متداول (١) ومما قال : ( الصمد ) فيه للسلف  
أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة وليست كذلك ، بل كلها صواب ، والمشهور منها  
قولان : ( أحدهما ) أن الصمد هو الذي لا جوف له ( والثاني ) أنه السيد الذي  
يصمد اليه في الحوائج ، والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة  
من أهل اللغة ، والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين ، والآثار  
المنقولة عن السلف بأسانيدھا في كتب التفسير المسندة وفي كتب السنة وغير ذلك ،  
قال : وقد كتبنا من الآثار في ذلك شيئا كثيرا باسناده فيما تقدم ، ثم سرد أقوالا  
كثيرة في معنى الصمد الى أن ذكر فصلا في سبب تنكير أحد وتعريف الصمد في  
السورة ، وحاصله : أن لفظ أحد لم يوصف به شيء من الأعيان الا الله وحده ،

(١) قد طبع هذا التفسير ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام وهو في المجلد السابع عشر : ٥٥



وانما يستعمل في غير الله في النفي ، قال أهل اللغة : تقول لأحد في الدار ولا تقل فيها أحد ، ولهذا لم يجيء في القرآن الا في غير الموجب ، كقوله تعالى : ( فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ )<sup>(١)</sup> وكقوله : ( لَسْتَ مِنْ أَكْثَرِ الْمُؤْمِنِينَ )<sup>(٢)</sup> وقوله : ( وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ )<sup>(٣)</sup> وفي الاضافة كقوله : ( فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ )<sup>(٤)</sup> ( وَجَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ )<sup>(٥)</sup> ، وأما اسم الصمد فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين كما تقدم ، فلم يقل الله صمد بل قال : الله الصمد ، فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ماسواه ، فانه المستوجب لغايته على الكمال ، والمخلوق وان كان صمداً من بعض الوجوه فان حقيقة الصمدية منتفية عنه ، فانه يقبل التفرق والتجزية ، وهو أيضاً محتاج الى غيره ، فان كل ماسوى الله محتاج اليه من كل وجه ، فليس أحد يصمد اليه كل شيء ولا يصمد هو الى شيء الا الله ، وليس في المخلوقات الا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه من بعض ، والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك ، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه ، كما لا يمكن تشيئة أحديته بوجه من الوجوه ، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء ، كما قال في آخر السورة : ( وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ) استعملها هنا في النفي ، أي ليس شيء من الأشياء كفوا له في شيء من الأشياء ، لأنه أحد . وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ( أنت سيدنا ، فقال السيد الله ) ودل قوله الأحد الصمد على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فان الصمد هو الذي لا جوف له ولا أحشاء ، فلا يدخل فيه شيء ، فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى ، كما قال : ( قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَأِطْرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ )<sup>(٦)</sup> وقال تعالى : ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنْ اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ )<sup>(٧)</sup> ثم تكلم في مسائل مختلفة

(١) الحاقة : ٤٧ - (٢) الاحزاب : ٢٢ - (٣) التوبة : ٦ - (٤) الكهف : ٩ ، ٢٨ - (٥) الانعام : ١٤

(٦) الداريات : ٥٦ - ٥٨

اتقل من بعضها الى بعض وأتى بما يبره العقول •  
( والحاصل ) أن كل كلمة من كلمات هذه السورة تقتضي أن يعبد الله وحده  
وأن لا يشرك به أحد ولا يلتجأ الى ماسواه ، فإذا كان معنى أحد أنه ليس كمثل  
شيء فينبغي أن يستغاث به وحده ، لأنه الكامل في صفات الكمال والمنزه عن  
صفات النقص ، وغيره ليس كذلك فكيف يسوغ الالتجاء الى الناقص والاعراض  
عن الكامل ، وإذا كان الله أحد كان هو الصمد بأي معنى فسر ، فالأحدية دليل على  
الصدية ، فهو الملجأ لا غير ، والصدية تستلزم اتصاف الله تعالى بأنه لم يلد ولم  
يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وكل جملة فهي دليل لما بعدها ، فمن يلد نيس بأحد ولا  
صمد فلا يلجأ اليه ولا يطلب منه ما يطلب من الله الأحد الصمد الذي لم يلد ، ومن  
يولد كذلك ، ومن كان له كفواً أو نظير في ذاته وصفاته فهو لا يصلح أن يسند اليه  
خصائص الالهية ، فهذه السورة على اختصارها جمعت من دلائل الوحدانية ما لم  
تشمئل سورة أخرى عليه ، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن ، ومن أراد تفصيل  
ما تضمنته من العلوم فعليه بتفسيرها لشيخ الاسلام •

ومن ذلك قوله تعالى : ( قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْذَّقِ ) الى آخر السورة ،  
تكلم أيضا على هذه السورة شيخ الاسلام وتلميذه أحسن كلام ، قال ابن القيم في  
كتابه بدائع الفوائد : المقصود الكلام على هاتين السورتين - يعني المعوذتين -  
وبيان عظم منفعتهما وشدة الحاجة بل الضرورة اليهما ، وأنه لا يستغني عنهما أحد  
قط ، وان لهما تأثيرا خاصا في رفع السحر والعين وسائر الشرور ، وأن حاجة العبد  
الى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته الى التنفس والطعام والشراب  
واللباس ، فنقول والله المستعان : قد اشتملت السورتان على ثلاثة أصول وهي  
أصول الاستعاذة : أحدها نفس الاستعاذة ، والثاني : المستعاذ به ، والثالث :  
المستعاذ منه ، فبمعرفة ذلك يعرف شدة الحاجة والضرورة الى هاتين السورتين ،  
وقد عقد لكل أصل من هذه الأصول الثلاثة فصلا وأطنب الكلام فيه ، فما قال في  
الفصل الأول : اعلم أن لفظ عاذ وما تصرف منه يدل على التحرز والتحصن  
والالتجاء ، وحقيقة معنى هذه الكلمة : الهروب من شيء تخافه الى من يعصمك  
منه •

ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا كما يسمى ملجأ ووزرا ، وفي الحديث : ( أن

ابنة الجون لما أدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها قالت : أعوذ بالله منك ، قال : لقد عدت بمعاذ ، الحقي بأهلك ( فمعنى أعوذ ألتجىء وأعتصم وأتحرز ، ثم ذكر في أصله قولين ، وقال - بعد أن ذكرهما - والقولان حق ، والاستعاذة تنتظمهما معا ، فإن المستعبد مستتر بمعاذ متمسك به معتصم به ، قد استمسك قلبه به ولزمه كما يلزم الولد أباه إذا شرب عدوه سيفاً وقصده به فهرب منه فعرض له أبوه في طريق هربه فانه يلقي نفسه عليه ويستمسك به أعظم استمسك فكذلك العائد قد هرب من عدوه الذي يبغى هلاكه الى ربه ومالكة وفر اليه وألقى نفسه بين يديه واعتصم به واستجار به والتجأ اليه ، وبعد فمعنى الاستعاذة القاسم بقلبه وراء هذه العبارات ، وانما هي تمثيل وإشارة وتفهم ، والا فما يقوم بالقلب حينئذ من اللجاء والاعتصام والانطراح بين يدي الرب والافتقار اليه والتذلل بين يديه أمر لا تحيط به العبارة .

ونظير هذا : التعبير عن محبته وخشيته واجلاله ومهابته ، فان العبارة تقصر عن وصف ذلك ، فلا يدرك الا بالاتصاف بذلك لا بسجرد الصفة والخبر ، كما أنك اذا وصفت لذة الوقاع لعين لم تخلق له شهوته أصلاً فلو قربتها وشبهتها بما عساك أن تشبهها به لم تحصل حقيقة معرفتها في قلبه ، فاذا وصفتها لمن خلقت فيه وركبت فيه عرفها بالوجود والذوق ، ثم ذكر كلاماً طويلاً في الفرق بين الاعاذة والاستعاذة في غاية الدقة والल्प ، وذكر سبب الاتيان ( بقل ) في السورتين وهو من أبداع الوجوه ، ولا غرض لنا يتعلق به فان أردته فارجع اليه .

( ثم قال في الفصل الثاني ) والمستعاذ به الله وحده رب الفلق ورب الناس ملك الناس اله الناس ، الذي لا تنبغي الاستعاذة الا به ، ولا يستعاذ بأحد من خلقه ، بل هو الذي يعيذ المستعدين ويعصمهم وينعمهم من شر ما استعاذوا من شره ، وقد أخبر تعالى في كتابه عن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادت طغيانا ورهقا ، فقال حكاية عن مؤمني الجن : ( وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ) . (١)

جاء في التفسير أنه كان الرجل من العرب في الجاهلية اذا سافر فأمسى في أرض قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فبييت في أمن وجوار منهم حتى

يصبح ، أي فزاد الأنس الجن باستعاذتهم بسادتهم رهقا أي طغيانا وغيا واثما وشرا ، يقولون سدنا الأنس والجن ، والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ، فزادوهم بهذه الاستعاذة غشيانا لما كان محظورا من الكبير والتعاطم وظنوا أنهم سادوا الانس والجن .

واحتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلمات الله غير مخلوقة بأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بها بقوله : ( أعوذ بكلمات الله التامات ) وهو صلى الله عليه وسلم لا يستعيز بمخلوق ، ونظير ذلك قوله : ( أعوذ برضاك من سخطك ، وبغفوك من عقوبتك ) فدل على أن رضاه وغفوه من صفاته ، وأنه غير مخلوق ، فكذلك قوله ( أعوذ بعمزة الله وقدرته ) وقوله : ( أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ) وما استعاذ به النبي صلى الله عليه وسلم فانه غير مخلوق ، لا يستعيز الا بالله أو بصفة من صفاته .

وجاءت الاستعاذة في هاتين السورتين باسم الرب والملك والاله ، وجاءت الربوبية فيها مضافة الى الفلق والى الناس ، ولا بد من أن يكون بين ماوصف به نفسه في هاتين السورتين مناسبة ، وقد قررنا في مواضع متعددة أن الله سبحانه يدعى بأسمائه الحسنى ، فنسأل لكل مطلوب باسم يناسبه ويقتضيه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في هاتين السورتين انه ماتعوذ المتعوذون بمثلها ، ولا بد أن يكون الاسم المستعاذ به مقتضيا للمطلوب ، وهو دفع الشر المستعاذ منه أو رفعه ، وانما يتقرر هذا بالكلام في الفصل الثالث ، وهو الشر المستعاذ منه ، فبه تتبين المناسبة المذكورة .

وذكر في الفصل الثالث أنواع الشرور المستعاذ منها في هاتين السورتين ، وأظن في بيان ذلك ، وأتى بالعجب العجاب .  
( والمقصود ) أن كلتا السورتين تدلان على أن الملجأ والمعاذ هو الله تعالى ، فمن استغاث بمخلوق ملكا كان أو نبيا أو وليا فقد التجأ اليه ، ومن التجأ اليه في طلب مالا يقدر عليه أحد الا الله فقد عبده ، لأن الدعاء مخ العبادة ، ومن عبد غير الله فقد أشرك ، والآيات القرآنية في هذا الباب كثيرة ، وقد ذكرنا فيما سبق بعضا منها ، ومن قرأ القرآن وتدبر معناه تحقق ذلك .

( وأما ماورد من السنة النبوية فهو البحر الذي لاساحل له ) فقد كان صلى الله عليه وسلم خصما للمشركين ، وعدوا للكافرين ، وقد بعثه الله تعالى لمحق ماكان

عليه أهل الجاهلية وإبطال ضلالتهم الشركية ، وقد كان خلقه القرآن ، وما أنزله الله عليه من البيان ، وقد نظرنا الى الكتب المؤلفة في اذكاره وأدعيته فلم نر فيها دعاء التجأ فيه الى غير الله ، هذا كتاب ( الأذكار ) للنووي فيه من الأدعية السننية ما هو معلوم الصحة ، وهذا كتاب ( نزل الأبرار ، في الأدعية والاذكار ) وهذا كتاب ( الكلم الطيب والعمل الصالح ) لشيخ الاسلام ، وهذا كتاب ( الحصن الحصين ) للشيخ محمد الجزري ، جميع ما في هذه الكتب من الأدعية كلها من الله تعالى ، ليس فيها كلمة دالة على الطلب من غيره تعالى ، والله تعالى يقول ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ )<sup>(١)</sup> فينبغي أن يتأسى كل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقتدي به في أقواله وأفعاله ، ويسلك في ذلك مسلك الصحابة والتابعين لهم بإحسان من الأئمة والمجاهدين رضوان الله عليهم أجمعين .

ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في طلب النصر : ( اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ) وكان اذا غزا قال : ( اللهم أنت عضدي ونصيري ، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل ) وعن أنس قال : ( كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة فلقى العدو ، فسمعتة يقول : يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين ، فلقد رأيت الرجال تصرعها تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها ) وكان يقول : ( حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم ، ماشاء الله ، لا قوة الا بالله ، اعتصمنا بالله ، استعنا بالله ، توكلنا على الله ) ويقول : ( حصنتنا كلنا أجمعين بالحي القيوم الذي لا يسوت أبدا ، ودفعت عنا السوء بلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ) ويقول : ( يا قديم الاحسان ، يا من احسانه فوق كل احسان ، يا مالك الدنيا والآخرة ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والاکرام ، يا من لا يعجزه شيء ولا يتعاضمه ، انصرنا على أعدائنا هؤلاء وغيرهم ، وأظهرنا عليهم في عافية وسلامة عامة عاجلا )

وفي كتاب ( الحصن الحصين ) من ذلك شيء كثير ، وهو للإمام الكبير محمد الجزري رحمه الله تعالى ، وقد قال في خطبة الكتاب المذكور : هذا الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ، وسلاح المؤمنين ، من خزانة النبي الأمين ، والهيكल العظيم من قول الرسول الكريم ، والحرز المكنون ، من لفظ المعصوم المأمون ، بذلت فيه

النصيحة ، وأخرجته من الأحاديث الصحيحة ، أبرزته عدة عند كل شدة ، وجرده  
جنة تقي من شر الناس والجنة . تحصنت به فيما دهم من المصيبة ، واعتصمت من كل  
ظالم بما حوى من سهام المصيبة ، وقلت :

ألا قولوا لشخص قد تقوى على ضعفي ولا يخشى رقيبى .  
حيأت له سهما في الليالي وأرجو أن تكون له مصيبة  
قال : ولما أكلت ترتيبه وتهذيبه طلبني عدو لا يسكن أن يدنعه الا الله تعالى  
فهربت منه مختفياً و تحصنت بهذا الحصن : فرأيت سيد المرسلين صلى الله عليه  
وسلم وأنا جالس على يساره ، وكأنه يقول ماتريد ؟ فقلت يارسول الله ادع الله لي  
و للمسلمين ، فرفع يديه الكريمتين وأنا أنظر اليهما فدعا ثم مسح بهما وجهه الكريم ،  
وكان ذلك ليلة الخميس ، فهرب العدو ليلة الأحد ، وفرج الله عني وعن المسلمين  
ببركة هذا الكتاب عنه صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وما كان يقوله في دعاء الوتر وهو : (اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك  
ونؤمن بك وتتوكل عليك ) الى آخره ، وفي رواية ( اللهم اهدني فيمن هديت ،  
وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقتني شر  
ما قضيت ) الى آخره .

وما كان يقوله اذا أتى فراشه ، وما يقوله اذا استيقظ من منامه ، وما يقوله في  
الليل ، وما يقوله حال خروجه من بيته واذا دخله ، وما كان يقوله في غير ذلك من  
الأحوال ، كالاستسقاء ونحوه مما هو خارج الصلاة أو داخلها : فشيء لا يسعه هذا  
المقام .

( والمقصود ) أن جميع ادعيته ليس فيها استغاثة بمخلوق ، ولا اقسام به ، ولا  
توسط أحد ولا توسل به ، ومن شرط كل مؤمن الاقتداء به صلى الله عليه وسلم ،  
قال تعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ )<sup>(١)</sup>

وفي الأحاديث الصحيحة التي رواها الامام البخاري والامام مسلم وغيرهما  
من جمع الصحيح شيء كثير مما يتعلق بهذا الباب ، كحديث ابن عباس ، وفيه  
( اذا استعنت فاستمع بالله ) وقد سبق ذكره ، والرسول صلى الله عليه وسلم أبطل  
دين المشركين ، ومداره على الاستغاثة والاتجاه الى غيره ، وهي كانت عبادة

(١) آل عمران : ٣١

الوثنيين ، وكالذبح والنذر ، غير أنهم كانوا عند النوايب يستغيثون بالله سبحانه ، بخلاف عباد القبور في عصرنا .

(وأما ماورد عن عباد الله الصالحين ) مما أخلصوا فيه الدعاء انى الله والتجؤا اليه سبحانه ولم يستعينوا فيه الى مخلوق فهو كثير ، وقد صنف الامام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المتوفى سنة ثمان وسبعين وخسمائة كتابه الذي سماه ( المستغيثين بالله عند الحاجات والمهمات ، والمتضرعين الى الله سبحانه وتعالى بالرغبات ) وهو كتاب جليل يسوء النبهاني اذا رآه ، ومنه يعلم أن الصالحين والأولياء الكاملين كلهم كانوا في جميع حالاتهم مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى ابن بشكوال في كتابه هذا عن عبد الله بن المبارك أنه قال : كنت في غزوة فوق فرسي ميتا فرأيت رجلا حسن الوجه طيب الرائحة ، قال : أتحب أن تركب فرسك ؟ قلت : نعم ، فوضع يده على جهة الفرس حتى انتهى الى مؤخره ، وقال : أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله ، وبعظمة عظمة الله ، وبجلال جلال الله ، وبقدرة قدرة الله ، وبسلطان سلطان الله ، وبلا اله الا الله ، وبما جرى به القلم من عند الله ، وبلا حول ولا قوة الا بالله ، ألا انصرفت : فوثب الفرس قائما باذن الله تعالى ، وأخذ الرجل بركابي ، وقال : اركب ، فركبت ، ولحقت بأصحابي الى آخر القصة .

( ومن أدعية الامام زين العابدين السجاد رضي الله تعالى عنه ) اللهم ان تشأ تعف عنا فبفضلك ، وان تشأ تعذبنا فبعذلك ، فسهل لنا عفوك بمنك ، وأجرنا من عذابك بتجاوزك ، فانه لا طاقة لنا بعذلك ، ولا نجاة لأحد منا دون عفوك ، ياغني الأغنياء ، هانحن عبادك بين يديك ، وأنا أفقر الفقراء بين يديك ، فاجبر فاقتنا بوسعك ولا تقطع رجاءنا بمنك ، فتكون قد اشقيت من استسعد بك ، وحرمت من استتردد فضلك ، فالى من حينئذ منقلبنا عنك ، والى أين مذهبنا عن بابك ، سبحانه نحن المضطرون الذين أوجبت اجابتهم ، وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم ، وأشبه الأشياء بمشيئتك وأولي الأمور في عظمتك رحمة من استرحمك ، وغوث من استغاث بك ، فارحم تضرعنا اليك ، وأغننا اذ طرحنا أنفسنا بين يديك ، اللهم ان الشيطان قد شمت بنا اذ شايعناه على معصيتك ، فصل على محمد وآله ولا تشمتنا بنا بعد تركنا اياه لك ، ورغبتنا عنه اليك .

وكم له من مثل هذا الدعاء والاتجاء ماتير منه أنوار التوحيد ، وتشرق منه

شموس الايمان والتجريد ، وأين هو من أدعية غلاة القبوريين ، طهر الله تعالى الأرض منهم أجمعين •

( ومن وصايا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه ) مقال لولده حين استوصاه وهو في مرض الموت : عليك بتقوى الله وطاعته ، ولا تخف أحدا ولا ترجه ، وكل الحوائج كلها الى الله عز وجل ، واطلبها منه ، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل ، ولا تعتمد الا عليه سبحانه ، التوحيد ، التوحيد ، التوحيد ، وجماع الكل التوحيد •

( وقال في مرض موته ) اذا صح القول مع الله عز وجل لا يخلو منه شيء ولا يخرج منه شيء ، ثم قال : وقال لأولاده ابعدوا من حولي فأنا معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن •

( ثم قال ) قد حضر عندي غيركم فوسعوا لهم وتأدبوا معهم ، ههنا زحمة عظيمة ولا تضيفوا عليهم المكان ، وأخبر بعض ولده أنه كان يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، غفر الله لي ولكم ، وتاب الله علي وعليكم ، باسم الله غير مودعين •

وله أحزاب كثيرة ، ووصايا كلها على ما كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصايا على التوحيد وافراد الله تعالى بخصائصه ، كل ذلك مشهور متداول بين الناس ، وأحزابه التي يقرأ كل حزب منها في يوم من أيام الأسبوع يقرأها الناس ويعرفونها ، ومقامه في باب التوحيد واتباع السنن ليس يخفى على أحد، ولكنه خلف من بعده خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا •

( وقال رضي الله عنه في كتابه فتوح الغيب والغنية ) ينبغي لكل مسلم موحد أن لا يتكل الا على الله ، ولا يستغيث الا بالله ، ولا يعتقد التصرف الا لله ، وأن يجعل مرآة عمله حديث ابن عباس ، قال : ( كنت راكبا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ) • ويكفيك أيها المسترشد قوله تعالى في الفاتحة التي تقرأها في صلاتك ( اياك نعبد و اياك نستعين ) فلا تعبد غيره ، ولا تستعن الا به ، ولا تطلب الا منه ، فهذا هو التوحيد اه



(ومن كلام الشيخ محي الدين ابن عربي شيخ الصوفية) عند الكلام على قوله تعالى (الَّذِينَ يوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) <sup>(١)</sup> قال : ومن أعظم المواثيق أن لا يسأل العبد سوى مولاه جل شأنه ، وفي قصة أبي حمزة الخراساني ما يشهد بعظم شأنه ، فقد عاهد ربه أن لا يسأل أحدا سواه . فاتفق أن وقع في بر فلم يسأل أحدا من الناس المارين عليه اخراجه منها حتى جاء من أخرجه بغير سؤال ، ولم ير من أخرجه ، فهتف به هاتف كيف رأيت ثمرة التوكل ، فينبغي الاقتداء به في الوفاء بالعهد على ما قال أيضا ، وقد أنكر ابن الجوزي فعل هذا الرجل وبين خطاه وان التوكل لا ينافي الاستغاثة في تلك الحال ، وذكر أن سفیان الثوري وغيره قالوا لو أن انسانا جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار ، ولا ينكر أن يكون الله تعالى قد لطف بأبي حمزة الجاهل ، نعم لا ينبغي الاستغاثة بغير الله تعالى على النحو الذي يفعله الناس اليوم مع أهل القبور الذين يتخللون فيهم ما يتخللون ، فأه ثم آه مما يفعلون .

(وقال الشيخ محي الدين أيضا) في الفتوحات المكية : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لاتجعل غيري موضع حاجتك وسلني حتى الملح تلقيه في عجنتك ، هذا تعليم من الله تعالى لنبيه عليه السلام ، وقد رأيت سبحانه في النوم ، فقال : وكلني في أمورك فوكلته فما رأيت الا عصمة محضة ولله الحمد على ذلك ، ويكفي في التعليم قوله سبحانه ( اياك نعبد و اياك نستعين ) أي لانعبد سواك ولا نستعين بمخلوق ، وحديث ابن عباس : ( واذا استعنت فاستعن بالله ) ، وقوله تعالى : ( وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ) <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ( قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) اه <sup>(٣)</sup>

وقال الامام زين العابدين السجاد : كيف يسأل محتاج محتاجا ، وقال الامام الغزالي : المؤمن لا يجعل بينه وبين الله تعالى وسائط في الطلب ، قال تعالى : ( وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ) . <sup>(٤)</sup>

(وفي تفسير روح المعاني) عند الكلام على قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ يَدْعُونَ

(١) الرعد : ٢٠ - (٢) الزمر : ٤٥ - (٣) الاسراء : ١١٠ - (٤) ق :

اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (١) مانصه : ما أعظمها آية في النعي على من يستغيث بغير الله تعالى من الجمادات والأموات ، ويطلب منه ما لا يستطيع خلقه لنفسه أو دفعه عنها .  
وقال بعض أكابر السادة الصوفية : ان الاستغاثة بالأولياء محظورة الا من عارف يميز بين الحدوث والقدم ، يستغيث بالولي لا من حيث نفسه بل من حيث ظهور الحق فيه ، فان ذلك غير محذور ، لأنه استغاثة بالحق حينئذ .

وأنا أقول : اذا كان الأمر كذلك فما الداعي للعدول عن الاستغاثة بالحق من أول الأمر ؟ وأيضا اذا ساغت الاستغاثة بالولي من هذه الحيثية فلتسغ الصلاة والصوم وسائر أنواع العبادة له من تلك الحيثية أيضا ، ولعل القائل بذلك قائل بهذا ، بل قد رأيت لبعضهم ما يكون هذا القول بالنسبة اليه تسييحا ، ولا يكاد يجري قلبي أو يفتح فمي بذكره ، فالطريق المأمون عند كل رشيد ، قصر الاستغاثة والاستعانة على الله عز وجل ، فهو سبحانه الحي القادر العالم بمصالح عباده ، فاياك والانتظام في سلك الذين يرجون النفع من غيره تعالى .

وفي هذا التفسير أيضا : ( إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا ) (٢) اشارة الى ذم الغالين في أولياء الله تعالى حيث يستغيثون بهم في الشدة غافلين عن الله تعالى ، وينذرون لهم النذور ، والعقلاء منهم يقولون انهم وسألنا الى الله تعالى ، وانما ينذر له عز وجل ، ويجعل ثوابه للولي ، ولا يخفي أنهم في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام ، القائلين : ( مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ) (٣) ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك ، والظاهر من حالهم الطلب ، ويرشد الى ذلك أنه لو قيل انذروا الله تعالى واجعلوا ثوابه لوالديكم فانهم أحوج من أولئك الأولياء لم يفعلوا ، ورأيت كثيرا منهم يسجد على أعتاب حجر القبور للأولياء ، ومنهم من يثبب التصرف لهم جميعا في قبورهم ، لكنهم متفاوتون فيه حسب تفاوت مراتبهم ، والعلماء منهم يحضرون التصرف في القبور في أربعة ، أو خمسة ، واذا طولبوا بالدليل قالوا ثبت ذلك

(١) النحل : ٢٠ ، ٢١ - (٢) الحج : ٧٣ - (٣) الزمر : ٢

بالكشف ، قاتلهم الله تعالى ما أجهلهم وأكثر افتراءهم ، ومنهم من يزعم أنهم يخرجون من القبور ويتشكلون بأشكال مختلفة ، وعلماءهم يقولون انما تظهر أرواحهم متشكلة وتطوف حيث شاءت ، وربما تشكلت بصورة أسد أو غزال أو نحوه ، وكل ذلك باطل لأصل له في الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة ، وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم ، وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارى ، وكذا لأهل النحل والدهرية ، فسنأل الله تعالى العفو والعافية .

وفيه أيضا عند الكلام على قوله تعالى : ( وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ) (١) الآية فيه اشارة الى ذم المتصوفة الذين اذا سمعوا الآيات الرادة عليهم ظهر عليهم التجهم والبسور وهم في زماننا كثيرون ، فافا لله وانا اليه راجعون .

وقال لما تكلم على قوله تعالى : ( فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ) من سورة والنازعات : انه اقسام من الله تعالى بطوائف من ملائكة الموت ، وقيل غير ذلك ، الى أن قال : وفي حمل المدبرات على النجوم ايها صحة ما يزعمه أهل الأحكام وجهلة المنجمين ، وهو باطل عقلا ونقلا ، كما أوضحنا ذلك فيما تقدم ، وكذا في حملها على النفوس الفاضلة المفارقة ايها صحة ما يزعمه كثير من سخفة العقول من أن الأولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض واثقاد الغريق والنصر على الأعداء ، وغير ذلك مما يكون في عالم الكون والفساد ، على معنى أن الله تعالى فوض اليهم ذلك ، ومنهم من خص ذلك بخسة من الأولياء ، والكل جهل وان كان الثاني أشد جهلا ، الى آخر مقال .

وفيه أيضا على قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَأَّلُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ) . (٢)

ذكر بعض الغلاة أنه اشارة الى أنه لا ينبغي لمن يريد الدخول على الأولياء أن يدخل حتى يجد روح القبول والاذن بافاضة المدد الروحاني على قلبه المشار اليه بالاستئناس ، فانه قد يكون للولي حال لا يلبق للداخل أن يحضره فيه وربما يضره ذلك ، وطرد بعض الصوفية ذلك فيمن يريد الدخول لزيارة قبور الأولياء ، فقال :

(١) الحج : ٧٢ - (٢) النور : ٢٧

ينبغي لمن أراد ذلك أن يقف بالباب على أكمل ما يكون من الأدب ويجمع حواسه ويعتمد بقلبه طالبا الاذن ، ويجعل شيخه واسطة بينه وبين الولي المزور في ذلك ، فان حصل له انشراح صدر ومدد روحاني وفيض باطني فليدخل والا فليرجع ، وهذا هو المعنى بأدب الزيارة عندهم .

قال المفسر رحمه الله في رده : ولم نجد ذلك عن أحد من السلف الصالح ، والشيعة عند الزيارة للأئمة ينادي أحدهم أدخل يا أمير المؤمنين ؟ أو يا ابن بنت رسول الله ؟ أو نحو ذلك ، ويزعمون أن علامة الاذن حصول رقة القلب ودمع العين ، وهو أيضا مما لم نعرفه عن أحد من السلف ، ولا ذكره فقهاؤنا ، وما هو الا بدعة ، ولا يعد فاعلها الا ضحكة للعقلاء ، وكون المزور حيا في قبره لا يستدعي الاستئذان في الدخول لزيارته ، وكذا ما ذكره بعض الفقهاء من أنه ينبغي للزائر التأدب مع المزور كما يتأدب معه حيا كما لا يخفى .

قال : وقد رأيت بعد كتابتي هذا في ( الجوهر المنظم في زيارة القبر العظيم ) صلى الله تعالى على صاحبه وسلم لابن حجر المكي مانصه : قال بعضهم : وينبغي أن يقف يعني الزائر بالباب وقفة لطيفة كالمستأذن في الدخول على العطاء ، انتهى . وفيه : أنه لأصل لذلك ، ولا حال ولا أدب يقتضيه ، انتهى .

ومنه يعلم أنه اذا لم يشرع ذلك في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فعدم مشروعيته في زيارة غيره من باب أولي ، فاحفظ ذاك ، والله تعالى يعصنا من البدع وإياك .

وفيه أيضا على قوله تعالى : ( وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ )<sup>(١)</sup>

وقد رأينا كثيرا من الناس على نحو هذه الصفة التي وصف الله تعالى بها المشركين ، يهشون لذكر أموات يستغيثون بهم ، ويطلبون منهم ، ويطلبون من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق هواهم واعتقادهم فيه ، ويعظمون من يحكى لهم ذلك وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده ، ونسبة الاستقلال بالتصرف اليه عز وجل وسرد ما يدل على مزيد عظمته وجلاله ، وينفرون ممن يفعل ذلك كل النفرة وينسبونه الى ما يكرهه . وقلت يوما لرجل يستغيث في شدة ببعض الأموات وينادي يا فلان أغثني -

(١) الزمر : ٥٥

فقلت له : قل يا الله ، فقد قال سبحانه : ( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ )<sup>(١)</sup> فغضب وبلغني أنه قال : ان فلانا منكر على الأولياء ، وسمعت عن بعضهم أنه قال الولي أسرع اجابة من الله عز وجل ، وهذا من الكفر بمكان ، نسأل الله تعالى أن يعصنا من الزيغ والبطيان .

وفيه أيضا عند الكلام على قوله تعالى : ( حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَإِنَّمَا أَنْجَيْنَاهُمْ إِذْ هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ )<sup>(٢)</sup>

لما كان يوم الفتح فرّ عكرمة ابن أبي جهل فركب البحر فأصابتهم عاصف ، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لا تنغي عنكم شيئا ، فقال عكرمة : لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص ما ينجني في البر غيره ، ألهم ان لك عهدا ان أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده فلاجدنه عفوا كريما ، قال : فجاء فأسلم .

وظاهر الآية أنه ليس المراد تخصيص الدعاء فقط به سبحانه بل تخصيص العبادة به تعالى أيضا لأنهم بمجرد ذلك لا يكونون مخلصين له الدين ، وأياما كان فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك الحال .

وأنت خير بأن الناس اليوم اذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع ، فمنهم من يدعو الخضر والياس ، ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس ، ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة ، ومنهم من يضرع الى شيخ من مشائخ الأمة ، ولا ترى فيهم أحدا يخص مولاه بتضرعه ودعاه ، ولا يكاد يمر له ببال انه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال ، فبالله تعالى عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحثية أهدى سبيلا ، وأي الداعيين أقوم قيلا ، والى الله تعالى المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة ، ونلاطمت أمواج الضلالة ، وخرقت سفينة الشريعة ، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة

(١) البقرة : ١٨٦ - (٢) يونس : ٢٢ ، ٢٣

وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف ، ومالت دون النهي عن المنكر صنوف الختوف .  
 وفيه أيضا في تفسير قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا  
 وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) وقد أورد كلاما حاصله أن  
 ينتجىء الانسان في المهمات اليه تعالى ، ثم قال : وفي الآية اعلام بأن الذنوب وان  
 جلت وعظمت فان عفو الله تعالى وكرمه أعظم وأجل ، وما ألفت فول أبي نواس  
 غفر الله تعالى له :

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة      فلقد علمت بأن عفوك أعظم  
 ان كان لا يرجوك الا محسن      فبمن يلوذ ويستجير المحسرم  
 ومما ينسب للامام الشافعي رضي الله تعالى عنه :

ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي      جعلت الرجا ربي لعفوك سلسا  
 تعاطمني ذنبي فلما قرنته      بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وكم في هذا التفسير الجليل الشأن من مسائل تتعلق بوجوب تحقيق توحيد  
 الملك الدنان ، وافراده سبحانه بأن يستغاث ويستعان .

وفي كتاب ابن أبي الدنيا - الذي ألفه في كلام المحتضرين - شيء كثير من  
 كلام الصالحين ، والأولياء والعارفين ، الذي تكلموا في آخر عمرهم ، وقد حصروا  
 الاستعانة والالتجاء به تعالى ، وانه لا ينبغي أن يستغاث بغيره ، نظما ونثرا ، وقد  
 أفرد له الغزالي بابا في الاحياء ، وأتى الزبيدي في شرحه بملخص كتاب المحتضرين  
 لابن أبي الدنيا ، تركنا ذكره لطوله وكونه متداولاً هذا الكتاب بين الناس .

ومن المنظوم في هذا الباب ما قاله اشاعر الشهير الشيخ صالح تجاوز الله عنه :

ياسائل غير الله انسا      بشراك بالخيسة والرد  
 ان الذي سواك من نظفة      يعينك عن مسألة العبد

ولآخر

لا تسألن من ابن آدم حاجة      وسئل الذي أبوابه لاتحجب  
 الله يغضب ان تركت سؤاله      وبسبي آدم حين بسأل بغضب

وللعامة الجليل ، والفاضل النبيل ، محدث عصره ، وحافظ مصره . الشيخ  
 علي السويدي ، صاحب كتاب العقد الثمين عليه الرحمة :

يانفس كم لاتعبين بحالي      هن اعنتت بفرقة الأمثال

ذهب الزمان بأهله وتخلفت  
بس الخلائق هم ولا ذكرى لهم  
أخلاقهم نقض العهود ودأبهم  
لا يعرفون وداد من صافهم  
لا يسألون عن الصديق كأنهم  
ألقوا الجفاء فس أتى منهم بما  
أديانهم دنيا بدت تبدي لنا  
يتفاخرون بجمع أموال غدت  
أفلا يرون بني اليهود وعابدي الـ  
اني بلوتهم فلم أر فيهم  
لاخير فيهم غير أن وفاتهم  
يا نفس عدي عنهم وتصبري  
وتخيلي لثألهم من طينة  
وثقي بمن خلق السموات العلى  
والله ما أسفي غدا الا على  
مع أنني من فضل ربي ليس لي  
يا صاحب النفس الملوثة اني  
صاح استمع نصحا أتاك مفصلا  
بادر بقايا عمرك الفاني فلا  
واشغل فؤادك دأباً متفكراً  
واخلص عبادتك التي باشرتھا  
واشغل بذكر الله قلبك لاهجا  
واجعل ممالك نصب عينك انه  
واعلم بأنك بعد ذلك محاسب  
واعلم بأنك بعد ذلك صائر  
وادأب على حفظ الشريعة سالكا  
وابداً بحفظ القلب عن شبهاته  
وكذلك فاحفظه عن الشهوات اذ

أخلاف سوء عادموا أفضال  
أشباح أهواء ومحض خيال  
خلف النعود وزخرف الأقسوال  
ويرون ذلك شعبة لفضلال  
جلوا عن الاثبات والأمثال  
فيه الوفاء فقد أتى بمحال  
ما فيهم من أسوء الأفعال  
نسبا شريفا وابتهاج جمال  
أنداد أجمع منهم للمال  
الا البلاء وأعظم البلبال  
نكد وهم مؤذن بوبال  
فهم الغشاء ودمنة الأطلال  
غبراء وانظر مقتضى التمثال  
الواحد المتكبر المتعالي  
ما ضاع مني سابق الأحوال  
ضع بجاه عندهم وبما  
أنهاك دهشتها بيوم كلال  
كنفصل العقيان فوق لئال  
تصرفه الا في الرضى المتوالي  
نما يليق بمنصب الاجلال  
في القول والأحوال والأفعال  
بصفاته العليا بلا امال  
أولى الأمور وأنصح الأحوال  
فاضبطه لاتك فيه ذا اهمال  
اما الى بؤس أو الأفضال  
سبل الهدى لا قاليا أو غالي  
واعرف مساويها على الاجمال  
بالحفظ من هذين كل كمال

ثم اسقه ماء الحياة بواعظ  
واحرس فراغك بالتذكر انه  
واخفظ جوارحك التي أوتيتها  
واعلم بأنك ما خلقت سهلاً  
واجعل سلاحك دعوة بانابة  
واسأله لاتسأم فانك عبده  
يارب فاقطع عن فؤادي كل ما  
واغسله من درن الظنون فانه  
وأرحه من نظر العباد فانه  
وارزقه خشيتك التي تستوجب ال  
يارب وفقني لما فيه الرضى  
واختم لنا بالخير عاجله الذي  
يارب اني عبدك الجاني على  
واجعل صلاتك دائماً تترى على  
وكذا على آل له وصحابة

فانظر الى قوله واسأله لاتسأم الخ ، وفي نسخة :

واسأله لاتسأل سواه فانه المولى الكريم ورب كل نساء

وقوله : يارب فاقطع الخ ، والى قوله : وأرحه من نظر العباد الخ ، والى سائر أقواله تجد أنوار التوحيد تشرق منها ، وهكذا المؤمن المتبع لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستمد ولا يستغيث ولا يلتجئ ولا يستعين الا بالله ، ومن كان على قلبه حجاب الغفلة وصدأ الضلال وداء الزيف أعرض عن الله ، ونادى غيره ، وأقبل على ما سواه وشرع يتشبث بالشبهات الواهية ، والدلائل الفاسدة ، والحكايات الكاذبة ، ولم يلتفت الى نصوص الشريعة الغراء ، وما ورد من الأحاديث الصحيحة الصريحة ، وعليك بما ألفه هذا الناظم الفاضل في العقائد السلفية ، وهو كتاب ( العقد الثمين ) وقد بلغني أن بعض أفاضل الحنفية كتب في وصيته لبيته أن يقرأ هذا الكتاب ، ويعقدوا خناصر قلوبهم على حفظه ، فان النجاة فيه وفي أمثاله من كتب حفاظ الحديث وعلماء السنة النبوية ، وهذا الكتاب جمع جميع ما يجب على



المكلف معرفته ، ولذلك قال فيه العالم العلامة الشيخ محمد خليل الدمشقي الشهير  
بابن الخشة مقرظا ومادحا لهذا الكتاب وذاكرا فيه بدع الغلاة وهو قوله :

فحق بالحق أن يدعى بملا على  
هو الشفاء لمرضى الغي والخطل  
منه عيون الهدى أحلى من العسل  
بل قد غلا وعلا فيه على الأول  
فالشمس رادالضحى كالشمس في الطفل  
الى صراط سوي جل عن دغل  
تلك البرود فكانت أشرف الحل  
منها البراهين تمحو غيب الزل  
لدى الالي سكروا عن شرعة الرسل  
زاغوا فعندهم ابليس خير ولي  
شرائع الدين أو سبوه بالجمل  
وبعضهم قال هم عنها لقي شغل  
والقشر عندكم للرد والجدل  
أحوالهم كي تظنهم من السفل  
أقلها سد ثقب الفلك عن خلل  
بحر ولا تقذر الأمواج بالبصل  
هي الغرور من الشيطان للختل  
لا يدرك الفرق بين الجذب والخبل  
غشت على عين شرع الله بالقذل  
ومن جيون ومن حمق ومن ثمل  
وثور أعلامهم من أسمع الجيل  
مخشوشع ضارع ييكي بكا العيل  
ونكس رؤسهم باللثم والقبيل  
فخذه واقتله وانصرني على عجل  
نذري اليك كذا يأتي بلا مهل  
ظهر الارب وكم نبل من الأسل

لله در امام ساد كل على  
اهدى الينا كتابا من براعته  
ابدى به من رقيق الفكر فانفجرت  
لاغرو فهو امام العصر جهبذه  
لاضير ان أشرقت فينا طوالعه  
عقائد هي عين الحق هادية  
من سنة المصطفى والآي قد نسجت  
وطرزت بدراري العقل ساطعة  
قد أظهرت بدعا صارت ترى سننا  
قوم هم نهجوا سبل الغواية اذ  
والقطب والغوث والابدال من تركوا  
قلنا لهم لم يصلوا قيل عندكم  
جهال قلنا فقالوا اللب عندهم  
فساق قلنا فقالوا يسترون على  
قلنا زناة فقالوا ذاك عن حكمهم  
قلنا لهم يأكلون السحت قيل هم  
برهانهم من حكايات مزخرفة  
عمي عن الحق صم حيث عالمهم  
تبا وتبا لسياراتهم فلقد  
تكونت من مناكير منغصة  
ولو ترى لرأيت النكر غشولهم  
وطالمنا مر من للدين منتسب  
وهزهم للتساويت التي ارتفعت  
وقولهم يا بني يحيى عليك به  
وغائبني يوم تأتيني به عجلا  
كم غصة قتلت كم رجفة قصمت

حتى أقامت به الأعداء حججهم  
واضيعة الدين اذ أهل الكتاب غدت  
وياخسارتهم ياقبح ما فعلوا  
وياشقاوة قوم بين أظهرهم  
ادواء لا يرتجى برء لعلتها  
ألم يروا نقم الله التي اشتعلت  
سكرى ثمت بدن من معتقة  
ماست رويدا وكان النثر يقعدها  
واستحكم السكر منها فانتت طربا  
هاجت بها ريح نجد بالصبا سحرا  
غنت عراقا وغنت بالحجاز على  
وقودها الناس بل من غيضا شهقت  
فتكا وذبحا وبقرا للبطون على  
ولات حين مناص حيث داهية  
كأنما صيحة الله التي عقلت  
وهكذا يصنع الله متى اتهمت  
هلا رجعنا لمحو الذنب حين ربا  
مستمكين بعروى دين أحمدنا  
تذب عن بيضة الاسلام من كتب  
ياسيد الدهر ماهذا الأنين على  
ويابديع المعاني راح يلمزها  
ناديت صما ولكن لاحياة لهم  
رشيت نبلا ولكن لاحراك لها  
وهل منار السهى وازى الحضيض علا  
حركت منى هوى قد لج في كبدي  
وأنت كشاف غم العضلات اذا  
خفرت ذمة أهل الله فأتمنوا  
شكرا لسعيك قد وفيت عهدك لا

من كل منتقص للدين أولولي  
تظن ذا دين خير الرسل واخجلي  
كأنهم لم يميزوا الرب من هبل  
لو نافقوا وتلوا متنا من الخبيل  
الا بشرب جوب الموت بالعلل  
ترمى جمالات صفر من لظى الجلل  
ماشيب فيها سوى الدردي بالأصل  
حتى ارتوت بغبوق النهل والعلل  
تهتر في خب رقصا وفي رمل  
وناح صدح رخيم الناي بالزجل  
برج النوى بافانين من الغسزل  
بالطفل والحمل والأنعام للنزل  
عقر البهائم بعد القطع للسبل  
دهماء قد سطرت في سابق الأزل  
أودت بعقل أولي الأبواب ذي الدون  
شرائع الدين صونا منه عن بدل  
مستمطرين الدما من صيب المقل  
مستوثقين بمولى خير متكل  
بصارم الشرع نرجو منة النقل  
آثار سعدى وسعد الدين في زحل  
قوما غدوا يعدلون الذر بالجميل  
هيهات هيهات عن ذا الكل في شغل  
هل يخرق السهم صم الصخر والجبل  
وهل يطابق معوج بمعتدل  
نضيحة خلط الاخلاط بالعضل  
غبطا يقولون جار الله معتزلي  
وجزت فيهم صراط الناسك النكل  
تخشى السوى حبذا من عالم بطل

قفوت آثار آل كلهم ممن  
 غر فضائلهم عز فواضلهم  
 أدنى الخطا لمعالي نيل سوددهم  
 لو لم يكونوا أسودا ماجرى مثلا  
 باتوا فكانت سويدا القلب مسكنهم  
 كفى كفى الناس عزا منكم وبكم  
 على البيرية اذ جلوا عن المثل  
 نور شمائلهم بالعلم والعمل  
 لو رامها البدر في عامين لم يصل  
 ما في السويدا رجال يوم مرتحل  
 على الحقيقة خوفا من عتا المقل  
 كما كفى الشعر عزا أنه بعلي

وكان هذا الفاضل رحمه الله تعالى من أعيان علماء دمشق الشام ، وكان سلفي  
 العقيدة ، وكم له من قصائد غراء منع فيها الاستغاثة والالتجاء بغير الله تعالى ، وكان  
 سيفا في أعناق الغلاة المبتدعة عبدة القبور ، ولا بدع ففي دمشق أنصار الدين ،  
 وأئمة الحديث ، وحفظة السنة ، لاهتك الله لهم حريما ، ولا مزق لهم أديسا ، ولا  
 أخلى الله تعالى الزمان من مثلهم •  
 ومن ذلك الأبيات المشهورة ، وقد قالوا انها استغاثة مباركة مادعا بها أحد في  
 حاجة الاقضية ولا توسل بها مريض الا شفي باذن الله تعالى - وهي :

يامن يرى ما في الضمير ويسمع  
 يامن يرجى للشدائد كلهم  
 يامن خزائن ملكه في قول كن  
 مالي سوى فقري اليك وسييلة  
 مالي سوى قرعي لبابك حيلة  
 ومن الذي أدعو وأهتف باسمه  
 حاشا لجودك أن تقنط عاصيا  
 بالذل قد وافيت بابك عالما  
 وجعلت معتمدي عليك توكللا  
 فاجعل لنا من كل ضيق مخرجا  
 ثم الصلاة على النبي وآله  
 أنت المعد لكل مايتوقع  
 يامن اليه المشتكى والمفزع  
 آمنن فان الخير عندك أجمع  
 فبالافتقار اليك فقري أذفع  
 ولئن طردت فأبي باب أقرع  
 ان كان فضلك عن فقيرك ينفع  
 الفضل أجزل والمواهب أوسع  
 ان التذلل عند بابك ينفع  
 وبسطت كفي سائلا أتضرع  
 والطف بنا يامن اليه المرجع  
 خير الخلائق شافع ومشفع

ومن ذلك قول بعض العارفين - وهي استغاثة مباركة أيضا لم يزل الصالحون  
 يناجون مولاهم بها ويستمطرون سحائب لطفه تعالى :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا      وبت أشكو الى مولاي ماأجد

وقلت يا أملي في كل نائبة  
أشكو اليك أمورا أنت تعلمها  
وقد مددت يدي بالذل مبتهلا  
فلا تردنها يارب خائبة  
ومن ذلك ماقاله البستي في قصيدته الشهيرة :

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته  
من يتق الله يحمده في عواقبه  
من استعان بغير الله في طلب  
ولبعض الصالحين ، وهي قصيدة مشهورة - وقد خمسها بعض أهل الزهد  
وهذا الأصل والتخسيس :

رفعت مقامي منة وتفضلا  
ومنك ملأت الكف لي لا من الملا  
تباركت تعطي من تشاء وتمنع  
عروس التجلي في فؤادي تجلي  
وأرجوك يا مولاي إذا التفضل  
إليك لدى الأعمار واليسر أفرع  
إذا كنت لي في جملة الأمر معني  
فلمست أبالي مع عيوي (١)  
فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أشفع  
أنا العبد عبد الرق في كل حالة  
لك الأمر في الحرمان أو في العظيمة  
فغفوك عن ذنبي أجل وأوسع  
إذا سلكت دنياي بالحال سبلها  
فلمست يئوسا بل أقول لعلها  
فها أنا في روض الندامة أرتع  
إليك رجائي ينتمي واضفاقتي  
ومنك أرى سكري بدا وافاقتي

(١) هذا الشطر ناقص فليحذر

وهب أنتي أخرت عن سير ناقتي الهي ترى حالي وفقري وفاقتي  
وأنت مناجاتي الخفية تسمع

بحبك ثوبي في البرية منصبع ولا زال بالأشواق جلدي يندبع  
وقلبي على الحالين من أمره لدغ الهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ  
فؤادي فلي في سيب جودك مطمع

جداري على تأسيس جدواك قد بنى ولا زال قلبسي بالتذكر يعتني  
واني أنادي كلما الوجد حثي الهي أجري من عذابك اني  
أسير ذليل خائف لك أخضع

رفعت الى علياء جاهك قصتي عسى تكشف الآن بقربك غصتي  
إذا أنت بالتوحيد طبق محجتي الهي فأنسي بتلقين حجتي  
إذا كان لي في القبر مثوى ومضجع

أنا العبد ملق بالرجا وسط لجة ورجت غراما أرض نفسي بسرجة  
ولست أرى عذرا ولا بعض حجة الهي لئن عذبتسي ألف حجة  
فجبل رجائي منك لا يتقطع

سألتك تعفو عن ذنوبي تفضلا فاني لقد أكثرت فيك التوكلا  
بأسمائك الحسنى دعوت توسلا الهي أذقني طعم عفوك يوم لا  
بنون ولا مال هنالك ينفع

حديث غرامي فيك لا زال شايعا وأنت اشترت النفس مذ كنت بايعا  
فجد لي بأمن منك لأأك رايعا الهي لئن لم ترغني كنت ضايعا  
وان كنت ترعاني فلست أضيع

عليك ثنائي من جميعي بالسن على كل فعل من فعالك بي سنى  
أتيت بذنب لي عن الغير مرسن الهي اذا لم تعف عن غير محسن  
فمن لمسيء بالهوى يتمتع

هو العبد من مولاه بالمنة ارتقى غداة له كأس المحبة قد سقى  
عليك اتكالي قد عدمت لك البقا الهي لئن قصرت في طلب التقى  
فلست سوى أبواب فضلك أقرع

دفعت عذول الحب عنسي بالتي وفيك فتى أصبحت نحوك ماقتي  
فان عثرت رجلي وجلت خطيئتي الهي أقنسي عثرتي وامسح زلتي  
فاني مقرر خائف متضرع

مجبك لما أنت جدت له فنى  
 وها أنا راجي الفضل ماغتك أثني  
 فهيات ان تلقاه بالخير معنتي  
 الهى لنن خييتسي وطرديتي  
 فما حيلتي يارب أم كيف أصنع  
 جمالك باه في الملاحه باهر  
 ومنك يواقيت بدت وجواهر  
 الهى حليف الحب بالليل ساهر  
 أبقي ومنه قد تجلت مظاهر  
 يناجي ويكي والفقول يهجع  
 مقامك أضحي بانتسابي عاليها  
 فأخرجت من أصداف علمي لثايبا  
 وحزني أولوا التحقيق راموا مراميا  
 وكلهم يرجو نوالك راجيسا  
 والا فبالذنب المدمر أصرع  
 لوجهك قوم أولعوا بجماله  
 وكل تفاني طامعما بوصاله  
 فبدل لنا نقص الهوى بكماله  
 الهى بعلم الهاشمي وآله  
 وتوحيد أبرارهم لك أخشع  
 ظهورك بي عندي أراه علامة  
 على أنك المسدي الي كرامة  
 وان رامت الأغيار مني انتقامه  
 الهى أنلني من رجائي سلامة  
 وقبح خطيئاتي علي يشنع  
 مقام الترجي للسوال هو الذي  
 أقام ذؤادي بالتردد يفتذي  
 وان لساني في ثنا مدحه بذي  
 الهى لنن تعفو فعفوك منقذي  
 واني يارب الورى لك أخضع  
 امام الهدى اني ورائك مقتدي  
 ولي فيك قلب من تشوقه صدى  
 وقد بت أستجدي باحشاء مكمد  
 الهى فائسرنني على دين أحمد  
 منيبا تقيا اتنا لك أضرع  
 سماء العطايا قد رفعت لها يدي  
 وأصبحت أرجو زهر روضتها الندي  
 وأشهدت هذا الباب في كل مشهد  
 فلا تحرمني يا الهى وسيدي  
 شفاعته الكبرى فذاك المشفع  
 هو المصطفى المختار طه محمد  
 نبي الهدى رؤياه لنعين أئمد  
 سلامك من عبد اغني له يد  
 وصل عليه مادعاك موحد  
 وناجاك احياء بيباك ركع

وللز مخشري المفسر الشهير - مع أنه كان يرمى بالاعتزال - مناجيا مولاه

ومستغنيا بالله - وهكذا فليكن من يدعي التوحيد ، ويعتقد أنه على الرأي  
السديد - :

يامن يرى مد البعوض جناحها	في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناظ عروقها في نحرها	والمخ في تلك العظام النحل
ويرى مكان المشي من أقدامها	وخطيها في مشيها المستعجل
ويرى مكان الدم من أعضائها	متقلا من مفصل في مفصل
ويرى ويسمع حس ما هو صوتها	في قعر بحر غامض متجدول
أصواتها مرفوعة عند النداء	أرزاقها مقسومة للسؤل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته	مافات منه في الزمان الأول

وقد استشهد ببعض هذه الآيات في تفسير سورة البقرة من الكشاف ، وهذه  
الآيات تشرق بأنوار التوحيد •

وكان الشيخ شهاب الدين السهروردي يواظب على قراءة هذه الاستغاثة ،  
وذكروا لها خواص كثيرة وفوائد عظيمة لمن يداوم على قراءتها ، وهي :

سبحانك لا اله الا أنت ، يارب كل شيء ووارثه ، يا اله الآلهة الرفيع جلاله ،  
يا الله المحمود في كل حال فعاله ، كل يوم هو في شأن ، يا حي حين لاحي في ديسومية  
ملكه وبقائه ، يا قيوم فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤوده ، يا واحد أباقي أول كل  
شيء وآخره ، يا صمد من غير شبهة ولا شيء كمثلته ، يا باديء النفوس فلا شيء  
كفؤه يدانيه ولا امكان لوصفه ، يا كبير أنت الذي لا تهدي العقول لوصف عظمته ،  
يا باريء النفوس بلا مثال خلا من غيره ، يا زاكي الطاهر من كل آفة بقدر جلاله ،  
يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله ، يا نقي من كل جور لم يرضه ولم يخالطه  
فعاله ، يا حنان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما ، يا منان ذو الاحسان قد عم  
كل الخلائق منه ، يا ديان للعباد كل يقوم خاضعا لرهبته ورغبته ، يا خالق من في  
السموات والأرض كل اليه معاده ، يا تام فلا تصف الألسن كنه جلاله ملكه وعزه ،  
يا رحيم كل صريخ ومكروب وعاذه وغيائه وملاذه ، يا مبدع البدائع لم يبغ في  
انشائها عونا ، يا علام الغيوب فلا يؤوده شيء من حفظه ، يا حلیم ذا الانابة فلا يعادله  
شيء من خلقه ، يا معيد لما أفناه اذا برز الخلائق لدعوته ، يا حميد الفعال ذا المن على  
جميع خلقه بلطفه ، يا عزيز المنع الغالب على أمره فلا يعادله ، يا قاهر ذا البطش الشديد

أنت الذي لا يطاق انتقامه ، يا قريب ، يا متعالي فوق كل شيء ، علو ارتفاعه ، يا مذل كل جبار بقهر عزيز سلطانه ، يا نور كل شيء ، وهداه أنت الذي فلق الظلمات بنوره ، يا علي الشامخ فوق كل شيء ، علو ارتفاعه ، يا قدوس الطاهر من كل سوء فلا شيء يعادله ، يا مبديء البرايا ومعيدها بعد فناء خلقه ، يا جليل المتكبر عن كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده ، يا محمود فلا تبلغ الأوهام كل كنه ثنائه وعزه ومجده ، يا كريم ذو العفو والعدل أنت الذي ملأ كل شيء عدله ، يا عظيم ذو الثناء الفاخر والعز والمجد والكبرياء ، فلا يذل عزه ، يا مجيب ، يا عزيز فلا تنطق الألسن بكلمة آلائه وثنائه ومجده وعزه ، يا غياثي عند كل كرب ، يا مجيب عند كل شدة - أسألك أمانا من عقوبات الدين والدنيا والآخرة ، وأن تصرف عني كل سوء ومحذور ، برحمتك يا أرحم الراحمين اه .

وله حزب مشهور وهو استغاثة والتجاء بالله سبحانه ، أوله : الهي واله جميع الموجودات . فيه من المناجاة والتضرع الى الله وطلب العون منه والاستغاثة به ما يليق بحال العارفين والصفوة والمتبعين .

وللشيخ الديمياطي قصيدة طويلة دعا الله تعالى بأسمائه الحسنى فيها واستغاث بها ، ومنها قوله في آخرها :

بأسمائك الحسنى دعوتك سيدي	وجئت بها يا خالقي متوسلا
ومبتها لربي اليك بفضلها	وأرجو بها كل الأمور سهلا
فقابل الهي بالرضا منك واكفني	صروف زماني مكثرا ومقللا
وجد واعف وارحم وانصر على المدي	وتب واهد واصلح كل حال تغلخلا

وفي كتاب شفاء العليل : كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود ويعطي ويمنح ، فمنها أن يعيد وينصر ويفي ، فكما يجب أن يلوذ به اللاتذون يجب أن يعوذ به العائذون ، وكما الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم ويعوذوا بهم ، كما قال أحمد بن حسين الكندي في ممدوحه :

يا من ألوذ به فيما أومله	ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره	ولا يهضون عظما أنت جابره

ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله .  
والمقصود : أن ملك الملوك يجب أن يلوذ به مفاكيه وان يعوذوا به كما أمر



رسوله أن يستعذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه أها .  
وقد رأيت أحزابا كثيرة لجماعة من الصالحين ، وليس فيها طلب شيء من مخلوق ، بل كلها مناجاة لله واستغاثة به سبحانه ، نعم رأيت في بعضها توسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم نحو قول قائلهم أسألك الهي بجاه المصطفى صلى الله عليه وسله أو حقه أو نحو ذلك ، وهذا ليس استغاثة به ، فإن السؤال من الله تعالى ومسألة التوسل مسألة أخرى وليس كلامنا فيها .

والنبهاني لجهله لم يفرق بين المسألتين حتى جعل التوسل استغاثة ، بل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم استغاثة ، فاستشهد بكل كلام رأى فيه توسلا وصلاة ونحو ذلك يظن أنه استغاثة وذلك من الجهل بمكان .  
وقد أبطلنا بحمد الله كلامه وأظهرنا من جهله ما أصبح به بين الأنام مثلا وفضيحة .

فقل للعيون الرمد للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع

وقد أورد أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في كتاب ( المستغنين بالله عند الحاجات والمهمات ، والمتضرعين الى الله سبحانه وتعالى بالربغات ) ما يضيق هذا المقام عن ذكره فعلى طالب الحق أن يراجعه ويجعله مرآة عمله وبه يعلم أن النهباني كذب على عباد الله الصالحين .

( قال النهباني ) الباب الثامن فيما ورد من النظم في استغاثة العلماء والفضلاء به صلى الله عليه وسلم ، ومن قرأها أو بعضها بنية قضاء حاجاته يرجى له حصول المقصود ببركة الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم ، قال : ومعظم هذه الاستغاثات أخذتها من بعض قصائد المجموعة النهبانية ، وما لم يكن منها نهت عليه ، ثم أورد الشعر مرتبا على حروف الهجاء وأورد في كل حرف كثيرا من الأبيات لشعراء متفرقين ، ولا حاجة بنا الى نقله في هذا المقام لكون كتابه منتشرا .

( والجواب ) عن جميع ما أورده في هذا الباب من وجوه كثيرة يستوجب ذكرها طولا ، بل تقتصر على بعضها طلبا للاختصار ، على أنه قد سبق غير مرة ما يعلم منه الجواب أيضا فنقول : -

( الوجه الأول ) أن ما استدل به على مثل هذه المطالب انما هو الكتاب والسنة واجماع الأمة ، وقد سبق أن كل ذلك يدل دلالة صريحة أن مالا يقدر عليه الا الله تعالى لا يطلب من سواه سبحانه ، بل ان من طلب ذلك من غيره فقد ابتغى غير سبيل

المؤمنين ، وذكرنا حكم من كان كذلك ، وأن كل أحد ماسوى الرسول يؤخذ منه ما يوافق الكتاب والسنة ، وغير الموافق ينبذ به بوجه قائله كائنا من كان ، خصوصا اذا كان جاهلا بكثير ممن أورد شعره النبهاني ، فانهم لا يعدون من العير ولا من النفير ، ومنهم هو ، فان النبهاني أورد في كثير من الأحرف أبياتا من شعره الركيك ، وجعله حجة على أهل الحق ودليلا على مقصده ، وهكذا أورد كثيرا من شعر أمثاله من الجهلة الغلاة ، فذلك بحمد الله لا يدفع الحق ولا يعارضه .

( الوجه الثاني ) انه قد ذكرنا سابقا كثيرا من كلام العارفين من النظم والنثر ما يقتضي أن يوحد الله بالسؤال ، وأن يفرد سبحانه بالاستعانة والاتجاء اليه ، وهو الموافق لما ورد من ذلك في الكتاب والسنة ، وما كان عليه الصحابة والأئمة الهداة ، وذكرنا أن في كتاب المستفيثين بالله عند الملمات والمهمات البحر الذي ليس له ساحل ، فمن يلتفت بعد هذا لمثل ما ذكره هذا الزائع ؟ ( وان جندنا لهم الغالبون ) ، والحق يعلو على الباطل ، وليس بعد الحق الا الضلال البعيد .

( الوجه الثالث ) أن قول النبهاني في شأن ما استشيد به من الشعر والأبيات من قرأها أو بعضها بنية قضاء حاجاته يرجى له حصول المقصود ببركة الاستغاثة السخ دعوى كاذبة ، ليس علينا دليل سوى حكايات يرويها الغلاة وهم بيت الكذب ، وان سلم صحتها فليس فيها دليل على ما ادعاه النبهاني ، فان اجابة الدعاء عند القبور للسائلين لادليل فيه على أنه دين الله ، وأنه يحبه ويرضاه ، وأكثر ما يدعوه هؤلاء الغلاة الى دعاء القبور والصالحين ما يحكونه من أن فلانا دعا فاستجيب له واستغاث فأغيث ، وفلان رد عليه بصره ، وعند السدنة وعباد القبور من هذا شيء كثير ، قد أورد منه النبهاني شيئا كثيرا جعله من قواعد مذهبه ، وأدلة شركه ، وقد ذكرنا سابقا أن أسباب المقاصد قد تكون محرمة كالسحر ونحوه ، وانما يثبت استحباب الأفعال واتخاذها ديننا بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه السابقون الأولون ، وما سوى هذه من الأمور الجديدة فلا يستحب وان اشتملت أحيانا على فوائد ، لأننا نعلم أن مفسدها راجحة على فوائدها .

( الوجه الرابع ) أن الشرك وقع كثيرا من دعاء غير الله كالشرك بأهل القبور ، من دعائهم والتضرع اليهم والرغبة اليهم ونحو ذلك ، فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصا عند القبور لئلا يفضي ذلك الى نوع من الشرك بربهم ، فكيف اذا وجد ما هو نوع الشرك من الرغبة اليهم ،

سواء طلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله ، بل لو أقسم على الله ببعض خلقه من الأنبياء والملائكة وغيرهم لنهي عن ذلك وان لم يكن عند القبر ، كما لا يقسم بمخلوق مطلقا ، وهذا القسم منهي عنه غير منعقد باتفاق الأئمة ، وهل هو نهي تحريم أو تنزيه ؟ على قولين ، أصحهما أنه نهي تحريم ، ولم يتنازع العلماء الا في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، فان فيه قولين في مذهب الامام أحمد، وبعض أصحابه - كابن عقيل - طرد الخلاف في الحلف بسائر الأنبياء ، لكن القول الذي عليه جمهور الأئمة كمالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم أنه لا تعتقد اليمين بمخلوق البتة ، ولا يقسم بمخلوق البتة ، وهذا هو الصواب ، والاقسام على الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي اشتمل عليه كثير من الشعر الذي أورده النبهاني في هذا الباب ينسب على هذا الأصل ، ففيه هذا النزاع ، وقد نقل عن أحمد في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في منسك المروزي ما يناسب قوله بانعتاد اليمين به ، لكن الصحيح أنه لا تعتقد اليمين به فكذلك هذا ، وأما غيره فما علمت بين الأمة فيه نزاعا ، بل قد صرح العلماء بالنهي عن ذلك ، واتفقوا على أن الله يسأل ويقسم عليه بأسمائه وصفاته كما يقسم على غيره بذلك ، كالأدعية المعروفة في السنن : ( اللهم اني أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والاكرام ) وفي الحديث الآخر : ( اللهم اني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ) فهذه الأدعية ونحوها مشروعة باتفاق العلماء ، وأما اذا قال أسألك بمعاقب العز من عرشك فهذا فيه نزاع ، رخص فيه غير واحد لمجيء الأثر به ، ونقل عن أبي حنيفة كراهته ، قال أبو الحسين القدوري في شرح الكرخي : قال بشر ابن الوليد : سمعت أبا يوسف قال : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، وأكره أن يقول بمعاقب العز من عرشك أو بحق خلقك ، وهو قول لأبي يوسف .

قال أبو يوسف : بمعقد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا ، وأكره بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت والمشعر الحرام ، بهذا الحق يكره ، قالوا جميعا فالمسألة بخلقه لا تجوز ، لأنه لاحق للخالق على الخالق ، فلا يجوز أن يسأل بما ليس مستحقا ، ولكن معقد العز من عرشك هل هو سؤال بمخلوق أو بالخالق ؟ فيه نزاع بينهم ، فلذلك تنازعوا فيه ، وأبو يوسف بلغه الأثر فيه ( أسألك

بمعاهد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسك الأعظم ، وجدك الأعلى ، وكلماتك التامة ) فجزوه لذلك •

وقد نازع في هذا بعض الناس ، وقالوا : في حديث أبي سعيد الذي رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء الذي يقوله الخارج الى الصلاة : ( اللهم اني أسألك بحق البائلين عليك وبحق ممشاي هذا ، فاني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ولا رياء ، ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ) (١) وقد قال الله تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ ) (٢) على قراءة الجر كما يقال سألتك بالله وبالرحم •

ومن زعم من النحاة أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فانما فله لما رأى غالب الكلام باعادة الجار ، والا فقد سمع من الكلام العربي ثره ونظمه العطف بدون ذلك ، كما حكى سيويه : ما فيها غيره وفرسه ، ولا ضرورة هنا كما يدعى مثل ذلك في الشعر ، ولأنه قد ثبت في الصحيح أن عمر رضي الله عنه قال : ( اللهم انا كنا اذا أجدبنا تتوسل اليك بنبينا فتسقيننا ، وانا تتوسل اليك بعم نبينا فأسقتنا فيسقون ) وفي النسائي والترمذي وغيرهما حديث الأعمى الذي صححه الترمذي ( أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يدعو الله أن يرد بصره عليه ، فأمره أن يتوضأ فيصلي ركعتين ، ويقول : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا محمد يانبي الله اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي ليقضيها ، اللهم فشفعه فيّ ودعا الله فرد الله تعالى عليه بصره ) • (والجواب ) عن هذا أن يقال أولاً : لا ريب أن الله جعل على نفسه حقاً لعباده

المؤمنين ، كما قال تعالى : ( وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ) (٣) وكما قال تعالى : ( كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ ) . (٤) الآية

وفي الصحيحين ( أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل - وهو رديفه - يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : اللهم ورسوله أعلم ، قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقه عليهم أن لا يعذبهم ) فهذا حق وجب بكلماته التامة

(١) اورد استدلال بعض الناس بهذه الاحاديث وبالاية على جواز السؤال بحق المخلوق ثم اجاب عنها .

(٢) النساء : ١ - (٣) - الروم : ٤٧ - (٤) - الانعام : ٥٤

• ووعده الصادق •

وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بوعدة الصادق ، وتنازعا هل يوجب الله  
بنفسه على نفسه على قولين ، ومن جوز ذلك احتج بقوله سبحانه : ( كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى  
نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) وبقوله في الحديث الصحيح : ( اني حرمت الظلم على نفسي ) الخ ••  
والكلام على هذا مبسوط في موضع آخر •

وأما الايجاب عليه تعالى والتحرير بالقياس على خلقه : فهذا قول مبتدع ،  
مخالف لصحيح المنقول ، وصريح المعقول ، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه  
وتعالى خالق كل شيء وربّه ومليكه ، وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وان  
العباد لا يوجبون عليه شيئا ، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال انه كتب  
على نفسه الرحمة ، وحرّم الظلم على نفسه ، لا أن العبد نفسه مستحق على الله  
شيئا ، كما يكون للمخلوق على المخلوق ، فان الله هو المنعم على العباد بكل خير ،  
فهو الخالق لهم ، وهو المرسل اليهم الرسل ، وهو الميسر لهم الايمان والعمل  
الصالح ، ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس  
ما يستحق الأجير على المستأجر فهو جاهل في ذلك ، واذا كان كذلك لم تكن الوسيلة  
اليه الا بما من به من فضله واحسانه ، والحق الذي لعباده هو من فضله واحسانه  
ليس من باب المعاوضة ولا من باب ما أوجه غيره عليه ، فانه سبحانه يتعالى عن  
ذلك •

واذا سئل بما جعله هو سببا للمطلوب من الأعمال الصالحة التي وعد أصحابها  
بكرامته وأنه يجعل لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون فيستجيب دعاءهم ، ومن  
أدعية عباده الصالحين ومن شفاعة ذوي الوجاهة عنده - فهذا سؤال وتسبب بما  
جعله هو سببا •

وأما اذا سئل بشيء ليس هو سببا للمطلوب : فاما أن يكون اقساما عليه به  
فلا يقسم على الله بمخلوق ، واما أن يكون سؤالا بما لا يقتضي المطلوب فيكون  
عديم الفائدة •

فالأنبياء والمؤمنون لهم حق على الله بوعدة الصادق لهم وبكلماته التامة ورحمته  
لهم أن ينعمهم ولا يعذبهم ، وهم وجهاء عنده يقبل من شفاعتهم ودعائهم ما لا يقبله  
من دعاء غيرهم ، فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان وفلان لم يدع ربه ، وهو لم

يسأله باتباعه لذلك الشخص ومحبته وطاقته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب .

وحينئذ فيقال : أما التوسل والتوجه الى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر بها كدعاء الثلاثة الذين آووا الى الغار بأعمالهم الصالحة وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لا نزاع فيه ، بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى . ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ) (١) وقوله سبحانه : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ) (٢)

فان ابتغاء الوسيلة اليه هو طلب ما يتوسل أي يتوصل ويتقرب به اليه سبحانه وتعالى سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتنال الأمر أو كان على وجه السؤال له والاستعاذة به رغبة اليه في جلب المنافع ودفع المضار ، ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا ، الدعاء بمعنى العبادة ، والدعاء بمعنى المسألة ، وان كان كل منهما يستلزم الآخر ، لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجاته وتفريج كرباته ، فيسمى في ذلك بالسؤال والتضرع ، وان كان ذلك من العبادة والطاعة ، ثم يكون من أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب من الرزق والنصر والشفقة ، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الايمان بالله عز وجل ومعرفته ومحبته ما لم يذكره ودعائه ما يكون هو أحب اليه وأعظم قدرا عنده من تلك الحاجة التي ابتغى النصر وهذا من رحمة الله بعباده يسوقهم بالحاجات الدنيوية الى المقاصد العلية الدينية . وقد يفعل العبد ابتداء مأمرا به لأجل العبادة لله والطاعة له ولما عنده من محبته والانابة اليه وخشيته وامتنال أمره ، وان كان ذلك يتضمن حصول الرزق والنصر والعافية ، وقد قال تعالى : ( وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أهل السنن أبو داود وغيره : ( الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ قوله تعالى : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ) وقد فسر هذا الحديث مع القرآن بكلا النوعين ، قيل ادعوني أي اعبدوني وأطيعوا أمري أستجب دعاءكم ، وقيل سلوني أعطكم ، وكلا النوعين حق ، وفي الصحيحين في قول

(١) المائدة : ٢٥ - (٢) الاسراء : ٥٧ - (٣) غافر : ٦٠

النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النزول : ( ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له ، حتى يطلع الفجر ) فذكر أولاً اجابة الدعاء ، ثم ذكر اعطاء السائل ، ثم ذكر اعطاء المغفرة للمستغفر ، فهذا جلب المنفعة ، وهذا دفع المضرة ، وكلاهما مقصود الداعي المجاب ، وقال تعالى : ( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ )<sup>(١)</sup>.

وقد روي أن بعض الصحابة قال : يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فأخبر سبحانه وتعالى أنه قريب يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ، ثم أمرهم بالاستجابة له والايان به ، كما قال بعضهم فليستجيبوا لي اذا دعوتهم ، وليؤمنوا بي أني أجيب دعوتهم ، قالوا : وبهذين الشئين تحصل اجابة الدعوة بكسال الطاعة لألوهيته ، وبصحة الايمان بربوبيته ، فمن استجاب لربه بامثال أمره ونهيه حصل مقصوده من الدعاء وأجيب دعاؤه ، كما قال تعالى :

( وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ )<sup>(٢)</sup>

أي يستجيب لهم ، يقال استجابه واستجاب له ، فمن دعاه موقفاً منه يجب دعوة الداعي اذا دعاه أجابه ، وقد يكون مشركاً وفاسقاً ، فإنه سبحانه هو القائل :

( وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لَنَجْئَهُ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ )<sup>(٣)</sup> وهو سبحانه القائل : ( وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ )<sup>(٤)</sup> (وكان الإنسان كفوراً)<sup>(٥)</sup> وهو سبحانه القائل : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ كُفْرَكُمْ إِن تَأْتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ )<sup>(٥)</sup>

لكن هؤلاء الذين يستجاب لهم — لاقرارهم بربوبيته وأنه يجب دعاء المضطر — اذا لم يكونوا مخلصين له الدين في عبادته ولا مطيعين له ولرسله : كان ما يعطيهم بدعائهم

(١) البقرة : ١٨٦ - (٢) الشورى : ٢٦ - (٣) يونس : ١٢ - (٤) الاسراء : ٦٧ - (٥) الانعام : ٢٠ ، ٤١

متاعا في الحياة الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق ، قال تعالى : ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ  
 اعْجَالَهَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ) الى قوله : ( وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ  
 مَحْظُورًا ) (١) وقد دعا الخليل عليه الصلاة والسلام بالرزق لأهل الايمان ، فقال :  
 ( وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) فقال تعالى :  
 ( وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتَعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ) (٢)  
 فليس كل من منعه الله برزق ونصر - اما اجابة لدعائه واما بدون ذلك - يكون  
 ممن يحبه الله ويواليه ، بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وقد  
 يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤالهم في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق ، وقد ذكر أن  
 بعض الكفار من النصارى حاصروا مدينة للمسلمين فنجد مأوهم العذب فطلبوا من  
 المسلمين أن يزودوهم بماء عذب ليرجموا عنهم ، فاشتور ولالة أمر المسلمين وقالوا  
 بل ندعهم حتى يضعفهم العطش فنأخذهم ، فقام أولئك فاستسقوا ودعوا الله  
 فسقاهم ، فاضطرب بعض العامة ، فقال الملك لبعض العارفين : أدرك الناس ، فأمر  
 ينصب منبر له ، وقال : اللهم انا نعلم أن هؤلاء من الذين تكلفت بأرزاقهم كما قلت  
 في كتابك : ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ) (٣) وقد دعوك

مضطربين وأنت تجيب المضطر اذا دعاك فأسقيتهم لما تكلفت به من رزقهم ، ولما دعوك  
 مضطربين ، لا لأنك تحبهم ولا تحب دينهم ، والآن فنريد أن ترينا فيهم آية تثبت بها  
 الايمان في قلوب عبادك المؤمنين ، فأرسل الله عليهم ريحا أهلكتهم ، أو نحو هذا .  
 ومن هذا الباب من قد يدعو دعاء اعتدى فيه : اما بطلب مالا يصلح ، أو  
 بالدعاء الذي فيه معصية لله بشرك أو غيره ، فاذا حصل بعض غرضه ظن أن ذلك  
 دليل على أن عمله صالح بمنزلة من أملي له وأمد بالمال والبنين فظن أن ذلك مسارعة  
 له في الخيرات ، قال تعالى : ( أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ  
 لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ) (٤) وقال تعالى : ( فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ  
 فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فِإِذَا هُمْ

(١) الاسراء : ١٨ - ٢٠ - (٢) البقرة : ١٢٦ - (٣) هود : ٦ - (٤) المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦



مُبْلِسُونَ) (١) وقال تعالى : ( وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ  
 إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ) (٢) والاملاء اطالة العمر وما في ضمنه  
 من رزق ونصر ، وقال تعالى : ( فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ) الى قوله :  
 ( إِنْ كِيدِيّ مَتَيْنٌ ) (٣) وهذا باب واسع مبسوط في غير هذا الموضع ، وقال تعالى :  
 ( ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ) . (٤)

والمقصود هنا : أن دعاء الله قد يكون دعاء عبادة لله يثاب العبد عليه في الآخرة مع  
 ما يحصل له في الدنيا ، وقد يكون دعاء مسألة تقضى به حاجته ، ثم قد يثاب عليه اذا  
 كان مما يحبه الله ، وقد لا يحصل له الا تلك الحاجة ، وقد يكون سببا لضرر دينه  
 فيعاقب على ما ضعه من حقوق الله تعالى وتعداه من حدوده ، فالوسيلة التي أمر  
 الله بابتغائها تعم الوسيلة في عبادته وفي مسألته ، فالتوسل اليه بالأعمال الصالحة  
 التي أمر بها وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم ليس هو من باب الاقسام عليه  
 بمخلوقاته .

ومن هذا الباب : استشفاع الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ،  
 فانهم يطلبون منه أن يشفع لهم الى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم  
 في الاستسقاء وغيره ، وقول عمر رضي الله عنه : ( انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك  
 بنبينا فتسقيننا ، وانا تتوسل اليك بعم نبينا ) معناه تتوسل بدعائه وشفاعته وسؤاله ،  
 ونحن تتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ، ليس المراد به انا نقسم عليك به  
 أو ما يجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه ، كما يقول بعض الناس  
 أسألك بجاه فلان عندك ، ويقولون : تتوسل الى الله بأنبيائه وأوليائه ، ويروون  
 حديثا موضوعا ( اذا سألتهم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عند الله عريض ) فانه لو  
 كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضي الله عنه لفعلوا  
 ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه الى العباس مع علمهم بأن السؤال به والاقسام به  
 أعظم من العباس ، فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالأحياء دون  
 الأموات ، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم ، فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب  
 منه شيء لادعاء ولا غيره .

(١) الانعام : ٤٤ - (٢) آل عمران : ٧٨١ - (٣) القلم : ٤٤ ، ٤٥ - (٤) الاعراف : ٤٥

وكذلك حديث الأعمى ، فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ليرد الله عليه بصره ، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته نبيه فيه ، فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم شفيع فيه وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته ، وأن قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته ، كما قال عمر : ( كنا نتوسل اليك نبينا ) فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد ، ثم قال : ( يا محمد يا رسول الله اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي ليقضيها ، اللهم فشفعه في ) فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه ، وقوله : يا محمد يا نبي الله ، هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضر المنادي في القلب ، فيخاطب المشهود بالقلب ، كما يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب ، فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة ، يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا ، أو لكون الداعي محبا له مطيعا لأمره مقتديا به ، فيكون التسبب اما بسببه السائل له واتاعه له واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لابشيه منه ولا بشيء من السائل بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله ، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه ، وكذلك لفظ السؤال بشيء قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب به لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام ، ومن الأول حديث الثلاثة الذين آووا الى الغار وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما ، فان الصخرة انطبقت عليهم ، فقالوا : ( ليدع كل رجل منكم بأفضل عمله ، فقال أحدهم : اللهم انه كانت لي بنت عم فأحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وانها طلبت مني مائة دينار ، فلما أتيتها بها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتركت الذهب وانصرفت فان كنت انما فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ، فانفرجت لهم فرجة رأوا منها السماء ، وقال الآخر : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأعقب قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى تأما فحلبت لهما غبوقا فوجدتهما نائمين فكرهت أن أعقب قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فتربا غبوقهما ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج

منها وقال الثالث : اللهم اني استأجرت اجراء فأعطيتمهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب ، فثمرت أجرته حتى كثرت منه أموال ، فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد اليّ أجري ، فقلت له : كل ماترى من أجرك من الابل والبقر والغنم ، والرقيق ، فقال يا عبد الله : لا تستهزيء بي ، فقلت : اني لأستهزيء بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا ، اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون ) فهؤلاء دعوا الله سبحانه بصالح الأعمال ، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد الى الله تعالى ويتوجه به اليه ويسأله به ، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال تعالى : ( وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ )<sup>(٢)</sup> وهؤلاء دعوه بعبادته ، وفعل ما أمر به من العمل الصالح وسأله والتضرع اليه ، ومن هذا ما يذكر عن الفضيل بن عياض أنه أصابه عسر البول فقال بحبي اياك الا فرجت عني ففرج عنه •

وكذلك دعاء المرأة المهاجرة التي أحيا الله ولدها لما قالت: اللهم اني آمنت بك وبرسولك وهاجرت في سبيلك ، وسألت الله أن يحيي ولدها ، وأمثال ذلك ، وهذا كما قال المؤمنون : ( رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ) الى قوله : ( إِنَّكَ لَا تَخْلَفُ الْمِيعَادَ )<sup>(٣)</sup>.

فسؤال الله والتوسل اليه بامثال أمره واجتناب نهيه وفعل ما يحبه من العبودية والطاعة هو من جنس فعل ذلك رجاء لرحمة الله وخوفا من عذابه ، وسؤال الله بأسمائه وصفاته - كقوله : أسألك بأن لك الحمد ، أنت الله المنان بديع السموات والأرض ، وبأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ونحو ذلك - يكون من باب التسبب ، فان كونه المحمود المنان يقتضي منته على عباده واحسانه الذي يحمد عليه ، وكونه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد يقتضي توحيده في صمدية ، فيكون هو السيد المقصود الذي يصمد الناس اليه في حوائجهم المستغني عما سواه ، وكل ما سواه مقترون اليه لاغنى بهم عنه ، وهذا

(١) الشورى : ٢٦ - (٢) غافر : ٦٠ - (٣) آل عمران : ١٩٢ ، ١٩٤

سبب لقضاء الحاجات والمطلوبات ، وقد يتضمن معنى ذلك الاقسام عليه بأسمائه وصفاته .

وأما قوله في حديث أبي سعيد : ( أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا ) فهذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف ، لكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب ، فإن حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم ، وحق المطيعين له أن يثيبهم ، فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته ، فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ، ولو قدر أنه قسم لكان قسما بما هو من صفاته ، فإن اجابته واثابته من أفعاله وأقواله ، فصار هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ( أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ) والاستعاذة لاتصح بمخلوق كما نص عليه الامام أحمد وغيره من الأئمة ، وذلك مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق ، ولأنه قد ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : ( أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ) قالوا : والاستعاذة لاتكون بمخلوق فأورد بعض الناس لفظ المعافاة ، فقال جمهور أهل السنة المعافاة من الأفعال .

وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم يقولون : ان أفعال الله قائمة به ، وان الخلق ليس هو المخلوق ، وهذا قول جمهور أصحاب الشافعي وأحمد ومالك ، وهو قول أصحاب أبي حنيفة ، وقول عامة أهل الحديث والصوفية وطوائف من أهل الكلام والفلسفة ، وبهذا يحصل الجواب عما أوردته المعتزلة ونحوهم من الجهمية نقضا ، فان أهل الاثبات من أهل الحديث وعامة المتكلمة الصفاتية من الكلائية والأشعرية والكرامية وغيرهم استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق ، بأن الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره ، واتصف به ذلك المحل لاغيره ، فاذا خلق الله للمحل علما أو قدرة أو حركة أو نحو ذلك كان هو العالم به القادر به المتحرك به ، ولم يجز ان يقال ان الرب المتحرك بتلك الحركة ، ولا هو العالم القادر بالعلم والقدرة المخلوقين بل بما قام به من العلم والقدرة ، قالوا فلو كان قد خلق كلاما في غيره كالشجرة التي نادى منها موسى لكانت الشجرة هي المتصفة بذلك الكلام ، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى ( انني أنا الله ) ولكان ما يخلقه الله من انطاق الجلود والأيدي وتسبيح الحصى وتأويب الجبال وغير ذلك كلاما له كالقرآن والتوراة والانجيل ، بل كان كل كلام في الوجود كلامه لأنه خالق كل شيء ، وهذا

قد التزمه مثل صاحب الفصوص وأمثاله من هؤلاء الجهمية الحلولية والاتحادية ، فأوردت المعتزلة صفات الأفعال كالعدل والاحسان ، كأنه يقال أنه عادل محسن بعدل خلقه في غيره واحسان خلقه في غيره ، فأشكل ذلك على من يقول ليس لله فعل قائم به ، بل فعله هو المفعول المنفصل عنه وليس خلقه الا مخلوقه .  
وأما من طرد القاعدة وقال أيضا أن الأفعال قائمة به ولكن المفعولات المخلوقة هي المنفصلة عنه وفرق بين الخلق والمخلوق فاطرد دليله واستقام .

والمقصود هنا : أن استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم بعفوه ومعافاته من عقوبته - مع أنه لا يستعاذ بمخلوق - كسؤال الله باجابته واثابته وان كان لا يسأل بمخلوق ، ومن قال من العلماء لا يسأل الا به لا ينافي السؤال بصفاته ، كما أن الحلف لا يشرع الا به ، كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ) وفي لفظ للترمذي : ( من حلف بغير الله فقد أشرك ) قال الترمذي حديث حسن ، ومع هذا فالحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلف به لم يدخل في الحلف بغير الله ، لأن لفظ الغير قد يراد به المبين المنفصل ، ولهذا لم يطلق السلف وسائر الأئمة على القرآن وسائر صفات الله أنها غيره ولا أنها ليست غيره ، لأن لفظ الغير فيه اجمال قد يراد به المبين المنفصل فلا يكون صفة الموصوف أو بعضه داخلا في لفظ الغير ، وقد يراد به ما يمكن تصوره دون تصور ماهو غير له فيكون غيرا بهذا الاصطلاح ، ولهذا تنازع أهل النظر في مسمى الغير ، والنزاع في ذلك لفظي ، ولكن بسبب ذلك حصل في مسائل الصفات من الشبهات مالا ينجلي الا بمعرفة ما وقع في الألفاظ من الإشتراك والابهامات ، كما قد بسط في غير هذا الموضوع ، ولهذا يفرق بين قول القائل ( الصفات غير الذات ) وبين قوله ( صفات الله غير الله ) فان الثاني باطل ، لأن مسمى اسم الله يدخل فيه صفاته بخلاف مسمى الذات فانه لا يدخل فيه الصفات ، ولهذا لا يقال صفات الله زائدة عليه وان قيل الصفات زائدة على الذات ، لأن المراد هي زائدة على ما أثبتته المثبتون من الذات ، والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة ، فليس اسم الله متناولا لذات مجردة عن الصفات أصلا ، ولا يمكن وجود ذلك ، ولهذا قال أحمد في مناظرته للجهمية : لا نقول الله وعلمه ، والله وقدرته ، والله ونوره ، ولكن نقول الله بعلمه وقدرته ونوره هو اله واحد ، وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع .

وأما قول الناس : أسألك بالله وبالرحم ، وقراءة من قرأ : (تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْإِرْحَامِ) فهو من باب التسبب بها ، فان الرحم توجب الصلة ، وتقتضي أن يصل الانسان قرابته ، فسؤال السائل بالرحم لغيره توسل اليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما ، ليس هو من باب الاقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب ، بل هو توسل بما يقتضي المطلوب ، كالتوسل بدعاء الأنبياء وبطاعتهم والصلاة عليهم .

ومن هذا الباب ما يروى عن عبد الله بن جعفر أنه قال : كنت اذا سألت عليا شيئا فلم يعطينه قلت له بحق جعفر الا ما أعطيتنيه فيعطينيه أو كما قال ، فان بعض الناس ظن أن هذا من باب الاقسام عليه بجعفر ، أو من قولهم أسألك بحق أنبيائك ونحو ذلك ، وليس كذلك ، بل جعفر هو أخو علي ، وعبد الله هو ابنه ، وله عليه حق الصلة ، فصلة عبد الله صلة لأبيه جعفر ، كما في الحديث ( ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودأبيه بعد أن يولي ) وقوله : ( ان من برهما بعد موتهما الدعاء لهما ، والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة رحمك التي لارحم لك الا من قبلهما ) .

ولو كان هذا من الباب الذي ظنوه لكان سؤاله لعلي بحق النبي و ابراهيم الخليل ونحوهما أولى من سؤاله بحق جعفر ، ولكان علي الى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته واجابة السائل به أسرع منه الى اجابة السائل بغيره ، لكن بين المعنيين فرق ، فان السائل بالنبي طالب به متسبب به ، فان لم يكن في ذلك السبب ما يقتضي حصول مطلوبه أو كان مما لا يقسم به كان باطلا ، واقسام الانسان على غيره بشيء يكون من باب تعظيم المقسم للمقسم به ، وهذا هو الذي جاء به الحديث من الأمر بإبرار المقسم ، وفي مثل هذا قيل ( ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ) ، وقد يكون من باب تعظيم المسؤل به .

فالأول يشبه ما ذكره الفقهاء في الحلف الذي يقصد به الحظر والمنع .  
والثاني سؤال للمسؤل بما عنده من محبة المسؤل به وتعظيمه ودعائه وحقه ، فان كان ذلك مما يقتضي حصول مقصود السائل حسن السؤال كسؤال الانسان بالرحم .

ومن هذا سؤال الله بالأعمال الصالحة وبدعاء أنبيائه وشفاعتهم .

وأما بمجرد الأنبياء والصالحين ومجبة الله لهم وتعظيمه لهم ورعايته لحقوقهم التي أنعم بها عليهم فليس فيها ما يوجب حصول مقصود السائل الا بسبب بين السائل وبينهم ، أما محبتهم وطاعتهم فيثاب على ذلك ، وأما دعاؤهم له فيستجيب الله شفاعتهم فيه .

والتوسل بالأنبياء والصالحين يكون بأمرين : اما بطاعتهم واتباعهم ، واما بدعائهم وشفاعتهم ، فمجرد دعائه بهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له لا ينفعه وان عظم جاه أحدهم عند الله تعالى ، وقد بسطت هذه المسائل في غير هذا الموضوع .

والمقصود هنا : أنه اذا كان السلف والأئمة قالوا في سؤاله بالمخلوق ما ذكر فكيف بسؤال المخلوق الميت ، سواء سئل أن يسأل الله أو سئل قضاء الحاجة ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس اما عند قبر الميت ، واما مع غيبته .

وصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم حسم المادة ، وسد الذريعة ، بلعنه من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وأن لا يصلي عندها لله ، ولا يسأل الا الله ، وحذر أمته ذلك ، فكيف اذا وقع نفس المحذور من الشرك وأسباب الشرك .

كل هذا نقلناه من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، ومنه علم ما اشتمل عليه الشعر الذي أورده النبهاني ، فان جميعه قد اشتمل على القسم الذي فيه محذور ، بل بما فيه شرك ظاهر ، كقول عبد الرحيم البرعي مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم :

مولاي مولاي فرج كل معضلة	عني فقد أثقلت ظهري الخطيئات
وعند عليّ بما عودتني كرما	فكم جرت لي بخير منك عادات
وامنع حماي وهب لي منك تكرمة	يامن مواهبه خلد وخيرات
واعطف عليّ وخذ ياسيدي بيدي	اذا دهنتي الملمات المهمات

وقول الشاب الظريف

فياخاتم الرسل الكرام ومن به	لنا من مهولات الذنوب تخلص
أغثنا أجرنا من ذنوب تعاظمت	فأنت شفيح للسورى ومخلص

وقول القلقشندي

أنت الذي لم يخف في الناس قاصده	وليس عندك تسويف وتسوييل
قصدت جاهك لأرجو سواك ولي	في باب عزك ترديد وتطفيل

وقال محمد البكري الكبير من أبيات

يا أكرم الخلق على ربه      وخير من فيهم به يسأل  
قد مسني الكرب وكم مرة      فرجت كربا بعضه يذهل

وقال الشيخ عبد الرحمن الدمشقي من أبيات

أقلني مما فيه أمسيت واهننا      ونفسي بقيد الكرب أمست مكبله  
وعجل بكشف الضر عنك التجا      لأن الضنا قد هاض ظهري وأثقله

إنظر الى قوله : وعجل بكشف الضر الخ .. والله سبحانه وتعالى يقول :

( وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ )<sup>(١)</sup> وهكذا كثير من الأبيات التي

أوردها النبهاني كما لا يخفى على من راجع كتابه ، ولا بدع فهو المبتدع الذي ختم  
الله على قلبه .

( الوجه الخامس ) ان أجل من تمسك بشعره النبهاني : الصرصري ،

والبوصيري ، وأما غيرهما - كالبرعي ، والوترى ، والشهاب ، وأمثالهم - فليسوا  
من المعروفين بعلم ولا دين ، ولا زهد ولا فضيلة ، ولا شيء يذكر .

والصرصري والبوصيري اعترض أهل العلم ومن له بصيرة في الدين على ما

كان في شعرهما من الغلو الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كقول  
الصرصري في قصيدته اللامية التي استشهد بأبيات منها النبهاني :

يارسول الله يا من مدحه      في القوافي أقوم الألفاظ قيلا  
مسني ضر عناه ثابت      من ذنوب غادرت قلبي كليلا  
أنا منها تائب مستغفر      فاسأل الرحمن لي صبرا جميلا

وقوله :

لأنت الى الرحمن أقوى وسيلة      اليه بها في الحادثات تنصل

وقوله :

وتسأل رب العالمين بميتة      على السنة البيضاء غير مبذل

الى غير ذلك مما قاله في قصائده المشهورة كقوله : وأنت على كل الحوادث لي

ولي ، وقوله : على تربها خديك عفر ، وقد استشهد بكثير من شعره النبهاني في كتابه .

وكذلك البوصيري حيث يقول في همزته :

ياأبا القاسم الذي ضمن أقسا      مي عليه مدح له وثناء

(١) بونس : ١٠٧



الأمان الأمان ان فؤادي من ذنوب أيتهن هواء  
الى آخر ماأورده النبهاني منها ، وقال أيضا :  
ياأكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وقد ذكر الشيخ تقي الدين أن شعر يحيى الصرصري وقع فيه من الغلووالاطراء  
مالا ينبغي أن يصدر مثله في حق مخلوق ، وأنكر على من استغاث بغير الله أو دعاه .  
قال رحمه الله في رده على ابن البكري في مسألة الاستغائة : وانه حرف الكلم  
عن مواضعه ، وتمسك بمتشابهه وترك المحكم ، كما يفعله النصارى ، وكما فعل  
هذا الضال - يعني ابن البكري - أخذ لفظ الاستغائة ، وهي تنقسم الى الاستغائة  
بالحي والميت ، والاستغائة بالحي تكون فيما يقدر عليه ، فجعل حكم ذلك كله  
واحدا ، ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغائة ، ولم يكفه ذلك  
حتى جعل الطالب منه انما طلب من الله لامنه فالمستغيث به مستغيث بالله ، ثم جعل  
الاستغائة بكل ميت من نبي وصالح جائزة ، فدخل عليه الخطأ من وجوه .  
منها : أنه جعل المتوسل به بعد موته في دعاء الله مستغاثا به ، وهذا لايعرف  
في لغة أحد من الأمم لا حقيقة ولا مجازا مع دعواه الاجماع على ذلك . فان المستغاث  
هو المسؤل المطلوب منه لا المسؤل به .

الثاني : ظنه أن توسل الصحابة في حياته كان توسلا بذاته صلى الله عليه  
وسلم لابدعائه وشفاعته ، فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلط .  
الثالث : أنه أدرج السؤال أيضا في الاستغائة به ، وهذا صحيح جائز في حياته ،  
وهو قد سوى في ذلك بين محياه ومماته ، وهذا أصاب في لفظ الاستغائة لكن أخطأ  
في التسوية بين المحيا والممات ، وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء ، لكنه موجود  
في كلام بعض الناس ، مثل الشيخ يحيى الصرصري ، ففي شعره قطعة منه ، والشيخ  
محمد بن النعمان له كتاب المستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام ،  
وهؤلاء ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الأحكام ، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع  
الاسلام ، ومعرفة الحلال والحرام ، وليس لهم دليل شرعي ، ولا نقل عن عالم  
مرضي ، بل عادة جروا عليها .

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم - ولهم فضل وعلم وزهد - اذا نزل به  
أمر خطا الى الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به ، وهذا يفعله كثير من  
الناس ، ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا ، وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من

دين الاسلام بل مشابهة لعباد الأصنام ، انتهى •  
وقال رحمه الله في أثناء كلام له : ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات ، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم ، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ماجاء به الرسول ، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام الا تظن بها ، وقال هذا أصل دين الاسلام ، وان بعض أكابر الشيوخ من أصحابنا يقول هذا أعظم ما بينت لنا ، لعلمه أن هذا أصل دين الاسلام ، وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون اليهم ، وربما كان ما يفعلونه أعظم ، لأنهم انما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعون دعاء المضطر ، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره ، بخلاف عبادتهم لله فانهم يفعلونها في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف ، حتى أن العدو الخارج عن شريعة الاسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف الضر ، وقال بعض الشعراء :

ياخائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر  
أو قال : عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر

فقلت لهم : ان هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهمزوا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد ، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله •  
فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس باخلاص الدين والاستغاثة بالله ، وأنهم لا يستغيثون الا اياه ، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل ، فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا لم يتقدم نظيره ، ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك ، لما صح من تحقيق التوحيد لله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك ، فان الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، انتهى ما هو المقصود من كلامه رحمه الله •  
ولم يقتصر فيه على مجرد الإنكار بل جعله شركا وكفرا بعد قيام الحجة والعلم

بكفر فاعله ، وجعله من ضرورات الدين ، بل جعله أصل الدين ، وجعل وجود هذا الشرك مانعا من القتال الشرعي وسببا للهزيمة وعدم النصر ، فأبي انكار أبلغ من هذا .

وقد أنكر الشيخ شعر الصرصري ، ونص على أنه يقع منه ما لا يسوغ ولا يجوز ، على أن بعضهم أول بعض أقواله فقال : لانت الى الرحمن أقوى وسيلة . ليس فيه استغاثة كما زعم من استشهد به على ذلك ، بل المقصود أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بين العباد وبين الله تعالى في ابلاغ شرعه ودينه ، وبيان ما يجب ويرضى ، وما يكرهه وعنه ينهى ، فهو وسيلة لمن سار على سبيله وتمسك بهديه وقبله ، وقوله :

سل الله رب العالمين يمينتي على السنة البيضاء غير مبدل

ليس صريحا في أن السائل لله هو النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ يحتمل أنه أراد سل أيها المذنب وأيها العبد ولكنه التفت عن التكلم الى الخطاب واحسان الظن بمثله أولى ، وأما قوله : وأنت على كل الحوادث لي ولي . فالمراد أنه يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولاه على كل الحوادث في اليسر والعسر ، والرخاء والشدة ، والضيق والسعة ، لا يوالي غير أولياء الله ، قال تعالى : ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ )

فليس المراد بالولي المستغاث المعبود ، فان هذا فهم جاهلي شركي ، وأهل الاسلام يفهمون من موالاته رسول الله صلى الله عليه وسلم محبته ، وتعزيزه ، وتوقيره ، وطاعته ، والتسليم لأمره ، والوقوف عند نهيه ، وتقديم قوله على قول كل أحد ، هذه موالاته أهل الاسلام ، لكن يبقى باقي الآيات التي استشهد بها التبهايني من شعر الصرصري فان تأويلها مشكل .

وصنف الشيخ رحمه الله أيضا مجلدا في حكم الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين ، وقرر أدلة المنع من الكتاب والسنة والاجماع والاعتبار ، وأكثر الكلام في المنع من هذا . قال رحمه الله تعالى : وما يبين حكمة الشريعة وأنها كسفينه نوح ان الذين

خرجوا عن المشروع خرجوا الى الشرك ، وطائفة منهم يصلون ويدعو أحدهم الميت فيقول اغفر لي وارحمني ، ومنهم من يستقبل القبر ويصلي اليه مستدبر الكعبة ، ويقول : القبر قبلة الخاصة ، والكعبة قبلة العامة ، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهدا ، وهو شيخ متبوع ، فلعله أمثل أصحاب شيخه يقوله عن شيخه ، وأخرج من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد ، وأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب الى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها ، وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع وحضور القلب مالا يجدونه في المساجد ، وآخرون يحجون الى القبور ، وطائفة صنفوا كتباً وسوها مناسك حج المشاهد ، وآخرون يسافرون الى قبور المشايخ وان لم يسوها منسكا وحجا ، فالمعنى واحد .

وبعض الشيوخ المشهورين بالزهد والصلاح صنف كتاب الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والنام ، وذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ، ثم رجع ولم يذهب الى الكعبة وجعل هذا من مناقبه .

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض الشيوخ - ممن يقصده بعض العلماء والقضاة قيل عنه انه كان - يقول : البيوت المحجوجة ثلاثة : مكة ، وبيت المقدس ، والبله الذي بالهند ، الذي للمشركين ، لأنه يعتقد أن دين اليهود والنصارى حق . قال : وجاء بعض اخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته فقال : أريد أن أسلك على يديك ، فقال له : على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين ؟ فقال له : واليهود والنصارى ليسوا كفارا ، قال لا تشدد عليهم ولكن الاسلام أفضل . ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ كعرفات ، يسافرون اليها وقت الموسم فيعرفون بها كما يفعل بالمغرب والمشرق .

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله ، فليسوا على ملة ابراهيم ، والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته موجودة في كلام بعض الناس ، مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان ، وهؤلاء لهم صلاح ولكن ليسوا من أهل العلم ، بل جروا على عادة كعادة من يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه ، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم - وله فضل وعلم وزهد - اذا نزل به أمر خطأ الى جهة الشيخ عبد القادر خطوات واستغاث به ، وهذا يفعله كثير من الناس ، وهؤلاء

مستندهم مع العادة قول طائفة : قبر معروف أو غيره ترياق مجرب ، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فأروه قد أتى في الهواء وقضى بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء ، أو الكواكب ، أو الأوثان ، فان الشياطين تتمثل لهم ، ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا من هذا لطلال المقام .

ثم قال حاكيا عن البكري الذي صنف في جواز الاستغائة بالنبي صلى الله عليه وسلم : وقد طاف هذا بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه ، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبه فما خالفوه ، مع أن قوما كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياما عظيما ، واستعانوا بمن له غرض من ذوي السلطان مع فرط عصبيتهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكايدة شيطانهم ، انتهى . فتأمل هذا الكلام فانه يستبين منه ضلال النبهاني وأضرابه من الغلاة ، وقد صرح شيخ الاسلام أن السنة كسفينه نوح ، ومعلوم أن دعاء الأنبياء ليس من السنة ، بل هو من البدع الشركية .

ومنها <sup>(١)</sup> أن بعضهم أفضى به ذلك الى أن يصلي للميت ويقول اغفر لي وارحمني وهذا جائز عند النبهاني واخوانه من عباد القبور سائغ لا ينكر .  
ومنها : أن بعض المستغِيثين يعكف على القبر عكوف أهل التماثيل وهذا واقع منهم أيضا وهذا من لوازم قولهم بجواز الاستغائة .  
ومنها : أن جمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادتها من الرقة والخشوع وحضور القلب مالا يجدونه في المساجد :  
ومنها : أن بعضهم يحج الى القبور ، وهذا عند النبهاني ومن على شاكلته من الفضائل التي لا تنكر .

ومنها : انكار الشيخ على من صنف كتاب الاستغائة بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والنام ، وأن هذا المصنف حج مرة وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ثم رجع ولم يذهب الى الكعبة ، وفاعل ذلك عند الغلاة أفضل من الحاج .

ومنها : ان ذلك أفضى ببعضهم الى أن قال : البيوت المحجوجة ثلاثة : مكة ، وبيت المقدس ، والصنم الذي في الهند ، وبعضهم لا يرى ذلك للصنم الذي في الهند

(١) قوله : ومنها الخ .. هذه استنباطات من كلام شيخ الاسلام السابق معطوفة على قوله : وقد صرح الخ

ويراه لمن يعتقدده وما يتأله به من المشايخ •  
ومنها : أن بعضهم يعرف عند مقابر الشيوخ كما يفعل بعرفة ، وإن هذا وقع  
في المغرب والمشرق •

ومنها : أن الشيخ نفى العلم عن يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم ،  
كالرصري وابن النعمان ، وأنهم جروا على عادة العامة الذين يستغيثون بالمشايخ  
في الشدائد ويدعونهم •

ومنها : أن من له فضل وعلم وزهد قد يقع منه الشرك والاستغاثة بغير الله ،  
وإن مستندهم مع العادة قول طائفة قبر معروف أو غيره ترياق مجرب •

ومن المعلوم أن هذا القول صدر عن غير معصوم ، وجمهور أهل العلم  
والإيمان قد ردوه وأنكروا على فاعله ، وقد مضى فيما مر من عبارات شيخ الإسلام  
أن هذا لا يعرف في عهد القرون المفضلة ، وكفى بهذا ذمًا •

ومنها : قوله إن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فأروه قد أتى في الهواء وقضى  
بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة ، أو الأنبياء ،  
أو الكواكب ، أو الأوثان ، فجزم بأن قضاء الحوائج قد يحصل لعباد الملائكة ، أو  
الأنبياء ، أو الكواكب ، أو الأوثان ، ولو حكى الوقائع الموجودة في زمانه لطال  
المقام •

ومنها : قول الشيخ وهو ثقة فيما يحكيه بالاجماع أن علماء مصر لم يوافقوا  
من صنف في جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما لا يقدر عليه إلا الله ،  
وأبوا أن يخالفوا ما كتبه شيخ الإسلام من المنع ، فالحمد لله لانحصى ثناء عليه ، بل  
هو كما أتى على نفسه ، وفوق ما يشئ عليه عباده الصالحون •  
وأما ما انتقده أهل العلم والدين على كلام البوصيري فكثير جدا ، من ذلك  
قوله :

يا أكرم الخلق مالي من ألود به سواك عند حلول الحادث العمم  
( قال العلامة ) الشيخ عبد اللطيف في كتابه ( منهاج التأسيس ) أن قول  
البوصيري هذا أشنع وأبشع من قول الرصري ، لما تضمنه من الحصر ، ولما فيه  
من اللياذ بغير الله في الخطب الجلل ، والحادث العمم ، وهو قيام الساعة ، وقد قال  
تعالى ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ بِدُعُونَ

إن كنتم صادقين (١)

فدعاء غير الله في الأمور العامة الكلية أشبع من دعاء غيره في الأمور الجزئية ،  
ولذلك أخبر أن عباد الأصنام لا يدعون غيره عند آتيان العذاب أو آتيان الساعة التي  
هي الحادث العمم ، وأما من قال من الغلاة في الاعتذار عنه أن مقصوده الشفاعة  
والجاء فهذا لا يفيد شيئا ، لأن عامة المشركين انما يقصدون هذا ولم يقصد  
الاستقلال الا معطلة الصانع ، وعامة المشركين انما قصدوا الجاه والشفاعة كما حكاه  
القرآن في غير موضع ، وأما قول الغلاة وتلييسهم بأنه صلى الله عليه وسلم أعطى  
الشفاعة يوم القيامة ، وأنزل عليه ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) (٢)  
فهذا تلييس منهم وتشبيه على من لا يدري الحقائق ولم يتفطن لمسألة النزاع ، فان  
الخصومة والنزاع في طلب الشفاعة أو غيرها من الشفعاء في حال مماتهم وقصدهم  
لذلك ونحوه من المطالب المهمة .

وأما حصول الشفاعة وسؤاله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فهذا لا ينكر ،  
وهو من جنس ما كان يطلب منه في حياته صلى الله عليه وسلم ، وأما بعد موته فلم  
يعرف عن أحد من أصحابه ولا عن أئمة الاسلام بعدهم أنه دعاه وطلب منه شفاعة  
أو غيرها ، وانما فعله بعض الخلوف الذين لا يرجع اليهم في مسائل الأحكام ، والله  
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ومن ذلك قول البوصيري أيضا في قصيدته البردة في شأن معجزات النبي  
صلى الله عليه وسلم :

لو ناسبت قدره آياته عظما      أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

يقول : لو ناسبت آياته ومعجزاته عظم قدره عند الله تعالى وكمال قربه وزلفاه  
عنده لكان من جملة تلك الآيات أن يحيي الله العظام الرفات ببركة اسمه وحرمة  
ذكره ، حيث يتيمن به في الدعوات ، ويتوصل به في المهمات ، وذلك لأن الملوك  
المجازية اذا توسل عندهم باسم من له قرب ومكانة لديهم وتوصل بذكره لقضاء  
المآرب وانهاء المطالب يقضون الأوطار الرفيعة تنويها بذكره وتبسيها على قدره ،  
فمالك الملوك وان كان أحق بذلك وأولى لكن حكمته ما اقتضته صونا للضعفة عن  
المداحض ، وعونا على العوام في مزالت الأقدام ، وخص احياء الموتى لكونه أرفع  
المطالب وأنفعها ، ولأنه كما أحيا ببركة المسمى موتى القلوب والأرواح ، فالمناسب

(١) الانعام : ٤٠ - (٢) الاسراء : ٧٩

أن يجبي ببركة الاسم تلك العظام والأشباح ، انتهى ما قاله بعض شراح هذه القصيدة .

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الغلو ، فإن من جملة آياته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم الشأن ، وهو الكتاب الذي ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) وهو الكتاب الذي أنزله نورا وجعله مهيمنا على كل كتاب ، وهو الكتاب الذي أنزله وفضله على كل حديث قصه ، وجعله فرقانا فرق به بين الحلال والحرام ، وقرآنا أعرب به عن شرائع الأحكام ، وكتابا فصله لعباده تفصيلا ، ووحيا أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تنزيلا ، وجعله نورا يهتدى به من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه ، وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق الى استماعه ، وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه ، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه ، وعلم نجاة لا يضل من أم قصد سنته ، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته ، وكيف يحل لمسلم أن يقول : ان القرآن لا يناسب قدر النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هو منحط عن قدره ، وهو كلام الله وكلام الله غير مخلوق ، منه بدا واليه يعود ، ثم ان اسم الله الأعظم وسائر أسمائه الحسنی اذا ذكرها الذاكر لم تحي دارس الرمم فهنا أمران عظيمان : انحطاط قدر القرآن الذي هو صفة من صفات الله عن قدر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المناسب لقدره أن يجبي اسمه حين يدعى دارس الرمم ، وليس هذا بجائز عند أحد من فرق المسلمين فضلا عن أهل السنة ، فانه ليس وراء هذا الغلو غلو أعظم منه ، ولهذا ذهب المتعصبون للناظم في كل واد من أودية التأويل .

ففي كتاب غرائب الاغتراب : أن مما جرى البحث عنه بيت البوصيري هذا وهو مشكل ، وأمر معضل ، فان مقتضى لو وكون القرآن داخلا في آياته صلى الله عليه وسلم أن لا يكون القرآن العظيم مناسبا قدره عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ، وذلك مما لا يكاد يقال ، لما أن القرآن كلام الملك المتعال ، ثم أجاب بأجوبة غير مرضية ، الى أن قال : الجواب يتوقف على تحقيق المراد بالقرآن ان الذي لا يسوغ أن يفضل عليه النبي أو أي انسان أهو الكلام النفسي الذي هو من صفاته تعالى الذاتية ؟ أم الكلام اللفظي الذي ذهب الى أنه مخلوق - كالمعتزلة - معظم الأشاعرة والماتريدية ، فان كان الأول فالقول به غير مناسب قطعاً ، بل هو باطل بلا شبهة عقلا وسمعا ، وان كان الثاني فالقول بعدم مناسبة عدم المناسبة مما تردد فيه الأذهان ،



لقول معظم أهل السنة أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات ما يكون أو كان ،  
وحيث أن البوصيري عبر بالآيات أي المعجزات أراد بالقرآن المعنى الثاني من  
المعنيين ، اذ الكلام النفسي ليس بمعجزة ، ولم يتحد به سيد الكونين ، والظاهر أنه  
أشعري يقول : ان الكلام اللفظي مخلوق ، ضرورة اشتماله على بداية ونهاية وسابق  
ومسبوق ، وانه ممن يفضل النبي عليه الصلاة والسلام على جميع المخلوقات ، ممن  
مضى منهم ومن هو آت ، فقد قال وأحسن في المقال :

فبلغ العلم فيه أنه بشر                      وانه خير خلق الله كلهم

الى أن قال : وأنا أقول الآن مستعينا بالملك المنان ، قد ظفرت بنحو ما ذكرته في  
مختصر شرح المرزوقي للقصيدة ، ونصه - بعد كلام في هذا البيت - قال الشارح :  
لم يزل الناس يعترضون هذا البيت لاقتضائه ان ليس فيما أعطيه صلى الله عليه  
وسلم من الآيات ما يناسب قدره ، لأن لو حرف امتناع لامتناع ، أي امتنعت الخاصة  
المذكورة لامتناع أن يناسب قدره العظيم شيء ، من آياته صلى الله عليه وسلم ،  
وهذا باطل فان من آياته القرآن العظيم ، وهو كلام الله تعالى ، والكلام صفة ،  
وشرف الصفة بشرف الموصوف ، ثم قال : وعنه أجوبة ، وأقول : السؤال مغالطة ،  
فان القرآن يراد به كلام الله الذي هو صفة الذات وهو المعنى القائم به ، وهذا لم  
يعطه صلى الله عليه وسلم ، لأن الذي أعطيه معجزة والمعجزة فعل لله تعالى خارق  
للعادة وهو غير صفة الذات ، ويراد به أيضا الحروف الملفوظة والأصوات المسموعة ،  
وهذا هو الذي أعطيه صلى الله عليه وسلم ، وهو المعجزة ، واطلاق القرآن عليه  
بمعنى القراءة ، ومدلولها المعنى القائم بالذات ، واطلاق القرآن على الحروف  
والأصوات شائع ، وحينئذ لانسلم أن تكون الحروف والأصوات مناسبة لقدره  
عليه الصلاة والسلام ، انتهى •

فانظر الى هذا الجواب الركيك ، والقول بالكلام النفسي قد بين بطلانه في

غير هذا الموضع •

( والمقصود ) أن من أشهر من استشهد النبھاني الزائف بشعره الصرصري  
والبوصيري وقد سمعت ما قال أهل العلم فيهما ، فالباقون على هذا القياس فلا حاجة  
الى أن تتعب القلم •

أحسن ما في خالد وجهه                      ووجهه الغاية في القبح

( الوجه السادس ) أن من الغلاة من اعتذر عن هؤلاء الشعراء وغيرهم ممن

دعا غير الله وطلب منه حوائجه ومقاصده ، قال : ان أهل السنة من الأشاعرة  
والماتريدية لا يقولون بتأثير الأسباب ولا بالتعليل ، فلا مؤثر في الوجود الا الله ،  
والتأثير انما هو عند الأسباب لابلها ، فاذا طلب أحدهم شيئا من نبي أو ولي فالله هو  
المعطي لمن سأل عند الطلب ، ومن أسند التأثير لغير الله فقد أشرك ، فمن استغاث  
بالنبي صلى الله عليه وسلم كالبوصيري والصرصري وسائر من استشهد بشعره  
النبهاني لا لوم عليهم ، فان ما ذكر مقصودهم .

وسمعت من بعض أغبياء الغلاة وجهلهم من أهل الثياب المعلمة والأقفاء المورمة  
والألقاب المفخمة قال : مررت أثناء سفري الى الحجاز على جبل حائل وأهله من  
عرب نجد على مذهب الامام أحمد بن حنبل وأميرهم يومئذ محمد آل رشيد ، قال  
فاجتمعت بأمرهم وجرى في البين كلام طويل ، ومنه ما يتعلق بدعاء غير الله ، فقال  
الأمير : ان أهل بلادكم يغالون في الصالحين بما لا يرضى الله به ، وبينون على قبورهم  
المساجد والمشاهد ، ويوقدون السرج ، الى غير ذلك من البدع ، ثم أنهم يندبونهم  
في المهمات ويستغيثون بهم عند طلب الحاجات ، وكل ذلك وأمثاله مما لا يرضى به  
الله ولا رسوله ولا أهل العلم والدين ، فانه من أفعال مشركي العرب في الجاهلية ،  
بل هو أدهى وأمر ، قال فقلت للأمير - والله يعلم أنه من الكاذبين - ان أهل بلادنا  
يقولون عنكم وعن يسلك مسلككم من عرب نجد وغيرهم انكم مشركون ، قال  
فبهت الأمير من هذا الكلام واستعظمه ، ثم قال : ولم يقولون عنا انا مشركون ونحن  
من أخلص الناس توحيدا له سبحانه ، قال فقلت له : ان أهل بلادنا لا يثبتون للأسباب  
تأثيرا ، وأتم تثبتون التأثير والعلل والحكم والمصالح ، فاذا كان الأمر كذلك فقد  
أشركتم مع الله مؤثرا في الوجود ، وهذا هو الشرك الأكبر ، قال وأما أصحابنا  
فعندهم أن السكين عند امرارها على شيء لا تقطع بل يخلق الله القطع عند ذلك ،  
وليس في الماء قوة الري مودعة فيه بل الري يخلق عند شربه لابه ، والنار ليست  
بمحرقة بل الاحراق عندها لابلها ، والعين ليست بمبصرة والأذن ليست بسامعة بل  
الابصار والسماع عندهما لابلها ، وهكذا في جميع ما يعتقد أنه سبب في الظاهر ،  
فاذا قال الفائل مستغيا بأحد من الأموات يافلان افعل كذا وكذا فالتقصود الطلب من  
الله أن يقضي حاجته ، وبعد أن فرغ من هذا الهديان وسكت ، قلت له : فما أجابك  
الأمير ؟ قال لم يجبني بشيء ، فقلت كان ينبغي أن يجيبك ويسألك من قال هذا  
الكلام الذي ذكرته ؟ وعن نقلته ؟ وأي دليل لك عليه من الكتاب والسنة وسلف

الأمة ، وينبغي على قولك هذا أن يطلب من المخلوق كل شيء يطلب من الخالق ، وينبغي أن لا يعترض على عبدة الأصنام وطلبهم من أصنامهم ما يطلب من الله ، فانهم أيضا كانوا يعتقدون أن أصنامهم وسائط ووسائل وشفعاء ، وكانوا ( يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ) ، ويقولون انما تعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ، ونحو ذلك من الكلام ، واذا سئلوا من يرزقكم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله .

وقد سبق في هذا الكتاب في عدة مواضع بيان ذلك ، وأن كلام الغلاة هذا وكلام عبدة الأصنام من واد واحد ، وقد تشابهت قلوبهم ، وأوردت له عدة آيات ونصوص في اثبات الحكمة والتعليل ، وأن الله هو خالق السبب والمسبب ، وأن هذا هو ما اقتضاه الكتاب والسنة وكلام السلف ، فلم يزد ذلك الا نفورا واستكبارا عن قبول الحق ، فانه كان من قوم ظروفهم من الظرف خالية ، وغرفهم من العقول خاوية ، وصحفتهم من العلوم بيضا سافية ، وجيفهم فوق الماء طافية ، في الأنعام ، لافي الأنام ، ومثله بلاء على الأسماء .

وقد بسط الكلام على مسألة الأسباب العلامة الحافظ الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية في كتابه ( شفاء العليل ، في القضاء والقدر والحكمة والتعليل ) قال في أثناء كلامه : انه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعا وقدرًا ، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي ، وأمره الكوني القدري ، ومحل ملكه وتصرفه ، فانكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات ، وقدح في العقول والفطر ، ومكابرة للحس ، وجحد للشرع والجزاء ، فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والأوامر والنواهي والحل والحرمة كل ذلك مرتبطا بالأسباب قائما بها ، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه ، بل الموجودات كلها أسباب ومسببات ، والشرع كله أسباب ومسببات ، والمقادير أسباب ومسببات ، والقدر جار عليها متصرف فيها ، فالأسباب محل الشرع والقدر ، والقرآن مملوء من اثبات الأسباب ، كقوله : ( بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ )<sup>(١)</sup> ( بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ )<sup>(٢)</sup> ( ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ )<sup>(٣)</sup> ( بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ )<sup>(٤)</sup> وسرد آيات كثيرة الى أن قال :

وهذا أكثر من أن يستوعب .

(١) السجدة : ١٤ - (٢) يونس : ٥٢ - (٣) الحج : ١٠ - (٤) الشورى : ٢٠

وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء ، وهو أكثر من أن يستوعب كقوله : ( يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا )<sup>(١)</sup> وقوله : ( لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد )<sup>(٢)</sup>

وكل موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بعرف أفاد التسبب وقد تقدم ، وكل موضع ذكرت فيه الباء تعليلا لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب ، وكل موضع صرح فيه بأن كذا جزاء لكذا ، أفاد التسبب ، فان العلة الغائية علة للعلة الفاعلية ، ولو تتبعنا ما يفيد اثبات الأسباب من القرآن والسنة لزد على عشرة آلاف موضع ، ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة ، ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر ، ولهذا قال من قال من أهل العلم تكلم قوم في انكار الأسباب فأضحكوا ذوي العقول على عقولهم ، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد فشا بهوا المعطلة الذين أنكروا صفات الرب ونعوت كماله ، وعلوه على خلقه ، واستواءه على عرشه ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه للملائكته وعباده ، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد ، فما أفادهم الا تكذيب الله ورسله وتنزيهه عن كل كمال ، ووصفه بصفات المعدوم والمستحيل ، ونظير من نزه الله في أفعاله وأن يقوم به فعل البتة ، وظن أنه ينصر بذلك حدوث العالم وكونه مخلوقا بعد ان لم يكن ، وقد أنكر أصل الفعل والخلق جملة ، ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد ايها الناس أن التوحيد لا يتم الا بانكار الأسباب ، فاذا رأى العقلاء أنه لا يمكن اثبات توحيد الرب سبحانه الا بابطال الأسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به ، وأنت لاتجد كتابا من الكتب أعظم اثباتا للأسباب من القرآن .

ويا لله العجب اذا كان الله خالق السبب والمسبب وهو الذي جعل هذا سببا لهذا والأسباب والمسببات طوع مشيئته وقدرته منقادة لحكمه ان شاء أن يبطل سببية الشيء أبطلها كما أبطل احراق النار على خليفه ابراهيم واغراق الماء على كليته وقومه ، وان شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها ، وان شاء خلى بينها وبين اقتضائه لآثارها ، فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا ، فأبي قدح يوجب ذلك في التوحيد ؟ وأي شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه ؟ ولكن ضعفاء العقول اذا سمعوا أن النار لا تحرق والماء لا يفرق والخيز لا يشبع والسيف لا يقطع ولا تأثير لشيء من ذلك البتة ولا هو سبب لهذا الأثر وليس فيه قوة وانما

(١) الانفال : ٢٩ - (٢) ابراهيم : ٧

الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقة كذا لكذا - قالوا هذا هو التوحيد ، وافراد الرب بالخلق والتأثير ، ولم يدر هذا القائل أن هذا اساءة ظن بالتوحيد ، وتسليط لأعداء الرسل على ماجاؤا به ، كما تراه عيانا في كتبهم ينفرون به الناس عن الايمان ، ولا ريب أن الصديق الجاهل قد يضر مالا يضره العدو العاقل ، قال تعالى عن ذي القرنين ( وآتيناهم كل شيء سبياً )<sup>(١)</sup> ثم ذكر تفسير الآية وذكر آيات أخر ، وشفى بذلك صدور المؤمنين ، ومن أراد الوقوف على تفصيل ذلك فليراجع هذا الكتاب .

والمقصود : أن قول ذلك الزائف الذي أجراه مع أمير الجبل هو كذب لأصل له ، واني أعلم أنه من أكذب الناس وأكثرهم رياء ، وأنه لو كان صادقا فيما نقله للكلام مع العوام لا يترتب عليه شيء ، وان مسألة الأسباب سواء قلنا فيها بقول السلف أم لا لاتعلق لها مع الدعاء والعبادة ، فان ذلك من خصائص الله تعالى باتفاق العقلاء وأهل المعرفة ، وان الأشاعرة القائلين بعدم تأثير الأسباب لا يقولون بجواز عبادة غير الله ، فلا يسجد لغير الله ، ولا يذبح لغير الله ، ولا ينذر لغير الله ، ولا يحلف بغير الله ، ولا يستغاث ولا يستعان بغير الله .

وكل هذا يفعله قوم ذلك الزائف فما حجتهم في هذا العمل الباطل ؟ فليجب عن هذا ثم ليفتخر بما كان منه مع أمير حائل العامي ، وانه يتبجح بالزامة وافحامه ، ألا لعنة الله على الكاذبين .

( الوجه السابع ) ان الشعراء الذين أورد النبهاني من شعرهم في الاستدلال على جواز الاستغاثة بغير الله والاحتجاج على مشروعية دعاء سواه سبحانه - بل كل من كان على هذا المنهج من الغلاة - فهو اما من القائلين بالحدل والاتحاد وهو الذي سوغ له ذلك الدعاء والاتجاه اذ الكل واحد ، وعلى ذلك قول قائلهم :

وتلتذ ان مرت على جسدي يدي لأني في التحقيق لست سواه

وقال آخر:

الرب عبد والعبد رب ياليت شعري من المكلف

وعندهم الوجود واحد ، ولذلك قال من قال سبحانه من أطهر الأشياء وهو عينها ، فاذا كان الله عين كل شيء فله أن يعبد كل شيء اذ هي عين الحق ، وفي كتاب

فصوص الحكم ماتشعر منه جلود المؤمنين •

قال شرف الدين اسمعيل المعروف بابن المقرئ من قصيدة :

فقال بأن الرب والعبد واحد      فربي مربوب بغير تفساير  
وأنكر تكليفا اذ العبد عنده      اله وعبد فهو انكار حاير  
وخطأ الامن يرى الخلق صورة      وهوية لله عند التناظر  
وقال يحل الحق في كل صورة      تجلى عليها وهو احدى المظاهر  
وأنكر أن الله يغني عن السورى      ويعنون عنه لاستواء المقادر

الى آخر ما قال ، والقصيدة طويلة في ديوانه ، وهو الذي قال ما قال الشيخ  
محي الدين الذي يقول :

وكل كلام في الوجود كلامه      سواء علينا ثره ونظامه

( والمقصود ) أن من يذهب مذهب الغلاة في أهل القبور فريقان :

( الفريق الأول ) من يقول بالاتحاد والحلول ، اذ لافرق حينئذ بين الخالق  
والمخلوق ، ولا بين التراب ورب الأرباب ، ومنهم النبهاني الزائغ على ما أشعر كلامه  
واعتقاده في النبي صلى الله عليه وسلم مع ما هو عليه من المسلك ، وقد ذكرنا ذلك  
أول الكتاب ، ومثله كثير ممن أورد شعره •

( الفريق الثاني ) الجهال بحقائق الدين ودقائقه ، وهم أكثر من نقل النبهاني  
شعره ، فهم لا يعلمون ما في كلامهم من المحاذير ، ولو نبهوا عليها لاتبهوا ، وهم في  
شعرهم وما قالوه في النبي صلى الله عليه وسلم من الفلوى يحسبون أنهم يحسنون  
صنعا ، وقد رأينا من يعمل في قبور الأصفياء ما يعمل من المنكرات والأعمال التي لم  
تشرع كلهم من العوام وان كان في زي العلماء الأعلام ، فبطل جميع ما استشهد به من  
الشعر والحمد لله •

( قال النبهاني ) ان الشيخ محمد الأمير الكبير صاحب الثبت المشهور قد أجازني  
بشبهه ، وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ، ومن كل معقول ومنقول شيخي  
الامام العلامة الشيخ ابراهيم السقا المصري ، عن الشيخ محمد الأمير الصغير ، عن  
والده الأمير الكبير المذكور ، ثم ذكر سنده بالطريقة الشاذلية الى أن أوصلها الى  
جبريل ، عن اسرافيل ، عن عزرائيل ، عن اللوح ، عن القلم ، عن الجليل جل جلاله ،  
ثم ذكر له اجازة أخرى من هذا القبيل •

ثم أردفها بتبنيه نزه فيه شيخه عما قيل فيه ، ثم ذكر سنده في الطريقة البكرية

الخلوتية ، وأعقبها بهديان وترهات تود الأذن المحمدية لو كانت عنها صماء .  
( الجواب عن جسيخ ماهدى به في هذا المقام ) أن يقال : ان ما عليه النبهاني من  
الجهل والضلال يكذب جميع ماداعاه ، أين علمه بالمعقول والمنقول الذي أجاز به  
شيوخه ؟ بل أين آثار علم من العلوم فضلا عن جميعها من المعلوم العقلية والنقلية ؟  
ودعوة المرء تطفي نور بهجته هذا بحق فكيف المدعي زللا

ثم أين زهده وورعه وتقواه وقد صرف عمره في الأحكام القانونية في المحاكم  
الجزائية والبداية والحكم بغير ما أنزل الله ؟ أما يستحي من هذا حاله أن يدخل نفسه  
في عداد المسلمين فضلا عن عباد الله الصالحين والعلماء العاملين ؟ وهو صفر اليدين  
من كل فضيلة ، عار عن أردية المناقب الجميلة ، ولكن شأن من لم يستح من الله ومن  
عباده أن يصنع ما يشاء ، وليته ذكر أيضا سنده بالطريقة الرفاعية ، التي تلقاها عن  
شيخه وشيطانه ، شيخ السوء ومقتدى الدجالين ، خبيث النفس والأفعال ، أبي البدع  
وعنوان الضلال ، وهكذا غالب متصوفة زماننا ، فمن باب الاشارة في تفسير قوله  
تعالى : ( وَبَلَّوْنَاھُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّھُمْ يَرْجِعُونَ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِھُمْ خَلْفٌ  
وَرُثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ) <sup>(١)</sup> وهي الشهوات الدانية  
واللذات الفانية ، ويجعلون ماورثوه ذريعة الى أخذ ذلك : ( وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ  
لَنَا ) <sup>(٢)</sup> ولا بد ، لأننا واصلون كاملون ، وهذا حال كثير من متصوفة زماننا ،  
فانهم يتهافون على الشهوات تهافت الفراش على النار ، ويقولون ان ذلك لا يضرنا  
لأننا واصلون ، وحكي عن بعضهم أنه يأكل الحرام الصرف ، ويقول : ان النفي والاثبات  
يدفع ضرره ، وهو خطأ فاحش وضلال بين ، أعاذنا الله تعالى واياكم من ذلك ، وأعظم  
منه اعتقاد حل أكل مثل الميتة من غير عذر شرعي لأحدهم ، ويقول كل منا بحر والبحر  
لا ينجس ، ولا يدري هذا الضال أن من يعتقد ذلك أنجس من الكلب والخنزير ،  
ومنهم من يحكي عن بعض الكاملين المكملين من أهل الله تعالى ما يؤيد به دعواه ،  
وهو كذب لا أصل له ، وحاشا ذلك الكامل مما نسب اليه ، انتهى .

وقال الزمخشري عند الكلام على قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ  
يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ) <sup>(٣)</sup>

(١) الامراف : ١٦٨ ، ١٦٩ - (٢) المائدة : ٥٤

مانصه : محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته ، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ، ومحبة الله تعالى لعباده أن يشيهم أحسن الثواب على طاعتهم ، ويعظمهم ويشي عليهم ويرضى عنهم ، وأما ما يعتقد أهمل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوؤهم طريقة ، وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المقتلة المنفصلة من الصوف ، وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله تعالى ، وفي مراقصهم عطلها الله تعالى بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء ، وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى عليه السلام ، ثم ذلك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ، ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم ، كذلك يحبون ذاته ، فإن الهاء راجعة الى الذات ، دون النعوت والصفات ، ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة ، ولو لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة ، انتهى كلامه .

وهؤلاء الطائفة الذين تسموا بالصوفية غاصين له عن أهله ، قد ارتكبوا ما نقل الامام عنهم ، بل وزيادة أضعاف أضعافه مما نعلمه من هذه الطائفة في زماننا ، وذلك لا ينافي حال المتسمين به حقيقة ، ولا يؤاخذ الصالح بالطالح ، ولا يضرب رأس البعض بالبعض ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

ثم انه من المعلوم أن ما يقرأه الناس اليوم من العلوم العقلية أخذت من كتب اليونان بعد أن ترجمت بأمر المأمون الخليفة العباسي ، فمن أين ساغ لمن أسندها في الاجازات الكاذبة الى النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم كما ذكره النبهاني الكاذب في اسنده ؟ وعلوم اليونان كلها خطأ وضلال وبهتان كما ظهر ذلك للعيان عند من مارس فنون الفلاسفة المتأخرين ، فكيف تسند الى من لا ينطق عن الهوى ؟ وهكذا حكم الطرائق المتبدعة ، فهي من وسوسة الشيطان لا من وحي الرحمن .

وأما علم الكلام الذي هو من جملة علم المعقول المختلط مع المنقول ان كان المراد به المخالف للكتاب والسنة فهو باطل ، وقد نزه الله تعالى عنه من ذكره النبهاني في سند اجازته التي أجازها فيها شيوخه بالعلوم والطريقة ، ولم يكن في الصحابة والتابعين أحد يستدل على حدوث العالم بحدوث الأجسام ، ويثبت حدوث الأجسام بدليل الأعراض والحركة والسكون ، والأجسام مستلزمة لذلك لا تنفك عنه ، ومالا يسبق الحوادث فهو حادث ، ويبنى ذلك على حوادث لا أول لها ، بل



أول ما ظهر هذا الكلام في الاسلام بعد المائة الأولى من جهة الجعد بن درهم والجهم ابن صفوان ، ثم صار الى أصحاب عمرو بن عبيد ، كأبي الهذيل العلاف وأمثاله . وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء انما كانا يظهران الكلام في انفاذ الوعيد ، وأن النار لا يخرج منها من دخلها ، وفي التكذيب بالقدر ، وهذا كله مما نزه الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، والتابعين لهم باحسان ، وتتام الكلام في كتاب المنهاج لشيخ الاسلام رحمه الله ، فان فيه ما يشفي صدور المؤمنين .

ثم ان ما ذكره النبهاني من أن سند الطرايق المبتدعة يتصل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل الى آخر ما ذكره فهو كذب لا أصل له .

وتحقيق ذلك : أن أهل المعرفة وحقائق الايسان المشهورين في الأمة بلسان الصدق انما وصلوا الى ما وصلوا اليه بالعمل بما في الكتاب والسنة لا بلباس الخرقه ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ) فأين حقائق القلوب من لباس الأبدان .

( ويقال ثانيا ) الخرق متعددة أشهرها خرقتان : خرقه الى عمر ، وخرقة الى علي ، كما حققه شيخ الاسلام ، فخرقة عمر لها اسنادان : اسناد الى أويس القرني ، واسناد الى أبي مسلم الخولاني .

وأما الخرقه المنسوبة الى علي فاسنادها الى الحسن البصري ، والمتأخرون يصلونها بعروف الكرخي ، فان الجنييد صحب السري والسري صحب معروف الكرخي بلا ريب ، وأما الاسناد من جهة معروف فينقطع ، فتارة يقولون : ان معروف صحب عليا وهو ابن موسى الرضا ، وهذا باطل قطعا ، لم يذكره المصنفون لاخبار معروف بالاسناد الثابت المتصل ، كأبي نعيم وأبي الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي صنفه في فضائل معروف ، ومعروف كان منقطعا في الكرخ ، وعلي بن موسى كان المأمون قد جعله ولي المهدي بعده ، وجعل شعاره لباس الخضرة ، ثم رجع عن ذلك وأعاد شعار السواد ، ومعروف لم يكن ممن يجتمع بعلي بن موسى ولا نقل عنه ثقة أنه اجتمع به أو أخذ عنه شيئا ، بل ولا يعرف أنه رآه ، ولا كان معروف بوابه ، ولا أسلم على يديه ، وهذا كله كذب .

وأما الاسناد الآخر فيقولون : ان معروف صحب داود الطائي ، وهذا أيضا

لا أصل له ، وليس في أخباره المعلومة ما يذكر فيها ، وفي اسناد الخرقه أيضا أن داود الطائي صحب حبيبا العجمي ، وهذا أيضا لم يعرف له حقيقة ، وفيها أن حبيبا العجمي صحب الحسن البصري ، وهذا صحيح ، فإن الحسن كان له أصحاب كثيرون ، مثل أيوب السختياني ، ويونس بن عبيد ، وعبد الله بن عوف ، ومثل محمد بن واسع ، ومالك بن دينار ، وحبيب العجمي ، وفرقد السبخي وغيرهم من عباد البصرة ، وفيها أن الحسن صحب عليا ، وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة ، فانهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلي ، وانما أخذ عن أصحاب علي ، أخذ عن الأحنف بن قيس ، وقيس بن عباد وغيرهما عن علي ، وهكذا رواه أهل الصحيح ، والحسن ولد لستين بقتا من خلافة عمر ، وقتل عثمان وهو بالمدينة ، كانت أمه أمة لأمة سلمة ، فلما قتل عثمان حمل إلى البصرة ، وكان علي بالكوفة ، والحسن في وقته صبي من الصبيان لا يعرف ولا له ذكر ، والأثر الذي يروى عن علي أنه دخل إلى جامع البصرة وأخرج القصاص إلا الحسن كذب باتفاق أهل المعرفة ، ولكن المعروف أن عليا دخل المسجد فوجد قاصا يقص ، فقال : ما اسمك ؟ قال أبو يحيى ، قال تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال لا ، قال : هلكت وأهلك ، انما أنت أبو اعرفوني ، ثم أخذ بأذنه فأخرجه من المسجد ، فروى أبو حاتم في كتاب الناسخ والمنسوخ : حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال انتهى علي إلى قاص وهو يقص ، فقال أعلمت الناسخ والمنسوخ ؟ قال لا ، قال : هلكت وأهلك ، قال وحدثنا زهير بن عباد الرواسي ، حدثنا أسد بن حمران عن جوير عن الضحاك ، أن علي بن أبي طالب دخل مسجد الكوفة فاذا قاص يقص فقام على رأسه فقال يا هذا تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال لا ، قال أتعرف مدني القرآن من مكه ؟ قال لا ، قال هلكت وأهلك ، قال أتدرون من هذا ؟ هذا يقول اعرفوني اعرفوني .

وقد صنف ابن الجوزي مجلدا في مناقب الحسن البصري ، وصنف أبو عبيد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي جزءا فيمن لقيه من أصحابه ، واخبار الحسن مشهورة في مثل تاريخ البخاري .

قال شيخ الاسلام : وقد كتبت أسانيد الخرقه ، لأنه كان فيها أسانيد فينتها ليعرف الحق من الباطل ، ولهم أسانيد أخر بالخرقة المنسوبة إلى جابر ، وهو منقطع جدا ، وقد عقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مرديهم خرقه ، ولا يقصون شعورهم ، ولا التابعون ، ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين

وأخبار الحسن مذكورة بالأسانيد الثابتة في كتب كثيرة يعلم منها ما ذكرنا .  
وقد أفرد أبو الفرج ابن الجوزي له كتابا في مناقبه وأخباره .

وأضعف من هذا نسبة الفتوة الى علي ، وفي اسنادها من الرجال المجهولين الذين لا يعرف لهم ذكر ما يبين كذبها ، وقد علم كل من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل ، ولا يسقى ملحاً ، ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة ، لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون وتعلموا منهم ، وتأدبوا بهم ، واستفادوا منهم ، وتخرجوا على أيديهم ، وصحبوا من صحبوه منهم ، وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة ، وأصحاب ابن مسعود كانوا يأخذون عن عمر وعلي وأبي الدرداء وغيرهم ، وكذلك أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه كانوا يأخذون عن ابن مسعود وغيره ، وكذلك أصحاب زيد بن ثابت يأخذون عن أبي هريرة وغيره ، وقد اتفق بكل منهم من نفعه الله ، وكل منهم متفقون على دين واحد وطريق واحدة وسبيل واحدة ، يعبدون الله تعالى ويطيعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن بلغهم من الصادقين عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قبلوه ، ومن فهم من السنة والقرآن ما دل عليه القرآن والسنة استفادوه ، ومن دعاهم الى الخير الذي يحبه الله ورسوله أجابوه ، ولم يكن أحد منهم يجعل شيخه ربا يستغيث به كلاله الذي يسأله ويرغب اليه ، ويعبده ويتوكل عليه ، ويستغيث به حيا وميتا ، ولا كالنبي الذي تجب طاعته في كل ما أمر ، فالحلال ما حله ، والحرام ما حرمه ، فان هذا ونحوه دين النصارى ، الذين قال الله فيهم : ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) . (١)

وكانوا متعاونين على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، متواصين بالحق متواصين بالصبر ، والامام والشيخ ونحوهما عندهم بمنزلة الامام في الصلاة وبمنزلة دليل الحاج ، فالامام يقتدي به المأمون فيصلون بصلاته لا يصلي عنهم ، وهو يصلي بهم الصلاة التي أمر الله ورسوله بها ، فان عدل عن ذلك سهوا أو عمدا لم يتبعوه ، ودليل الحاج يدل الوفد على طريق البيت ليلسكوه

(١) التوبة : ٢١

ويحجوه بأنفسهم ، فالدليل لا يحج عنهم ، وإن أخطأ الدلالة لم يتبعوه ، وإذا اختلف دليان وإمامان نظر أيهما كان الحق معه فاتبع ، فالفاصل بينهم الكتاب والسنة ، قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) .<sup>(١)</sup>

وكل من الصحابة الذين سكنوا الأمصار أخذ عنه الناس الايمان والدين ، وأكثر المسلمين بالشرق والمغرب لم يأخذوا عن علي شيئا ، فانه رضي الله عنه كان ساكنا بالمدينة ، وأهل المدينة لم يكونوا يحتاجون اليه الا كما يحتاجون الى نظرائه كعثمان في مثل قضية يشاورهم فيها عمر ونحو ذلك ، ولما ذهب الى الكوفة كان أهل الكوفة قبل أن يأتهم قد أخذوا الدين عن سعد ابن أبي وقاص وابن مسعود وحذيفة وعمار وأبي موسى وغيرهم ممن أرسله عمر الى الكوفة ، وأهل البصرة أخذوا الدين عن عسران بن حصين وأبي بكر وعبد الرحمن بن سمرة وأنس وغيرهم من الصحابة وأهل الشام أخذوا الدين عن معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وبلال وغيرهم من الصحابة ، والعباد والزهاد من أهل هذه البلاد أخذوا الدين عن شاهده من الصحابة ، فكيف يجوز أن يقال : ان طريق أهل الزهد والتصوف متصل به دون غيره ، وهذه كتب الزهد - مثل الزهد للإمام أحمد ، والزهد لابن المبارك ، ولوكيع ابن الجراح ، ولهناد بن السري ، ومثل كتب أخبار الزهاد ، كحلية الأولياء ، وصفوة الصفوة ، وغير ذلك - فيها من أخبار الصحابة والتابعين أمور كثيرة ، وليس الذي فيها لعلي أكثر مما فيها لأبي بكر وعمر ومعاذ وابن مسعود وأبي بن كعب وأبي ذر وأبي الدرداء وأبي امامة وأمثالهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، انتهى كلامه .

( والمقصود من نقله ) أن يعلم أن ما ذكره النهائي من الثبت باطل من وجوه :  
 ( أما أولا ) فلأن ما يعرفه من العلم الشيطاني ليس مأخوذا بالسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان العلم الذي جاء به الرسول لا يعرفه ولا يوفق له ، فانه نور ونور الله لا يوفق له العصاة الطغاة .  
 ( وأما ثانيا ) فلأن الطرائق التي اتحلها لأصل لها ، وكلها بدع وضلالات ،

(١) النساء : ٥٩

ولذلك لم تؤثر في قلبه شيئا ان صدق أنه سلكها ، بل هو من أضل الناس وأجهل الناس .

(وأما ثالثا ) فلأن سنده مختل باطل ، كما يعلمه من يطبقه على ماسبق من كلام

شيخ الاسلام .

(وبالجملة ) فكلامه في كتابه هذا من أوله الى آخره ظلمات بعضها فوق بعض ،

فسبحان من طبع على قلبه وعلى سمعه وبصره ، ومع ما هو عليه من الحال الذي ينبغي أن يرثى له بسببه يتناول على علماء المسلمين الربانيين ويفحش القول فيهم ، قبحه الله تعالى ولعنه كما لعن أصحاب السبب ، وما أحقه بقول أبي العلاء المعري :

إذا وصف الطائي بالبخل مادر \* وعبير قسا بالفتاهة باقل

وقال السهي للشمس أنت خفية \* وقال الدجى للصبح لنونك حائل

وطاولت الأرض السماء سفاهة \* وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

فياموت زران الحياة ذميمة \* ويانفس جدي ان دهرك هازل

والكلام على بدع الطرائق وأهلها مفصل في غير هذا الموضوع ، وفي كتاب

( كشف أحوال المشايخ الأحمدية ، وبيان أحوالهم الشيطانية ) مايشفي صدور

المؤمنين ، وتقربه عين الموحدين ، والنبهاني لم يزل يكرر قوله في التبجح والافتخار

بالاجازات الكاذبة التي لأصل لها ، ويقول : وعندي بحمد الله اجازات بكثير من

الطرق العلية غير الخلوتية والشاذلية ، كالقادرية والرفاعية والنقشبندية ، ولكن كل

ذلك لأجل البركة باتصال سندي بالنبي صلى الله عليه وسلم كما اتصل من طرق

الفقهاء والمحدثين وسائر علماء الدين الى آخر هذيانه ، ولا بدع اذا ما كان مجمع

البدع والضلالات ، وليت شعري ماذا نفعته تلك الاجازات ، وأي بركة حصلت له

من هاتيك الخزعلات ، وهل هي الا أن قضى شطرا من عمره في محاكم القوانين

والنظامات ، وصرف أيامه بالجهالات والضلالات : ( وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ

مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ )<sup>(١)</sup> ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْهُم

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ) .<sup>(٢)</sup>

(الكلام على سوء خاتمته )

قال النبھاني : الخاتمة في الجواب عما اعترض به ابن تيمية وأمثاله على بعض

(١) الشعراء : ٢٢٨ - (٢) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤

أولياء الله تعالى من الألفاظ الموهمة ، ونقل عن كتاب البحر المورود للامام الشعراني أنه قال أخذ علينا اليهود أن نجيب عن أئمة الاسلام - من العلماء والصوفية - جهدنا ، ولا نصغي قط لقول من طعن فيهم ، لعلنا أنه ما طعن فيهم الا وهو قاصر عن معرفة مداركهم ، ونقل كلامه في تبرئة الجنيد والغزالي ، والشيخ محي الدين ابن عربي ، ونقل أيضا كلامه على ما اعترض عليه من كلمات القوم ، كقول الشيخ أبي يزيد طاعتك لي يارب أعظم من طاعتي لك ، وقول الجنيد العارفون لا يموتون ، وانما ينقلون من دار الى دار ، وقول الشبلي : ان ذلي عطل ذل اليهود ، وقول الغزالي : ليس في الامكان أبدع مما كان ، وقول الشيخ محيي الدين ابن عربي : حدثني قلبي عن ربي ، أو حدثني ربي عن قلبي ، أو حدثني ربي عن نفسه ، ثم ان الشعراني وجه هذه الأقوال بتوجيهات رآها ، ثم نقل عن القوم أقوالا ثبتت عنهم - ولم يعين قائلًا - كقولهم اللوح المحفوظ هو قلب العارف ، وقولهم دخلنا حضرة الله ، وخرجنا من حضرة الله ، وأبدى لمثل هذه الأقوال معاني صحيحة ، ثم ان بعض أقوال نسبت الى بعض أولئك القوم ، قال لم تصح نسبتها اليهم وكذبها ، ونقل النبهاني أيضا عن الفتاوى الحديشية بعض المسائل المتعلقة بمثل تلك الأقوال سئل عنها فأجاب بما أجاب وختم به كتابه .

(والجواب عن ذلك كله أن يقال ) : انه لم يسلم أحد من الاعتراض عليه، والقاء التهمة بين يديه ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الذين ذكر من أقوالهم ما ذكر ان لم يكن لها وجه ، فهي لا تزري بعلو شأنهم ، ومزيد عرفانهم ، فهم لم يكونوا معصومين ، ولا أنبياء ولا مرسلين ، وقد قيل ان الصارم قد ينبو ، والجواد قد يكبو ، والسعيد من عدت سقطاته ، وقلت غلطاته ، وما أحسن ما قيل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

هذا اذا لم يكن لما قالوه وجه وجيه ، فكيف وغالب أقوالهم قد صححها بعض أهل العلم ، والنبهاني قد افتري على شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في قوله : ان ابن تيمية اعترض على تلك الأقوال التي ذكرها ، فعلى أي قول منها اعترض؟ وفي أي كتاب ذكر ذلك؟ والبهتان قد صار ديدنا وديننا للنبهاني ، كما قد قررنا ذلك مرارا ، وابن تيمية لم يزل يذب عن العلماء الربانيين ، والعلماء العاملين ، وألف كتابا سماه (رفع الملام ، عن الأئمة الأعلام) وآخر في الذب عن الأئمة الاربعة ، وآخر في

الاتصار للإمام أحمد ، وآخر وآخر ، مما سبق بيانه ، وقد كان رحمه الله على جانب من الانصاف عظيم ، يعرف قدر أهل العلم ، ويعطي كل ذي حق حقه ، نعم اعترض على بعض مسائل لأبي حامد مخالفة للكتاب والسنة ذكرها في الاحياء وغيره من كتبه ، كما هو شأن أئمة الأمة المحمدية ، فانهم كما وصفهم لا يجتمعون على ضلالة ، وقال فيه : انه مات والبخاري على صدره ، نعم انه تكلم في الشيخ محي الدين وأضراجه ممن قال بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ، كما سبق بيانه ، وله فيهم رد كبير ، وذكر منه في كتابه ( الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ) ما نقلنا بعضه فيما سبق ، وهو ليس أول من قرع هذا الباب من أولي الألباب ، فكم وكم له من سلف ، وذلك من الواجب على مثله أن يقوم على ساق المناضلة والذب عن الشريعة الغراء ، ومن أعطاء الله علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ، قال تعالى : ( وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آوَتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ) (١) والشيخ محي الدين قد ألف فيه كتب كثيرة ، وردوا على أقواله التي في الفصوص والفتوحات وغيرهما .

وممن ألف في الرد عليه العلامة الثاني سعد الدين التفتازاني ، والحافظ العسقلاني ، والشيخ أبو عبد الله البخاري ، والملا علي القاري ، والعلامة العضد ، وغيرهم ممن لا يحصون كثرة ، وأنهم أصابوا في الرد عليه ، ولولا أن يطول الكلام لذكرنا كلامهم فيه ، ولعلنا ان شاء الله نفرده كتابا يكون قسيما لهذا الكتاب .

ثم ان ما نقله النبهاني عن الشعراني في توجيه قول الشيخ محي الدين فهو غير مقبول ، لأنه لا يدل اللفظ عليه لاحقيقة ولا مجازا ، ولقد تجرأ على القول به بعض من لاخلاق له ممن ينتسب الى العلم والصلاح من الغلاة ، فحصل منه من المفاسد ما حصل .

قال العلامة الشيخ عبد اللطيف في كتابه ( منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس ) عند الكلام على بدع القبورين مانصه :

ومن المحن أن مشايخ المذاهب الأربعة وفقهاءهم جزموا بوجود هدم القباب ، ونهوا عن الطواف بالقبور ودعاء أربابها ، بل ودعاء الله عندها ، ومنعوا من الذبح لها والغلو فيها ، بل وعن عبادة الله بالصلاة عندها ، فاذا عمل بمقتضى أقوالهم عامل وألزم بها الناس نسبة هؤلاء الجهال الى الاستخفاف بالأنبياء والصالحين والى

(١) آل عمران : ١٨٧

مخالفة العلماء ، لأن العلم في عرفهم ماهم عليه من أقوال أسلافهم ومشايخهم من المتأخرين ، قال وقد حدثني من يقبل حديثه أنه سمع هذا العراقي بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يوم قدوم الحاج يقول في مجمع من الناس : انما الرجل من يقول حدثني سري عن ربي ، لا من يقول : حدثنا فلان وفلان .

فانظر هذا الاستخفاف العظيم برسل الله ، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن من يأخذ عن الأنبياء المعصومين وعن رسل الله المبلغين أفضل وأكمل ممن يأخذ عن سره وورده ، بل هذه الواردات كلها موقوفة ومردودة الا بشاهد عدل من رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد لها بالصحة وأنها حق يؤخذ به .

وقد قال شيخ الطريق الجنيد بن محمد رحمه الله : انه لتقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها الا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة .

وغالب هذه الواردات التي تخالف الشرعيات ، ويشير اليها أهل التصوف والتعبادات - انما هي من وحي الشيطان لا عن الله رب العالمين ، وبهذا تعلم أن هذا العراقي وأمثاله هم أهل التنقص للرسل التاركون لما جاؤا به ، وحاصل أمرهم عزل الكتاب والسنة في باب الاعتقادات والعمليات ، واتباع ما تهوى الأنفس من الغلو والاطراء والجهل والضلالات ، وهذا الاعتراض محشو من ذلك لا تكاد تعد فيه كلمة واحدة سيقت على القانون الشرعي والمنهاج المرضي ، وما أحسن ما قال شيخ الاسلام فيما كتب على المحصل للرازي :

محصل في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله جهل بلادين  
بحر الضلالات والافك الميين وما فيه فأكره وحي الشياطين

انتهى كلام صاحب المنهاج ، ومنه يعلم أن قول مجي الدين ان صح عنه فهو قول باطل لا يفيد فيه ما ذكره الشعراني من التأويل العليل .

( والامام أبو حامد الغزالي ) اعترض على كتبه كثير من العلماء الربانيين ، منهم الامام أبو عبد الله المازري ، قال تاج الدين ابن السبكي في طبقاته عند ذكره كلام الطاعنين على هذا الامام ورده : قال الامام أبو عبد الله المازري المالكي - مجيبا لمن سأله عن حال كتاب احياء العلوم ومصنفه - هذا الرجل - يعني الغزالي - وان لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه ، فكل منهم يحكي لي نوعا من حاله وطريقته ، فأتلوح بها من مذهبه وسيرته ما قام لي مقام العيان ، فأنا أقصر على ذكر حال الرجل وحال كتابه ، وذكر جمل من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوفة



وأصحاب الاشارات ، فان كتابه متردد بين هذه الطرائق لا يعدوها ، ثم أتبع ذلك بذكر حيل أهل مذهب على أهل مذهب آخر ، ثم أبين عن طرق الغرور ، واكشف عما دفن من حبال الباطل ليحذر من الوقوع في حباله صائده ، ثم انه أثنى على الغزالي في الكشف وقال هو أعرف بالفقه منه بأصوله ، وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين فانه صنف فيه أيضا وليس بالمستبحر فيها، ولقد فطنت لسبب عدم استبحاره وذلك أنه قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في فن أصول الدين ، فأكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعاني ، وتسهيلا للهجوم على الحقائق ، لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها ، وليس لها حكم شرعي ترعاه ، ولا تخاف من مخالفة أئمة تبعها ، وعرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا ، وهي احدى وخسون رسالة ، ومصنفها فيلسوف قد خاض في علم الشرع والعقل ، فمزج ما بين العلمين ، وذكر الفلسفة وحسنها في قلوب أهل الشرع بأبيات يتلوها عندها وأحاديث يذكرها، ثم كان في هذا الزمان المتأخر رجلا من الفلاسفة يعرف بابن سينا ملا الدنيا تأليف في علم الفلسفة ، وهو فيها امام كبير ، وقد أدته قوته في الفلسفة الى أن حاول رد أصول العقائد الى علم الفلسفة ، وتلطف جهده حتى تم له ما لم يتم لغيره ، وقد رأيت جملا من دواوينه ورأيت هذا الغزالي يعول عليه في أكثر ما يشير اليه من الفلسفة

ثم قال : وأما مذاهب الصوفية فليست أدري على من عول فيها ، ثم أشار الى أنه عول على أبي حيان التوحيدي ، ثم ذكر توهية أكثر ما في الأحياء من الأحاديث وقال : عادة المتورعين أن لا يقولوا قال مالك قال الشافعي فيما لم يثبت عندهم ، ثم أشار الى أنه يستحسن أشياء مبناها على مالا حقيقة له ، مثل قوله في قص الأظفار أن تبدأ بالسبابة لأن لها الفضل على بقية الأصابع لكونها المسبحة الى آخر ما ذكر من الكيفية ، وذكر فيه أثرا ، وقال : من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن البارئ قديم مات مسلما اجماعا ، قال : ومن تساهل في حكاية هذا الاجماع الذي الأقرب أن يكون فيه الاجماع بعكس ما قال فحقيق أن لا يوثق بما نقل .

وقد رأيت له أنه ذكر أن في علومه هذه مالا يسوغ أن يودع في كتاب ، فليت شعري أحق هو أو باطل ، فان كان باطلا فصدق ، وان كان حقا وهو مراده بلا شك فلم لا يودع في الكتب ؟ ألموضوعة ودقته ؟ قال : فان كان هو فما المانع ؟ ( هذا ملخص كلام المازري على مقاله ابن السبكي ) .

( ومنهم أبو الوليد الطرطوشي ) قال تاج الدين : وسبق المازري الى قريب منه من المالكية أبو الوليد الطرطوشي ، فذكر في رسالته الى ابن مظفر : فأما ما ذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته فرأيت رجلا من أهل العلم قد نهضت به فضائله واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول زمانه ، ثم بداله الانصراف عن طريق العلماء ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج وجعل يظن على الفقهاء والمتكلمين ، ولقد كاد ينسلخ من الدين ، فلما عمل الأحياء عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامض الصوفية ، وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات .

( ومنهم الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ) فقد تكلم أيضا في الغزالي بكلام قادح فيه ، وظن على كنبه بأنها مشتتة على خرافات وأكاذيب وموضوعات ، قال ابن السبكي : وللشيخ تقي الدين في حق الغزالي كلام لانرتضييه ، ذكره علماء المنطق ، تكلمنا عليه في أوائل شرحنا للمختصر لابن الحاجب ، ونقل عن عفيف الدين ما كتبه اليه من جملة رسالة : وأما ما ذكره الشيخ تقي الدين ابن الصلاح من عند نفسه ومن كلام يوسف الدمشقي والمازري فما أشبه هؤلاء الجماعة رحمهم الله تعالى الا يقوم متعبدين سليمة قلوبهم ، قد ركنوا الى الهوينا ، فرأوا فارسا عظيما من المسلمين قد رأى عددا عظيما لأهل الاسلام ، فحمل عليهم وانغمس في صفوفهم ، وما زال في غمرتهم حتى فل شوكتهم وكسرهم ، وفرق جموعهم شذر مذر ، وفلق هام كثير منهم ، فأصابه يسير من دمائهم وعاد سالما ، فرأوه وهو يغسل الدم عنه ، ثم دخل معهم في صلاتهم وعبادتهم ، فتوهموا أيضا اثر الدم عليه فأنكروا عليه ، هذا حال الغزالي وحالهم ، انتهى ما هو المقصود .

ثم ان ابن السبكي أجاب عن بعض ما اعترض به المازري والطرطوشي بأجوبة ارتكب التعسف فيها كما هي عادته من التعصب لأهل مذهبه ، ومع ذلك لم يسكنه انكار جهل الغزالي بالحديث ، فانه قال : وأما ما عاب به الأحياء من توهية بعض الأحاديث فالغزالي معروف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة ، وعامة ما في الأحياء من الأخبار والآثار مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ، ولم يسند الرجل لحديث واحد ، وقد اعتنى بتخريج أحاديث الأحياء بعض أصحابنا ، فلم يشذ عنه الا اليسير ، قال وساذكر جملة من أحاديثه الشاذة استفادة ، ثم انه بعد كلام استشهد بقوله :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصباة الا من يعانها  
ثم قال بعد كلام طويل : ولقد وقعت في بلاد المغرب بسبب الأحياء فتن كثيرة  
وتعصب أدى الى أنهم كادوا يحرقونه ، وربما وقع احراق يسير ، قال والشيخ أبو  
الحسن لما وقف على الأحياء وتأمله قال هذا بدعة مخالفة للسنة ، وكان شيخا مطاعا  
في بلاد المغرب ، فأمر باحضار كل ما فيها من نسخ الأحياء وطلب من السلطان أن يلزم  
الناس بذلك ، فكتب الى النواحي وشدد في ذلك وتوعد من أخفى شيئا منه ، فأحضر  
الناس ما عندهم واجتمع الفقهاء ونظروا فيه ، ثم أجمعوا على احراقه يوم الجمعة ،  
وكان ذلك يوم الخميس ، ثم ذكر ابن السبكي قصة رؤيا أبي الحسن المكذوبة وزعم  
أنه ترك احراقه لتلك الرؤيا ، وأنه بعد ذلك رغب فيه ، انتهى كلامه ملخصا .  
( ومنهم العلامة الشيخ عبد اللطيف الحنبلي ) قال رحمه الله تعالى في رسالة له  
كتبها لبعض أصحابه يحذره عن كتب أبي حامد الغزالي ويذكر له أنها مخالفة للكتاب  
والسنة وأقوال سلف الأمة وهي هذه بنص عبارته ولفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الأخ في الله  
عبد الله بن معيذر سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد بلغني عنك ما يشغل  
كل من له حمية اسلامية وغيره دينية على الملة الحنيفة ، وذلك انك اشتغلت بالقراءة  
في كتاب الأحياء للغزالي ، وجمعت عليه من لديك من الضعفاء والعامه الذين لا تميز  
لهم بين مسائل الهداية والسعادة ووسائل الكفر والشقاوة ، وأسعتهم ما في الأحياء  
من التحريفات الجائرة ، والتأويلات الضالة الخاسرة ، والشقاشق التي اشتملت على  
الداء الدفين ، والفلسفة في أصل الدين ، وقد أمر الله تعالى وأوجب على عباده أن  
يتبعوا رسله ، وأن يلتزموا سبيل المؤمنين ، وهذا الأصل المحكم لا قوام للاسلام الا  
به ، وقد سلك في الأحياء طريق الفلاسفة والمتكلمين في كثير من مباحث الالهيات  
وأصول الدين ، وكسا الفلسفة لحاء الشريعة حتى ظنها الاغمار والجهال بالحقائق  
من دين الله الذي جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ، ودخل به الناس في الاسلام  
وهي في الحقيقة محض فلسفة منتنة يعرفها أولوا الأبصار ، ويمجها من سلك سبيل  
أهل العلم كافة في القرى والأمصار ، قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها ،  
ومطالعة خافيتها وباديها ، بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسنة ، وسماها  
كثير منهم اماتة علوم الدين ، وقام ابن عقيل أعظم قيام في الذم والتشنيع وزيف ما فيه  
من التمويه والترقيع ، وحزم بأن كثيرا من مباحثه زندقة خالصة لا يقبل لصاحبها

• صرف ولا عدل •

قال شيخ الاسلام : ولكن أبو حامد دخل في أشياء من الفلسفة ، وهي عند ابن عقيل زندقة ، وقد رد عليه بعض مادخل فيه من تأويلات الفلاسفة ، ورد عليه شيخ الاسلام في السبعينية وذكر قوله في العقول والنفوس ، وأنه مذهب الفلاسفة ، فافاد وأجاد ، ورد عليه غيره من علماء الدين ، وقال فيه تلميذه ابن العربي المالكي : شيخنا أبو حامد دخل في جوف الفلسفة ثم أراد الخروج فلم يحسن ، وكلام أهل العلم معروف في هذا لا يشكل الا على من هو مزجي البضاعة ، أجنبي عن تلك الصناعة ، الى أن قال : اذا سمعت بعض عباراته المزخرفة قلت كيف ينهانا عن هذا فلان ؟ أو يأمر بالاعراض عن هذا الشأن ؟ كأنك سقطت على الدرة المفقودة ، والضالة المنشودة وقد يكون ما أطربك وهز أعطافك وحركك فلسفة منتنة ، وزندقة مبهمة ، أخرجت في قالب الأحاديث النبوية ، والعبارات السلفية ، ( الى أن قال ) ثم جمعت بعض أقوال أهل العلم وما أقتوا به في هذا الكتاب ، وتحذيرهم للطالب والمسترشد •

ثم ذكر كلاما طويلا للذهبي في ترجمته للغزالي ، قال : ومن معجم أبي علي الصدي في تأليف القاضي عياض له ، قال : الشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة ، والتصانيف القطيعة ، غلا في طريقة التصوف ، وتجرد لنصر مذهبهم ، وصار داهية في ذلك ، وألف فيه تأليفه المشهورة ، أخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنون الأمة والله أعلم بسره ، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب ، وقتوى الفقهاء بأحراقها والبعد عنها فامتنل ذلك •

وقال الذهبي أيضا : قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتاب التهافت وكشف عوارهم ، وواقفهم في مواضع ظنا منه أن ذلك حق أو موافق للملة ، ولم يكن له علم بالآثار ، ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل ، وحبب اليه ادمان النظر في كتاب رسائل اخوان الصفا ، وهو داء عضال ، وجرب مرد ، وسم قاتل ، ولولا أن أبا حامد من الأذكياء وخيار المخلصين لتلف •

فالحذر الحذر من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل والا وقعتم في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز فليزِم العبودية ، وليكثر الاستغاثة بالله ، وليبتهل الى مولاه في الثبات على الاسلام ، وأن يتوفى على ايمان الصحابة وسادات التابعين ، والله الموفق ، فبحسن قصد العالم يغفر له ، وينجو ان شاء الله انتهى •  
والكلام على أبي حامد وبيان ما اعترض به عليه لايسع المقام تفصيله ، وما

ذكرناه كاف في المقصود ، ومن العجب أن بعض الجهلة ممن يدعي العلم والصلاح وهو عار عنهما وقد تزيا بزى أهلها ، وقد كور علمته وشرح لحيته :

يحسبه الجاهل مالم يعلم      شيخا على كرسيه معما

قد راج سوقه على العوام ، بما يقصه عليهم في الوعظ من الأكاديب والأوهام ، ورأى أنه لامعارض له من أولئك الأنعام ، كما يتكلم المتكلم بين المقابر بما شاء من الكلام ، حتى تخيل لذلك أنه من العلماء الأعلام ، وما درى أنه أجهل من ابن ثلاثة أيام ، قد ذكر احياء العلوم وشرع يمدحه بأعظم المدائح ويقرظه بكل ماخطر له من الثناء ، فقلت له : انه اشتمل على أحاديث موضوعة ومسائل فلسفية خارجة عن الشريعة ، وآراء محضة مخالفة للسنة النبوية ، وبناء على ذلك أن أهل العلم الموثوق بعلمهم لا يقيمون لهذا الكتاب وزنا ، حتى أن بعضهم ألف كتابا في بيان حال ما فيه من الأحاديث ، فنظر الي شزرا ، وكادت ترهق روحه الخبيثة ، فقال كيف تقول هذا الكلام وقد شرحة العلامة الزبيدي ؟ وخرج أحاديثه ، وبين أسرارها ، فقلت له : ان الزبيدي ليس من أهل هذا الفن ، ولا هو من رجال هذا الميدان ، انما هو رجل له بعض الاطلاع على اللغة وبعض العلوم العربية ، وكلام مثله في باب الجرح والتعديل غير ملتفت اليه ، وكان من غلاة القبوريين والدعاة لمبتدعاتهم ، فلما سمع ماسمع أعرض ونأى بجانبه ، ولم يلتفت الي ماقلته ولا أصغى الي ماذكرته ، فقلت :

علي نحت القوافي من معادنها      وما علي اذا لم تفهم البقر

والكلام الحق اليوم ثقيل على الأسباع ، لاسيما على أهل الزينغ والابتداع ، وعلى المنصف موافقة الحق والاتباع .

( والمقصود ) من هذا الكلام كله أن الشيخ تقي الدين قدس الله روحه لم يتكلم في شأن أبي حامد كما تكلم غيره فيه ، والتبهاني افتري عليه وكذب ، بل انه شهد له بحسن العاقبة والخاتمة ، وقال في غير موضع من كتبه أنه في آخر عمره استقر أمره على الحيرة والوقوف بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظار أهل الكلام والفلسفة ، وسلك ماتين له من طرق العبادة والرياضة والزهادة ، وفي آخر عمره اشتغل بالحديث كصحيح البخاري ومسلم ، انتهى .

فانظر الي هذه التزكية الحسنة ، فان الأعمال بخواتيمها ، ولم يتكلم بمثل هذا الكلام في شأنه حتى من ينتصر له كنتاج الدين وأضرابه ، وقد سلكوا كل مسلك في تعديله والحث على كتبه ، وارتكبوا التعسفات في تأويل مازل به قلمه .

وأما قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن حمد القرطبي فقد قال : ان بعض من يعظ - ممن كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرأ منه شغفا بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية - قد أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد امام بدعتهم ، فأين هو من تشنيع مناكيره وتضليل أساطيره المباينة للدين . وشريعته سيد المرسلين ، وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضي الى علم المكاشفة الواقع بهم على سر الربوبية ، الذي لا يسفر عن قناعة ولا يفوز باطلاعه الا من تسطى الى شيخ ضلّاته ، التي رفع لهم أعلامها وشرع أحكامها ، قال أبو حامد : وأدنى من هذا العلم التصديق به ، وأقل عقوبته أن لا يرزق المنكر منه شيئا ، فاعرض من قوله على قوله ، ولا تشتغل بقراءة قرآن ، ولا بكتب حديث ، فان ذلك يقطع عن الوصول الى ادخال رأسه في كم جيئه والتدثر بكسائه فيسمع نداء الحق ، فهو يقول ذروا ما كان السلف عليه ، وبادروا الى ما أمركم به .

قال القاضي : وقال أبو حامد وصدور الأحرار قبور الأسرار ، ومن أفضى سر الربوبية كفر ، ورأى مثل قتل الحلاج خيرا من احياء عشرة لاطلاقه أنفاظا ، ونقل عن بعضهم أنه قال للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة ، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلم سر لو كشف لبطلت الأحكام ، ثم قال الغزالي : ان لم يرد ابطال النبوة بهذا في حق الضعفاء فما قاله ليس بحق ، فان الصحيح لا يتناقض ، وان الكامل لا يظفي ، نور معرفته نور ورعه ، وقال أيضا : العارف يتجلى له أنوار الحق ، وتتكشف له العلوم الرموزة المحجوبة عن الخلق ، فيعرف معنى النبوة وجميع ماوردت به ألفاظ الشريعة التي نحن منها على ظاهرها ، قال عن بعضهم اذا رأته في البداية قلت صديقا ، فاذا رأته في النهاية قلت زنديقا ، ثم فسره الغزالي فقال : ان اسم الزنديق لا يلبصق الا بسعطل القرائض لا بسعطل النوافل ، وقال : ذهبت الصوفية الى العلوم الالهامية دون التعليمة ، فيجلس فارغ القلب مجموع الهم يقول الله الله الله على الدوام فيفرغ قلبه ولا يشتغل بتلاوة ولا كتب حديث ، فاذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة بيت مظلم ويدثر بكسائه ، فحينئذ يسمع نداء الحق : ( يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ) ( يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ ) قلت اننا سمع شيطانا أو مالا حقيقة له .

وقال أبو بكر الطرطوشي : شحن أبو حامد كتاب الاحياء بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما على بسيط الأرض أكثر كذبا منه ، شبكه بنذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل اخوان الصفا ، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة ، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق انتهى .

هذا ما أورده صاحب كتاب البيان والله المستعان ، وقد رأيت ما اشتمل عليه هذا الكلام من الهديان ، ونسأله تعالى أن يغفر له ويرحمه بسبب ما فاز به من حسن الخاتمة ، واشتغاله آخر عمره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان مسكي الختام .

وقد ذكر العلامة السيد صفي الدين في كتابه القول الجلي في الجواب عن من قال أن ابن تيسية تكلم في الأولياء كالغزالي وابن عربي وعمر بن الفارض وأضرابهم : أما سبب تكلسه في حجة الاسلام الغزالي فالله أعلم أنه ذكر في كتابه ( المضمون ) أشياء توافق عقايد الفلاسفة وتخالف الشرع ، حتى أن بعض العلماء أنكر نسبة ذلك إليه ، كذا ذكر بعضهم ، وقد تكلم فيه القاضي عياض وابن الجوزي وغيرهما فله أسوة بهم ، وإن كنا لانسمع في الغزالي كلاما بعد ، كيف وهو حجة الاسلام وملك العلماء الاعلام .

وأما سبب تكلسه في ابن عربي فإنه ذكر أشياء في فصوصه وفتوحاته تقتضي الكفر ، وقد كفره بذلك جماعة من العلماء ، منهم الحافظ ابن حجر ، وقد صنف بعض العلماء جزءا حافلا وجمع فيه كلام من ذم الشيخ ابن عربي ، فما قال في الجزء المذكور وذكره الذهبي في العبر وقال في ترجمته : صاحب التصانيف ، وقدوة القائلين بوحدة الوجود ، ثم قال الذهبي : وقد اتهم بأمر عظيم . وقال في تاريخ الاسلام : هذا الرجل قد تصوف وانعزل ، وجاع وسهر ، وفتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والفكرة ، واستحکم ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة في الخارج ، وسمع من طيش دماغه خطابا واعتقده من الله تعالى ولا وجود له في الخارج الى آخر مقال . قال في الجزء المذكور وذكره الذهبي في الميزان فقال : تصوف تصوف الفلاسفة ، واحل الوحوة ، وقال أشياء منكرة عدها طائفة من العلماء مروقا وزندقة الى آخر كلامه .

ومما قال في الجزء المذكور : أنبأني الحافظ زين الدين أبو الفضل العراقي ، ونور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي الشافعيان اذا مشافهة ، عن شيخ الاسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي اجازة ان لم يكن سماعا ، قال في كتابه شرح منهاج النووي في باب الوصية بعد ذكره حكم المتكلمين : وهكذا الصوفية منقسمون كاتقسام المتكلمين فانهما من واد واحد ، فمن كان مقصوده معرفة الرب سبحانه وتعالى والتخلق بما يجوز التخلق به هنا والتخلي بأحوالها واشراق المعارف الالهية

والأحوال السنية - فذلك من أعلم العلماء ، ويصرف اليه من الوصية للعلماء والوقف عليهم ، ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وأتباعه فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الاسلام فضلا عن العلماء ، ثم قال : وجاء في وسط الأمة قوم تكلموا - كالحارث المحاسبي ونظرائه - كلاما حسنا وهو مقصودنا بالتصوف ، ثم انتهى بالآخرة الى قوم فيهم بقايا ان شاء الله تعالى ، وآخرين تسموا باسم الصوفية استمروا من البدع المضلة والعقائد الفاسدة فيهم هم باسم الزندقة أحق منهم باسم الصوفية ، نحن برآء الى الله تعالى منهم ، انتهى •

قال صاحب الجزء : والظاهر أنه أشار بقوله وآخرين تسموا الى آخره الى ابن عربي وأتباعه ، قال : وقد سمعت صاحبنا الحافظ الحجة القاضي شهاب الدين أبنا الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي يقول : انه ذكر لمولانا شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني أشياء من كلام ابن عربي المشكل ، وسأله عن ابن عربي فقال له شيخنا البلقيني هو كافر ، قال وسمعت الحافظ شهاب الدين ابن حجر يقول جرى بيني وبين بعض المحبين لابن عربي منازعة كثيرة في أمر ابن عربي حتى تبرأت من ابن عربي بسوء مقالته ، فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في أمره وهددني بالشكوى الى السلطان بمصر بأمر غير الذي تنازعنا فيه يتعب خاطري ، فقلت له : ما للسلطان في هذا مدخل ، الا تعال تتباهل وقلت ماتباهل اثنان فكان أحدهما كاذبا الا وأصيب ، فقال لي باسم الله ، قال فقلت له : قل اللهم ان كان ابن عربي على ضلال فالعني بلعنتك ، فقال ذلك ، فقلت أنا : اللهم ان كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك ، وافترقتنا ، قال : وكان سكن الروضة فاستضافه شخص من أبناء الهند جميل الصورة ثم بدا له أن يتركهم وخرج في أول الليل مصمما على عدم المبيت ، فخرجوا يشيعونه الى الشختور ، فلما رجع أحسن بشيء مر على رجله ، فقال لأصحابه : مر على رجلي شيء ناعم فانظروه ، فنظروا فلم يروا شيئا ، وما رجع الى منزله الا وقد عمى ، وما أصبح الا ميتا ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وسبعين ، وكانت هذه المباهلة في رمضان منها ، وعند وقوع المباهلة عرفت أن السنة ماتسفي عليه ، وكانت بمحضر من جناعته ، انتهى • فاذا عرفت ذلك كله علمت أن الشيخ تقي الدين ابن تيمية لم يفرد بدم ابن عربي ، انتهى كلام السيد صفي الدين رحمه الله تعالى •

والنهباني عامله الله بعدله يتتبع من الكلام ما كان موافقا لهواه ، ولهذا لم يلتفت في هذا المقام الى كلام امامه السبكي ، ولا لكلام الحافظ شهاب الدين ابن



حجر العسلاني المحدث الشهير ، بل أخذ بكلام ابن حجر المكي لموافقته إياه في الغلو والميل الى البدع ، فلذلك تراه يترنم بأقواله ويكرره مرة بعد أخرى ، والكل من الشافعية .

وبعد ختم النبهاني كتابه بخاتمة السوء ذكر رسالة مختصرة للبكري في الرد على من منع الزيارة وعبارة من كلام الشيخ زروق تعرض فيها لشيخ الاسلام وكلاما للنايلسي مختصرا مما يتعلق بالزيارة ، ولما كان ذلك كله خارجا عن كتابه وانما ذكرناه من الكلام على الزيارة يرد كل باطل يخالفه أعرضنا عن المناقشة فيها ، ومن وقف على مافيها من الجهل والضلال تحقق ان موحدي العرب في الجاهلية كزيد وقس بن ساعدة وأمية أسعد من هؤلاء حالا ، كما يدل على ذلك شعرهم المذكور في كتب السير والتاريخ .

( فعليك أيها الأخ المسترشد ) باتباع الكتاب والسنة فانهما الامان اللذان أمرنا بالاعتداء بهما ، والداعيان الى سبيل الله فاشدد بيدك عليهما ، ولا تنظر الى ما ابتدعه أهل الأهواء ، فانه من أضر الأدواء ، وقد سبق تفاصيل البدع بأنواعها وما ورد من النهي عنها ، فمن تأملها وأمعن نظره فيما شرعه الله تعالى لنا مما تضمنه الكتاب وبينته السنة علم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا ينجيد عنها الا من مرض قلبه وطاش في مهاوي الضلال له ، وأصل الاتباع المخرج عن الابتداع يحصل بمتابعة العبادات ، ولا يحصل كمال الاتباع الا في الاقتداء به في جميع حالاته سكونه وحركاته ، عباداته وعاداته ، وللسلف الصالح من هذا الكمال المشرب الأصفى ، والحظ الوافر الأوفى ، روى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن العرياض بن سارية ، قال : ( وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وأن تأمر عليكم عبد ، وانه من يعش منكم فسيري اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنسواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة ) .

فقد أوصانا صلى الله عليه وسلم بلزوم سنته وسنة خلفائه الراشدين الذين هم على طريقتة ، وحرص على ذلك بقوله : ( عضوا عليها بالنسواجذ ) المراد به المسك بجميع الفم ، اشارة الى غاية التمسك ، فكأنه قال صلى الله عليه وسلم اجتهدوا على

السنة والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاص على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتقلته ، أذاقنا الله حلاوة الاتباع ، ووقانا بفضل شر الفضول والابتداع ، وما أحسن ما قال بعض الأدباء الأفاضل وقد أخلص النصح فيما هو قائل :

يا باغبي الاحسان يطلب ربه  
انظر الى هدي الصحابة والذي  
واسلك طريق القوم أين تيسسوا  
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى  
درجوا على نهج الرسول وهديه  
نعم الرفيق لطالب يعنى الهدى  
القائتين المختبين لربهم  
التاركين لكل فعل سيء  
أهواؤهم تبع لدين نبيهم  
ما شابههم في دينهم نقص ولا  
عملوا بما علموا ولم يتكلفوا  
وسواهم بالضد في أحوالهم  
فهم الأدلة للجياري من يبر  
وهم النجوم هداية واضاءة  
يشون بين الناس هونا نطقهم  
حلما وعلما مع تقى وتواضع  
يحيون ليلهم بطاعة ربهم  
وعيونهم تجري بفيض دموعهم  
في الليل رهبان وعند جهادهم  
واذا بدا علم الرهان رأيتهم  
بوجوههم أثر السجود لربهم  
ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم  
وبرابع السبع الطوال صفاتهم  
وبراءة والحشر فيها وصفهم  
هذا آخر ما أردنا تحريره من الرد على كتاب التبهاني المشتمل على ما يخالف

الكتاب والسنة من الهديان والوحي الشيطاني ، وقد عرفناه يومه من أمسه •  
وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل أو بخسه

وكأني به اذا وقف على كتابي هذا ناق صدره وازداد همه وكدره ، وعض  
بنان النادم الحصر حيث لا ينفعه ندمه ، وهو الذي نكأ الجرح فكيف يتأوه ويتألم  
ويتظلم من مؤلم الجواب والبادي أظلم ، ومن آثر أن يكون مقدما معظما وجب أن  
يكون مهذبا مقوما ، ومن أحب أن يكون مبعلا مصدرا لزم أن يكون من الأفعال  
الدنية مطهرا ، ومن رشح نفسه للأمور الجليلة صبر على الأعباء الثقيلة ، ومن طمع  
في الأسباب العظيمة طالب نفسه باستعمال الأخلاق الكريمة ، ودون المكارم مكاره  
لا يتلقاها الا العود البازل ، وقبل المعالي عوال لا يغشاها الا البطل الباسل ، ومع  
المغانم مغارم لا يتحملها الا الأكارم الأفاضل ، وأمام العز الشامخ مذاهب لا تسلك الا  
على جسر من التعب ممدود ، وقدام الشرف الباذخ مراتب لا تتال الا بمساورة أساود  
وأسود ، وباني المجد يهون عليه أن يتجرع كؤوس الردى علا ونهلا ، وجاني الشهد  
لا يبالي بأن يلقي دون اشتيائه نحلا ، فأما الذي يشتهي الرياسة وهو خال من ابرارها  
ويتمنى الجلالة وهو سكيت في مضمارها ويجب السيادة وهو عار عن أستارها  
قبعيد عليه طريق منالها ، ومستصعب له جد الارتقاء في ذرى جبالها •

وقد كان ابتدائي به أول يوم من شهر رمضان من شهور سنة خمس وعشرين  
وثلاثمائة وألف من هجرة سيد ولدعدنان ، وختته بحمد الله تعالى ليلة السبت نصف  
الليل لأربع وعشرين ليلة خلت من شوال تلك السنة المباركة وأخر فصل الخريف ،  
وقد كل مني البصر ، ووهن العظم طلبا لمرضاة الله تعالى ، وصيانة لشرعه الشريف  
من تصدى له - خذله الله - بالتبديل والتحريف ، فأسألك اللهم أن تختم بعفوك  
اجلي ، وأن تحقق في رجاء رحمتك أمني ، وأن تسهل الي بلوغ رضاك سبلي ، وأن  
تحسن في جميع أحوالي عملي •

اللهم ونهني لذكرك في أوقات الغفلة ، واستعملني لطاعتك في أيام المهلة ،  
وانهج بي الي محبتك سبيلا سهلة ، واجمع لي بها خير الدنيا والآخرة •  
اللهم لا تكلني الي خلقك ، بل تفرد بحاجتي وتول كفايتي ، وانظر الي في جميع  
أموري ، فانك ان وكلتني الي نفسي عجزت عنها ولم أقم مافيه مصلحتها ، وان  
وكلتني الي خلقك تجهموني ، وان ألجأتني الي قرابتي حرموني ، فبفضلك اللهم  
فأغثني وبِعظمتك فافعثنني وبسعتك فابسط يدي وبما عندك فأكفني •

اللهم لاتجعل لغيرك علي منة ، ولا له عندي يدا ، ولا لي اليهم حاجة ، بل اجعل سكون قلبي وأنس نفسي واستغنائي وكفايتي بك . اللهم أنطقني بالهدى ، وألهمني التقوى ، ووقفني للتي هي أركى ، واستعملني بنا هو أركى ، اللهم اسلك بي الطريقة المثلى ، واجعلني على ملتك أموت وأحيى ، اللهم ومتعني بالاقتصاد ، واجعلني من أهل السداد ، ومن أدلة الرشاد ، ومن صالح العباد ، وارزقني فوز المعاد ، وسلامة المرصاد .

اللهم أنت عدتي ان حزنت ، وأنت منتجعي ان حرمت ، وبك استغاثي ان كربت وعندك مافات خلف ، ولما فسد صلاح ، ومما أنكرت تغيير ، واكفني مؤنة معرة العباد ، وهب لي أمن يوم المعاد ، وامنحني حسن الارشاد ، اللهم أظنني في ذراك ، وجللني رضاك ، ووقفني اذا أشكلت علي الأمور لأهداها ، واذا تشابهت الأعمال لأركاها ، واذا تناقضت لعل لأرضاها .

اللهم توجني بالكفاية ، وسني حسن الولاية ، وهب لي صدق الهداية ، ولا تجعل عيشي كدا ، ولا ترد دعائي ردا ، فاني لأجعل لك ضدا ، ولا أدعو معك ندا ، والحمد لله رب العالمين ، ولاعدوان الا على الظالمين ، والحمد له سبحانه كما يليق بجنابه ، وكما حمد نفسه في كتابه ، حندا يكون وصلة الى طاعته وغفوه ، وسببا الى رضوانه ، وذريعة الى مغفرته . وطريقا الى جنته ، وخفيرا من نقمته ، وأمنا من غضبه ، وظهيرا على طاعته ، وحاجزا عن معصيته ، وعونا على تأدية حقه ووظائفه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي نشر رايات الوجدانية ، وبشر من أذعن للأحكام القرآنية ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه الذين أقاموا على الخصوم دلائلم البرهانية ، صلاة وسلاما نسعد بهما في السعداء من أوليائه ، ونصير بهما في نظم الشهداء بسيوف أعدائه ، انه ولي حديد ، في ٢٤ شوال سنة ١٣٢٥ هـ .

( تقاريط بليغة لأفاضل العصر على كتاب غاية الأمان في الرد على النبهاني )<sup>(١)</sup>

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ضل من استعان بغيره واستنجد ، والصلاة والسلام على من بزغ به بدر التوحيد وتوقد ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا من أشرك بالله وعاند ، أما بعد ، فقد وقفت على هذا الكتاب ، بل فصل الخطاب ، ألا وهو ( غاية الأمان في الرد على النبهاني ) حيث تجاوز الحد ، وسلك

(١) هذه التقاريط موجودة في الطبعة الاولى فجرى ابغاؤها كما هي .

مسلكا لم يسلكه من الموحدين أحد ، وتكلم بما وسوس اليه شيطانه ، واقتضاه ضلاله وبهتانه ، ظنا منه أنه نقض من الاسلام بنيانه ، وهدهد جوانبه وأركانها ، وأنه قد دخلت الساحة ، وأقرعت المساحة ، وما علم هذا الجاهل المسكين ، العدو للدين ، أن للايمان حياة ، وللإسلام فرسانا ورماة ، يذبون عنه تحريف الغالين ، وتزوير المبطلين ، ألم يقرع باب سمعه قول الصادق المصدوق من غير شك ولا اشتباه : ( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله ) ألا وان من هاتيك الطائفة المنصورة ، والفئة التي لم تزل مساعيها مشكورة ، صاحب هذا الرد الفائق ، والتصنيف الرائع ، علم الفضل الشامخ ، وركن العلم الراسخ ، فريد الزمان ، ووحيد الاقران ، أبو المعالي جمال الدين الشافعي ، فسح الله في مدته ، ووقفه لما فيه رضاه وخالص طاعته ، فانه قد أزم ذلك الخصم الألد ، وجلب عليه الويل والنكد وجعل أباطيله هباء منثورا ، وتركه مما جنت يده فزعا مشورا ، وألجمه بلجام الافحام ، وقاده الى مقام الخيبة والالزام .

( قاله الفقير خادم السنة أبو العباس البنجابي )

( تقرير آخر )

ان هذا الكتاب ، مهذب الفصول والأبواب ، واضح المسالك والمنهاج ، نسج على منواله ناسج ، حري أن يتلقاه بالقبول ، أئمة المعقول والمنقول ، فان مسأله مبينة أتم بيان ، ومطالبه مبرهنة بأجلى برهان ، ومباحثه متقنة أي اتقان ، كيف لا وناظم فرائده ، وجامع عقود فوائده ، كاشف ظلمات المشكلات بأنوار بدر تقريره ، وموضح دقائق الاشارات بمصباح منير تحريره ، عدة الطالبين ، وعمدة المدرسين ، ليف بحر الفضل الزاخر ، وشقيق المآثر والمفاخر ، أبو المعالي ، وحسنة الأيام والليالي ، حيث رد بكتابه هذا على النبهاني ، وما أتى به من الكيد الشيطاني ، ومزق أديم ضلاله بالسيف الرباني ، ألفه انتصارا للدين ، وغيره على الشرع المحمدي المبين ، حيث أن النبهاني عامله الله تعالى بعدله قد أتى بكل نكسر ، وارتكب من الباطل والبهتان ما لا يسعه التحرير ، فشكرا لهذا السيد السند ، والعالم الأوحده ، فقد قام له على قدم في المهمات راسخ ، وقاومه بعزم تندك دونه الشوامخ ، وألقمه الحجر ، وترك أقواله شذر مذر ، لازال سعيه مشكورا ، وعمله في الدارين مبرورا .

( قاله بفمه ورقمه بقلمه عبد الودود بن محسن )

### (تقريظ آخر)

لله درك ياأبا المعالي ، فقد جمعت في كتابك عقود اللآلي ، فهو لاشك كاسمه غاية الأمانى ، بل الفيض الربانى ، فالحمد لله الذى قيض فى كل عصر من يحامى عن الدين القويم ، ويذب عن الصراط المستقيم ، ولما تصفحت الكتاب وجدت مااشتمل عليه فصل الخطاب ، بيد أن الأمر كما قيل وهو من أحسن الأفاويل :

وإذا اضطرت إلى الجواب فلا تجب      إلا حكيماً في الرجال مسامياً  
أو كلما عوت الكلاب أجهتها      تالله لأصبحت كلباً عاويماً  
ارباً لنفسك أن تفوه بنطق      يزري بقائله ويخزي الراويماً  
( الفقير إليه تعالى خادم الحديث النبوي عبد الله السلامي )

### (تقريظ آخر)

ياالعجب العجاب ، ماهذا الكتاب ، فهو كز العلوم ، وبحر المنطوق والمفهوم ، قد شهد لمؤلفه بطول الباع ، وغزارة الاتساع والاطلاع ، وجودة القريحة الوقادة ، وزكاء الطبيعة الكريمة النفاذة ، فمن أراد النجاةيوم الحساب فعليه بالاعتقاد والعمل بما حواه هذا الكتاب ، فهو لعمرى فصل الخطاب ، والحق المبرهن بنصوص الصواب ، قد بان به زيغ النبهانى الكذاب ، أخزاه الله ومن كان على شاكلته بأليم العذاب ، فانه لايدعى غير الله عز وجل ، ومن استعان بغيره سبحانه ذل وذل وهو الملجأ والملاذ ، والمرجع والعياذ ، وماقاله ذلك الزائع محض هذيان ، وضرب من وسواس الشيطان ، فلا ينبغي أن يلتفت إليه ، ولا يعول في شيء عليه .  
( كتبه الفقير أبو الخير محمد الحجازي )

### (تقريظ آخر)

اللهم أنت المستعان ، وعليك الاعتماد والتكلان ، لاخير الاخيرك ، ولا رب يلتجأ إليه غيرك ، بذكرك تطمئن القلوب ، ومن سواك ياسيدي علام الغيوب ، وبعد فقد أتاح لي القدر ، ولاح للبصر ، كتاب موسوم بغاية الأمانى فى الرد على النبهانى ، حيث ألفت كتاباً دعا فيه الى عبادة غير الله ، وحشاه من الكذب والبهتان وفتح بكل منكر فاه ، ولم يرقب وقوفه بين يدي مولاه .

وليس يبدع فالأمور تغيرت      وكل نظام فى الزمان تبدلاً  
وأصبح هام المكرمات منكسراً      وأخص أرباب الخيائث قد علا  
فلما وقف على هذا الكتاب ، المنحرف عن جادة الصواب ، مفخر هذا الزمان ،

وذخر ذوي الفضل والعرفان ، حسنة الأيام والليالي ، أخو الكمال وأبو المعالي ،  
وفى له الكيل صاعا بصاع ، وألقمه حجر السكوت بما ثبت في الكتاب والسنة وقام  
عليه الاجماع ، فأين الحق من الباطل ، والجيد المحلى من العاقل .

ولاشك أن التبر ينقص قدره      بقطر اذا ما الصفر في سوقه غلا  
وليس سواء ذو علسوم وجاهل      تأمل فبعض القول تلقاه مجملا  
ولا كل ذي ناب من الوحش ضيفم      ولا كل ذي ريش من الطير أجدلا  
اللهم يامحول الأحوال ، حول حالنا الى أحسن حال ، وانصر أعوان الحق على  
اختلاف صنوفه ، فقد أصبح اليوم كثير من الناس أعداء له ولا يرى سوى عوائده  
ومألوفه ، قد قضى عليه أهل العمام ، ممن يدعى الزهد والمعرفة وهو عن كل  
فضيلة نائم ، والأمر لله ولا مرجو سواه .

( الفقير اليه تعالى أحمد الفرجي المدرس في دار الهدى )

( تقریظ آخر )

أيا فكرتي قد نلت مرمك فابشري      ولا تذكرني في المدح زيدا ولا عمرا  
ويانفس هذا غاية القصد والمنى      فألقي عصا التسيار لاتقصدي سيرا  
هذا الكتاب الذي ينطق بالحق ، ويدعن له من أنصف من الخاق ، وينقاد لما  
حواه من المسائل كل من دقق وحقق ، هذا الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة  
من مبتدعات الزائفين ، الا وقد مزق أديمها وكشف عوارها للناظرين ، وعاد منه  
النبهاني وأضرابه من الغلاة وعبدة القبور في خفي حنين وخفي أنين ، فالحمد لله  
الذي خذل أعداء الحق ، وفرق منهم الجموع ومزق . ( ان الله مع الذين اتقوا  
والذين هم محسنون ) .

( كتبه عدو المبتدعة وأهل الضلالات معين الدين ابن بركات )

( تقریظ آخر )

قد وقفت على هذا الكتاب ، وفهمت ما أودع فيه من أسرار فصل الخطاب ،  
فتذكرت ماجرى بين فرعون وموسى ، لما قال خصوم الحق : ( فاجمعوا كيدكم ثم  
أتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ، قالوا ياموسى : اما أن تلقى واما أن نكون  
أول من ألقى ، قال : بل ألقوا ، فاذا جبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها  
تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ، قلنا : لانخف انك أنت الأعلى ، وألق ما في  
يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ) وكذلك

ما ذكره النبهاني وأضرابه من أهل الزيغ والبهتان ، يخيل للناظر أنها حقيقة من الحقائق وهي من وساوس الشيطان ، فانها افك وزور وضرب من الهذيان ، فلما تصدى لردّها أبو المعالي وأخواله فضائل لقف ثعبان قلمه ما صنعوا من الكيد والباطل ، فالحمد لله الذي لم يزل مؤيدا من انتصر لدينه ، مظهرا من استند الى نصوص كتابه الكريم وسنة رسوله في ايمانه و يقينه .

( كتبه الفقير الى عفو مولاه عبد الحق الادريسي عفى عنه في أهلاه وأخراه )

✓ ( تفرّيز آخر )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

نحمد الله تعالى ونشكره ، ونستعين به ونستظهره ، ونصلي على صفوة أنبيائه وعلى سائر أصفياؤه وعلى من تبعهم باحسان الى يوم لقائه ، أما بعد فاننا لا نزال في هذا العصر السعيد ، والقرن الحميد ، نرى رجال الفضل يظهرون العجائب ، ويرزون من دقائق أفكارهم خبايا المواهب ، حتى بلغوا من مقعد صدق العرفان أرفع المراتب وهذا من أوضح الدليل وأجلى البرهان ، على حقيقة حقيقة الدين المبين ، وشرائم أحكامه الغر الحسان ، أيد الله تعالى أنصاره الى آخر الزمان ، فان الله سبحانه أحسن امتاع العلم وشيد أهله ، ولا زال حافظا لهم وله ، ان أظلم شق منه كان لهم فيه سراجا : أو طمس منار له وجد اليه منهاجا ، أو قعد عنه عالم قام آخر بأعبائه ، مراميا عن حوزته من أمامه وورائه ، حتى أصبح ولله الحمد فرسان الفصل يتسابقون في ميادين حلبة المفاخر ، ويتفاخرون في سوق عكاظ الكمالات والمآثر ، ولكن الأمر كما قيل :

وما كل مخضوب البنان بثينة ولا كل مصقول الحديد يمانى

فان تفاوت الرجال ليس لانكاره مجال ، ولا للسان فيه مقال .

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا لدى المجد حتى عد ألف بواحد

ألا وأن من أجلهم قدرا ، وأحسنهم ذكرا ، البليغ الذي أخجل بسديع انشائه ابن العميد ، وفاق بسديد آرائه صاحب وعبد الحميد ، عديم النظر فيما انطوت عليه ذاته من الفضائل والكمالات ، ونادر المثل فيما حازه من جلائل الصفات ، الفرد الذي لا يتناس به سواه علما وعملا ، والأوحد الذي لا يوجد له في أخلاقه مثلا فرع الشجرة الشاسمية ، ونور الدوحة العلوية : أعني به الشيخ أبا المعالي ، لازال محمودا بما يليق به من الثناء على مدى الأيام والليالي ، فانه - أعلى الله تعالى



شأنه ، ووالى جل شأنه عليه احسانه - دأبه الانتصار للدين ، والذب عن سنة سيد المرسلين ، ومخاصمة المتدعين ، ومناظرة الزائعين ، فهو الحري بقول القائل - لما اتصف به من محاسن السمائل :

تقرط آذان الرجال بحكمة	حكمتها اللثالي رونقا أو تقارب
متى أفرغت في قاب الفكر زيت	وزانت من الألباب تلك القوالب
بهن غداء للعقول وشريعة	تسوغ وتصفو عندهن المشارب
تصرفت في حلو الكلام ومره	فأنت مجد كيف شئت ولاعب
ذهبت بكل منهسا كل مذهب	ذهابا وما ضاقت عليك المذاهب
فمن ذكر وجد يسلب المرء لبيه	على مثله دمع المتيسم ذائب
ومن غزل عذب كأن ييسوته	مسارح أرام النقيبا وملاعب

لم يزل يقدم موافد فوائده لأبناء جنسه ، ويزين صدور الدهور بفرائد عوائده ونفائسه ، ويقتطف ثمار فضله من حدائق صائب حدسه ، وقد جادت قريحته المستجادة ، وفطنته الوقادة ، بتأليف كتاب ، حري أن يكتب بالثبر المذاب ، وهو الموسوم ( بغاية الأمانى ، في الرد على النبهاني ) وما هو الا بحر عباب ، قد حوى من المسائل لب اللباب ، وقد ألقه على ما اشتغل عليه من التفصيل ، في أيام معدودات تكاد تعد من المستحيل ، وقد سقى منه خصوم المتدعة سم الخشوف ، ورمى شياطين الانس بشهب براهينه الثاقبة حتى أرغم منهم الأنوف ، ترتعد منه فرائص ابن دحلان ، ويصفر منه وجه طاغية بني نبهان ، ويعوي منه عفور المنصورة وهو ثالثهم حليف البهتان ، وتبين به مكائد حزب الشيطان ، وتقر به عيون عباد الرحمن .

اللهم اجزنا مؤلف هذا الكتاب بما يتمناه ، وأطل في أفياء السلامة بفاه ، واحجب من غير نواب الدهر نعماء ، واجعله لمستوفي سبوغ النعم معقلا ، ولآمال مؤمل الأفضال موثلا ، ومتمه بوفاء عهد أودائه ، وبلغه الغاية من تأميل ذوي المودة من أوليائه .

( كتبه خادم السنة محمد الحجازي )

( تقریظ آخر )

ان كتاب ( غاية الأمانى في الرد على النبهاني ) من مصنفات أبي المعالي ، ذي المجد الشامخ والحسب العالي - كتاب اشتمل على أجلى براهين التوحيد ، وأعلى

دلائل اخلاص العبودية لله العلي المجيد ، ولا يخفى على ذوي العرفان ما لموضوع هذا الكتاب من الأهمية ورفعة الشأن ، ومن وقف عليه علم مقاصد الشريعة المحمدية ، وأنها الغاية القصوى لدى أرباب البصيرة والروية ، وتبين له مغزى الدين المبين ، وسر دعوة رب العالمين ، وعرف أن ملاك النجاة هو التوحيد ، وأن من أخل به فهو الشقي ، ومن حافظ عليه فهو السعيد ، فانه الذي يمنع الاقدام أن تزل ، والأحلام أن تضل ، والقلوب أن تمرض ، والشكوك أن تعترض ، وقد تبين الرشد من الغي ، فمن استمسك بالعروة الوثقى فقد أمن العثار ، وربح اليسار ، ومن سلك مسلك النبهاني وأضرابه من الحزب الشيطاني ، فقد أساء الاختيار ، وركب الخسار ، وارتد في الأدبار ، ويومئذ يعض الظالم على يديه ، ويندم حيث لا ينفع الندم مما حل لديه وجر عليه ، ورأى ما رأى من الويل بعينه ، فليتذكر من يتذكر ، وليتبر من يتبر ، فليس الحق كالباطل ، ولا الجيد الحالي كالعاطل ، وهيهات هيهات ، أين الحضيض من أوج السموات ، فله در مؤلف هذا الكتاب ، فقد ترك الخصم لا ينطق بنت شفة في الجواب ، وما أحسن ما قال بعض ذوي الآداب :

قل للذي يبغى وصول كماله	هيهات انك لست من يصل السما
الله أودع في سريرة ذاته	من قبل هذا جوهران يقسما
أحلى من العسل الجني شمائله	وتراه يوم الجدمرا علقما
مثل الأسود الضاريات اذا سطا	والمرسلات الذاريات اذا هما
كم راح زنديق يريد نزاله	فرأى سيوف الحق عنه فأحجما
وأتى عليه بكل برهان بدا	لو كان في جنح الدجى ماأظلما
فهو الذي نهدي به في ديننا	ونرى طريق الرشد فبه من العمى

( قاله بقمه ورقمه بقلبه عبد الأعلى الحسيني عفا الله عنه وعن أسلافه )

( تقریظ آخر )

بسم الله الرحمن الرحيم ، رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين ، ولا ناصرا للأعداء دينك من المنحرفين والمبتدعين ، بل انصر من نصرك بالذب عن حمى شريعتك الغراء ، ومحجتك الواضحة البيضاء ، ولا يخفى على من كان له نصيب من المعرفة ان كل من تصدى اليوم لتأليف كتاب ينبغي له أن لا يخرج عن الصدق ولا يزيغ عن جادة الصواب ، بل يجعل كلامه دائرا على ما يرضي الخالق ، مشتملا على غاية تستوجب سعادة الخلائق ، فمن صرف نظره عن ذلك ، وسلك غير هذا المسلك من المسالك ، وتعرض لما لا يعنيه ، ولا له منه شأن يعنيه ، فقد ركب متن

عمياء ، وخبيط خبيط عشواء ، واستهدف سهام الملام ، ونصب نفسه غرضاً لرشق نبال السنة الأنام ، والنهباني أحد أهل المناصب في بيروت ، لم يراع تلك الشروط ، فقد ألف كتاباً ملاً من الحكايات الموضوعية ، والأكاذيب المصنوعة ، والمباحث التي تمجها الأسعاع ، وتنفر عنها الطباع ، وتوغر الصدور ، وتوقد نيران الشرور ، وتصدي مرايا القلوب ، وتجلب لمن سلك مناهجها في الدارين الكروب ، ولا يقف منها القاريء على طائل ، ولا يجد فيها سوى العاطل ، ولا يصدر عنها الوارد الابلهف زائد ، ولهب في القلب ليس بخامد ، الضلال يلوح من فحواها ، والبدع تدور على لفظها ومعناها ، إذ حاصلها الدعوة الى غير الله ، ومآلها الحث الى الالتجاء الى ماسواه ، والحض على ملازمة القبور ، والعكوف على كل مشهد مشهور ، والعالم الاسلامي اليوم دون غيره قد أصبح لذلك في ادبار ودهور ، ومع ذلك فقد تعرض لاختيار الأمة ، ممن لم يوافق على هذا الضلال وتلك الظلمة ، فسلكهم بالسنة حداد ، وقذفهم بساهم بريئون منه مما يريح السمع والفؤاد ، ولم يمثّل ما قاله بعض الأماثل .

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة      فبالعلم سد لا بالتسرع والشتيم  
وللعلم خير فاعلمن مغيبة      من الجهل إلا أن تشمس من ظلم

ولما جرت عادة الله تعالى أن يجعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، ولا يخلى عصرهم يغتار لدينه القويم ، ويذب عن صراطه المستقيم ، وينفي عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، قام اليه رب الأدب والكمال ، ومنتهى الفضل والأفضال ، ذو النثر الذي طار بأجنحة الفصاحة الى فلك الاعجاز ، وأقعد من طاوله في كل فضيلة على الاعجاز ، بدر فلك العرفان العالي ، ودر تاج الفخر العالي ، أستاذنا الشيخ أبو المعالي ، ووثب اليه وثبة الأسد ، وحمل عليه حملة الفارس على من عصى وتمرد ، انتقاماً لله ممن يجحد توحيداً ، ويضع لعبادة الأنداد - من دونه تعالى - خده ووريده ، فأبطل جميع ما اشتمل عليه كتاب الزائغ من وساوس الأفكار وشبهات الأنظار ، والأقوال الترهات والسفسطة والمغالطات ، وأظهر جهله للأنام ، وعواره للخاص والعام ، وأبان أن الخصم لم يميز بين القشر واللباب ، ولم يفرق بين الصفر والتبر المذاب ، فله دره من عالم لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولهذا لم يلتفت الى ما عليه أهل الزمان ، ولا الى ما قاله بعض ذوي العرفان :

وللدهر أثواب فكسن في ثيابه      كلبسته يوماً أجد واخلفنا  
فكن أكيس الكيسي إذا كنت فيهم      وان كنت في الحمقى فكن أنت أحقنا

نسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء ، وأن يجعله في زمرة الأصفياء ، وأن يحرسه من كيد الكائدين ، وشر الحاسدين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيده الأولين والآخريين ، ( وأنا الفقير الى الطاف مولاه عبد الله بن عبد الحميد الحنبلي كفاه الله في أولاه وأخراه )

( خاتمة الطبع ) (١)

( يقول مصححه أقل تلاميذ المؤلف - ف . ج . ز )

بحمد الله تعالى قد تم طبع كتاب « غاية الأمانى في الرد على النبهاني » ذلك الكتاب الذي أسفر عن وجه الصواب في فهم أسرار الكتاب ، وأبان عن العقيدة الصريحة التي من تمسك بها نجا ، ومن حاد عنها ضل وغوى ، فله در مؤلفه أستاذنا المفضل فخر العراق على الإطلاق ، مولانا ( أبو المعالي ) ذي القدر العالي ، قد أرسله الله في هذا الزمان الذي كثرت فيه البدع والخرافات ، وقبضه لقمع ذوي الجهالة ، وردع أولى الضلالة ، فكان هذا الامام مصداق ما يروى في الأخبار الصادقة أن الله يرسل على رأس كل مائة سنة من يقيم أمر دينه ، وكان هو صاحب هذا العصر المجيد ، ومصباح الهدى للطلاب المستفيد ، نهج به منهج الحق وانصواب وأزال الشبه عن كثير من المسائل السائدة بين العامة المتداوله بينهم بالوراثة العمياء ، ولا يفقهون لها معنى ، ولا يفهمون لها مبنى ، وان في وجود هذا الكتاب في هذا الزمان الذي كثرت فيه عقائد أهل الزيغ وطمت وعست فيه البدع لحكمة بالغة ، يريد الله بها اخماد أنفس ذوي العقائد الملتفة في حين انتشارها ، واشتعال نار أضرارها وما جرته على دين الاسلام من المضار ، وما فتحت عليه من أبواب الردود والانتقادات ممن لا يعرفون الاسلام الا من أعمال هؤلاء السفلة ، الذين قد التصقوا به التصاق الداء من السليم ، فشوهه وأذهب رونقه ومحاسن وصفه ، ولكن أبى الله الا أن يتم نوره ، ويقوم اعلام دينه بأهل معرفته ، ورجال شريعته ، الذين يظهرهم في وقت احتياج العالم لأمثالهم ، وشدة الحاجة لبروز أنوار معارفهم ، فلا غرو اذا كان هذا الكتاب آية الصواب بين الطلاب ، اذ أدلته وبراهينه مأخوذة من نص الكتاب الذي

(١) هذه الخاتمة في آخر الطبعة الاولى (الاصل) جرى ابقاؤها اه

أودع فيه كل شيء ، وفصلت فيه حقائق الكائنات ، ولمثل هؤلاء القائمين الفخر  
لتشييد دعائمه ، وثبتت قوائمه ، التي تكاد تتهدم بمعاول هؤلاء المتشدين بأباطيلهم  
المرجفين بزخارفهم وأضاليلهم ، فإن الدين لم يقيم إلا بسيف الحق والبرهان ، لا بسيف  
الظعن والسنان ، فهو هدية للإسلام عموما ، وللعلماء الأحرار خصوصا ، حيث لم  
يكن دليله إلا الكتاب والسنة الصحيحة ، والعقل السليم والذوق المستقيم ، وهو  
مادعى حضرة العالم الفاضل والسلفي الكامل . مولانا الشيخ عبد القادر التلمساني  
- وفقه الله لنشر أمثاله - الى التزام طبعه ، لعموم نفعه ، ونشر فوائده بين ذوي  
الأفكار الراقية ، والعقول الراجعة ، فجاء بهجة لقلوب العارفين ، وقررة لعيون  
الناظرين . أه

## فهرست

### الجزء الثاني من كتاب غاية الاماني في الرد على النبهاني

الموضوع	الصفحة
: فاتحة هذا الجزء للمؤلف	٣
: الكلام على الباب الخامس من كتاب النبهاني في مناقشة ثلاثة كتب وهي اغائة اللهقان والصارم المنكي وجلاء العينين	٣ - ٢٧٣
: نقل النبهاني كلام القسطلاني في الزيارة الشركيه بعد كلام ابن القيم في الاغاثة	٣
: سبب اهتمام النبهاني بمسألة التوسل وتكرير القول فيها .	٤
: الثناء على كتاب الاغاثة لابن القيم .	٥
: تنسى النبهاني لو زاد ابن القيم فصلا في الرد على الغلاة الذين ينكرون الزيارة والرد على هذا التمني .	٥
: دعاء وثناء بليغ يشتمل على الاخلاص والتوجه الى الله وحده .	٥
: استعاذة بليغة للمؤلف من الشيطان وجنده .	٦
: تلقيب الأعداء لأهل السنة بألقاب مستبشعة قديما وحديثا وسبب ذلك .	٧
: رد النبهاني على ابن القيم في منع تشبيه الله وأنبيائه بالملك ووزرائه .	٧
: خلاصة كلام ابن القيم في منع الزيارة الشركية وابطال شبه أهل الشرك والتشبيه .	٧ - ٩
: تحريف وحذف النبهاني في كلام ابن القيم .	٩
: كلام لابن تيمية في رسالة الواسطة .	٩ - ١٢ - ١٩٦
: كلام لابن تيمية في رسالة الواسطة .	٢٢

الموضوع	الصفحة
من أراد بالواسطة الرسل وتوسطهم في تبليغ أمهم عن الله فهو حق .	١٠ ، ١٩ - ٢٢
رد شبهة القبورين أن الأولياء عند الله بمنزلة الوزراء عند الملوك .	١٠ ، ١١
قول النبهاني ومنعه منوع دليل جهله وبيان ذلك .	١٢
ابطال استدلال النبهاني بكلام ابن القيم في جلاء الافهام وأنه يناقض ما في الاغاثة .	١٢ - ١٤
كلام ابن عربي في سب خلق العرش وعدم دلالاته على اتخاذ الوسائط. ورد كلام القسطلاني لأنه من الغلاة .	١٤
استدلال النبهاني على جواز تشبيه الله بملك له وزراء بكلام الامام أحمد في أنه لا يلزم التعدد من اثبات الصفات وتشيله بأن النخلة واحدة مع تعدد أجزائها وأن الله سمي الوليد وحيدا مع تعدد أجزائه .	١٤ - ١٨
ابطال زعم النبهاني تناقض ابن القيم بما نقل من طريق الهجرتين في فضل الرسل مستدلا به على الاستغاثة بهم .	١٨ ، ١٩
دعواه أيضا تناقض ابن القيم حيث سسى القبر المزور وثنا ونظم في النونية أن قبره عليه السلام لا يكون وثنا .	٢٢ - ٢٤
كلام النبهاني على كتاب الصارم المنكى لابن عبد الهادي ومناقشة ذلك .	٢٤ - ٤٤
نقد النبهاني لهذا الكتاب ودلالة كلامه على غباوته وتعصبه .	٢٤ ، ٢٥
ترجمة ابن عبد الهادي بن قدامة والثناء على كتابه المذكور	٢٥ ، ٢٦ ، ٤٤
أبيات منوعة تفيد عدم الاصغاء الى ذم السفهاء والنصح بكف الأذى .	٢٦ ، ٢٧
مدح القسطلاني لكتاب السبكي وتحامل ابن حجر المكي على ابن عبد الهادي والجواب عن ذلك .	٢٧
عبارة السبكي وابن عبد الهادي في تعظيم الرسول عليه	٢٨ ، ٢٩

الموضوع	الصفحة
السلام وتأيد النبهاني لأنواع من التعظيم لاتصلح الا لله . توجيه كلام ابن عبد الهادي بن قدامة الذي تعقبه النبهاني في التعظيم الذي لا يصلح الا لله .	٢٩
المراد بأهل السنة عند النبهاني وبيان حقيقة السنة وأهلها .	٦٣ ، ٦٢ ، ٣٠
كلام ابن القيم وابن عقيل فيسا يفعل عند القبور من العبادة والتعظيم ما يكذب النبهاني .	٣١ ، ٣٠
مانتله النبهاني نفسه عن المرزوقي وابن حجر مسه يوافق كلام ابن عبد الهادي .	٣٢ ، ٣١
كلام حول علم الغيب وما يسكن الانسان معرفته ما غاب عنه .	٣٨ — ٣٢
تقسيم الغيب الى ما لا يعلمه الا الله وما يجوز أن يعرفه غيره وأسباب ذلك .	٣٢
نقل عن مقدمة ابن خلدون في أسباب المكاشفة والكهانة والفرق بينها وبين الوحي .	٣٤ — ٣٢
أدلة ووقائع على أن الأنبياء لا يعلمون ما غاب عنهم الا باطلاع الله .	٣٥ ، ٣٤
قصة بلقيس وكيف لم يعرف سليمان موضعها حتى أخبره الهدهد وأمثلة لذلك .	٣٨ — ٣٦
رد ما زعم النبهاني من كونه عليه السلام يعطي ويسنع ويجب من دعاه .	٤٠ — ٣٨
كلام النبهاني على اسم الصارم المنكى في أن هذه الكلمة لحن وان ابن عبد الهادي أخطأ في الاسم والمسى ودلالة هذا الكلام على نقص النبهاني وافلاسه .	٤١ ، ٤٠
القصد من الاعلام تعيين المسميات ولا يلاحظ معنى الكلمة ان خالفت الأصول .	٤١
شواهد من القرآن والحديث واللغة على التصرف في بعض الكلمات لغرض التناسق والازدواج .	٤٣ ، ٤٢



الموضوع	الصفحة
نقد تسمية النبهاني له بالصارم المبكي بالباء الموحدة •	٤٤ ، ٤٣
مناقشة كلام النبهاني على كتاب جلاء العينين ومصنفه وما يتصل بذلك •	٢٧٣ - ٤٤
نقل كلام النبهاني في سب جلاء العينين ومصنفه ومازعه من غرضه الحامل على تصنيفه •	٤٧ - ٤٤
غرض النبهاني من تكرير الألفاظ والمعاني واصراره على جهله وضلاله •	٤٨ ، ٤٧
ايراد محتويات كتاب جلاء العينين وكونه لم يحكم لابن تيمية على ابن حجر وأنه لو فعل لكان ذلك موجب الدليل •	٤٩
بيان كذب ابن حجر المكي على ابن تيمية وسبب معاملته بما لم يعامل به الروافض ونحوهم •	٥٠ ، ٤٩
النبهاني يحذر من كتاب جلاء العينين ورد ذلك بآثبات مزاياه والثناء على مؤلفه •	٥١ ، ٥٠
ذكر جساعة من قرظوا جلاء العينين نظما مع تراجمهم •	٦٢ - ٥١
نص مآقرظه الفاروقي الموصلي نظما •	٥٢
ترجمة الفاروقي نسبته ومولده وتعلمه ومذهبه وما تولا تاريخ وفاته رمذا والثناء عليه نظما ونثرا •	٥٥ - ٥٣
تقريظ أحمد بك الشاوي لكتاب جلاء العينين نظما •	٥٦ ، ٥٥
ترجمة الشاوي مولده ووفاته وعلمه وأخلاقه ومذهبه ومعتقده •	٥٨ - ٥٦
تقريظ عبد الحميد بن أحمد بك الشاوي لكتاب جلاء العينين نظما •	٥٩ ، ٥٨
ترجمته وأدبه والثناء عليه نظما ونثرا وبعض شعره وتأثر والده بصابه •	٦٢ - ٥٩
حيرة النبهاني في أمر صاحب جلاء العينين وأمره بالاختصار على نفسه وأبيات في ذم من يتعرض لغيره •	٦٤ ، ٦٣
نقول عن علماء الحنفية في منع الاستغاثة بالأموات تكذب	٦٨ - ٦٤

الموضوع	الصفحة
النبهاني في زعمه أن هذا مذهب الوهابية لا مذهب الحنفية .	
مذهب الوهابية في العقائد وأنه مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل السنة .	٦٨ ، ٦٩
رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وفيها بعض المغايرات .	٦٩ - ٧٦
وجوب العلم ثم العمل به ثم الدعوة اليه ثم الصبر على الأذى فيه ودليل ذلك .	٦٩
وجوب طاعة الرسول وتوحيد الله ومعاداة من حباد الله ورسوله وتفسير التوحيد والشرك وأدلة ذلك .	٧٠
الأصول الثلاثة ومعرفة الرب والمراد بآياته ومخلوقاته .	٧٠ ، ٧١
أنواع العبادة التي أمر الله بها وأدلتها من القرآن .	٧١ ، ٧٢
الأصل الثاني تفسير الاسلام ومراتبه وأركانه وأدلتها .	٧٢ ، ٧٣
عدد شعب الايمان وأركانه وأدلتها وتفسير الاحسان ودليله .	٧٣
حديث جبريل عليه السلام في تفسير الاسلام والايسان والاحسان واشراط الساعة .	٧٣ ، ٧٤
الأصل الثالث معرفة النبي صلى الله عليه وسلم ، نسبه وعمره وبلده ورسالته وتفسير أول سورة المدثر .	٧٤
هجرته عليه السلام والمراد بالهجرة وحكمها ودليلها ومدة اقامته بعدها والدليل على موته .	٧٤ ، ٧٥
دليل البعث والجزاء ووظيفة الرسل الى أممهم .	٧٥ ، ٧٦
تفسير الطاغوت ودليله وذكر رؤس الطواغيت .	٧٦
قول النبهياني : ان صاحب جلاء العينين صنفه مظهرة لصديق حسن خان وكونه صنفه قبل الاتصال به .	٧٧
لم يتحامل على ابن حجر بل مدحه وسكت عن تعصبه وما في كتبه من الأخطاء والخرافات .	٧٧ ، ٧٨
قوله انه عامل السبكي بسوء الصنيع وأن السبكي هو المستحق للقب شيخ الاسلام .	٧٨ - ٨٢

الموضوع	الصفحة
مدح صاحب جلاء العينين للسبكي مما يكذب النبهاني •	٧٨ ، ٧٩
عدم تجليل السبكي وابن حجر المكي سببه ما افترياه على ابن تيمية •	٧٩
ترك تسمية السبكي أو غيره بشيخ الاسلام لا يوجب اللوم والسبكي لا يستحق هذا اللقب •	٧٩ ، ٨٠
قوله ان هذا اللقب خاص بقاضي القضاة ذم للسبكي أما ابن تيمية وذكر نص بعض ما أقدم به ابن حجر في حق ابن تيمية •	٨٠ - ٨٢
تعبج النبهاني ما حمل صاحب جلاء العينين على سوء معاملتهما فيقال له ما الذي حملهما على سوء معاملة ابن تيمية وذكر نص بعض ما أقدم به ابن حجر في حق ابن تيمية •	٨٢ - ٨٤
عقيدة مصنف جلاء العينين وانصافه الذي حمّله على ترجيح ابن تيمية شأن أهل السنة •	٨٤ - ٨٦
حنت النبهاني في قسمه بأنه من أهل البدعة وأمر بتكفير يمينه مع أنه ليس من أهل الايمان •	٨٦
شبه النبهاني بسن قال الله فيهم ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ) •	٧٦ ، ٨٧
معنى حديث ( الأرواح جنود مجندة ) وتعارف روح مصنف جلاء العينين بأرواح أفاضل الأمة بخلاف روح النبهاني •	٨٧ - ٩٠
نصيحة في بيان الأوصاف الحميدة وترك الدنيا والبعث عن الولاية وآثار ذلك •	٩٠ ، ٩١
كون النبهاني اتحاديا وجرأته مع ذلك على أهل الفضل والدين •	٩١
زعمه أن السبكي ومن معه في جانب تعظيم جد مصنف جلاء العينين وهو النبي عليه السلام وبيان حقيقة التعظيم الواجب له •	٩١ ، ٩٢

الموضوع	الصفحة
كلام حول نسب النبهاني وخسة أصله دون جميع قبائل العرب .	٩٢ ، ٩٣
تسمية العلماء الذين صنّفوا فينا تضمنه جلاء العينين ولم يعيهم النبهاني .	٩٤
تكذيبه في أن من طالعه أيقن بخطئه وبيان أن المنصفين قد أثنوا عليه .	٩٥
خطبة للإمام أحمد في وصف أهل الفترات من أهل العلم وما يلاقونه من الجهلة .	٩٥
بعض ما كابدّه النبي عليه السلام من الأذى والسب وعاقبه من آذاه وآذى أتباعه في كل زمان ومكان .	٩٦ ، ٩٧
قوله أنه قد عق أباه وآذاه بما نقل من تفسيره مما يوافق قول الوهاية وبيان أن تلك المسائل صريحة في القرآن والحديث وتفسير العلماء المشهورين .	٩٨
رسالة لصاحب روح المعاني تبين أنه كان سلفي العقيدة كالأشعري وابن حنبل .	٩٨ - ١٠٣
نقل كلام الأشعري في الإبانة ما يظهر به موافقته لابن حنبل في اثبات الصفات .	٩٩ ، ١٠٠
تقريب مذهب الحنابلة وما نتم عليهم من ترك التأويل والأخذ بالظاهر وتأويل الأشعرية للاستواء .	١٠٠ - ١٠٢
لم يسلم أحد من أذى الناس والاستشهاد بأدلة على مسبة اليهود والنصارى والمشرّكين لرب العالمين .	١٠٣ - ١٠٧
إشاره الى قصص الذين صدر منهم الأذى للرسول عليه السلام .	١٠٨
تأسي صاحب جلاء العينين ووالده بسن أوزي في الله فصر .	١٠٨
بعض الأذى الصادر من الأمم للرسول والرد على بعض ذلك نظما .	١٠٨ - ١١٠
أذى الرافضة للصحابة وأن تلك المثالب التي تنقل عنهم اما	١١٠ ، ١١١

- كذب أو معذورون فيه أو قد كفر عنهم •
- ١١١ : سب أذى القبورين لصاحب جلاء العينين ووالده •
- ١١٢ ، ١١٣ : تفسير اخلاص الدين لله •
- ١١٣ ، ١١٤ : ما يلزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعاقبة من أراد بذلك الرياء أو الرئاسة أو نحوهما •
- ١١٣ - ١١٥ : تحريم الاختلاف في الدين وأدلته وأمثلة مما وقع فيه اختلاف الأسم •
- ١١٥ - ١١٧ : تسك كل فرقة بذهبها واعتقادها أن الحق معها دون غيرها
- ١١٧ ، ١١٨ : بعض أعداء صاحب جلاء العينين كابن جرجيس وابن دحلان وآل جليل وذكر بعض أمرهم وكيف نهايتهم •
- ١١٩ : ذم الحسد وأوصاف الحساد وبيان أن العالم الجليل لا يخلو من حاسد •
- ١١٩ : الحكم بالكفر والفسق والسعادة والشقاوة .. انما يؤخذ عن الشرع لا عن العقل •
- ١٢٠ ، ١٢١ : معنى حديث ( أتم شهداء الله في الأرض ) •
- ١٢١ ، ١٢٢ : ( حديقة الورود في مدائح السيد محمود ) وهو صاحب تفسير روح المعاني في مجلدين وبعض من قرظها نظما ملفزا بتأريخها •
- ١٢٣ ، ١٢٤ : رسالة ( أريج الند والعود ) مختصر حديقة الورود وإيراد خطبته وسبب تأليفه •
- ١٢٤ ، ١٢٥ : ثناء الأئمة العدول على مصنف جلاء العينين ووالده وذكر بعض مآثرهما مما يكذب النبهاني •
- ١٢٦ : انحطاط العالم الاسلامي وغلبة أمراء السوء وكثرة الفتن في الدين مما أوجب تطاول النبهاني •
- ١٢٧ : ذكر من ألف في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية حيث أن النبهاني قدح في أولئك العلماء بسبب انتصارهم لشيخ الاسلام •

الموضوع	الصفحة
ترجمة قاضي القضاة العيني شارح البخاري وذكر بعض مؤلفاته .	١٢٧ ، ١٢٨
تقريظه لكتاب ( الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيسية شيخ الاسلام كافر ) .	١٢٨ - ١٣٢
وصف شيخ الاسلام وحال الذين اعترضوا عليه وما حملهم على ذلك وبيان استحقاقه لهذا اللقب .	١٢٩ ، ١٣٠
بعض ماجرى له من المحن أسوة بمن قبله من الأئمة وإيراد مختصر ترجمته ووفاته .	١٣١
جوابه فوراً وهو يعظ على قول : ان الله بذاته في كل مكان الخ . . .	١٣٢
ترجمة الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي صاحب الرد الوافر وذكر بعض من قرظ كتابه .	١٣٢ ، ١٣٣
تقريظ قاضي القضاة ابن عسر البلقيني على كتاب الرد الوافر وذكره بعض مآثر شيخ الاسلام ومن مدحه أو حسده وبعض مانقم عليه وبيان عذره في ذلك .	١٣٣ - ١٣٥
توقير العلماء والكبراء والنهي عن سب الأموات .	١٣٥
ترجمة قاضي القضاة التفهني الحنفي وتقريظه للرد الوافر وذكره لبعض آثار شيخ الاسلام وتسلطه على مرده الجن .	١٣٦ ، ١٣٧
توقف الأئمة عن الحكم بتكفير أهل الكبائر وبيان أن الشيخ لم يصدر عنه ما يكون كبيرة وأنه مجتهد في تلك المسائل .	١٣٧ ، ١٣٨
اشتغال العالم بنفسه وتعمده على قول الحق يسعه من الاقدام على التكفير بغير دليل .	١٣٨
ترجمة قاضي القضاة محمد البسطامي المالكي وتقريظه لكتاب الرد الوافر .	١٣٨ ، ١٣٩
ترجمة الحافظ سراج الدين عمر البراز وتصنيفه في مناقب شيخ الاسلام .	١٣٩ ، ١٤٠
ترجمة بليغة للشيخ أحمد العمري الشافعي ونسبه وأدبه	١٤٠ - ١٤٢

الموضوع	الصفحة
وبعض كتبه وتصنيفه في مناقب شيخ الاسلام . ترجمة ابن عبد الهادي وابن القيم واتسابهما الى الشيخ وأتهما من حسناته .	١٤٢
ترجمة المحدث صفي الدين الحنفي البخاري صاحب القول الجللي في مناقب الشيخ وتقريظ الكزبري لكتابه .	١٤٣
تقريظ محمد التافلاني الحنفي المقدسي للقول الجللي وذكره بعض مآثر شيخ الاسلام وعذره فيما انتقد عليه .	١٤٣ - ١٤٥
ترجمة مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي وذكر بعض شعره	١٤٥ ، ١٤٦
الثناء على كتابه الكواكب الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ووصفه بأشعار بليغة .	١٤٦ ، ١٤٧
كثرة من أتى على شيخ الاسلام في كل زمان ومكان في مصر والشام والعراق وغيرها .	١٤٧ - ١٤٩
المبغضون له في العراق هم الدجالون المنافقون وبيان أن العراق معدن كل معنة وبلية في كل زمان .	١٤٨
مدح أهل الشام لتظاهرهم بنصرة الشيخ وكوبهم أحق الناس بذلك لأنه منهم .	١٤٩
الثناء على صاحبي مجلة المؤيد الأغر ومجلة المنار لتظاهرهما بنشر أقوال شيخ الاسلام وتأيد اختياراته .	١٤٩ ، ١٥٠
ترجمة رفيق بك العظم ونقل كلام له في تنبيه الافهام في ذم المقلدين والمبتدعين وما كان منهم في حق شيخ الاسلام .	١٥٠ ، ١٥١
ترجمة السيد محمد بدر الدين الحلبي وذكر نشره لمناقب شيخ الاسلام .	١٥١
ترجمة محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس ونشره لفضائل الشيخ وقمعه لخصومه في كل مكان .	١٥١ ، ١٥٢
عدم تضرر مصنف جلاء العينين بمسبة البهائي والاستشهاد على ذلك بأبيات لابن سند النجدي .	١٥٢ ، ١٥٣
خلاصة ما احتواه كتاب الكواكب الدرية للشيخ مرعي في	١٥٣ ، ١٥٤

الموضوع	الصفحة
• ترجمة شيخ الاسلام	
: خطبة الكتاب ومصادره ونسب شيخ الاسلام وسبب تسميته • بابن تيمية •	١٥٤
: ولادة الشيخ ونشأته واقباله على العلم وساعاته ومشائخه •	١٥٥
: ثناء الأئمة على ابن تيمية كالزري وابن دقيق العيد وأبي حيان • النحوي وابن الوردي •	١٥٥ ، ١٥٦
: ثناء ابن سيد الناس اليعمري على الشيخ ومبالغته في مدحه • وذكر أسباب حسده •	١٥٦ ، ١٥٧
: ثناء علم الدين البرزالي على شيخ الاسلام •	١٥٧
: مدح العلامة الزملكاني لابن تيمية وتقريظه لكتابه أبطال التحليل ورفع الملام نظما وثرا •	١٥٧ ، ١٥٨
: ثناء الشيخ عماد الدين الواسطي على ابن تيمية رحمه الله • تعالى •	١٥٨ ، ١٥٩
: ثناء الذهبي على الشيخ وذكر شجاعته وزهده وسخائه • وتبحره في جميع العلوم بما لا مزيد عليه •	١٥٩ - ١٦١
: ترجمة للشيخ بقلم بعض قدماء أصحابه بالغ في توسعه في العلم والعبادة والقوة في ذات الله •	١٦٢
: ثناء ابن عبد الهادي على شيخ الاسلام في كتابه المناقب •	١٦٢ ، ١٦٣
: مدح الشيخ ابن فضل الله العمري لابن تيمية ومساواته له بالأئمة الاربعة ونحوهم •	١٦٣ ، ١٦٤
: نبذة من كتاب الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للشيخ سراج الدين البزار •	١٦٤ ، ١٦٥
: قصيدة للشيخ نجم الدين ابن أبي بكر التركي في مدح شيخ الاسلام ابن تيمية •	١٦٥ - ١٦٧
: مؤلفات الشيخ ابن تيمية في الكلام والأصليين وسائر الفنون وكون أكثرها من حفظه ومارزقه من كثرة المؤلفات وسرعة الكتابة وقوة البديهة •	١٦٧ - ١٦٩



الموضوع	الصفحة
حكاية وقعت له في طفولته تدل على سعه الحفظ وقوة الملكة .	١٦٩ ، ١٧٠
مايفتح عليه في الدرس من أسرار العلوم ومامنح من استنباط المعاني وماقام به من معارضة الأهواء .	١٧٠
بعض مآثره الحميدة من العبادة والورع والزهد والكرم والايثار مع فقره ما فيه العجب العجاب .	١٧١ — ١٧٣
لباسه وتواضعه .	١٧٣ ، ١٧٤
كراماته ومكاشفاته وفراسته مما يدل على فضله وولايته .	١٧٤ — ١٧٦
شجاعة الشيخ ابن تيمية وجهاده وبعض ماجرى في حرب التتار من الثبات والاقدام وجرأته على الملوك من غير مبالاة بأحد ومايقع له في قلوب السلاطين من الهيبة والاحترام .	١٧٦ — ١٨٠
تمسك ابن تيمية بالكتاب والسنة وعدم التفاته لمن خالفه في ذلك ورضى الناس بفتواه .	١٨١ ، ١٨٢
محنة ابن تيمية لتمسكه بطريقة السلف وأول ذلك بسبب عقيدته الحموية .	١٨٢
ملخص ماتحتوي عليه هذه العقيدة الحموية .	١٨٢ — ١٨٨
ماعليه السلف وأهل القرون المفضلة من العلم في باب الأسماء والصفات ودليل ذلك عقلا ونقلا .	١٨٢ ، ١٨٣
رد مقالة بعض الأغبياء أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وسبب هذه المقالة وماعليه الخلف من الحيرة والاضطراب كما أقروا على أنفسهم .	١٨٣ ، ١٨٤
الكتاب والسنة وأقوال السلف ليست مرجعا عند النفاة في باب الاعتقاد وانما المعول على العقول الفاسدة .	١٨٤ ، ١٨٥
أصل مقالة التعطيل وبيان القول الشامل في الأسماء والصفات عند أهل السنة .	١٨٥
تقسيم الناس في آيات الصفات وأحاديثها الى ستة أقسام وايضاح القول الصحيح وهو قول من يجريها على ظاهرها	١٨٦ ، ١٨٧

الموضوع	الصفحة
اللائق بجلال الله مع نفي مشابهة المخلوق • خاتمة الحموية في ذم أهل الكلام واختلافهم واضطراب حججهم •	١٨٧ ، ١٨٨
ملخص الفتنة التي حصلت بسبب الحموية وانتصار الشيخ على من خالفه بالحجة •	١٨٨ - ١٩٠
محنة أخرى بسبب ما كتبه لنصر المنجي الذي يقلد ابن عربي وابن سبعين وعقد مجالس للشيخ ومناظرته في عقيدته الواسطية •	١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢
ملخص مناظرته للأحمدية الرفاعية وردده لما يقع فيهم من البدع المضلة •	١٩١ ، ١٩٢
سبب خروجه الى مصر وتأريخ ذلك وكيف ودعه أهل دمشق •	١٩٢ ، ١٩٣
وصوله الى مصر وجلوسه للمحاكمة في عقيدته عند القاضي المالكي وجبسه في الجب وخروجه بعد ١٨ شهرا وتعلبه على الفقهاء في المناظرة •	١٩٣ ، ١٩٤
بعض أبيات لابن عبد القوي في مدح الشيخ وحثه على الصبر •	١٩٤
ضجر الصوفية من الشيخ لطعنه في امامهم ابن عربي وكيف حبس في حبس القضاة •	١٩٥ ، ١٩٦
حالة المحاييس قبله وكيف شغلهم بالعبادة والعلم ، وبيان كثرة من يزوره في الحبس وما كتبه من الفتاوى وسبب نقله الى ثغر الاسكندرية وخروجه بعد ثمانية أشهر •	١٩٦
مبالغة السلطان في الثناء على الشيخ أمام القضاة والأعيان وجرأة الشيخ عليه وعفوه عن كفره أو تنقصه من العلماء •	١٩٧ ، ١٩٨
الجماعة الذين ضربوه وكيف عفى عنهم ومنع الجند من الانتصار له •	١٩٨
تأريخ رجوعه الى دمشق واقامته بها مشتغلا بالعلم وذكر	١٩٩ ، ٢٠٠

الموضوع	الصفحة
بعض اختياراته التي خالف فيها الجمهور • فتواه في مسألة الحلف بالطلاق وجسه لأجل ذلك بالقلعة واخراجه بعد أكثر من خمسة أشهر •	٢٠٠ ، ٢٠١
فتواه في شد الرحل لزيارة القبور وماحصل بسببها من الارجاف مما سبب وجسه بالقلعة الى أن مات •	٢٠١ ، ٢٠٢
صورة السؤال في مسألة السفر لزيارة القبور وجواب الشيخ بنصه •	٢٠٢ - ٢٠٦
ما ذكره من أقوال العلماء في قصر الصلاة في مثل هذا السفر وأدلتهم وأقوالهم في حكم الوفاء بالندر •	٢٠٢ ، ٢٠٣
ضعف الأحاديث التي يحتجون بها في وجوب زيارة قبر الرسول عليه السلام •	٢٠٣ ، ٢٠٤
دلالة حديث لاتشد الرحال والرد على من قال أنه لنفي الاستحباب •	٢٠٤
أحاديث في النهي عن اتخاذ قبره عيداً أو سجداً وعملاً السلف في السلام على القبر وما يؤدي اليه الغلو في الصالحين الروافض خالفوا السنة فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد •	٢٠٥ ، ٢٠٦
بعث هذا الجواب الى مصر وكيف حرف عليه وبيان الفرق بين مطلق الزيارة الجائزة وشد الرحل الممنوع •	٢٠٦
ذكر انتصار علماء بغداد للشيخ •	٢٠٧ - ٢١٣
جواب الشيخ ابن البتي الحنبلي وايضاحه لعنى لاتشد الرحال وامتعاضه من حبس الشيخ •	٢٠٧ ، ٢٠٨
تذييل ابن عبد الحق الحنبلي على جواب ابن البتي مؤيداً له	٢٠٨
جواب العلماء الشافعية وفيه حكم الزيارة وان المنع منها لايعد تنقضا للمزور •	٢٠٨ ، ٢٠٩
من أفتى قبل الشيخ من أجلاء العلماء بمنع السفر لزيارة القبور •	٢٠٧ ، ٢٠٨
جواب لعلماء المالكية وفيه المنع من تكفير من منع هذا السفر	٢٠٩ ، ٢١٠

الموضوع	الصفحة
• وان الغرض من السفر الى المساجد الثلاثة الصلاة فقط •	
جواب آخر لعلاء الشام من المالكية في هذا المعنى •	٢١٠
كتاب ورد مع أجوبة علماء بغداد يتضمن الدعاء للسلطان	٢١٠ - ٢١٣
والثناء على الشيخ وتشبيه السلطان بيوسف الصديق	
والشيخ بما عنده من القوت الذي اضطر الناس اليه •	
كتاب آخر لعلاء بغداد وفيه ما حصل من المستقة على أهل	٢١٣
الحق وانتصار المتدعين لما سمعوا التضييق على الشيخ •	
مدة اقامة الشيخ بالقلعة وكونه مكبا على العبادة والتصنيف	٢١٤
ومنه آخر المدة من الكتابة •	
وفاة الشيخ ومدة مرضه واباحته كل من عاداد جهلا وشدة	٢١٤ - ٢١٧
أسف الناس عليه وكيف ضاق المسجد والأسواق بالمصلين	
والمشيعين وأين دفن وما كان من حزن الناس عليه في كل	
البلاد •	
ما رثي به الشيخ من القصائد بعد موته •	٢١٨ - ٢٤٠
مقاله شهاب الدين ابن فضل الله العمري النافعي في حق	٢٢١ - ٢٢١
الشيخ نظما ونثرا •	
قصيدة ابن الوردي الشافعي في شيخ الاسلام •	٢٢١ ، ٢٢٢
مرثية في الشيخ قالها محمد الجزري العراقي •	٢٢٢ - ٢٢٤
مقاله الشيخ علاء الدين ابن غانم رحمه الله تعالى •	٢٢٤ - ٢٢٥
أبيات لمحمود بن الأثير الحلبي عليه الرحمة •	٢٢٥
مرثية بليغة لزين الدين ابن الحسام الشبلي في شيخ	٢٢٦ ، ٢٢٧
الاسلام •	
مقاله الشيخ جمال الدين ابن الحصري الحلبي رحمه الله	٢٢٧ - ٢٢٩
تعالى •	
قصيدتان بليغتان لشهاب الدين ابن أنو شروان التبريزي	٢٢٩ - ٢٣١
الحنفي عليه الرحمة •	
قصيدة لولده برهان الدين التبريزي الحنفي في شيخ	٢٣٢ ، ٢٣٣

- الاسلام رحمة الله •
- ٢٣٣ - ٢٣٥ : مرثية جيدة لبعض الفضلاء من جند مصر أرسلها بعد عرضها  
على أبي حيان النحوي •
- ٢٣٥ - ٢٣٨ : مرثيتان للشيخ محمود الدقوقي البغدادي بالغ فيهما في  
الثناء على الشيخ رحمهما الله تعالى •
- ٢٣٩ : مقاله الحافظ الذهبي يرثي الشيخ •
- ٢٣٩ ، ٢٤٠ : قول بعض أدباء عصره •
- ٢٤١ - ٢٤٣ : خاتمة نصيحة وموعظة •
- ٢٤١ : كون الشيخ من أولياء الله لثناء الأئمة عليه وحال من وقع  
فيه والنهي عن الغيبة وسب الأموات •
- ٢٤٢ ، ٢٤٣ : وجوب حسن الظن بمن سلف وعذر الشيخ فيما نقم عليه  
وحال من طعن فيه وما حملهم على ذلك •
- ٢٤٣ : الغرض من إيراد هذه الرسالة تأييد صاحب جلاء العينين  
بكثرته من أثني على الشيخ مما يكذب البهائي •
- ٢٤٣ ، ٢٤٤ : عذر الشيخ وغيره ممن انتقدوا أقوال الأئمة قبلهم والفرق  
بينهم وبين خصماء الشيخ •
- ٢٤٤ - ٢٤٧ : كلام لشيخ الاسلام في أن مخالفة الأئمة أو بعضهم لا تعتبر  
طعنا فيهم لعذرهم في الاجتهاد وكونهم غير معصومين  
ووجوب تقديم الدليل على قول كل أحد •
- ٢٤٨ ، ٢٤٩ : نقل عن شيخ الاسلام في تفسير سورة الكوثر في أن الله  
يتر من شأنه أو شناً كتابه أو رسوله وكيقة ذلك •
- ٢٤٩ - ٢٥١ : كلام ريك للنبهاني في الفرق بين ابن حجر المكي وابن  
تيمية وقد بالغ في مدح ابن حجر وكتبه والخط على ابن  
تيمية وعيب مؤلفاته بأنها تمزقت وهدمت بركتها الخ •
- ٢٥١ ، ٢٥٢ : مافي كلامه من الركة والتناقض وكونه ليس أهلاً أن يحكم  
بين صبيين •
- ٢٥٢ - ٢٥٧ : نقل عن شيخ الاسلام في صفات الحاكم وفضل العدل

- واصلاحه للسجتنع وما في ضد ذلك من المفاسد •
- ٢٥٧ ، ٢٥٦ : ذم الاختلاف الذي وقعت فيه الراقضة في الصحابة وأدله المنع من الكتاب والسنة •
- ٢٥٨ ، ٢٥٧ : عظم الفرق بين ابن تيمية وابن حجر كالفرق بين السمك والسمالك والثرى والثريا والظل والحرور والاستشهاده بأبيات •
- ٢٥٩ ، ٢٥٨ : الفرق بين كتبهما كما بين كتاب الله وقرآن مسيلمة والمقارنة بين كتابين لهما في موضوع واحد وكثرة كتب ابن تيمية •
- ٢٦٠ ، ٢٥٩ : انتقاد كتب ابن حجر بالعموض والخرافات وما فيها مما هو منتحل من كتب ابن تيمية وغيره •
- ٢٦٠ : قلة من يعتقد مذهب الشافعي الذي صنف فيه ابن حجر واستغناء الناس بكتب الحنفية مما يكذب النبهاني في زعمه أن كتب ابن حجر عمدة جميع المحققين •
- ٢٦١ ، ٢٦٠ : تكذيب النبهاني بذكر من طعن على ابن حجر ونسبه الى الكذب ولو سلم من الطعن لكان دليل حقارته وعدم الاهتمام بشأته •
- ٢٦١ - ٢٦٥ : نقل عن الرافي من ( احياء القلوب ) فيه أن كثرة الأعداء للشخص يثبت له الأسوة بالأئبياء •
- ٢٦١ : ليست الدنيا موضع ظهور الجزاء فلا يلتفت فيها الى المدح أو الذم •
- ٢٦٢ ، ٢٦٣ : عدم تأثير المؤمن بحب الناس له أو بغضهم ، وحال الابرار في حصول الأذى لهم وفرحهم بذلك •
- ٢٦٣ - ٢٦٥ : ما حصل لكثير من العلماء قديما وحديثا من قتل وحبس وتضييق وأذى •
- ٢٦٥ - ٢٦٧ : زعمه أن ابن حجر يعتقد في الصوفية فنالك بركتهم وبيان أن ابن تيمية أيضا يثني على صالحهم وأن متأخريهم قد وقع فيهم اعتقاد الحلول كما اعترف بذلك ابن حجر •

الموضوع	الصفحة
• سبب رفض النبهاني للحق غلوه في محبة أصحابه •	٢٦٧ ، ٢٦٨
رسالة لشيخ الاسلام وهو في السجن تتضمن أن المؤمن لا بد أن يؤذى ولا يكون صادق الايمان الا بالصبر وبيان الحكمة في ذلك •	٢٦٨ - ٢٧٠
• كثرة الانتفاع بكتب ابن تيمية وعدم عيبه لو لم تقبل كتبه وبيان حال كتب ابن حجر •	٢٧٠ ، ٢٧١
• انتشار كتب خرافية وكتب مبتدعة وتلف كثير من كتب الأئمة وأن ذلك لا يدل على أن أهلها من أهل السنة أو البدعة وذكر أمثلة لذلك •	٢٧١ - ٢٧٣
• كثرة ما بقي من كتب ابن تيمية والوعد بنشر ما يوجد منها وقد حصل بحمد الله •	٢٧٢
• الباب السادس للنبهاني في الحكايات عن المستفيثين بالرسول واغاثتهم وذكر مصادر هذه الحكايات •	٢٧٣ ، ٢٧٤
• كلام شيخ الاسلام في حال هذه الحكايات وكيف وضعت وان العمدة على الدليل الصحيح لا عليها خلافا للنصارى •	٢٧٤
• جواب مجمل لشيخ الاسلام بما عند أهل الكتاب من الحكايات وباختلاف القبوريين وتعذر اصابتهم كلهم ••	٢٧٥
• بعض المخارق التي تجرى للسحرة والمستفيثين بالقبور وذكر بعض أسبابها •	٢٧٥
• اجابة من دعا بدعاء محرم لاتدل على اباحته ، ومتى يكون الدعاء محرما ، والفرق بين القدر والشرع •	٢٧٦ ، ٢٨٠
• لا يستجاب لصاحب الدعاء المحرم الا في الأمور الحسيرة وسبب ذلك •	٢٧٦ ، ٢٧٧
• أقسام الشرك وأدلتها وعدم القدرح في التوحيد باثبات الأسباب لأن الله خالف الأسباب والمسببات •	٢٧٧ - ٢٨٠
• لم يقل أحد من الأئمة بسؤال النبي عليه السلام بعد موته ولا تدل حكاية الاعرابي وقوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا	٢٧٩ ، ٢٨٠

الموضوع	الصفحة
أنفسهم ) على الجواز •	
بعض الاسباب في اجابة من دعا بدعاء محرم أو مكروه وان اجابته قد تكون سببا في شقائه كبلعام وثلبسة وقد يعذر انجاهل •	٢٨٠ — ٢٨٢
لايصح نقل النباني عن الرفاعي من أمره بالاستغاثة به وان صح فليس بحجة •	٢٨٢
ذم وتشنيع على دجال العصر شيخ النباني وبيان كذبه في ادعاء الشرف ونسبه وماحصل بسببه من البلاء على الأمة والاستشهاد على سوء أفعاله بأبيات للموصلي وغيره •	٢٨٢ — ٢٨٤
الباب السابع للنباني في أدعية عن بعض الأولياء استغاثوا فيها بالرسول عليه السلام ومايحتوي عليه هذا الباب ومصادره •	٢٨٤
ليس الناس كلهم موحدين وليس كل أحد يحتج بكلامه •	٢٨٤
جواب لشيخ الاسلام في حكم من أنكر الشفاعة في الآخرة أو أنكر توسل الصحابة بالرسول عليه السلام في حياته ومعنى حديث أنه لا يستغاث بي والدليل على أنه لا يدعى الا الله ولا مغيث الا هو وحكم الاستغاثة بغير الله وحكم القسم أو الاستغاثة بصفاته ومتى يحكم بكفر من خالف الدليل •	٢٨٥ — ٢٨٨
حكم الاستغاثة بالمخلوق والفرق بينها وبين التوسل وحكم من أنكر شيئا من ذلك •	٢٨٩ — ٢٩١
حديث الأعمى الذي رد الله اليه بصره وأقوال الناس في معنى التوسل المذكور فيه •	٢٩٠
الفرق بين توسل القبورين وتوسل ذلك الأعمى وأنه توسل خاص بالنبي عليه السلام في حياته أي بدعائه •	٢٩١ ، ٢٩٢
آيات وأحاديث وآثار وأدعية وأشعار تتضمن الاخلاص لله والتوجه اليه وحده وترد ماأورده النباني من أدعية شركية	٢٩٢ — ٣٢٧



الموضوع	الصفحة
لا يحتج بقول أصحابها • أمثله من الأدعية القرآنية ودعوات الأنبياء فيها التوجه الى الله وحده •	٢٩٣ ، ٢٩٢
فضل البسمة وما اشتملت عليه من الاستعانة بالله ومقتضى أسماء الله المذكورة فيها •	٢٩٦ - ٢٩٣
تفسير فاتحة الكتاب وما تضمنته من اخلاص العبادة والقصد لله وحده •	٢٩٦ - ٣٠٢
معنى الحمد واستلزامه للمحبة والرضا وترك ما يضايق ذلك من جعل الند والشريك له سبحانه •	٢٩٧ ، ٢٩٦
دلالة أسمائه الله والرب والرحمن والرحيم والمالك على الوحدانية وحكم من لم يعطها حقها •	٢٩٨ ، ٢٩٧
السر في تخصيص الملك بيوم الدين والمراد بالدين ودلالة ذلك على التوحيد •	٢٩٩ ، ٢٩٨
تفسير ( اياك نعبد و اياك نستعين ) ودلالاتها على اختصاصه باستحقاق العبادة والاستعانة •	٢٩٩
تفسير ( اهدنا الصراط المستقيم ) ودلالاتها على توحيد الطريق والمراد بالصراط وما يضايقه •	٣٠٠
قوله ( غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) صلتها بما قبلها وعوم الغضب والضلال لغير اليهود والنصارى •	٣٠٠ - ٣٠٢
قوله ( أمن يجب المضطر اذا دعاه ) دلالتها على شناعة أفعال عباد القبور وأن الجاهليين خير منهم •	٣٠١
من تفسير سورة الاخلاص لشيخ الاسلام وفيه معنى الصمد وسبب تعريفه وتنكير أحد ودلالة السورة على التوحيد •	٣٠٢ - ٣٠٤
من تفسير سورة لطلق لابن القيم معنى الاستعاذة والمستعاذ به واستعاذة الانس بالجن ودلالة المعوذتين على التوحيد •	٣٠٤ - ٣٠٦
ماورد في السنة من الأدعية كله طلب من الله وحده لامن غيره كاذكار الصباح والمساء وعند لقاء العدو ونحو ذلك •	٣٠٦ - ٣٠٩

الموضوع	الصفحة
الكتب المؤلفة في الأذكار النبوية ليس فيها توجه لغير الله أصلاً وذكر مقدمة الحصن الحصين للجزري •	٣٠٧
أذكار وأوراد عن الصلحاء من خيار الأمة ليس فيها استعانة بخلق •	٣٠٩ - ٣٢٧
دعاء عظيم كان سبباً في إحياء فرس قد مات ودعاء لزين العابدين السجاد كله خالص لله •	٣٠٩
وصايا لعبد القادر الكيلاني وهو محتضر ومخاطبته للملائكة ونصائح له كلها تتضمن الإخلاص لله •	٣١٠
ما حكاه ابن عربي أن الله قال يا موسى لاتجعل غيري موضع حاجتك وقصة أبي حمزة الذي سقط في بئر فلم يسأل أحد إخراجه وانكار العلماء لما فعل وأن طلب إخراجه لا ينافي التوكل •	٣١١
تفسير صاحب روح المعاني لقوله تعالى ( والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ) ورده على بعض الصوفية القائلين بجواز الاستغاثة بالأولياء للعارف •	٣١٢
ذم الغلاة وبعض أفعالهم واعتقادهم في القبور مما يضحك السفهاء •	٣١٢ ، ٣١٣
تفسير ( فالمدبرات أمرا ) وإبطال قول من فسرها بالأولياء وأن لهم تصرف بعد موتهم •	٣١٣
رد صاحب روح المعاني على بعض الغلاة في تفسير ( لاتدخلوا بيوتاً ) بالدخول لزيارة قبور الأولياء وأن الاستئناس أن يجد روح القبول ، وانكاره ما تقوله الرافضة عند زيارة أئمتهم •	٣١٣ ، ٣١٤
وصف الغلاة بأنهم اذا ذكر الله اشمأزت قلوبهم واذا ذكر الأولياء والحكايات الكاذبة عنهم استبشروا ، وما نقل عن بعضهم من تفضيل دعاء الأولياء على دعاء الله •	٣١٤ ، ٣١٥
حكاية عن عكرمة ابن أبي جهل في إخلاص المشركين في	٣١٥

- الشدة بخلاف أهل زماننا •  
 ٣١٦ : أبيات للشافعي ولأبي نواس وغيرهما تتضمن الرغبة الى الله  
 وحده •
- ٣١٦ - ٣١٨ : قصيدة لعلي السويدي فيها تغير الناس والحث على الرغبة  
 الى الله وفيها وصايا قيمة وبعدها ثناء على كتابه ( العقد  
 الثمين )
- ٣١٩ - ٣٢١ : تقرّظ لمحمد خليل الدمشقي على كتاب ( العقد الثمين )  
 نظما ذاكرا مافيه من الفوائد الجليلة •
- ٣٢١ ، ٣٢٢ : أبيات نفيسة فيها توسل الى الله وحده بصفات كماله مجربة  
 اجابة من دعى بها وأبيات أخرى لم يزل المصالحون يناجون  
 ربهم بها •
- ٣٢٢ - ٣٢٤ : قصيدة جليلة لبعض الصالحين قد خسها بعض أهل الزهد  
 فيها أعظم مناجاة لله وتذلل بين يديه •
- ٣٢٥ : أبيات للزمخشري وصف الله فيها بسعة الاطلاع ورغب اليه  
 وحده في المغفرة •
- ٣٢٥ ، ٣٢٦ : دعاء واستغاثة كان يواظب عليها شهاب الدين السهروردي  
 ذكروا لها خواص وفوائد كثيرة •
- ٣٢٦ : خاتمة قصيدة عظيمة للشيخ الدميّاطي دعا الله فيها بأسمائه  
 الحسنی •
- ٣٢٦ ، ٣٢٧ : لم يزل الصالحون يناجون الله ويتضرعون اليه وحده خلافا  
 لما نقل النبّهاني الذي لم يفرق بين الشفاعة والتوسل والصلاة  
 على النبي صلى الله عليه وسلم •
- ٣٢٧ : الباب الثامن للنّبّهاني ذكر فيه ماورد من انظم فيه استغاثة  
 بالرسول عليه السلام ورتبه على الحروف وأكثره من  
 ( المجموعة النبّهانية ) •
- ٣٢٧ ، ٣٢٨ : لايقبل قول كل أحد نظما أو نثرا وانما المرجع الكتاب  
 والسنة كما في أدعية الأئمة الجهابذة كما تقدم •

الموضوع	الصفحة
أكثر أولئك الشعراء ومنهم النبهاني جهلاء بالتوحيد واجابتهم بتلك الأدعية لايدل على اباحتها ومايوجد عند القبوريين من الحكايات في حصون مقاصدهم كلها لاجحة فيها .	٣٢٨
قد وقع الشرك بأهل القبور مع أن الرسول عليه السلام قد نهى عن الصلاة عند القبور وعن القسم على الله وعن الحلف بغير الله .	٣٢٩ ، ٣٢٨
حكم الأقسام على الله بنبيه أو بصفاته والسؤال بمعاقد العز من عرشه .	٣٢٩ ، ٣٣٠
حديث أسألك بحق السائلين عليك والمراد بهذا الحق وحديث حق العباد على الله . . وكون العباد لا يوجبون على الله بخلاف ماأوجبه على نفسه ، وحكم قول العبد أسألك بحق فلان .	٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨
التوسل بالأعمال الصالحة ومايفيده الدعاء من الايمان بالله ومحبته وذكر دعاء العبادة ودعاء المسألة .	٣٣٢
سبب نزول ( واذا سألك عبادي عني ) ومعنى ( فليستجيبوا لي ) وسبب اجابة الكفار كما في قوله ( فلما كشفنا عنه ضره ) ونحوها لأجل الضرورة أو لمتاع الدنيا مع ظنهم أنه دليل ذهاب السيئات عنهم .	٣٣٣ - ٣٣٥
طلب الشفاعة من الرسول في الآخرة وتوسل الصحابة به في حياته وبطلان حديث : اذا سألتهم الله فاسألوه بجاهي . .	٣٣٥
معنى قوله في حديث الأعمى : اني أتوجه بك الى ربي ، وما يراد بلفظ التوجه بالشخص والتوسل به والسؤال في عرف الصحابة وأمثلة لذلك وسبب غلط من بعدهم في فهم معناه .	٣٣٦ ، ٣٣٧
حديث أعوذ برضائك . . استعاذة بصفات الله ، أفعال الله قائمة به وأفعال المخلوق لاتنسب الى الله وان كانت خلقا له خلافا لأهل الاتحاد .	٣٣٨ ، ٣٣٩

الموضوع	الصفحة
حكم الحلف بغير الله وبعزة الله ولعسر الله ولفرق بين قولهم الصفات غير الذات وصفات الله غير الله .	٣٣٩
قولهم : اسألك بالله والرحم ودليله ومعناه والأمر بإبرار المقسم .	٣٤٠
التوسل بذوات الأنبياء والصالحين أو باتباعهم أو بدعائهم وشفاعتهم وحكم ذلك .	٣٤١
أمثلة مما أورد النبهاني من الشعر المشتغل على دعاء الرسول وطلبه ما لا يطلب الا من الله .	٣٤٢ ، ٣٤١
من شعر الصرصري والبوصيري وما فيه من الغلو وهما أجل من استشهد النبهاني بشعره .	٣٤٣ ، ٣٤٢
ما اتقده شيخ الاسلام على ابن البكري والصرصري وابن النعمان من التسوية في الاستغاثة بين الحي والميت .	٣٤٣
من المتحقق أن الرسول نهى عن دعاء غير الله ولكن لا يكفر من فعله جاهلا الا بعد العلم .	٣٤٤
الذين يدعون الأموات يفرعون اليهم في الضرورات كما فعلوا لما جاء التتر مما سبب هزيمتهم ولما أخلصوا اتصروا .	٣٤٤
تأويل لبعض ما أنكر من شعر الصرصري ليوافق الحق .	٣٤٥
مانقله شيخ الاسلام عن الغلاة من استقبانهم القبور وعكوفهم حولها وحجهم اليها . . الخ وتفصيل المؤلف لذلك .	٣٤٥ - ٣٤٨
قول البوصيري : مالي من ألوذ به سواك . . وما فيه من الشرك وخطأ من أوله بالشفاعة .	٣٤٨ ، ٣٤٩
حول بيت للبوصيري فيه أن معجزات الرسول عليه السلام كالقرآن لاتناسب قدره والا لأحيا اسمه الأموات .	٣٤٩ - ٣٥١
زعم المشركين عدم تأثير الأسباب وان وسائلهم من الأولياء لا يؤثرون وانما الله يخلق عند دعائهم ما طلبوا والرد عليهم بمشابهة فعلهم لفعل المشركين وبإثبات تأثير الأسباب باذن	٣٥١ - ٣٥٥

الموضوع	الصفحة
• الله	
الذين احتج النبهاني بشعرهم اما اتحادية لايفرقون بين الخالق والمخلوق واما جهال لونهوا لرجعوا •	٣٥٦ ، ٣٥٥
ثبت النبهاني عن مشائخه الى جبريل عن اسرافيل • الخ وكونها دعوى كاذبة لفقد آثار العلم والتقوى فيه وفي مشائخه •	٣٥٧ ، ٣٥٦
تفسير الزمخشري للمحبة بالطاعة والاتباع وتكذيبه ماتدعيه الصوفية من المحبة لفقد آثارها فيهم •	٣٥٨
علم المعقول مأخوذ عن كتب اليونان بعد أن ترجمت وعن أهل الكلام فلا يصح نسبة ذلك الى جبريل • الخ	٣٥٩ ، ٣٥٨
الخرق متعددة أشهرها خرقة عمر وخرقة علي وبيان أسانيد خرقة علي وما فيها من الكذب والانقطاع وان الصحابة لا يلبسون مريديهم خرقا ولا يقصون شعورهم •	٣٦٠ ، ٣٥٩
ضعف نسبة الفتوة الى علي وكون التابعين يأخذون عن كل من لقوه من الصحابة ولايتخذ أحد منهم شيخه ربا ، وكون علي لم يتفرد بعلم دون بقية الصحابة ولم يخرج اليه الا كما يحتاج الى غيره •	٣٦٢ ، ٣٦١
بطلان ثبت النبهاني لاختلال سنده واتحاله البدع وخلوه من العلم الصحيح وبطلان كل ما هدى به في هذا الكتاب وكذبه فيسا عنده من الاجازات بالطرق العلية الخ •	٣٦٣ ، ٣٦٢
نقل النبهاني في خاتمته أن الشعراني تأول أقوال الصوفية الصريحة في الاتحاد ورد نسبة بعضها اليهم •	٣٦٤
لم يسلم أحد من الاعتراض وليست العصمة الا للرسول ، وابن تيمية اتنصر للصوفية ولم ينتقد الا مسائل للغزالي الا أنه تكلم كغيره في ابن عربي وأضرابه من أهل الاتحاد •	٣٦٥ ، ٣٦٤
الأئمة الأربعة يوجبون هدم القباب على القبور ويحرمون الصلاة عندها لله ومقلدتهم ينسبون من فعل ذلك الى	٣٦٦ ، ٣٦٥

الموضوع	الصفحة
الاستخفاف بالأولياء •	
قول ابن عربي حدثني قلبي عن ربي تكذيب للرسول وورثتهم كالجنيد الذي يتوفى عن قبول لواردات الا بشاهدين وهما الكتاب والسنة •	٣٦٦
ظعن المازري على الغزالي وان الغزالي عول في الفلسفة على رسائل اخوان الصفا وعلى كتب ابن سينا ، وبيان ما في كتابه الأحياء من الموضوعات والأقوال الباطلة •	٣٦٧ ، ٣٦٦
كلام أبي الوليد الطرطوشي وابن الصلاح في الغزالي واتصار ابن السبكي له واعترافه بجهله في الحديث وعزم أهل المغرب على احراق كتب الغزالي •	٣٦٩ ، ٣٦٨
نصيحة الشيخ عبد اللطيف لمن يشتغل بكتاب الاحياء ونقله عن العلماء التحذير عنه لما فيه من البدع والكذب الخ ••	٣٧٠ ، ٣٦٩
مدح بعض الجهلة لكتاب الأحياء وان الزبيدي قد خرج أحاديثه وبيان أن الزبيدي ليس من أهل الحديث •	٣٧١
مدح ابن تيمية للغزالي بالخاتمة الحسنة واشتغاله في آخر عمره بالصحيحين •	٣٧١
ما قاله القرظبي وأبو بكر الطرطوشي في الغزالي وذكر ألفاظ منكورة نقلت عنه وسبب تكلم ابن تيمية وغيره فيه •	٣٧٣ ، ٣٧٢
سبب تكلم ابن تيمية في ابن عربي وذكر من كفره غيره وكيف كان مبدأ أمره ونهايته •	٣٧٤ ، ٣٧٣
مباهلة ابن حجر العسقلاني لبعض من يغالي في ابن عربي وموت ذلك المباهل في وقت قريب •	٣٧٤
وصية للمؤلف بلزوم الكتاب والسنة واجتناب المحدثات •	٣٧٥
قصيدة بليغة في الأمر باتباع الصحابة والثناء عليهم •	٣٧٦
خاتمة في بيان قدر النباني وحقارته بالنسبة لمعالى الأمور •	٣٧٧
مدة اشتغال المؤلف بهذا الكتاب ٥٤ يوما •	٣٧٧

الموضوع	الصفحة
ختم الكتاب بأدعية شريفة وثناء على الله بما هو أهله •	: ٣٧٨ ، ٣٧٧
تقاريط كثيرة موجودة في الطبعة الأولى لعلماء زمن المؤلف في الثناء على الكتاب ومؤلفه •	: ٣٨٦ - ٣٧٨
خاتمة الطبعة الأولى بقلم بعض تلامذة المؤلف •	: ٣٨٧ ، ٣٨٦

## تصحيح الاخطاء في الجزء الثاني من كتاب غاية الاماني

صواب	خطأ	سطر	صفحة
بَعْضُهُمْ	بَعْضُهُمْ	٢	٦
فَسُحْقًا	فَسُحْقًا	٩	١٦
الربوبية	الربوبية	٢٤	٣١
في أتباعهم	في أتباعهم	١٥	٣٢
عَلِمُ السَّاعَةَ	عَلِمُ السَّاعَةَ	١٥	٣٢
قُلِ ادْعُوا	قُلِ ادْعُوا	١٩	٣٨
قُلِ ادْعُوا	قُلِ ادْعُوا	٢٢	٣٨
أوتوا	أوتوا	١٧	٤٩
بحسبه	بحسه	٢٥	٥٩
اذ أنجدوا	إذا أنجدوا	٩	٦٠
جته	جه	٢٢	٦٠
المجتبي	المجتبي	١٢	٦١
الاعراف	الاعرف	٢٦	٦٦
(٣) البقرة : ٢٨٥	٢٨٥(٣)	٢٣	٧٣



صواب	خطأ	سطر	صفحة
يا أيها	يا أيها	١٤	٧٤
فيه في حق	فيه حق	٤	٩٤
( إن )	( إن )	١٢	١٠٤
الجنة	الجنة	٢	١١٦
العاني	العالي	١٦	١١٧
برضوان الله	برضوان الله	٢	١٢١
المحمود	محمود	٢٨	١٢١
نبيِّ عَدُوًّا	نبيِّ عَدُوًّا	١٦	١٢٦
روية	رويه	١٦	١٢٩
وتنشرح لها أفئدة	وتنشرح أفئدة	٨	١٣٩
وتَنزَعُ	وتَنزَعُ	٢٧	١٤٧
ما يصادم	ما يصادم	١٥	١٥٠
الحدود فكتب	الحدود سبب	٧	١٥٨
يستعبه	يستعبه	١٠	١٧٤
كراماته	كرماته	١٤	١٧٤
لنا مسألة مسألة مما كنا	لنا مسألة عما كنا	١٦	١٧٤
رجال	رجل	٢٢	١٧٦
آمن جميع	امن جميع	٢٨	١٧٧
الزملكاني	الزملكان	١٢	١٩٧
ذو اجتهاد لكن	ذو اجتها ولكن	١	٢٢٤
غد	عد	٢٤	٢٢٨
حشاشة	حشاشة	٢٧	٢٣٧
فتلحقه	فلةحقه	٥	٢٤٢
يتبين	يشين	١٨	٢٤٣
الاحتجاج	الاجتجاج	٢٤	٢٤٥
عمرو بن عوف	عمرو عن عوف	٢٠	٢٤٦
يوم القيامة	يوم القيامة	٧	٢٤٧

صواب	خطأ	سطر	صفحة
كبيرة	كبيرة	١٣	٢٤٨
وَالْمِيزَانَ	وَالْمِيزَانَ	٢٦	٢٥٢
ولبت	ولبت	١٨	٢٦٠
يُتْرَكُوا أَنْ	يُتْرَكُوا أَنْ	٢١	٢٦٨
يَعْقِلُونَ	يَعْقِلُونَ	٨	٢٧٧
يتأهل	يتأهل	٢	٢٩٦
جَنَّتَيْنِ	جَنَّتَيْنِ	٥	٣٠٣
١٩	٩	٢٤	٣٠٣
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ	يَدْعُونَ	٢٤	٣١١
وارحم واكف وانصر	وارحم وانصر	١٩	٣٢٦
ضرورات	ضرورات	١	٣٤٥
والبد	والبد	١٧	٣٤٦
ألفموضة عبيد الله	ألفموضة	٢٧	٣٦٧